إفادة المستفيد
بشرح كتاب التوحيد

تأليف الشيخ/

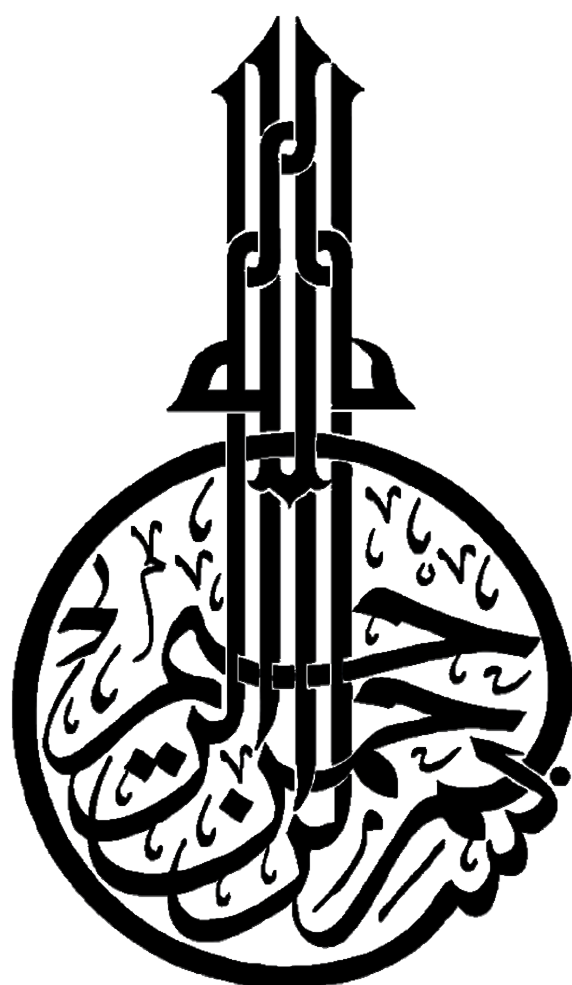
عبدالرحمن بن حمد بن محمد الجطيلي رحمه الله

اعتنى بها تحقيقاً وتعليقاً

الشيخ / نواف بن عبيد بن سعد الرعوجي

إصدار دار النفائس والمخطوطات ببريدة ١٤٣٦هـ

وقف لله تعالى على نفقة أبناء حمد بن محمد الجطيلي رحمه الله


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، اللهم لك الحمد كله ولك الشكر كله، لا أحصي ثناءً عليك أنت أهل الثناء وأهل المجد، وأحق ما قال العبد .. وبعد:

فلقد يسر الله لي تحقيق كتب الشيخ الفاضل والمربي الكريم الشيخ/ عبد الرحمن بن حمد الجطيلي رحمه الله، وأدخله فسيح جناته، وهي مجموعة من الكتب في عدة فنون، ويسر الله تحقيقها وجمعها، ولقد قمت فيها بعزو الآيات وتخريج الأحاديث والأقوال وذكر بعض الأقوال الفقهية والفوائد وترجمة للأعلام، وكذلك قمت بتعديل وتصحيح بعض الأخطاء المطبعية التي تحيل المعنى أو كانت فيها الجملة ناقصة، وليست خطأ من الشيخ رحمه الله، إنما هي من باب الأخطاء المطبعية، وفي الأخير أشكر أبناء الشيخ عبد الرحمن الجطيلي جميعاً على حرصهم وتبنيهم على طباعة هذه الكتب في ثوبها الجديد.

أسأل الله العلي العظيم أن يوفقنا الخير وأن يشملنا في طاعته، وأن يرزقنا العلم النافع مع العمل الصالح، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اعتنى بها تحقيقاً وتعليقاً

نواف بن عبيد بن سعد الرعوجي

سيرة الشيخ عبدالرحمن بن حمد بن محمد الجطيلي

بقلم الشيخ الدكتور/ ناصر بن عبدالله بن علي القفاري[١] - رئيس قسم العقيدة سابقاً وأستاذ الدراسات العليا بجامعة القصيم.

الشيخ عبد الرحمن الجطيلي رحمه الله من أعلام بريدة المشهورين، ومن الرعيل الأول، وممن كان له قدم صدق في العلم والعمل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحدًا، وترجع معرفتي بالشيخ إلى مرحلة سني الطلب، وبدايات مراحل الدراسة الجامعية، فقد استحدث وقتها نظام يقوم على تشغيل

(١) **هو الشيخ الدكتور/ ناصر بن عبد الله بن علي القفاري،** عمل رئيساً لقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة القصيم، وعضواً في المجلس العلمي فيها، وله إسهامات متعددة في الإصلاح الأسري، فهو يرأس حالياً لجنة الرعاية الأسرية ببريدة، بالإضافة إلى تدريسه بجامعة القصيم، وقد شارك -حفظه الله- في العديد من المؤتمرات الدولية والدورات العلمية داخل المملكة وخارجها، وقد برز في مسائل العقيدة تأصيلاً وتعليماً والرد على الروافض وكشف أباطيلهم، وله عدة مؤلفات من أبرزها: (مسألة التقريب بين السنة والشيعة) وقد طُبع في مجلدين، وكتاب: (أصول مذهب الشيعة) وهو مطبوع في ثلاثة مجلدات، ومن مؤلفاته أيضاً: (مقدمات في الاعتقاد)، و (مقدمة في الملل والنحل)، و(نواقض توحيد الأسماء والصفات)، و(حقيقة الصحيفة السجّادية، أو ما يُسمى بزبور آل محمد)، و(البدعة المالية عند الشيعة الإمامية)، و(العالم الإسلامي والغرب)، و(أصول الدين عند الأئمة الأربعة واحدة)، وقد شاركه الأستاذ الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل في تصنيف كتاب (الموجز في الأديان)، وكذلك الدكتور سلمان بن فهد العودة في تحقيق ودراسة كتاب: (التشيع والشيعة لأحمد الكسروي - رئيس المحاكم الإيرانية في زمانه)، ويعد الشيخ/ ناصر القفاري أحد طلاب الشيخ/ عبد الرحمن بن حمد بن محمد الجطيلي رحمه الله.

الطلاب في الإجازة الصيفية، وهذا النظام اليوم من السنن المهجورة، لأنه يقوم على تدريب الطلاب وقت الإجازة وتكليفهم بالعمل في وظائف الدولة طيلة فترة الإجازة، وهي في الغالب تمتد شهرين براتب مقطوع، وكان من توفيق الله لي أن وجهت للعمل في المكتبة العامة ببريدة، والتي يشرف عليها ويتولى إدارتها فضيلة الشيخ عبد الرحمن الجطيلي، وقد أمضيت هذه المدة في القراءة على الشيخ أحيانًا، وسؤاله عما أجهله أثناء قراءاتي أحيانًا أخرى، وربما أطلعته على ما أقف عليه من أخطاء أثناء مطالعاتي[١]، وذلك لأن العمل في المكتبة لا يأخذ من الوقت إلا يسيرًا، فألفيته نعم العالم الناصح المربي.

وقد تحولت المكتبة بإشراف الشيخ إلى منارة يقصدها العلماء[٢]، ولا زلت أتذكر زيارة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني للمكتبة، وكان بصحبته فضيلة الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، وأتذكر أن الشيخ الألباني استوقفه العنوان الموضوع على رف مجموعة من الكتب المتعلقة بالملل والنحل حيث عنون لها اسم «الديانات»، فلم ير الشيخ -

---

(١) أذكر أنني أتيت له يومًا بكتاب: «الرحمة في الطب والحكمة» للسيوطي مستنكرًا بعض ما جاء فيه من الطلاسم والرموز، فأمر بوضعه ضمن قائمة خاصة في القسم المحدود الاطلاع، وقد تبين لي بعد ذلك أنه كتاب سحر صريح وضعه أحد الزنادقة، ونسبه إلى الإمام السيوطي ليشتهر، ولهذا لم يورده في «ثبت» كتبه، ولا في «التحدث بنعمة الله». [انظر: كتب حذر منها العلماء (١/ ١٢٩-١٣٣) للشيخ مشهور حسن].

(٢) انظر: الوثيقة رقم (١) بملحق الوثائق في آخر الترجمة.

حسب وجهة نظره - ذلك سائغًا؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾[آل عمران:١٩][١].

وكانت هذه المرة الأولى التي أرى فيها الشيخ الألباني[٢].

أما صلتي بالشيخ في المجال العام فهي تشهد بحضوره في مقامات الدعوة، وقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا أمر معلوم مشهود، ومما جرى معي حين كنت طالبًا أنه كان عندنا في بريدة مكتبة خاصة مستقلة تقوم بتوزيع بعض الكتب التي تضر بالشباب مثل كتب بعض الشيوعيين أو كتب ما يسمى بأدب السرير أو الجنس[٣]، وقد عرف ذلك عنها، فرأيت وقتها أن أضع مقترحًا لضمها إلى إشراف وزارة المعارف، فاستنجدت بأهل العلم ليكون الطلب باسمهم عله يحظى بالقبول، فاعتذر بعضهم، وكان من جملة المبادرين شيخنا صالح البليهي، والشيخ عبد الرحمن الجطيلي، والشيخ عبد الله السليمان الحميد، وتحقق المطلوب فيما أذكر.

---

(١) مع أنه يمكن أن يكون لها محمل شرعي؛ لأن الله يقول: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾[الكافرون: ٦] فسمى ما هم عليه دينًا، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل النبي ﷺ، أي الأديان أحب إلى الله عز وجل؟ قال: «الحنيفية السمحة» [أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ح٢٨٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٨٨١)].

(٢) أما المرة الثانية فكانت أثناء زيارة مجموعة من معيدي الجامعة لسوريا، وقمنا بزيارة المكتبة الظاهرية بدمشق، وكان للشيخ الألباني ركن دائم فيها، وقد شرفت باللقاء به والاستماع إليه، وقد سألته عن حديث البخاري: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»، فبدأ يقرأ علي من بعض مصنفاته المخطوطة التي طبعت فيما بعد، وذكر أن الحديث موصول.

(٣) انظر: الوثيقة رقم (٢، ٣).

لقد كان للشيخ حضوره على مستوى المنطقة في مجال التعليم[١] والخطابة والتدريس والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنفع العام والخاص وحب العطاء والإحسان، مع حسن الخلق والتواضع الجم والديانة والسمت، يذكرك إذا رأيته بسمت السلف ووقارهم.

كان رحمه الله مشهورًا في فقهه وعلمه على مستوى دولي، ولذا كتبت له وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت[٢] بتاريخ ١٤/ ١١/ ١٤٠٤هـ بطلب المشاركة في مشروع الموسوعة الفقهية الذي تنهض به الوزارة، وقد استجاب لطلبهم وخصصوا له بعض البحوث في الموسوعة[٣].

كما أن للشيخ حضوره المحلي فقد دعي لكثير من المناسبات العلمية، فدعي الشيخ رحمه الله للمشاركة في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وطلب منه الكتابة في أحد موضوعاته[٤] كما جاء في الخطاب المرسل إليه من مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في ذلك الوقت د/ عبد الله التركي بتاريخ ٢٠/ ٥/ ١٣٩٩هـ[٥]، وقد أرسل لهم الشيخ بحثًا عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كما في خطابه للأمين العام لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٦].

---

(١) انظر: الوثيقة رقم (٤).

(٢) انظر: الوثيقة رقم (٥).

(٣) انظر: الوثيقة رقم (٦).

(٤) انظر: الوثيقة رقم (٧).

(٥) انظر: الوثيقة رقم (٨).

(٦) انظر: الوثيقة رقم (٩).

كما كان الشيخ رحمه الله مشاركًا في إلقاء المحاضرات العلمية في الجامعة في العقيدة والفرق وفي الحديث والفقه على مدار سنوات عديدة، كما كانت له دروس علمية في المكتبة في التفسير والحديث والفقه والعقيدة.

كما كان رحمه الله إمامًا في مسجده «يعقد فيه دروسًا يومية في التوحيد والفقه والحديث والنحو والتفسير والفرائض والتاريخ، ومجالسه على النحو التالي:

من بعد صلاة الفجر حتى بعد طلوع الشمس، ثم بعد صلاة الظهر، ثم بعد صلاة المغرب إلى العشاء، وكذلك قام بجولات للوعظ والإرشاد في بعض القرى والمساجد يعقد فيها ندوات، وكذلك أيضًا يعقد ندوات علمية في المعاهد والمدارس والمراكز الصيفية والنوادي[١]، وفي بعض الأحايين مع طائفة من المشايخ للإجابة على أسئلة الجمهور في المجتمعات العامة، ولم يزل مشغوفًا بالدراسة مع كثرة أعماله، وفي جميع مجالسه يحب الإفادة والاستفادة، وكان عالماً بالتاريخ قديمه وحديثه، عارفًا بالوقائع ذا خبرة بمعرفة الأماكن والبقاع والآثار، وله إلمام بالأدب والشعر كالمعلقات، ويحفظ مجموعة من القصائد، ويقرض على قلة في بعض الأحيان، ومعرفة ببعض الأنساب العربية وتاريخ الأمم، وله اطلاع في فن الفلك وهو علم التسيير»[٢].

وقد أثنى عليه كثير من أهل العلم، فقال الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي: «إنه من خيار رجال العلم، وله مؤلفات في العقيدة وغيرها تبلغ عشرة مؤلفات كلها مفيدة ونافعة تعادل المؤهلات الأخرى العالية».

---

(١) انظر: الوثيقة رقم (١٠).

(٢) من ترجمة الشيخ عبد الله بن سليمان الحميد للشيخ عبد الرحمن الجطيلي.

وبمثل ذلك قال الشيخان الفاضلان عبد الله بن سليمان بن حميد، وإبراهيم بن عبيد بن عبد المحسن.

وكما كان الشيخ رحمه الله مشاركًا في المحاضرات داخل المملكة، فقد كان له مشاركته على المستوى الدولي، وبين يدي خطاب من مدير معهد رأس الخيمة بدولة الإمارات يطلب قدوم الشيخ لإلقاء بعض المحاضرات لأبناء البلاد هناك وهو موجه لمدير الجامعة[1]، ولذا وجه عميد الكلية الشيخ صالح المنصور رحمه الله خطابًا يطلب من الشيخ الاستجابة ليتم الترتيب للزيارة[2]، وتم ذلك، وقام الشيخ بإلقاء بعض المحاضرات هناك، وقال الشيخ بعد عودته من معهد رأس الخيمة: «والحقيقة أنه قلعة شماء للعلوم والمعارف من بناء الجامعة وغرسها، مفخرة من مفاخرها لاسيما وهي خارج البلاد، وأتمنى أن تسير معاهدنا على منواله»[3].

وقد كان للشيخ أثر مشكور في تأسيس فرع كليتي الشريعة واللغة العربية في القصيم، ولذا كتب له معالي د/ عبد الله التركي الخطاب التالي: «كان للقائي بكم أثناء زيارتي للمنطقة مع زملائي للتمهيد لافتتاح فرع كليتي الشريعة واللغة العربية في القصيم، وما لمسته منكم من تجاوب واستعداد تام لدعم الفرع، والسعي المتواصل لإنجاحه بغية تحقيق أهدافه السامية أطيب الأثر في أنفس الجميع، وإذ أشكركم وأقدر

---

(١) انظر: الوثيقة رقم (١١).

(٢) انظر: الوثيقة رقم (١٢).

(٣) انظر: الوثيقة رقم (١٣).

لكم موقفكم المشرف أسأل الله تعالى أن يجعله منارًا للعلم والهدى وينفع به، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم»[١].

كما تم اختيار الشيخ للتدريس في الحرم المكي[٢]، وتم تعميد من يلزم لتعيين الموقع المناسب له وتهيئة الوسائل المعينة، كما جاء في خطاب الأمين العام للتوعية الموجه لفضيلة نائب الرئيس العام لرئاسة شؤون الحرمين.

وكان رحمه الله أيضًا مشاركًا في الإعلام في المجلات العلمية كمجلة الحج، وقد بعث إليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز[٣] بخطاب يطلب منه المشاركة في مجلة «هدية توعية الحج»، وقال: «عزمت هيئة توعية الحج لعام ٩٧ على إصدار مجلة يومية من ثلاثة عشر عددًا توزع في حينها اعتبارًا من أول يوم من شهر ذي الحجة وحتى الثالث عشر منه في أعمال التوعية وستكون هذه المجلة إن شاء الله مذكرة مفيدة للحاج أثناء إقامته في الديار المقدسة يستمد منها ما ينير له الطريق إلى تأدية مناسك الحج والعمرة بصورة صحيحة، كما أنها ستكون إن شاء الله مرجعًا له بعد عودته إلى بلاده يلتمس فيها حقيقة الإسلام ويصحح من خلال ما يقوم فيها من مواضيع أخطائه، ثم هي أيضًا ستكشف له حقائق عن الحركات الهدامة والمبادئ المستوردة والقوانين والنظم الوضعية التي أصيب بها العالم الإسلامي، وتغلغلت بين صفوف أبنائه مما أضعفه أمام خصومه وجعله عاجزًا عن القيام بدوره في القيادة، لذا نطلب من فضيلتكم المساهمة بالكتابة في موضوعين حسب الإمكان ...».

---

(١) انظر: الوثيقة رقم (١٤).

(٢) انظر: الوثيقة رقم (١٥، ١٦، ١٧).

(٣) انظر: الوثيقة رقم (١٨).

كما كانت له مساهمة في الإذاعة في برنامج «حديث الصباح».

وكان رحمه الله آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر بعلم وفقه وحكمة، ينكر ما يراه من مخالفات بالوسائل المناسبة، وقد تنبه الشيخ رحمه الله إلى تسرب بعض المصاحف إلى المملكة، وذلك قبل إقامة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف جرى فيها حذف وتغيير، فكتب إلى أمير منطقة القصيم[1] مبينًا التحريفات الواقعة في هذه المصاحف، ثم قال: «الخلاصة كما يأتي:

١- إن ملاحظة ذلك تجب على دار الإفتاء ووزارة الإعلام.

٢- لفت نظر تلك الجهتين إلى التأكيد على مراقبيهما في مضاعفة الجهود في المراقبة.

٣- أن هذه الأغلاط وهذا التحريف ليس بالشيء السهل، بل يجب الأخذ على المتساهل بشدة ومصادرته وإرجاعه.

٤- التأكيد على المسئولين عن المطبوعات في المنطقة في ملاحظة ذلك على المكاتب التجارية.

٥- أنه يتسرب في بعض الأحيان كتب تمس العقيدة والدين وبعض الشخصيات في البلاد إما بتصريح أو تلميح.

٦- إن القيام بمثل هذا العمل الجليل من محاسن أعمالكم أثابكم الله ثواب العاملين».

وكتب مرة إلى الشيخ عبد الله بن حميد يبلغه بما لاحظه على كلمة ألقاها أحد المنتسبين للعلم في الحرم المكي، فأجابه الشيخ عبد الله بن حميد قائلاً: «من عبد الله بن

(١) انظر: الوثيقة رقم (١٩، ٢٠).

محمد بن حميد إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ عبد الرحمن الجطيلي ... نشكر لكم غيرتكم ولا شك أن الكلام المنسوب إلى (...) خطأ لا يحسن السكوت عليه، ولن نسمح بإلقاء مثل هذا الكلام في الحرم».

وكان رحمه الله يقوم بجهود في الإصلاح، يتجلى ذلك في الخطابات المتعددة الصادرة من المحكمة الشرعية والموجهة للشيخ وتطلب منه التدخل للإصلاح؛ لما يتحلى به من حكمة، ولما في نفوس الناس له من محبة وقبول.

كما كان الشيخ رحمه الله يقوم بقسمة التركات بين المتنازعين احتسابًا كما في الخطابات الموجهة لفضيلته من مساعد رئيس محاكم القصيم، ويكلف أحيانًا من قبل المحكمة بالنظر في تحديد موضع بعض المساجد، وهل يقام فيه الجمعة؟ كما في الخطاب الموجه من الشيخين: صالح بن إبراهيم البليهي وعبد الرحمن بن محمد الجطيلي إلى رئيس محاكم القصيم بعد تكليفهما بهذا الشأن، وقد كتبا إلى رئيس المحاكم تقريرًا خلاصته: «نرى إقامة الجماعة في هذا المسجد الجديد لأهله ومن جاورهم، ولا نرى إقامة الجمعة، والله يحفظكم ويرعاكم».

ومع مكانة الشيخ العلمية وجهوده الدعوية وآثاره النافعة إلا أنه لم ينل حظه من الدراسة، وقد أشار إلى ذلك الشيخ عبد الملك البريدي في مقال له منشور على الشبكة بعنوان: «فقيه بريدة»، وذكر بأنه على الرغم من جلالة قدر الشيخ وعظيم مكانته وموسوعيته إلا أنه لم ينل حظه من الدراسة والتأليف في شخصيته والتعريف بجهوده، ثم قدم قبسًا من سيرته، ذكر فيه أن ولادته كانت في المنتصف الثاني للقرن الرابع عشر الهجري، وذلك في الأرياف الغربية لمدينة بريدة وتحديدًا بلدة القصيعة، وعاش يتيمًا في أحضان والدته.

التحق بالمدرسة الفيصلية ببريدة، ثم المعهد العلمي ببريدة، وعاش في مناخ علمي ساعده في التحصيل حيث التحق بمجالس العلم وحلق الذكر في بعض مساجد بريدة، فدرس على الشيخ محمد الصالح المطوع في العقيدة، وعلى الشيخ صالح الخريصي في الفقه وأصوله، وعلى الشيخ إبراهيم العبيد في النحو والفرائض، ثم يمم وجهه شطر الرياض ملتحقًا بكلية الشريعة ليأخذ عن كوكبة من فحول العلماء في ذلك الوقت، ومن أبرزهم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، واستمر في تحصيله العلمي حتى نال شهادة الماجستير، وبعد عودته إلى بريدة أخذ بملازمة سماحة الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله فانتفع بدروسه.

وكان الشيخ رحمه الله مع سعيه في التزود من العلم طيلة مشوار حياته قد تولى جملة من المهام العلمية والإدارية، فكان مديرًا لمعهد المعلمين بالمذنب، ثم مديرًا لمدرسة الشماس ببريدة، ثم مديرًا للمدرسة الزراعية، ثم مديرًا للمكتبة العامة ببريدة.

يقول الشيخ عبد الله بن صالح القصير الداعية في وزارة الشؤون الإسلامية: «عرفت شيخي فضيلة الشيخ عبد الرحمن خلال العقدين من عمره، فكان له دروس في مسجده وتقريرات ممتعة يزينها سمته ووقاره وهدوؤه وأدبه حال الدرس، وكان متواضعًا خلوقًا ذا هيئة مهابة، وكان شديد الغيرة على الدين أمَّارًا بالمعروف نهاء عن المنكر، وكان متابعًا لأخبار الجماعات الدعوية العاملة في الساحة الإسلامية».

ولقد كانت وفاته عام ١٤٠٤هـ، رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، وجعل الخير في عقبه، وبارك في آثاره ومصنفاته.

مصنفاته:

١ - إفادة المستفيد بشرح كتاب التوحيد:

هذا الكتاب شرح مختصر على كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب، واتبع فيه مؤلفه الطريقة المدرسية، حيث يبدأ بشرح المفردات، ثم يذكر المعنى الإجمالي للآيات والأحاديث الواردة في المتن، ثم يذكر الأحكام والفوائد المستنبطة منها، ثم يضع الشارح بعض الأسئلة ليختبر الطالب نفسه، ويقف على قدر ما استفاده.

٢- الأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة:

هذا الكتاب يعد شرحًا للعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية على طريقة السؤال والجواب، وشرحه على الكتاب مختصر يناسب المبتدئين، فقد اقتصر على بيان مقاصد المؤلف من رسالته دون إسهاب أو تطويل، لذا جاء الكتاب غزير الفائدة، نافعًا في بابه.

٣- الأضواء السنية في الخطب المنبرية:

كان المؤلف ﷺ خطيبًا في جوامع بريدة، ووضع المؤلف في هذا الكتاب بعض ما ألقاه من الخطب رغبة في انتفاع الناس بها، وكان عماده في هذه الخطب على نصوص القرآن والسنة، مع وضح العبارة ويسرها، وجاءت خطبه وسطًا بين الاختصار والتطويل، شملت موضوعاتها ما تشتد حاجة الناس إليه في معرفة دينهم من عقائد وعبادات وأحكام وأخلاق.

٤- التبيين في تلقين مبادئ الدين:

هذا الكتاب ألفه المصنف بالاشتراك مع الشيخ صالح السكيتي، وموضوعه: أسئلة وأجوبة في بيان أصول الدين مقتبسة من كلام الإمام محمد بن عبد الوهاب،

وبالأخص من رسالته ثلاثة الأصول، مع إضافة أهم ما يحتاجه المسلم من معرفة بقية أركان الإسلام (الصلاة - الصيام - الزكاة - الحج) وبيان أركانها ومبطلاتها وشروطها وأهم أحكامها، فجاءت على إيجازها نافعة لعموم المسلمين.

٥- التعليقات على متن الورقات:

شرح المؤلف في هذا الكتاب متن الورقات في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني لما وجده نافعاً للمبتدئين في هذا الفن لإيجازه وسهولة عبارته، وقد قدم المؤلف مقدمة عن أصول الفقه وشدة الحاجة إليه، ثم شرح عبارات المؤلف بإيجاز مقتصرًا على ما يحتاجه المبتدئ في هذا الفن من معرفة مقاصده وأهم مباحثه ومسائله.

٦- الدلائل الواضحات في فضل الأضاحي عن الأحياء والأموات:

بين المؤلف في هذا الكتاب جميع ما يتعلق بالأضحية، فبين حكمها ومشروعيتها من الكتاب والسنة، ووقتها والسن المجزئ فيها، وذكر الأدلة على مشروعية الأضحية عن الميت، مع ذكر خلاف العلماء في بعض المسائل والترجيح فيها، ثم ذكر أحكام الهدي والعقيقة.

٧- الفوائد الحسان بشرح مراتب الإيمان:

شرح المؤلف في هذا الكتاب حديث جبريل المشهور في بيان مراتب الدين (الإسلام - الإيمان - الإحسان)، وقد اشتمل الكتاب على تحريرات نفيسة، وتحقيقات بديعة تتعلق بشرح وبيان أركان الإسلام والإيمان والإحسان، فكان جامعًا في بابه، ولذا قال فضيلة الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي ﷺ في تقديمه لهذا الكتاب: «...فشاقني وراقني ما رأيته في طيات هذه الكتابة وما هو كامن في سطورها من التحقيقات السنية، والنصائح الدينية، والتوجيهات القيمة، ولا بدع ولا غرو فإذا صفا

الذهن واستنار القلب بالإيمان، وصلحت النية نطق اللسان بالحكمة والعلم اللدن، فجزاه الله خيرًا وأثابه ثواب المحسنين».

٨- بيان خطر المخدرات وأنواع المسكرات:

لما رأى المؤلف استخفاف كثير من الناس بأمر المسكرات والمخدرات وتهاونهم بها كتب هذه الرسالة نصحا وبيانًا، فبين ما هو داخل في مسمى الخمر، والتدرج في تحريمها، وذكر نصوص العلماء من مختلف المذاهب في تحريمها، ثم ذكر كلام الأطباء في أضرارها والمفاسد الناجمة عنها.

٩- نبذة مختصرة عن حياة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب:

ذكر المؤلف في هذا الكتاب جملاً من سيرة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، فبدأ بذكر اسمه ونسبه ومولده، والعوامل التي أثرت في حياته، ثم ذكر مشايخه، ثم عرض لتفنيد الشبهات المثارة حول الدعوة من المستشرقين وغيرهم، مبيناً حقيقة هذه الدعوة الإصلاحية والأصول التي قامت عليها، معضدًا ذلك بنقل بعض رسائله التي تبين حقيقة دعوته، مع ذكر آراء بعض العلماء فيه.

وقد كتب ترجمته الشيخ عبد الله بن سليمان الحميد[1] في ورقة.

(١) ولد الشيخ عبد الله بن سليمان الحميد في بريدة سنة ١٣٢١ هـ وبعد تعلمه القراءة والكتابة في الكتاتيب بدأ بطلب العلم على والده (إمام مسجد ماضي) وعلى الشيخين: عبدالله بن سليم، وعمر بن سليم، وعلى غيرهما من علماء بلده حتى أدرك وفاق الأقران، عُين في القضاء سنة ١٣٤٦ هـ إماماً ومرشداً في منطقة جيزان، وتنقل في عدد من بلدان تلك المنطقة، وكان سنداً للداعية الشيخ "عبدالله القرعاوي" في دعوته في جنوب المملكة، فهو رحمه الله قد حمل همَّ هذه الدعوة وسعى في نشرها، وفي مساعدة القائمين عليها. ثم عُيِّن سنة ١٣٥١ هـ قاضياً في "برك =

فقال:

"هو الشيخ عبد الرحمن بن حمد بن محمد الجطيلي، ولد عام ١٣٥١ هـ بمدينة بريدة، ونشأ بها ودخل المدرسة الفيصلية، وهو ابن سبع سنين ودرس في المدرسة خمس سنوات، ثم خرج منها وطلب العلم على بعض المشايخ في بريدة، منهم الشيخ/ محمد بن صالح المطوع، قرأ عليه في كتب العقائد ورسائل علماء الدعوة، ودرس القرآن الكريم على بعض طلبة العلم المجودين للقراءة حفظاً وتجويداً.

ومنهم الشيخ صالح بن أحمد الخريصي رئيس محاكم القصيم في الوقت الحاضر، قرأ عليه بعض المختصرات المفيدة في الفقه والفرائض وغيرها.

ومنهم الشيخ إبراهيم بن عبيد العبد المحسن، مؤلف (عقود اللؤلؤ والمرجان) قرأ عليه مدة في النحو والفرائض، وبعض كتب الفقه والعقائد، ومن مشايخه فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رئيس الإشراف الديني بالمسجد الحرام حالياً، قرأ عليه في الحديث والفقه والفرائض والنحو ولازمه وانتفع بعلومه، وقرأ على غير هؤلاء من مشايخ نجد.

وقد حصل الشيخ بعد ذلك على الشهادة الثانوية العامة من المعهد العلمي ببريدة، وشهادة كلية الشريعة بالرياض.

= الغماد"، ثم نقل عام ١٣٦٦ هـ إلى قضاء القنفذة ثم انتقل عام ١٣٧٠ هـ إلى القصيم ثم تولى عام ١٣٧٣ هـ رئاسة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقصيم عند افتتاحها، ثم عين في قضاء الأسياح عام ١٣٧٨ هـ ثم نقل لقضاء البكيرية حتى تقاعد عام ١٣٨٣ هـ وأصبح رئيساً لجماعة تحفيظ القرآن الكريم بالقصيم عند تأسيسها. له بعض الرسائل المطبوعة، توفي ﷺ بعد حياةٍ حافلةٍ بالعلم والعمل في ٣/ ٦/ ١٤٠٤ هـ.

وعمل بالوظائف الآتية:

اشتغل بالتدريس بمدارس الحكومة وقتاً، ثم عين مديراً للمدرسة بالإضافة إلى تدريس الدين والتاريخ مدة تزيد عن خمس سنوات، ثم عين مديراً لمعهد المعلمين في بلد المذنب التابع لبريدة مع تدريس بعض العلوم ومواد الدين فيها، وبالأخير نقل مديراً للمكتبة العلمية العامة ببريدة، وهي الوظيفة التي يشغلها الآن.

وكان يلقي دروساً يومية يحضرها بعض طلبة العلم في التفسير والفقه، وكذلك في الحديث والنحو والأصول، ويحصل عنده بحوثاً مفيدة جزاه الله خيراً، كما أن الشيخ إمام لأحد جوامع بريدة، ويعقد فيه دروساً يومية يحضرها بعض طلبة العلم في التوحيد وأصول الدين والفقه والحديث والنحو والتفسير والفرائض والتاريخ ومجالسه على النحو الآتي:

من بعد صلاة الفجر حتى بعد طلوع الشمس في العقائد والنحو والحديث، كصحيح البخاري والفقه، ثم بعد صلاة الظهر في الحديث كبلوغ المرام، والهدي النبوي، ثم بعد صلاة المغرب في القرآن الكريم تجويداً وتفسيراً كابن كثير وغيره، إلى صلاة العشاء الأخير.

وهو في ذلك كله يشرح ويقرر ويفيد الطالبين، وكذلك يقوم بجولات للوعظ والإرشاد في بعض القرى والمساجد يعقد ندوات علمية في المعاهد والمدارس والمراكز الصيفية والنوادي، وفي جميع مجالسه يحب الإفادة والاستفادة ويجيب على أسئلة الحاضرين.

وكان ملماً بالتاريخ قديمه وحديثه، عارفاً بالوقائع ذا خبرة بمعرفة الأماكن والبقاع والآثار، وله إلمام بالأدب والشعر كالمعلقات، ويحفظ مجموعة من القصائد، وفي الوقت

الحاضر يلقي محاضرات في كلية الشريعة وأصول الدين في العقائد والديانات ويقرض الشعر على قلة في بعض الأحيان، وله معرفة بالأنساب العربية، وتاريخ الأمم، وله اطلاع في فن الفلك.

والشيخ يلقي له بين حين وآخر مقالات تحل بعض المشاكل الاجتماعية والدينية في الإذاعة بما ينفع المسلمين تسجل من قبل مندوب الإذاعة.

كما أن الشيخ يلقي دروساً في موسم الحج في الحرم المكي الشريف صباحاً ومساءً في المناسك وغيرها.

وهو عضو في لجنة الفتيا في التوعية الإسلامية التابعة لدار الإفتاء في منى.

وله العديد من المؤلفات القيمة، وكان الشيخ أديباً سمحاً متواضعاً ذا مروءة ودين، والله الموفق" انتهى كلام الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد.

بقلم/

أ.د/ ناصر بن عبد الله القفاري

الوثائق

الوثيقة رقم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للاشراف الديني بالمسجد الحرام
مكتب الرئيس

الرقم ١/١١٠١
التاريخ ٢٨/٥/١٣٩٨هـ
المشفوعات .

فضيلة مدير مكتبة بريدة المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد

فنظرا لحاجة مكتبة الحرم المكي الشريف الى كتابي رؤوس المسائل وكتاب الاشارات الالهيه وعدم توفر الامكانيات لديكم لتصويرها للمكتبه .. فاننا نأمل منكم ارسال الكتابين المذكورين الينا لتصويرها بمكتبة الحرم وذلك لمدة أربعه أيام وبعدها نعيدها اليكم شاكرين ومقدرين تعاونكم معنا في سبيل تحقيق رغبة جمهور المطالعين - والله يحفظكم . ...

الرئيس العام للاشراف الديني بالمسجد الحرام

م/ب



الوثيقة رقم (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للاشراف الديني بالمسجد الحرام
مكتب الرئيس

الرقم ....
التاريخ ....
المشفوعات ....

من عبدالله بن محمد بن حميد إلى حضرة الأخوان الكرام الشيخ عبدالرحمن
الحمد الجطيلي والشيخ صالح ابراهيم البليهي والشيخ
عبدالله السليمان بن حميد سلمهم الله
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد وصلني كتابكم الكريم
المؤرخ ٦/٩/٨٦هـ وسرني إفادته بصحتكم وعافيتكم
تابع الله على الجميع وافر نعمه وصرف عنا وعنكم
أسباب سخطه ونقمه. الموضوع الذي ذكرتم متعين
على كل أحد يحب الله بحسب جهده للنصح والتحذير
منه لما له ما يحصل من العاقبة السيئة وهو
وسيلة إلى فتح باب كبير من الشر لا يعلم خطره
[illegible] إلا الله.
وشكر الله جهودكم وغيرتكم جعلنا الله وإياكم

الوثيقة رقم (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للإشراف الديني بالمسجد الحرام
مكتب الرئيس

الرقم ________
التاريخ ________
المشفوعات ________

من أنصار دينه الداعين إلى سبيله بالحكمة والموعظة
الحسنة. كما أشكركم على تهنئتكم بشهر رمضان المبارك
أعاده الله على الجميع بالخير والبركة وجعلنا وإياكم
من التائبين المتقبلين من الذين [illegible] هذا ما لزم أبلغوا
سلامنا لكم ولكافة الإخوان والمشايخ كما هو منا
من الجميع والسلام عليكم

عبدالله بن حميد

[illegible]

الوثيقة رقم (٤)

صورة طبق الاصل

تشهد ادارة التعليم بالقصيم ان الاستاذ عبد الرحمن الجطيلي عمل قائم باعمال ادارة معهد المعلمين بالمذنب عام ٧٧/٧٨ هـ وشطرا من عام ٧٩ هـ وقد ابدى في عمله مجهودا طيبا ونشاطا محمودا هذا للعلم حرر في ٢٨/٢/١٣٨٠ هـ

الختم الرسمي



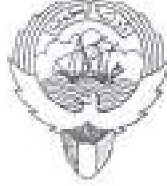
مدير التعليم بالقصيم

الوثيقة رقم (٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم النموذج ٤٧

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
الكويت - الخليج العربي
ص.ب ١٣ - الصفاة
هاتف البدالة ٤٦٦٢٠٠
تلكس ٤٤٧٣٥ - أوقاف - كويت



MINISTRY OF
AWQAF AND ISLAMIC AFFAIRS
P. O. Box : 13, Safat
Kuwait - Arabian Gulf
Telephone Operator : 466300
Telex No. : 44735 - AWQAF - KT

التاريخ : ٢٤/١١/١٤٠٤هـ الموافق : ٢١/٨/١٩٨٤م الرقم : ١٠ ل

السيد الفاضل الشيخ / عبد الرحمن بن حمد الخطيبي المحترم

كلية الشريعة والقانون - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - القصيم - السعودية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، فعطفا على المراسلات السابقة المتضمنة رغبتكم في التعاون لإنجاز مشروع الموسوعة الفقهية الذي تنهض به الوزارة ، وموافقتكم على كتابة بعض البحوث التي ستخصص لكم ، نفيدكم أنه خصص لكم بحث جائحة لتقوموا بكتابته في ضوء المخطط المربوط للاستئناس به ، والذي روعي فيه الاقتصار على ما يبين مشمولات المصطلح للتنسيق بينه وبين المصطلحات الأخرى المخصصة لكتاب آخرين ، وإن من تمام هذا الغرض التنظيمي إرسالكم ما يبدو لكم من ملاحظات حول المخطط لاعتمادها من اللجنة العلمية بالصورة النهائية التي يؤول إليها ، دون أن يعوق هذا الإجراء جمع المادة العلمية وتحضيرها استعدادا للمباشرة بكتابته .

هذا ، وسيؤخذ بالاهتمام جميع ما تبدونه من ملاحظات تظهر لكم مع شروعكم في كتابة المصطلح واطلاعكم على مسائله وتفاريعه عن قرب . ولهذا الغرض اكتفينا في تخطيطه بالحد الأدنى الذي يتحقق به التنسيق .

وقد روعي في التخصيص رغبات المستكتبين - ما أمكن - في حدود ما تقتضيه المصلحة من إخراج الموسوعة بالصورة المرتبة ، ومن هنا حرصنا على توزيع المصطلحات المدونة بأوائل الحروف الألفبائية قبل غيرها ، فإذا لم ترغبوا في كتابة المصطلح المخصص لكم يرجى إعلامنا لتخصيص مصطلح آخر ما له الأولوية في الترتيب ، مع ضرورة بيان المدة التقريبية لإنجاز الكتابة

والوزارة قد خصصت مكافأة للاستكتاب قدرها (١٠) دنانير كويتية عن كل صفحة كاملة (فولسكاب = ٢٥٠ كلمة) لا يخرج مضمونها عن صميم المادة الفقهية المطلوبة للموسوعة ، مع زيادة المكافأة بنسبة الخمس لتصبح (١٢) دينارا ، تبعا لدقة التقيد بالخطة والموعد المطلوب للإنجاز . ويكون البحث بعدئذ ملكا للوزارة ومن حقها تنقيحه بالصورة التي تقتضيها ملاءمته مع خطة الموسوعة والطريقة المعتمدة لإخراجها ، مع الحرص على أن يقوم بالتعديل المطلوب الكاتب نفسه ما أمكن ، وللذلك أثره في المكافأة .

وأملنا كبير في استمرار التعاون ، لإخراج الموسوعة بالصورة الكاملة المنشودة لإقامة هذا الواجب والتماس الأجر الدائم من الله سبحانه والنفع العام للأمة الإسلامية .

ولكم منا أطيب التمنيات ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ،

وكيل وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

الوثيقة رقم (٦)

بسم الله الرحمن الرحيم



الرقم : ٨٢/٢٠٤٧

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

السيد الفاضل / عبدالرحمن بن حمد الجطيلي المحترم
مكتبة بريدة العلمية / جامعة الامام محمد / السعودية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

فقد سبق للأمانة العامة للموسوعة الفقهية ان اعتمدت ترشيحكم من بعض الجهات العلمية او الرسمية المشاركة في الاعمال الخارجية للموسوعة من استكتاب بعض المصطلحات الفقهية، او مراجعة البحوث المكتوبة . ثم أحيلت اليكم اعمال من هذا القبيل ، ودعت الحاجة الى ارسال كتب استعجال متابعة بسبب عدم انجاز بعض الأعمال المخصصة للمستكتبين في المواعيد النهائية المحددة واضطررنا الى اعادة تخصيصها لآخرين أو كتابتها داخليا وهو الغالب ، نظرا لالتزامنا بالانجاز وفقا للترتيب الالفبائي للمصطلحات الفقهية ومن ثمّ الاخراج المرتب لأجزاء الموسوعة .

كما كنا نرسل نسخا من المنجزات الاساسية للموسوعة او المساعدة لاهدافها ، كالفهارس الفقهية ، وتحقيق التراث الفقهي ولا نتلقى في غالب الاحيان اشعارا بوصولها ، او ملاحظات عليها وهو ما نحرص عليه لتطوير الانتاج وتقويمه .

لذا نرجو موافاتنا بتجديد استعدادكم للمشاركة أو الاستمرار في الاعمال المشار اليها مع تبيان ما لكم من رغبات خاصة بشأن المصطلحات التي قد تفضلون اسنادها اليكم ولو كانت من حروف متأخرة الترتيب لسبق اشتغالكم أو اهتمامكم بها وهو امر كانت ظروف البدء لا تسمح بمراعاته أما الآن فان من الممكن الاستكتاب في هذا المجال بقدر محدود لا يطغى على ما تقتضيه من المبادرة للأول فالأول في الترتيب .

كما نرفق بهذه الرسالة (التي نستعجلكم الجواب عنها لتجديد الصلة) كشفا بما صدر عن الأمانة العامة للموسوعة لاعلامنا في جوابكم المرتقب بما لم يصل اليكم من مفرداته وبيان العنوان المفضل للارسال لضمان الوصول، بالبريد أو بيد من تختارون .

هذا وان تعاونكم في انجاح هذا العمل ضروري لتحقيق الاهداف المبتغاة وسبيل للعناية اللازمة بالفقه الاسلامي وتسهيل تداوله والعمل به .

ولكم منا أطيب التمنيات ـ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

الوثيقة رقم (٧)

" بسم الله الرحمن الرحيم "

المملكة العربية السعودية
جامعة الامام
محمد بن سعود الاسلامية
كلية الشريعة بالرياض

أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب

بيـــان بالموضوعات المطروحة للكتابة فيها بمناسبة انعقاد أسبوع الشيـــخ / محمد بن عبد الوهاب في شهر جمادى الآخرة من عام ١٣٩٩هـ ان شاء الله ــ

١ ــ حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلميـــــة .

٢ ــ اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة .

٣ ــ صلة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمذهـــب السلف .

٤ ــ الشبهات التي أثيرت حـــول دعـــوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٥ ــ تأثر الدعوات الاصلاحية الاسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

" مع تحيات أمانـة الأسبوع "

"م٠ع"

الوثيقة رقم (٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية

أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب

الرقم: [illegible]
التاريخ: [illegible]
المشفوعات: ....

المكرم: الشيخ عبد الرحمن [illegible] حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد:

الحاقًا لخطابنا المكم المتعلق بطلب اشتراككم في أسبوع الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب بالحضور والكتابة في أحد موضوعاته.

نود أن نحيط سعادتكم علمًا بأن موعد انعقاد الأسبوع قد تأجل الى مطلع عام ١٤٠٠هـ، وسنشعركم بموعد انعقاده في وقت لاحق ان شاء الله تعالى.

وتجدون مرافقًا بقية مؤلفات الشيخ مع استبيان نرجو ملأه واعادته الى أمانة الأسبوع.

آمل منكم ارسال بحثكم قبل نهاية شهر شوال ١٣٩٩هـ كي تتخذ الترتيبات اللازمة.

وفقكم الله وكتب الخير على يديكم ونفع بجهودكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

مدير جامعة
الامام محمد بن سعود الاسلامية

د. عبد الله بن عبد المحسن التركي

ملحوظة: يكتب الرد على العنوان التالي:

الأمين العام لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب - كلية الشريعة بالرياض،
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض ص . ب ٥٧٠١

الوثيقة رقم (٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية
مكتب المدير

الرقم: ٨٢٤٠/١
التاريخ: ٥/٣/٩٨هـ
المشفوعات: ....

فضيلة الأخ الكريم الشيخ / عبد الرحمن الجطيلي   الموقر

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

تسلمت كتابكم المؤرخ في ٢٢/٢/١٣٩٨هـ الموافق له نسختان من كتابكم عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وأشكر لكم هديتكم القيمة، وأشيد بإسهامكم في إيضاح الحق، وجهودكم في الذود عن حياض العقيدة الخالصة، وأرجو الله تعالى أن يمدكم بمزيد عونه وتوفيقه، ويجعل الأعمال خالصة لوجهه ويجزيكم خيرًا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

أخوكم
د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي
مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الوثيقة رقم (١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لرعاية الشباب
نادي القصيم الأدبي ببريدة
ص.ب: ٨٧٢ - ت: ٨٥٥٧

رقم: ٢٠٦
تاريخ: ١٣/١٠/١٤٠٢هـ

سعادة / الشيخ حمد الجاسر المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد،

يسر نادي القصيم الأدبي ببريدة أن يبعث لكم برفقه نسخة من الإصدار السابع "شعر بني تميم في العصر الجاهلي" جمع وتحقيق الدكتور/عبد الحميد المعيني.

وقد حرصنا كثيرا على اختيار المادة ودقة الطباعة أملا في أن يحتفظ النادي بمستوى منشوراته. وحرصا على اثراء المكتبة العربية وكم نتمنى لو اتكم بادلتمونا الرأي والمشورة حول نشاطات النادي الذي يتوخى دائما تحقيق تطلعات المهتمين بالحركة الفكرية والأدبية بالمملكة.

ولعل فيما قدمناه من مختلف الأنشطة مايدفع بالجميع من مرحلة التفاؤل الى نطاق الرضى.

وفق الله الجميع الى صالح الأعمال. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس نادي القصيم الأدبي ببريدة

حسن بن فهد الهويمل

الوثيقة رقم (١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

معهد رأس الخيمة العلمي

الخليج العربي

ص.ب : ١٤٤ — تليفون : ٢٨٢١١

الرقم

التاريخ ٥/٣/١٤٠١

الموافق

المشفوعات

الموضوع :

[illegible]

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الوثيقة رقم (١٢)



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الشريعة واللغة العربية بالقصيم

الرقم: ١١٨/٢
التاريخ: ١٤٠١/٤/٥هـ

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن حمد الجطيلي "المحترم"

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ وبعد :

إشارة إلى خطاب وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رقم ١٤٢٦/٢٣٨٦/خ وتاريخ ١٤٠١/٢/١٠هـ الذي أفاد فيه أن فضيلة مدير [illegible] طلب ندبكم للمحاضرة في [illegible] مشاركة منكم في مجال الدعوة والتوعية الإسلامية لأبناء البلاد هناك .

وقد وافق معالي مدير الجامعة على ذلك .

آمل الاطلاع وإفادتنا عن موافقتكم لتأمين الإركاب لكم مع العلم أن هذه الزيارة سوف لا تؤثر على عملكم لكونها في إجازة الأسبوع غالبا .

أرجو الله أن ينفع بكم المسلمين .

وتقبلوا تحياتي .

عميد كلية
الشريعة واللغة العربية بالقصيم

(د . صالح بن عبد العزيز المنصور)

الوثيقة رقم (١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب المعالي الدكتور عبد الله التركي حفظه الله و تولاه آمين

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .. وبعد : سؤالنا عن صحتكم ألبسكم الله الصحة و العافية . و قد قمت بزيارة لمعهد رأس الخيمة حسب طلب معاليكم لالقاء بعض المحاضرات هناك وتم ذلك والحمد لله . ولكن كنت مترددا في الكتابة لمعاليكم حول ما شاهدته و لمسته من ادارة و هيئة المعهد و مظهره . واذا قلت أن المعهد هناك يمثل قمة شامخة للعلم لا أكون بذلك مبالغا ، فالبناء والنظافة و النظام و الهدوء يظهر من أول وهلة لا تتصور ذلك جودة و حسنا و بهاء .

و ناحية النشاط المعهدي بارز في مداخله وصالاته وادراك و فهم المسئولية يظهر على موظفيه و منسوبيه و الحدائق الجميلة الخضراء بكثرة وكل مقبل على عمله بجد و حزم و محبة . وادراك العلوم يظهر على طالبيه . والحقيقة أنه قمة شماء للعلوم و المعارف من بناء الجامعة وغيرها مختصرة من مظاهرها لاسيما وهي خارج البلاد ، وأتمنى أن تسير معاهدنا على منواله ، ولابد وأن لسمتم ذلك من غيري ممن زار المعهد والفضل في ذلك يرجع الى الله ثم لفضيلة مديره و العقل و الحكمة و السياسة التي ينتهجها و التواضع وقد وقف نفسه على المعهد فقل موظف يحضر قبله لاستقبال الهيئة و الطلبة يحييهم بروح طيبة و يوجههم بحكمة و حزم ويقوم بالدعوة الى الله هناك مع محبة له في المجتمع .

و أعتقد أنتم تعرفون ذلك جيدا لكن شيء في نفسي سدد الله خطاكم ووفقكم لما يحب و يرضى والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته ...

محبكم

عبدالرحمن بن حمد الجطيلي ٢٢/ ٧/ ١٤٠١هـ .

الوثيقة رقم (١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية
مكتب المدير

الرقم
التاريخ
المشفوعات

فضيلة / الشيخ عبد الرحمن الحمد [illegible] مدير مكتبة بريدة العلمية . الموقر .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كان للقائي بكم . أثناء زيارتي للمنطقة مع رجال التعليم لافتتاح فرع كليتي الشريعة واللغة العربية في القصيم . وما لمسته منكم من تجاوب واستعداد تام لدعم الفرع والسعي المتواصل لإنجاحه بغية تحقيق أهدافه السامية . أطيب الأثر في أنفس الجميع .

وإذ أشكركم وأقدر لكم موقفكم الكريم . أسأل الله تعالى أن يجعله منارًا للعلم والهدى وينفع به وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم .

ويسرني أن أبعث لفضيلتكم نسخة من مطبوعات الجامعة .

وتقبلوا تحياتي .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

مدير جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية

د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي

ن . م

الوثيقة رقم (١٥)

الاسم عبد الرحمن الجطيلي

الجنسية سعودي

رقم الحفيظة او الجواز

تاريخها ٩/٨/١٣٩٦هـ / / ١٩٧ م

مصدرها

ان حامل هذه البطاقة هو احد الدعاة المشاركين فى التوعية الاسلامية وقد عهد اليه بالعمل في مجال التوعية في ... والمشاعر والحرم ...

نأمل من الجهات المختصة تسهيل مهمته

وبالله التوفيق ..

رقم البطاقة

تاريخها ١٣٩٦/٧/

توقيع صاحب البطاقة

الختم الرسمي

الامين العام

الوثيقة رقم (١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسم: عبد الرحمن حمد الجطيلي

الجنسية: سعودي

رقم الحفيظة: ١٠٠/٧٣٦

رقم الجواز:

التاريخ: ٥/١/١٣٧٩هـ

مكان الصدور: بريدة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، وبعد: فإن المذكور اسمه وحليته أعلاه قد عهدنا إليه أن يقوم بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى في داخل المملكة / متعاون وأوصيناه بتقوى الله تعالى في ذلك.

فنرجو من ولاة الأمر في البلاد المذكورة تسهيل مهمته (مدة البطاقة سنتان) والله الموفق.

حرر في ٤/٣/١٤٠٢هـ — الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

Name :

Nationality :

Identity/Passport No.

Date :

Place of issue :

Address

THE PRESIDENT

Abdul Aziz Bin Abdullah Bin Baz

الوثيقة رقم (١٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ ٩ / ١٢ / ١٤٠١ هـ الموافق [illegible]

بيان بتوزيع العمل بين أعضاء مركز التعليم التابع [illegible] ٩/١٢/١٤٠١

١	الشيخ [illegible]	[illegible]
٢	الشيخ [illegible]	[illegible]
٣	الشيخ [illegible]	[illegible]
٤	الشيخ [illegible]	[illegible]
٥	الشيخ [illegible]	[illegible]

تحريراً في ٩/١٢/١٤٠١ هـ

يعتمد
رئيس المركز
الشيخ [illegible]

[illegible]

الوثيقة رقم (١٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
مكتب الرئيس

الرقم [illegible]
التاريخ [illegible]
المرفقات
الموضوع

عاجل جدا

مجلة "هيئة توعية الحج" - الطائف.

صاحب الفضيلة الشيخ / [illegible] / وفقه الله لما فيه رضاه ونفع عباده.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:-

فقد عزمت ((هيئة توعية الحج)) لعام ...٧ هـ على إصدار مجلة يومية من ثلاثة عشر عددا - توزع في حينها - اعتبارا من أول يوم من شهر ذي الحجة وحتى الثالث عشر منه مشاركة في أعمال التوعية وستكون هذه المجلة - إن شاء الله - مذكرة مفيدة للحاج أثناء إقامته في الديار المقدسة يستفيد منها ما ينير له الطريق إلى تأدية مناسك الحج والعمرة بصورة صحيحة. كما أنها ستكون - إن شاء الله - مرجعا له بعد عودته إلى بلاده يلتمس فيها حقيقة الإسلام ويصحح من خلال ما يقرؤه فيها من مواضيع أخطاءه. ثم هي أيضا ستكشف له حقائق من الحركات الهدامة، والمبادئ المستوردة، والقوانين والنظم الوضعية التي أصيب بها العالم الإسلامي، وتغلغلت بين صفوف أبنائه، مما أضعفه أمام خصومه، وجعله عاجزا عن القيام بدوره في القيادة. لذا نطلب من فضيلتكم المساهمة بالكتابة في موضوعين - حسب الإمكان - من الموضوعات المرفقة بما لا يزيد عن خمس صفحات (فولسكاب) ولا يقل عن صفحتين ولكم أن تختاروا العنوان المناسب لمقالكم طالما هو يدور حول هذه المواضيع على أن تكرموا بسرعة إرسالها إلينا على العنوان المذكور أعلاه حيث أننا نحرص أن تكون جاهزة للطبع قبل نهاية شهر رمضان وهذه الفترة قصيرة إذا ما قيست بما تتطلبه المجلة من تصحيح للمقالات وتنسيق للمواضيع وغير ذلك، علما بأن مواضيع المجلة ستترجم إلى جميع اللغات الحية. نسأل الله أن ينفع بما تكتبونه وأن يجزل لكم الأجر والمثوبة كما نقدم شكرنا - سلفا - لفضيلتكم على حسن تعاونكم ومشاركتكم في هذا العمل الجليل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ......

الرئيس العام
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد



عبد العزيز بن عبد الله بن باز

ملاحظة: نرجو الكريم كتابة الاسم كاملا، والعمل الحالي، والعنوان، والتلفون وصندوق البريد.

الوثيقة رقم (١٩)


بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف

الرقم
التاريخ
المشفوعات

صاحب السمو أمير منطقة القصيم فهد بن محمد بن عبد الرحمن   الأكرم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :-

أعيد لسموكم خطابكم رقم ١٠٩٥ – ٧ – ٢ وتأريخ ١٥/٩/١٣٩١هـ ومشفوعه المصحف الواقع فيه التحريف في سورة القصص آية ٧٢ تحريف قوله تسكنون فيه قد حرفت إلى تسكنوا والآية الثانية ٤٧ من سورة الروم حرف قوله تعالى (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) فوضع وأتوبهن وكان .

أفيد سموكم أننا بحثنا عن طباعته فوجدنا الذي يوافقه من الطباعات الموجودة حالياً طبعة مراد والمصحف موجود لدى إدارته ، ولهذا المصحف نظائر إلا أنه يظهر أنها طبعة قديمة لها أكثر من خمس سنوات – ولكني أضيف إلى ذلك أن هناك مصاحف أخرى سلمت إلي قد جرى فيها شيء من الحذف الذي لا يغتفر مصحف طباعته قديمة يظهر أنه وزع من قبل الأزلام انحذف منه ص ١١٦ صفحة كاملة وص ١٥٨ صفحة كاملة وكلاهما من سورة الأعراف . ومصحف آخر قليل وزع من بعض المحسنين طبع في مطابع لبنان دار الحريم للطباعة والنشر والتوزيع وهذا المصحف سقط منه عدة سور من ص ٤١٦ إلى ٤٤٩ وهو بخط السيد مصطفى نظيف فسقطت السور الآتية . أكثر سورة الم تنزيل السجدة . سورة الأحزاب سبأ وفاطر ويس وأول سورة الصافات وهذا أمر مؤلم .

وقد يكون العمل مقصود الاستهانة بالمصحف وقد يكون سهواً ، ولكن لا ننسى ما فعلت بعض الجهات من طبعها المصحف وتحريف بعض الآيات وتوزيعه في بلاد أفريقيا وبعض بلدان آسيا لقصد تشويه القرآن الكريم والحط منه – فالآية المحرفة هي قوله تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً) حرفت إلى قوله ومن يبتغ الإسلام ديناً .

والخلاصة كما يأتي :-

١ – أن ملاحظة ذلك تجب على دار الإفتاء ووزارة الإعلام .

٢ – لفت نظر تلك الجهتين إلى التأكيد على مراقبيها في مضاعفة الجهود في المراقبة .

٣ – أن هذه الأغلاط وهذا التحريف ليس بالشيء السهل بل يجب الأخذ على المتساهل بشدة ومصادرته وإرجاعه .

الوثيقة رقم (٢٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف

الرقم ــــــــــــ
التاريخ ــــــــــــ
المشفوعات ــــــــــــ

٤ ـ التأكيد على المسئولين على المطبوعات في المتعلقة في ملاحظة ذلك على المكاتب التجاريه .

٥ ـ انه يتسرب في بعض الاحيان كتب تمس العقيدة والدين وبعض الشخصيات في البلاد اما بتصريح او تلميح .

٦ ـ ان القيام بمثل هذا العمل الجليل من مجا سن اعمالكم اثابكم الله ثواب العاملين ـ هذا ما لزم رفعه لا نظار سموكم والله يتولى رعايتكم وحفظكم . ...

مدير المكتبة العامة

عبد الرحمن الحنابلي

الوثيقة رقم (٢١)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
مكتب الرئيس

الرقم: ١٩٠٠/١
التاريخ: ٥/٧/١٤٠٤هـ
المرفقات: ــــ
الموضوع:

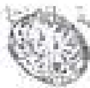
من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ عبد الرحمن حمد الجميلي وفقه الله لكل خير آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

وصلني كتابكم الكريم رقم [illegible] وتاريخ [illegible] ١٤٠٤هـ وصلكم الله بهداه وما تضمنه حسن تجاوبكم في المساهمة بالمقالات لمجلة التوعية الإسلامية التي تصدرها الأمانة العامة للتوعية وأن فضيلتكم بصدد بعث عدد من الكلمات إليها .. الخ كان معلوماً. أشكركم يا محب على شعوركم الطيب وعلى تجاوبكم الفعال وتعاونكم جزيتم خيراً وأسأل الله أن يشكر سعيكم ويبارك في جهودكم ويوفق الجميع لما يرضيه إنه سميع قريب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس العام
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد



الوثيقة رقم (٢٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

الرقم: ٢/٥/٦١/١
التاريخ: ١٨/٨/٨٨
التوابع:

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز الى حضرة الاخ المكرم الشيخ عبد الرحمن الجطيلي وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

رأت الجامعة الاسلامية اختياركم وكيلا لمجلتها في مدينة بريدة لقبض الاشتراكات وارساله وتوزيع المجلة على المشتركين

فاذا وافقتم نأمل افادتنا عن مقدار رغبتكم مقابل ذلك والله يحفظكم والسلام عليكم ...

ر . ق

نائب رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة

الوثيقة رقم (٢٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الرئاسة العامة

لشئون الحرمين الشريفين

الخطاب الصادر		الخطاب الوارد ....
تاريخه	مسودة	تاريخه ....

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوة

يسر

الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

أن تدعوكم لحضور حفل العشاء الذي سيقام تكريماً للعلماء المشاركين

في التوعية الإسلامية لحج عام ١٤٠١هـ. وذلك مساء يوم الاثنين

١٤/١٢/١٤٠١هـ ليلة الثلاثاء بعد صلاة العشاء مباشرة.. بمقر

رابطة العالم الإسلامي.. والله يحفظكم..

الداعي

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الوثيقة رقم (٢٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن صالح بن محمد آل الشيخ
الرياض ـ المملكة العربية السعودية

التاريخ ٢٥/ ٥ / ١٣٩٦هـ
الموافق / / ١٩٧م

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبدالرحمن الجطيلي مدير المكتب العلمي في بريدة ـــــــ المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد نظراً لأهمية تدوين تراجم العلماء من قضاة ومدرسين في الحاضر والمستقبل، فقد عقدت العزم إن شاء الله على اخراج كتاب يتضمن تراجم علماء الجزيرة العربية إبتداء من القرن العاشر الهجري حتى وقتنا الحاضـــر.

ولمـــا لفضيلتكم من مكانة علمية ارجو التكرم باعطائي نبذة عن تاريخ ميلادكم، ونشأتكم، وحياتكم العلمية، والوظيفية، ومشائخكم، ومؤلفاتكم، وسا كون شـــاكراً لكم تعاونـــكم معي والله يرعاكم بحسن رعايتـــه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتـــه.

المخلـــص

محمد بن صالح بن محمد آل الشيخ

المحقق القضائي بوزارة العدل

الوثيقة رقم (٢٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الفضيلة رئيس محاكم القصيم   الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

اجابة لخطابكم رقم ١/٣٤٧٢ في ١٨/١١/١٤٠١هـ . الموجه للاخوان لطلب المشاركة في مدينة الحجاج ببريدة هذا العام ١٤٠١هـ . بالقاء المحاضرات والندوات والتوجيه والارشاد المبني على خطاب سمو أمير منطقة القصيم الموجه لفضيلتكم رقم ٢١-١٨٣١٣ في ٢٢/١٠/١٤٠١هـ .

عليه أفيد فضيلتكم انه ليس عندي مانع فيما يعود نفعه للصالح العام ، الا انني قد كلفت في العمل بمكة المكرمة بالافتاء والقاء بعض المحاضرات والاشراف على أحد المراكز الموجودة بمكة ومنى ، وحصل والحمد لله خير كثير من المشائخ المشاركين هناك جزاهم الله عنا خيرا وزادهم من فضله على نصحهم وبذلهم المال والرجال لنفع الامة الاسلامية وتوجيهها في أمور دينها ودنياها لاشعار فضيلتكم بذلك والله يتولى الجميع بتوفيقه وعنايته والسلام عليكم ...

مقدمه

(عبد الرحمن بن سعد الحطيلي)

نموذج من خط الشيخ عبد الرحمن الجطيلي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
عبد الرحمن بن حمد الجطيلي
المكتبة العلمية العامة
القصيم – بريدة – شارع الصناعة

التاريخ / / ١٣ هـ
الموافق / / ١٩ م

بعض أحكام الحج مع وصف لحجة النبي صلى الله عليه وسلم

مقدمة

في بعض حكم الحج وبيان بعض حكمه الاجتماعية وأنه مؤتمر عالمي لدراسة
شؤون المسلمين العامة والخاصة كما في قوله تعالى ﴿وأذن في الناس بالحج
يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم﴾
ففيه تتجلى المنافع العامة من اجتماعات المسلمين التي فيها من الفوائد
والعائدات الخير العظيم والنفع الجسيم حيث يتعرف الشعوب والقبائل
بالغرب والمشرق الحاضرات من أقطار المسلمين فيتدارسوا أمور المسلمين
فيما بينهم ويدرسوا شؤونهم الحياتية في الأماكن النافعة وكل ما هو شأنه
رفع الإسلام والمسلمين لأنه يربطهم نحو الذي هو الرابطة فيما بينهم
بل وحد دينهم لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المشرع للأمة بأمر الله وحيه
علم بما في اجتماعات المسلمين العامة والخاصة فإنها لا تنفع المسلمين فيرفع
الله نفعها على المسلمين من هذه الاجتماعات اليومية [illegible] واجتماعات
الأعياد وكل واحد الرحمة [illegible] الأفراد والقرى والأقطار وتتفقد أحوال
المسلمين وهذا اجتماع العام للمسلمين على شكل مؤتمر عالمي
مما يقوي روح العقيدة ويثبت أواصر المحبة والإخاء والوئام

التعريف بكتاب
إفادة المستفيد شرح كتاب التوحيد

بقلم الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد رحمه الله (١)

الحمد لله الذي خلقنا لعبادته وأمرنا بطاعته، ونهانا عن معصيته ومخالفة أمره، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ، أفضل خلقه، وعلى آله وصحبه والتابعين لهديه، وبعد:

فإني اطلعت على هذا الكتاب المفيد الذي جمعه ورتّبه الشيخ الفاضل: «**عبد الرحمن ابن حمد الجطيلي**» مدير المكتبة العلمية العامة ببريدة، وسماه «إفادة المستفيد - شرح كتاب التوحيد» والأصل للإمام المعروف بإمام الدعوة القويَّة المجدد للطريقة المحمدية (محمد بن عبد الوهاب)، أجزل الله له الأجر والثواب، فالمؤلف، جزاه الله خيراً، استوعب الأصل بكماله وجعله في أعلى الصفحة بعلامة (م) ونقل من مراجع

---

(١) ولد الشيخ **عبد الله بن سليمان الحميد** في بريدة سنة ١٣٢١ هـ، وبعد تعلمه القراءة والكتابة في الكتاتيب بدأ بطلب العلم على والده (إمام مسجد ماضي) وعلى الشيخين عبد الله بن سليم، وعمر بن سليم وعلى غيرهما من علماء بلده حتى أدرك وفاق الأقران، عُين في القضاء سنة (١٣٤٦ هـ) إماماً ومرشداً في منطقة جيزان، وتنقل في عدد من بلدان تلك المنطقة، وكان سنداً للداعية الشيخ «عبد الله القرعاوي» في دعوته في جنوب المملكة، فهو رحمه الله قد حمل همَّ هذه الدعوة وسعى في نشرها، وفي مساعدة القائمين عليها. ثم عُيِّن سنة (١٣٥١ هـ) قاضياً في «برك الغماد»، ثم نقل عام (١٣٦٦ هـ) إلى قضاء القنفذة، ثم انتقل عام (١٣٧٠ هـ) إلى القصيم، ثم تولى عام (١٣٧٣ هـ) رئاسة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقصيم عند افتتاحها، ثم عين في قضاء الأسياح عام (١٣٧٨ هـ)، ثم نقل لقضاء البكيرية حتى تقاعد عام (١٣٨٣ هـ)، وأصبح رئيساً لجماعة تحفيظ القرآن الكريم بالقصيم عند تأسيسها. له بعض الرسائل المطبوعة، توفي بعد حياةٍ حافلةٍ بالعلم والعمل في (٣/ ٦/ ١٤٠٤ هـ).

كثيرة، منها شروح الكتاب وغيرها، ما تمت به الفائدة من غير تطويل ممل ولا اختصار مخل، فشرح المفردات أولاً وشرحه شرحاً مجملاً، مع الاستدلال بالأدلة من كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ، ومذاهب العلماء، وتعرَّض للخلاف القويِّ في بعض الأحكام مع ترجيح بعضها على بعض، فجاء ترتيبه حسناً على طريقة سهلة مفيدةٍ واضحةٍ، وجعل في نهاية كل بابٍ أسئلة على الباب، وذلك لاستنباط إجابتها مما تقدم لما تضمنه الباب من الفوائد ليتنبه الطالب ويستفيد الراغب، وجعل للشرح علامة «ش»، والكتاب مشتمل على أنواع التوحيد، الذي هو حق الله على العبيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، الذي لا يعرفه كثير من المنتسبين إلى العلم فضلاً عن العوام حتى وقع الكثير في الشرك الأكبر المنافي للتوحيد، والشرك الأصغر المنافي لكماله، ولكثرة بحوثه وعظم فائدته وقرب فهمه وحاجة المسلمين إليه وبالأخص شبابنا المتعلم أشرنا عليه بطبعه، ليعم نفعه وها هو يطبع لأول مرة[1].

فجزى الله مصنّف هذا الكتاب وطابعه ومصححه والمنتفع به أوفر الجزاء، وجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، آمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

حرر في: ٢٤/ ٣/ ١٣٨٨هـ



(١) أول نسخة مطبوعة من الكتاب عام (١٣٨٨ هـ).

مقدمة بقلم مؤلف الكتاب
عبد الرحمن بن حمد بن محمد الجطيلي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين

حمداً لك اللهم على آلائك، وشكراً لك على فضلك وإنعامك، ولقد شرحتَ صدورنا بالإيمان، ووحدت بين المسلمين بما واليت عليهم من جودك وإحسانك، فلك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما تحب ربنا وترضى، وكما ينبغي لكرم وجهك وعز جلالك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليزيل الشرك وآثاره ومعالمه وظلامه ويقيم للناس ديناً نيراً بالتوحيد ويرسي أعلامه، ويضيء على الكون مناره وليصبح الناس على المحجة[1] البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الذين اهتدوا بهديه واستنوا بسنته فهم بدور الهدى، إذا ادلهم ظلامه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد من أكبر الكتب نفعاً في معرفة التوحيد وأقسامه والتحذير من الشرك وأنواعه وسد الذرائع الموصلة إليه،

---

(١) رواه ابن ماجه وأحمد وغيرهم، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه وصححه الألباني، انظر حديث رقم: (٤٣٦٩) في صحيح الجامع، وقال الأرناؤوط في تعليقه على المسند: حديث صحيح بطرقه وشواهده، كلهم بلفظ: قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك «إلا أن لفظ: (المحجة) لم أجدها؟ والله أعلم».

وبيان شوائبه وما يقرب منه، ولقد ألفَّه الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمحاربة الوثنية وأعمال الجاهلية، على اختلاف مذاهبهم وتباين نِحَلِهم، ولقد جاهد في الله تعالى حق جهاده، حتى أرسى قواعد الدين على ما كانت عليه على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه الراشدين، وأشاد منار الهدى، وأوهى دياجي الشرك والردى، وصار على الصراط المستقيم صافياً، ولقد وفّق الله آل سعودٍ لنصرته وتأييده، فجزاهم الله خيراً على ما قاموا به خير الجزاء ونصرهم وهداهم.

ولقد رأيت الحاجة داعيةً إلى تعليقٍ على هذا الكتاب، تحل الألفاظ اللغوية والمعاني الإجمالية، وما تفيده الآيات أو الأحاديث من أحكامٍ، كما أربط الباب بالذي قبله بمناسبةٍ تربط بينهما، وإن في «تيسير العزيز الحميد[1] في شرح كتاب التوحيد» المنهل العذب لمريد الحق ولا مزيد عليه، ويليه «فتح المجيد»[2] الذي يعتبره العلامة عبد الرحمن بن حسن، مختصراً للشرح المذكور، وقد ساهمت بشرح الكتاب على النحو المتقدم، مشاركةً في هذا العمل الجليل سميته «**إفادة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**» وإن من مراجع الكتاب[3] الشرحين المذكورين، وتفسير ابن كثير والشوكاني وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم وشرح الطحاوية، ومن كتب اللغة

---

(١) كتاب تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، تأليف الشيخ العلامة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، وهو حفيد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله وفتح المجيد شرح آخر لكتاب التوحيد يعتبر مختصراً للأول، وهو تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

(٢) كتاب فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، تأليف: عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

(٣) يقصد المؤلف: بعض المراجع التي رجع إليها أثناء التأليف.

القاموس والمصباح المنير وأقرب الموارد، وقد أراجع غير ما ذكرت من الكتب.

هذا، وأسأل الله أن يجعل عملي مقبولاً لديه، وأن يكون هذا الكتاب نافعاً لمن اشتغل به، وقد ذيَّلت في آخر كل بابٍ أسئلة استنبطت أجوبتها من الباب، كالأنموذج ليحتذى حذوها فيما لم يوضع له أسئلة.

المؤلف



التعريف بشيخ الإسلام على طريقة الاختصار

اسمه:

هو: الشيخ العالم العامل الورع الزاهد المجاهد في الله حق جهاده ذو البصيرة الناقدة والحجة على ذوي الانحراف، لما أفاده في كثيرٍ من مؤلفاته النافعة، فكتاب التوحيد يكاد يكون من مؤلفات الصدر الأول، والاستنباط لمسائل الجاهلية وغيرها مما يدل على قوة الإدراك والفهم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد شرحها علامة العراق في زمنه محمود شكري الألوسي[١] رحمه الله.

نسبه:

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف التميمي.

---

(١) **محمود شكري ابن عبد الله بن الآلوسي الكبير**، وهو أحد علماء أهل السنة في العراق ومن المتمسكين بمنهج السلف الصالح، ومن أحد الشخصيات البارزة في العالم العربي والإسلامي وكان حبه لطلب العلم بدأ منذ صغره، وأخذ إجازات العلم من الكثير من علماء بغداد، وهو من أحفاد شهاب الدين أبو الثناء الآلوسي الكبير، من ذرية الإمام موسى المبرقع بن الإمام محمد الجواد الهاشمي القرشي، ولد العلامة محمود شكري الآلوسي في بغداد عام ١٢٧٣هـ- ١٨٥٦م، وعرف عن والده وأعمامه حب الأدب والتفقه مع ميل للتصوف، ومن كتبه المهمة كتاب «غاية الأماني في الرد على النبهاني»، وفيه يتناول المسائل المتنازع عليها بين دعاة التجديد السلفي ومعارضيهم، مع ميل للدفاع عن ابن تيمية كلما سنحت الفرصة. كما كان له فضل كبير في نشر مؤلفات ابن تيمية وابن قيم الجوزية نشراً وطبعاً وتحقيقاً. ويعد محمود الآلوسي بكل هذا النشاط واحداً من دعائم مدرسة التجديد السلفي. وكانت له صلة أيضاً بجمال الدين الأفغاني، صاحب فكرة التجديد في الإسلام، وتوفي في ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤م.

ولادته:

ولد، ﷬، في عام (١١١٥) هجرية في بلدة العيينة[١]، من البلاد النجدية، فشبَّ وترعرع في بيت علمٍ، ودرس القرآن في سن الطفولة في تلك البلدة، وحفظه عن ظهر قلب قبل بلوغ العاشرة، ثم تعلَّم على أبيه وحصل بعض التحصيل وكان حاد الفهم، يقول عنه أبوه: لقد استفدت من ابني محمد فوائد من الأحكام.

حياته الأولى:

يقال: إن أباه توسَّم فيه النجابة، وقدمهُ إماماً قبل أن يُكمل اثنتي عشرة سنةً وزَّوجه وهو صغير، وحجَّ واعتمر وزار المسجد النبوي، ثم رجع إلى أبيه وأخذ يقرأ عليه في مذهب الإمام أحمد، وكان أبوه قاضي العيينة، ورزق الشيخ سرعة الكتابة، فكان يكتب الكراريس في المجلس الواحد لا يملُّ.

رحلاته في طلب العمل:

رحل في طلب العلم إلى الحرمين؛ مكة فالمدينة المنورة، وقرأ على الشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدي المدني[٢]، كما قرأ على الشيخ محمد حياة السندي[٣] المحدث المشهور،

---

(١) هي قرية معلومة في اليمامة في نجد، شمال غرب مدينة الرياض، بينها وبين الرياض مسيرة سبعين كيلو متر، وهذه البلدة هي مسقط رأسه رحمة الله عليه.

(٢) هو الشيخ **عبد الله بن إبراهيم بن سيف بن عبد الله الشمري** من آل جبار من بطن عبدة من قبيلة شمر الشهيرة التي أصلها قبيلة طئ من قحطان، ولد في المدينة المنورة ونشأ بها وقرأ على علمائها والواردين إليها ثم سافر إلى دمشق فقرأ على علمائها، ومن أشهر تلاميذه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷬، ثم توفى بالمدينة المنورة عام ١١٤٠ هـ ﷬ (انظر: علماء نجد خلال ستة قرون، الجزء الثاني، ص ٥٠١-٥٠٤، للمؤلف الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام).

(٣) **محمد حياة بن إبراهيم السندي** الأصل والمولد المدني الحنفي العلامة المحدث الفهامة حامل لواء السنة، ولد بالسند ببعض قراها ورغب في تحصيل العلم وهو بها ثم انتقل إلى تستر قاعدة بلاد=

وله حديثان مسلسلان عنه، وأجازه، ثم رحل إلى الأَحساء والبصرة وطلب العلم في تلك الأقطار، ومنهم المجموعي في العراق[1]، وابن عبد اللطيف الشافعي في الأَحساء[2]، ودرس عليهما في الفقه والنحو والحديث وغيرها من علوم الدين.

دعوته:

أما من قال: إنه رحل إلى بلاد فارس وتعلم الفلسفة وغيرها فهذا خطأ؛ فلمَّا تمَّ له المقصود من الطلب، رجع إلى بلده وأخذ ينشر التوحيد في ربوع نجد بالمكاتبات والمراسلات، وكان قدومه على أبيه بعدما ارتحل[3] من العيينة إلى حريملاء وأخذ يقرأ

= السند وقرأ على محمد معين بن محمد أمين ثم هاجر إلى الحرمين الشريفين وتوطن المدينة المنورة ولازم الشيخ أبا الحسن بن عبد الهادي السندي وجلس مجلسه بعد وفاته أربعاً وعشرين سنة وأجاز له الشيخ عبد الله بن سالم البصري والشيخ محمد أبو الطاهر بن إبراهيم الكوراني وأبو الأسرار حسن بن علي العجيمي وغيرهم وكان ورعاً متجرداً منعزلاً عن الخلق إلا في وقت قراءة الدروس مثابراً على أداء الجماعات في الصف الأول من المسجد النبوي وله تصانيف كثيرة، منها: شرح الترغيب والترهيب للمنذري في مجلدين وشرح على الأربعين النووية مختصر جداً ومختصر الزواجر وشرح الحكم العطائية والحكم الحدادية وله رسائل أخر لطيفة وتحقيقات عجيبة منيفة وكانت وفاته ليلة آخر أربعاء من صفر سادس عشرية سنة ثلاث وستين ومائة وألف ودفن بالبقيع رحمه الله. (انظر: المرادي في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر).

(١) هو الشيخ محمد المجموعي: أحد علماء البصرة، وقد أخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب منه العلم في النحو واللغة والحديث والفقه.

(٢) هو الشيخ **عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الإحسائي**، وأخذ عنه في التفسير والحديث.

(٣) المرتحل هو والد الشيخ رحمه الله، انتقل من العيينة إلى حريملاء بسبب خلاف بينه وبين أميرها ابن معمر.

على أبيه حتى توفي والده عام ١١٥٣ هـ.

وقد كان في البصرة يقصد السفر إلى الشام، إلا أنه انثنى عزمه وعرج في طريقه على الأَحساء، وقرأ على الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، كما ذكرنا، وبعد وفاة والده طار ذكر الشيخ في الآفاق، ثم أخذ يعلِّم وينشر الدعوة بالمكاتبات والمراسلات ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وحصل له بعض الخلاف من بعض الفسقة، ثم رحل بعد ذلك إلى العيينة وتزوج بها، وناصره: أميرها ابن معمر وأخذ يوجه الناس إلى دينهم ويهدم بعض القباب المقامة على بعض الأضرحة، إلى أن حصل من أمير الأَحساء تهديد لأمير العيينة بأن يخرج الشيخ من عنده فأخرجه في عام ١١٥٧ هـ. فقدم الدرعيَّة على أحد تلامذته، فلَّما علم بذلك الأمير محمد بن سعود أتى إليه وأكرمه وتابعه وأيده، فأخذ الشيخ يدعو الناس إلى الدين الخالص الذي لا تشوبه شائبة، حتى انتشرت الدعوة في بلاد نجد والحجاز وأطراف اليمن وعُمان، فكتب إليه علماء الأمصار يؤيدونه بالنظم والنثر كما هو موجود، ومعروف في تاريخ ابن غنَّام، وابن بشر، رحمه الله رحمةً واسعةً إنه تعالى جواد كريم رؤوف رحيم.

وفاته:

ثم توفي الشيخ في عام ١٢٠٦ هـ بعد أن أقر الله عينه بانتشار الدعوة في كثيرٍ من البلاد، وزالت الخرافات الموجودة في زمنه، ومرجع هذه الترجمة **(تاريخ ابن غنام)**[(١)].

---

(١) حسين بن غنّام (أو ابن أبي بكر بن غنام) النجدي الأحسائي: مؤرخ. مالكي المذهب، شاعر فحل، كان عالم الأحساء في عصره. ولد ونشأ في المبرّز (بالأحساء) وأقام بالدرعية عاصمة (آل سعود) الأولى وتوفي بها. له مصنفات، منها: (العقد الثمين في شرح أصول الدين).

كتاب التوحيد

المقدمة:

معنى البسملة:

قال الشيخ رحمه الله: (م)[١] **بسم الله الرحمن الرحيم**، وفي بعض النسخ: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم.

(**ش**)[٢]: الافتتاح بها سنة سنها رسول الله ﷺ في المكاتبات والمراسلات التي بعثها للملوك وغيرهم، وقد أمر بذلك في قوله ﷺ: (**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع**[٣])[٤] ومعناه: ناقص، وفي روايةٍ: «**بذكر الله**»[٥]، وباء «بسم الله» للمصاحبة، وقيل: للاستعانة، والمعنى: أبدأ تأليفي مستعيناً بالله متبركاً به، والاسم مشتق من السمو، وهو العلو، أو السمة وهي العلامة، والله أعلم على ربنا تبارك وتعالى وهو أعرف المعارف، وقيل: إنه الاسم الأعظم، ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في معناه: أنه

---

(١) مراد المصنف رحمه الله برمزه بحرف الميم: المتن.

(٢) مراد المصنف رحمه الله برمزه بحرف الشين: الشرح، وقد تقدم الإشارة إلى ذلك في مقدمة الكتاب.

(٣) معنى كلمة (أقطع): أي مقطوع من البركة.

(٤) أخرجه ابن حبان، ولأبي داود وابن ماجه بلفظ: (**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله أو بالحمد فهو أقطع**) ولأحمد بلفظ: (**كل أمر ذي بال لا يفتتح بذكر الله فهو أبتر أو أقطع**)، ورواه والطبراني، وغيرهم بألفاظ متعددة وضعفه الألباني (انظر: إرواء الغليل تخريج أحاديث المقدمة)، وقال الأرناؤوط في تعليقه على مسند أحمد: إسناده ضعيف.

(٥) رواه الدارقطني (١/ ٢٢٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وأشار إلى أنه مرسل، ورواه أحمد (٢/ ٣٥٩) وضعفه الألباني.

قال: (**ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين**)[١] وأصله الإله وأنه اسم الله جامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[٢].

ومعنى (**الرحمن الرحيم**): قال ابن عباس رضي الله عنهما في معناهما: (اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر)[٣]، أي: أوسع رحمةً؛ فالرحمن: رحمان الدنيا والآخرة، والرحيم: رحيم الآخرة، فرحمته في الدنيا عمَّت الصالح والطالح وسائر الكائنات كلها، وأما في الآخرة فرحمته خاصة بالمؤمنين ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[٤].

وأما الرحمن: فكما في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[٦]، والرحمن إذا سُئلَ أعطى، والرحيم إذا لم يُسأل يغضب[٧].

---

(٦) رواه ابن جرير من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، قيل: إن بشراً ضعيف، والضحاك لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما؛ انظر: تفسير ابن جرير الطبري، الجزء الأول في تفسير آية البسملة.

(٢) سورة الأعراف: (من الآية ١٨٠).

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: (**الرحمن هو الرقيق والرحيم العاطف على الخلق بالرزق، وهما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر**) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: والحديث المذكور عن ابن عباس رضي الله عنهما، لا يثبت؛ لأنه من رواية الكلبي عن ابن صالح عنه، والكلبي متروك الحديث، وكذلك مقاتل (انظر: فتح الباري ج١٣ ص٤١٠).

(٤) سورة الأحزاب: (من الآية٤٣).

(٥) سورة الأعراف: (١٥٦).

(٦) سورة الأنعام: (من الآية٥٤).

(٧) قال ابن المبارك رحمه الله: «**الرحمن إذا سئل أعطى، والرحيم إذا لم يسأل غضب**»، وروى =

وإذا عرفنا أن الافتتاح بالبسملة سنة، كما افتتح بها النبي ﷺ، وكما في القرآن في أول كل سورة، وكذا بين كل سورتين، وهي آية من القرآن.

معنى الحمدلة:

وأما معنى «الحمد»: فهو يتضمن مدح المحمود بصفات كماله، ونعوت جلاله، مع محبته والرضا عنه، والخضوع له (قاله ابن القيم)[١].

(**العالمين**): كل مَنْ خلق الله في السموات والأرض كلهم عالم.

معنى الصلاة والسلام على الرسول:

والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند ملائكته، كما حكاه البخاري عن أبي العالية[٢]، ومن الملائكة الاستغفار، ومن الآدميين التضرع والدعاء، وقد سئل ﷺ عن كيفية الصلاة عليه في الصلاة؛ فقال: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم)[٣]، وسُميِّ محمداً: لكثرة خصاله الحميدة، وقيل: لقيامه المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، والآل هم: الأتباع على الصحيح، فيدخل فيهم أهله وأزواجه، وقيل: بنو هاشمٍ، وبنو المطلب.

=

ابن ماجه في سننه: (**من لم يدع الله سبحانه غضب عليه**)، وروى الترمذي في جامعه: عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**من لم يسأل الله يغضب عليه**).

(١) انظر: كتاب: «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» الجزء الأول، فصل: اشتمال الفاتحة على أنواع التوحيد، للإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١١١).

(٣) رواه مسلم (٤٠٥) من حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه.

ومعنى: «**وسلم**»: مأخوذ من السلامة، والمراد بها: السلامة من العيوب والنقائص والرذائل.

تعريف التوحيد:

(**م**) قوله كتاب التوحيد:

(ش) الكتاب لغةً: مصدر كتب يكتب كتاباً، وكتابة، وكتباً، وقد تكتب بنو فلان: إذا اجتمعوا، والكتيبة: لجماعة الخيل، والكتابة بالقلم: لاجتماع الحروف والكلمات بذلك، ولذا سُمِّي الكتاب كتاباً: لجمعه ما وضع له.

والتوحيد: مصدر يوحِّد توحيداً، والمعنى جعله واحداً، ودين الإسلام يسمى توحيداً، والله لا يتعدد بحسب المسميات، فإن تعددت الأسماء فالمسمى واحد، والله واحد في ذاته وواحد في مُلْكِه وسلطانه وعظمته وجلاله وكبريائه وأسمائه وصفاته قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[1].

وأما تعريف التوحيد شرعاً: فهو إفراد الله تعالى بالعبادة، وهو ما بعث به محمداً ﷺ والأنبياء والمرسلين - قبله - وهو معنى «لا إله إلا الله»، وهذا الكتاب مشتمل على تفسير ذلك.

---

(١) سورة الاخلاص بتمامها.

أقسام التوحيد:

وينقسم التوحيد إلى نوعين:

الأول[١]: في المعرفة والإثبات الذي هو حقيقة ذات الربِّ تبارك وتعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[٢] في ذلك كله، كما أخبر به رسوله ﷺ، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، كما في أول سورة الحديد[٣] وطه[٤] وآخر الحشر[٥]، وأول تنزيل: السجدة[٦]، وأول آل عمران[٧] وسورة

---

(١) وهو توحيد الربوبية، ويدخل فيه توحيد الأسماء والصفات، وهذا التقسيم للتوحيد تقسيم مجمل، والتقسيم المشهور المفصل هكذا: ١- توحيد الربوبين. ٢- توحيد الألوهية. ٣- توحيد الأسماء والصفات.

(٢) سورة الشورى: (١١).

(٣) قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ (سورة الحديد، الآية: ١).

(٤) قال تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ «طه، ١: ٨».

(٥) قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ «الحشر، ٢٢-٢٤».

(٦) قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ «السجدة، ١-٢».

(٧) قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ =

الإخلاص[(١)]، وغير ذلك.

الثاني[(٢)]: في الطلب والقصد كما في سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾[(٤)]، وأول سورة «تنزيل الكتاب»[(٥)] وآخرها، وأول سورة «المؤمن»[(٦)]، ووسطها، وآخرها، وأول سورة «الأعراف»[(٧)] وآخرها، وجملة سورة «الأنعام»، وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، شاهدة به داعية إليه؛ فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله، فهو

= ـــــــــــــــــــــــــ

ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ «سورة آل عمران، الآيات من ١-٦».

(١) قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ «سورة الإخلاص بتمامها».

(٢) وهو توحيد الألوهية ويسمى توحيد العبادة، وهو مدلول ومضمون كلمة الإخلاص: «لا إله إلا الله» ومراد المؤلف بهذا الكتاب توضيح هذا النوع من التوحيد، وبيان ما يضاده وينقص ويقدح فيه.

(٣) قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ سورة الكافرون بتمامها.

(٤) سورة آل عمران، (الآية: ٦٤).

(٥) قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ «سورة الزمر، الآية: ١».

(٦) قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ «سورة غافر، الآيات من ١-٣»، ويطلق على سورة غافر: سورة المؤمن.

(٧) قال تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ «سورة الأعراف، الآيات من ١ -٢».

التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخَلْع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته وأمره ونهيه، فهو حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يَحُلّ بهم في العُقْبَى من العذاب، فهو جزاء من خَرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، انتهى من الطحاوية، فهذه مقدمة نافعة في التوحيد، وهي: تقسيم التوحيد.

وتصدير المصنف رحمه الله كتابه بهذا لينتظم به جميع أنواع التوحيد الذي تقدمت الإشارة إليه.

أسئلة

السؤال الأول:

(أ) بيِّن الأغراض التي من أجلها ألفَّ الشيخ كتاب التوحيد.

(ب) بيِّن حالة أهل نجد قبل الدعوة الإصلاحية.

(ج) تَرْجِم للشيخ على طريقة الاختصار: نسبه ولادته - حياته الأولى - رحلاته في طلب العلم - ظهور النجابة عليه - كيف بدأ دعوته.

السؤال الثاني:

(أ) بيِّن معنى: «بسم الله الرحمن الرحيم» ودلِّل على كونها سنةً.

(ب) اشرح معنى: «الحمد لله رب العالمين».

(ج) بيِّن معنى: «وصلى الله على محمدٍ وآله وسلم».

السؤال الثالث:

(أ) بيِّن معنى التوحيد لغةً وشرعاً.

(ب) بيِّن معنى كون دين الإسلام توحيداً.

(ج) قسِّم التوحيد مع شرح ذلك بذكر الدليل.



الحكمة من خلق الجن

(م) قال ﷺ: قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾[(٤)].

(ش) قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[(٥)].

المفردات:

الخلق يأتي على معنيين: أحدهما تقدير الشيء، والثاني: ملامسته. والمراد: تقدير الأشياء على غير مثال سبق، الجنُّ مأخوذ من السَتْر، من قولهم: جنَّ كذا إذا استتر، وأما الإنس فالمراد به: ظهور الشيء، وكل شيء خالف التوحش. يقال له: إنس. فقالوا الإنس خلاف الجنَّ بظهورهم تقول: أنست بالشيء إذا رأيته.

وقوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾:

تعريف العبادة:

مأخوذة من الذِلَّة، يقال: طريق مُعبَّد، وغير معبد أي: مذلل إذا وطئته الأقدام.

---

(١) سورة الذاريات: (٥٦).

(٢) سورة النحل: من الآية (٣٦).

(٣) سورة الاسراء: من الآية (٢٣).

(٤) سورة النساء: من الآية (٣٦).

(٥) سورة الذاريات: (٥٦).

وتعريفها في كلام العلماء هي: عبارة عمَّا يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف.

وفي تعريفٍ آخر: عبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور.

قال شيخ الإسلام: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهذا تعريف جامع شامل.

المعنى الإجمالي:

يخبر سبحانه وتعالى أنه ما خلق الخلق من الجن والإنس إلا لأمرٍ عظيمٍ وهو عبادته، فهذه هي الحكمة، ففعل هو الأول الذي هو الخلق ليفعلوا هم الثاني التي هي العبادة، ولم يرد ما تريده السادات من عبيدها من الإعانة لهم بالرزق والإطعام والدفاع عنهم وغير ذلك، بل هو الذي يرزق الجميع ويطعم ولا يُطعم، فخلقهم لأمرهم ونهيهم، وقال علي رضي الله عنه : «إلا لآمرهم وأنهاهم»، فلقد أمرهم على لسان نبيه بالخير، ونهاهم كذلك عن الشر، فمن استجاب ودخل في الطاعة فله السعادة، ومن لم يستجب فله الشقاوة.

ما يستفاد من الأحكام:

١- معرفة أن الله خلق الخلق لعبادته.

٢- وجوب الطاعة على من بلغته الدعوة، في اتباع الأوامر، واجتناب النواهي، التي جاءت بها الرسل.

٣- تكليف الجن بالجملة كالإِنس، للآيات الكريمة، وأن مسلمهم يدخل الجنة، وكافرهم يدخل النار.

٤- معرفة العبادة وأنها التوحيد.

٥- معرفة الحكمة في خلقهم، وأنها لأجل العبادة.



الحكمة من إرسال الرسل

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[(١)].

(ش) المفردات:

البعث هو: الإرسال، والمراد: بعث الرسل إلى أُممهم، والأمة الطائفة من الأمم السالفة والقرون الخالية.

والرسول هو: إنسان حر ذكر من بنى آدم وأوحي إليه بشرعٍ وأمر بتبليغه، فإن أوحي إليه بشرعٍ ولم يأمر بتبليغه، أو أمر باتباع شريعة من قبله فهو نبي، وكل رسولٍ نبي، ولا عكس، والرسول أفضل من النبي.

وقوله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا﴾ معنى العبادة: تقدم ذكره، وفي هذا أمر لهم بتوحيد الله وطاعته وإخلاص العبادة له.

وأما الطاغوت فهو: مشتق من الطغيان، وهى مجاوزة الحد، وقد حدَّه ابن القّيم بقوله: هو ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

المعنى الإجمالى:

أخبر سبحانه بأنه بعث في كل أمةٍ من الأمم السالفة رسولاً يدعو الناس إلى عبادته وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، فمن اتخذ معبوداً من دون الله فقد أشرك بالله تعالى، فطاغوت كل قومٍ ما يتحاكمون إليه من دون الله تعالى ورسوله ﷺ، أو يعبدونه أو يتبعونه على غير بصيرةٍ من الله تعالى، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله تعالى، قال: فهذه طواغيت العالم؛ فاحرص على معرفة ذلك، وتنبه لئلا تهلك.

---

(١) سورة النحل: (من الآية: ٣٦).

ما تفيده الآية من أحكام:

١- إن الله بعث رسلاً إلى أُممهم، وأن أولهم: نوح وآخرهم: محمد ﷺ.

٢- أنهم أمروهم بطاعة الله تعالى، ونهوهم عن طاعة الطاغوت من الأصنام والكبراء والسادة والعلماء وغيرهم.

٣- أن دين الإسلام هو دين الأنبياء، وإن اختلفوا في بعض الشرائع.

الوصية بعبادة الله وحده والإحسان للوالدين

(م) وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾[1].

(ش) المفردات:

﴿قَضَىٰ﴾: أمر ووصى وأوجب.

ومعنى: ﴿إِحْسَٰنًا﴾ أي: أمر بالإحسان إلى الوالدين، وهو الرفق واللين والحفظ والنفقة والطاعة في غير معصية الله، وأما الربُّ: فهو المالك المتصرف بعباده.

المعنى الإجمالي:

في الآية الكريمة وصيته تعالى إلى عباده بعبادته وإخلاص العمل له، ومن أجل هذا أنزلت الكتب وأرسلت الرسل، ومن أجل هذا خُلِقت الجنة والنار، كما وصى في الآية بالإحسان إلى الوالدين وبرهما وصلتهما، وفي هذا تنويه بحقهما، حيث إنه قرن حقهما مع حقه، فكما أمر بعبادته وطاعته، أمر أيضاً بالإحسان إليهما، قال تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

(١) سورة الاسراء: (من الآية: ٢٣).

﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾﴾[(١)].

وقال ﷺ في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (رضا الرب في رضاهما وسخطه في سخطهما)[(٢)]، ومن برهما: الإنفاق والطاعة في كل ما يأمرانك به، ما لم يكن معصية لله تعالى.

والرسول ﷺ لَمَّا جاءه رجل فطلب الجهاد، فقال: أبواك حي؟ قال: نعم، فقال: ففيهما فجاهد، أو كما قال[(٣)].

وجاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين...الحديث»[(٤)].

ومن البر والصلة بعد موتهما: الاستغفار لهما، والصدقة عنهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وبرِّ صديقهما.

---

(١) سورة الإسراء (الآيات: ٢٣-٢٤).

(٢) رواه الترمذي بلفظ: (رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد)، والبيهقي في شعب الإيمان بلفظ: (رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين) عن ابن عمرو رضي الله عنه، وصححه الألباني، انظر حديث رقم: ٣٥٠٦ في صحيح الجامع، وفي (جامع الأحاديث): الحاكم (٤/ ١٦٨، رقم ٧٢٤٩) وقال: صحيح على شرط مسلم. وأخرجه أيضًا: البزار (٦/ ٣٧٦، رقم ٢٣٩٤).

(٣) رواه البخاري (٣٠٠٤) ومسلم (باب بِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَأَنَّهُمَا أَحَقُّ بِهِ) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وعندهم بلفظ: (**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ**).

(٤) رواه البخارى (٦٩١٩) عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه.

ما تفيده الآية من أحكام:

١ - أن الله أمر ووصى وأوجب عبادته دون من سواه.

٢ - أمره ووصيته بالإحسان إلى الوالدين.

٣ - أن قضاءه بمعنى الأمر والإيجاب، لا بمعنى التقدير الكوني.

الأمر بعبادة الله وحده والإحسان في المعاملة

(م) ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[1].

(ش) المفردات:

الشرك هو: اتخاذ الأنداد، والشركاء لله من أي نوعٍ من أنواع المعبودات سواءً كانوا صالحين، أو طالحين، أو أحجاراً، أو رسلاً، أو شجراً، أو ملائكةٍ، فكل هذه الأشياء إذا صرفت لها أي نوعٍ من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله فقد أشركت.

﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وهم: قرابة الرجل التي تجمعهم رحم واحدة، ولو كان بعيداً.

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ وهو: من لا والد له ولم يبلغ رشده.

﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ وهو: من يجد بعض الكفاية، أو لا يجد شيئاً أصلاً، وإذا أطلق دخل فيه الفقير، والمسكين أحسن حالاً من الفقير.

---

(١) سورة النساء (الآية: ٣٦).

﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ﴾: بدأ بجار القرابة، لأنه أحق بالصلة والعطف من غيره، سيَّما إن كان مسلماً ويليه الجار الجُنب، قيل: إنه المجاور لدارك.

﴿ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ﴾: يدخل فيه رفيقك في السفر والزوجة.

﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: هو المسافر المنقطع، سُمّي ابن السبيل: لملازمته الطريق.

﴿ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ﴾ هم: الإماء والعبيد والبهائم.

المعنى الإجمالي:

أمر ﷻ بعبادته وإخلاص الطاعة وترك الشرك قليله وكثيره وهو أعظم الذنوب عنده تبارك وتعالى، ولا يقبل عمل مع الشرك، وفي هذه الآية أمر من الله بتوحيده، والابتعاد عن الشرك، وهو المقصود من إيراد المصنف للآية، كما أمر بطاعة الوالدين وصلتهما، وقرن حقهما مع حقه ليدلك على عظم ذلك، وأمر عباده بالإحسان إلى الأقرباء، واليتامى والمساكين والمسافر، والمنقطع في طريقه والجيران، مع أنهم على ثلاث درجات، الجار المسلم القريب، والجار المسلم، والجار الكافر، ويأتي بيان حقوقهم كما حثَّت الآية على الإحسان على الرفيق في السفر، وحسن العشرة والتلطف والإعانة، وبذل ما يحتاج إليه من الطعام وغيره، كما أمر سبحانه بأن يحسن الرجل إلى زوجته، ويعاشرها المعاشرة الحسنة، وينفق النفقة اللائقة بها من كسوة وطعامٍ، كما أن الإسلام لم يهمل حق المماليك من الآدميين والبهائم، بل ينبغي الرفق بهم، وعدم تكليفهم ما يشق عليهم من عمل أو حمل، وإطعامهم مما يأكل وإلباسهم مما يلبس، وهذا هو الأفضل، وكذا الإنفاق على البهائم وعدم تضييعها، والواجب على السيد النفقة على مماليكه، على قدر حاجتهم، والأفضل أن يكون من مأكله وملبسه.

ما يستفاد من الآية من أحكام:

١ - الأمر بعبادة الله، وتحريم الشرك به قليلاً كان أو كثيراً.

٢- تعظيم حق الوالدين حيث قرن حقهما مع حقه.

٣- الأمر بصلة الأرحام.

٤- الأمر بالإحسان إلى الأيتام والعطف عليهم.

٥- أمره تعالى بصلة المسكين، وهو من يجد بعض الكفاية، ويكون الفقير داخلاً فيهم دخولاً أولياً، لأنه أشد حاجةً من المسكين، على اصطلاح الفقهاء، وكما ورد في القرآن التفريق بينهما.

٦- أمره تعالى بصلة الجار القريب، لاجتماع ثلاثة حقوقٍ: إذا كان مسلماً وجاراً، وإذا كان مسلماً فله حقان فقط: حق الإسلام، والجوار، وجار له حق واحد، وهو: الجار الكافر، له حق الجوار.

٧- الأمر بالعطف والإحسان والإنفاق على الزوجة، وحسن العشرة والمعاشرة.

٨- أمره تعالى بالإحسان إلى المماليك، وعدم تكليفهم أعمالاً تشق عليهم، أو التقتير عليهم بالنفقة والكُسوة، ويدخل في ذلك البهائم.



الوصايا العشر الواردة في سورة الأنعام

(م) وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾[١].

(ش) قبل أن نتكلم عن مفردات هذه الآية ومعناها، نورد بعض الآثار الواردة في ذلك.

قال الشوكاني في تفسيره: لقد أخرج الترمذي وحسَّنه عن عُبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: (أيكم يبايعني على هؤلاء الثلاث آيات؟ ثم تلا: «قُلْ تَعَالَوْا» إلى ثلاث آيات، ثم قال: فمن وفى بهن فأجره على الله، ومن انتقص منهن شيئاً فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله، إن شاء آخذه، وإن شاء عفا عنه)[٢].

---

(١) سورة الأنعام (الآيات: ١٥١، ١٥٢، ١٥٣).

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني، «سورة الأنعام» عند آية رقم (١٥٣)، وهذا الحديث بنحو هذا اللفظ رواه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، إنما اتفقا جميعاً على حديث الزهري عن أبي إدريس عن عبادة: بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً. قلت: والحديث أصله في الصحيحين! فلو اكتفى بهما لكان أولى وخصوصاً أن اللفظ متقارب. انظر: =

وأخرج ابن أبي شيبة وذكر بسنده إلى كعب الأحبار(١): (أول ما نزل من التوراة عشر آيات، هي العشر التي أنزلت في سورة الأنعام﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾....إلى آخرها)(٢).

وورد أن كعباً أقسم أن هذه الآيات أول ما نزل من التوراة، قال: قلت: «وهي الوصايا العشر التي في التوراة» ثم قال بعد كلام: (ولليهود بهذه الوصايا عناية عظيمة، وقد كتبها أهل الزبور في آخر زبورهم، وأهل الإنجيل في أول إنجيلهم)(٣).

وعلى ما تقدم يدلك دلالة عظيمة، على عِظم هذه الوصايا العشر التي كتبت على كثيرٍ من أهل الملل المختلفة.

معاني المفردات الواردة في آيات الوصايا العشر:

﴿قُلْ﴾: يا محمد.

﴿تَعَالَوْا﴾: تقدموا وهلموا وأقبلوا.

﴿أَتْلُ﴾: أقرأ.

﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾: أي: أقرأ الذي حرَّمه عليكم، والمراد: تلاوةَ

= ما رواه البخاري (١٨)، (٣٨٩٢)، (٤٨٩٤) (٦٧٨٤) ومسلم (باب الْحُدُودُ كَفَّارَاتٌ لأَهْلِهَا).

(١) كعب بن ماتع الحِميّري ويكنى بأبي إسحاق، كان عالماً بالإسرائيليات وتفسير آيات القرآن، كان كاتباً ويسمى بالـ«حبر» وهو أشهر المسلمين من أصول يهودية، ورواياته وتفسيراته لبعض الآيات وقصص الأنبياء والأقدمين هي مصدر روايات كثيرة للصحابة والتابعين، توفي قبل مقتل عثمان بن عفان بسنة، ودفن في حمص وقيل: في دمشق ورأي ثالث في الجيزة بمصر.

(٢) انظر: الدرر المنثور (٣٨١/ ٣)، قال الشوكاني رحمه الله: (هي وصايا العشر التي في التوراة).

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني «سورة الأنعام» عند آية رقم (١٥٣).

الآيات المشتملة على ذلك.

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾: أي: أتل تحريم الإشراك.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: أي: أحسنوا إلى الوالدين إحساناً، وتقدم.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾: الإملاق: الفقر، أي: لا تقتلوا أولادكم لفقركم الحاصل فإن الله متكفل برزقكم ورزقهم، وقد كان من عادة أهل الجاهلية أنهم يئدون بناتهم إما لوجود الفقر، أو خشية وقوعه في المستقبل، كما في قوله تعالى في الآية الثانية: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾[(١)] أي: لا تقتلوا أولادكم خشية أن تفتقروا، أو يفتقروا بعدكم، فإن الله يرزقهم ويرزقكم، لذلك فنهاهم الله تعالى عن قتل الأولاد في الأمرين.

﴿الْفَوَاحِشَ﴾: المعاصي كلها، ومنه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾[(٢)].

﴿مَا ظَهَرَ﴾ المراد بالظاهر: المعلن.

﴿وَمَا بَطَنَ﴾: الباطن: السر.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: اللام في النفس للجنس، والمراد به: النفس المعصومة التى حرمها الله، أي: لا تقتلوا شيئاً من الأنفس التى حَّرم الله إلا بالحقِّ، أي: بما يوجبه الحق، والمراد: لا تقتلوها بحالٍ من الأحوال إلا بالحق.

﴿ذَٰلِكُم﴾: إشارة لما تقدم.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٣١).

(٢) سورة الاسراء: (٣٢).

﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾: أي: أمركم وأوجبه عليكم.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾: أي: لا تتعرضوا له بوجهٍ من الوجوه.

﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، أي: ما فيه صلاحه وحفظه وتنميته، ويشمل جميع وجوه الإصلاح من تجارةٍ وغيرها.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾: أي: إلى غايةٍ هي: أن يبلغ اليتيم أشده، وهو رشده، ورشد الطفل هو بلوغ سن التكليف، مع إيناس الرشد، وهو أن يكون في تصرفاته في ماله سالكاً مسلك العقلاء، لا يسلك مسلك أهل السفه والتبذير، كما في قوله: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾(١).

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾، أي: بالعدل في الأخذ والعطاء عند البيع والشراء، فلا يزيد في الكيل والوزن إذا أخذ ثم ينقص إذا أعطى.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: أي: طاقتها وما تستطيع من التكاليف. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾: أي: مطلوب منكم تحري العدالة مع القريب، وفي أداء الشهادة وتحملها.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾: أي: ولو كان المقول له أو المقول فيه ذا قرابة .

﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾: بكل عَهْدٍ عَهِدَه الله إليكم، ومن جملته ما تلى في هذه الآيات.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾: أي: أمركم به أمراً مؤكداً لعلكم تذكرون فتتعظون بذلك.

---

(١) سورة النساء: (من الآية: ٦).

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ الصراط: الطريق، والمستقيم: الذي لا اعوجاج فيه، وهو: طريق الله، وضَّحها رسول الله ﷺ، وقد أمر الله باتباعه ونهى عن اتباع طريق غيره.

﴿ٱلسُّبُلَ﴾: الطرق المتباينة، وهي طرق الشيطان ودعواته وأهل البدع والأهواء.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾: أي: تميل بكم عن طريق الرشاد.

﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾: وهي طريق دين الإسلام.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الإشارة فيه، كالذي قبله إشارةً إلى ما تقدم.

﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾: أكد الوصية بذلك.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾: ما نهاكم عنه.

المعنى الإجمالي لآيات الوصايا العشر:

هذه الآيات الكريمات مشتملات على وصايا عظيمة منه تعالى لخلقه، ولذلك تُسمى آيات الحقوق العشرة، وهي وصية الله لكثيرٍ من الأمم السالفة، ومن ضمنها أمة محمد ﷺ وقد أنزل الله ذلك قرآناً يتلى في المصحف، فأمر بعبادته - سبحانه - وترك عبادة ما سواه، وأمر بالإحسان إلى الوالدين وصلتهما وبرهما، وأمر بعدم قتل الأولاد خشية فقرٍ أو ضيقٍ من العيش أو الفاقة، وأخبر أنه يرزقهم جميعاً، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾[1] جعل ما تقدَّم من وصاياه التي ينبغي للإنسان أن يعقلها، فإذا عقلها فإنه حريٌّ أن يتذكرها، فإذا

---

(١) سورة هود (الآية: ٦).

تذكرها فإنه حري أن يتقي الله سبحانه، كما نهى سبحانه عن تناول مال اليتيم، وتناوله بأي وجه من الوجوه إلا بالإحسان وتنميته وتزكيته، أما الأكل أو التبذير فهذا محرم، ونَهى ولي اليتيم عن قربانه على هذا الوجه، أما وجه الإصلاح فهذا مطلوب رغب فيه، أما إذا بلغ الطفل الرشد، وأحسن البيع والشراء والتصرف، عند ذلك يدفع إليه ماله، إلا أنه يحسن قبل البلوغ اختباره بإعطائه قليلاً من المال يتصرف فيه، فإن أحسن دفع إليه المال وإلا فلا، ومما اشتملت عليه هذه الوصايا الأمر بالوفاء عند الكيل أو الوزن، ويكون كيله لنفسه إذا قبض أو إذا باع على غيره وافياً لا يبخس فيه، وأن يكون ذا عدالةٍ في المعاملات، وكذا الشهادة تحملاً وأداءً مع القريب والبعيد كأبٍ وولدٍ مع أبعد الناس، كما تناولت الآيات الوفاء بالعهود، وتحريم الغدر كما حرمته السنة، لأن الخيانة محرمة شرعاً وعقلاً فلا يحصل الغدر إلا مع ضعف الوازع الديني، كما هو حاصل ومشاهد، فلا ينبغي للعبد أن يخون، إذا أعطى عهداً أو ميثاقاً، ثم أكد الوصية بذلك: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾، عن الله ما تقدم فتعملون بها، وما يأتي بعدها من الأمر باتباع صراطه البين الواضح، ونهى عن اتباع الطرق المنحرفة عن طريقه، وهي طرق الشرك والظلام والابتداع في الدين الذي لم يأذن الله به، فمن عقل عن الله وصاياه وتذكر أمره وما نهى عنه، فحريٌ أن يتقيه حق تقاته.

الأحكام المذكورة في آيات الوصايا العشر:

١- النهي عن الشرك وعبادة ما سواه، والأمر بعبادته وحده لا شريك له.

٢- أمر الله سبحانه وتعالى ووصيته بطاعة الوالدين وبرهما، وصلتهما والنفقة عليهما والحفظ لحقوقهما، وما يدخل في اسم الطاعة.

٣- النهي عن قتل الأولاد خشية الفقر، وأن الله هو الرزاق للجميع.

٤- النهي عن قُربان الفواحش، ويشمل جميع المعاصي، ما أسر منها وما أعلن.

٥- النهي عن قتل النفس المعصومة الدم، بخلاف ما كان بحقٍ كالقتل بالقصاص أو المحصن الزاني أو المرتد؛ فإن هؤلاء غير معصومين.

٦- النهي عن تناول مال اليتيم أخذاً وإعطاءً والتعدي عليه بأكلٍ أو غيره إلا بطريقة الإصلاح والتنمية لماله.

٧- النهي عن البخس أو التطفيف بالكيل والوزن والأمر بالوفاء.

٨- التخفيف عن الأمة وعدم تكليفهم ما لا يطاق.

٩- الأمر بالعدالة مع القريب والبعيد في كل شيء.

١٠- الأمر بالوفاء بالعهد وعدم نقضه بالخيانة.

١١- الأمر باتباع طريق الإسلام وأوامره.

١٢- النهي عن اتباع طرق البدع والضلال.

١٣- وصيته بالتقوى وهي فعل المأمور وترك المحظور.

١٤- أن الأمم السابقة قد أمروا بطاعة الله وتوحيده، ولهذا ذكرها المصنف هنا.



ما ورد في مكانة آيات الوصايا العشر

(م) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (من أراد أن ينظر إلي وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾)(١).

(ش) ابن مسعود هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهُذلي، من القراء، ومن أهل بدر، ومن أهل بيعة الرضوان، ومن علماء الصحابة، وقد أثنى عليه رسول الله ﷺ وقال: (من أراد أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد)(٢).

المعنى الإجمالي:

قوله: **(من أراد أن ينظر إلى وصية محمد** ﷺ) أي: وأوصى بوصيةٍ مكتوبةٍ فإنه لا يزيد على ما في هذه الآيات(٣).

وتقدم شرح الآيات، ومعلوم أن النبي ﷺ لم يوص بوصيةٍ مكتوبة وقد طلب قلماً وقِرطَاساً ليكتب لأبي بكر رضي الله عنه، ثم لمَّا كثر الناس عنده أمر بأن يخرجوا، وقد دخل النبي ﷺ على عائشة قبل بدء المرض، فقال لها: «ادعي أباكِ وأخاكِ لأكتب لأبي بكر

(١) رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي (٧٩١٨) في شعب الإيمان.

(٢) أخرجه أحمد والنسائي في الكبرى من حديث عمر رضي الله عنه، والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود، أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بشراه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يقرأ القرآن....الحديث» قال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) والمراد أن النبي ﷺ أوصى بكتاب الله والتمسك به، وهذه الآيات من كتاب الله الذي أوصى به ﷺ، وهي آيات محكمات جوامع.

لئلا يختلف عليه الناس، ثم قال: معاذ الله أن يختلف المسلمون على أبي بكر»[١].

فهذا يدل على أن النبي ﷺ لم يوص بوصيةٍ مكتوبةٍ، لكن قول ابن مسعود رضي الله عنه هذا يدلك على مكانة هذه الآيات، وهو أن النبي ﷺ لو أوصى لما زاد على ما فيهن من التي فرضت على الأمم السابقة قبلنا واشتمالها على الأمر بطاعته وعبادته والنهي عن ضد ذلك، وهذه الوصايا العظيمة المشتملة عليها هذه الآيات الكريمة هي موافقة لوصية رسول الله ﷺ لو أوصى.



(١) بنحو هذا اللفظ رواه الطيالسي في مسنده وأبو نعيم في تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة، وابن أبي عاصم في السنة (١١٦٣) عن عائشة رضي الله عنها وصححه الألباني. انظر: السنة ومعه ضلال الجنة في تخريج السنة (١١٦٣)، وهو عند مسلم (باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه) بلفظ: «**ادْعِى لِي أَبَا بَكْرٍ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى. وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلاَّ أَبَا بَكْرٍ**». وبنحوه أيضاً عند أحمد وغيره بلفظ: (**أَبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ أَنْ يُخْتَلَفَ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**) وصححه الألباني (انظر: السلسة الصحيحة) وصحيح الجامع رقم (٢٤).

أسئلة

السؤال الأول:

(أ) اشرح معاني المفردات الآتية: ﴿تَعَالَوْا﴾، ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، ﴿مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

(ب) ما المشار إليه في قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾، وما معنى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾؟

(ج) ما المراد: «بالعدل»، وما معنى: ﴿هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾.

(د) بيِّن معنى التقوى في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)﴾.

السؤال الثاني:

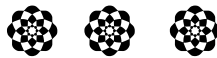
(أ) اشرح الآيات شرحاً مجملاً وبيِّن ما فيها من أحكام.

(ب) هل كتب النبي ﷺ وصية مكتوبة؟

(ج) ما المراد من قول ابن مسعود رضي الله عنه من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ؟

(د) اذكر ما تعرفه عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(هـ) ما الغرض من إيراد المصنِّف لهذه الآيات، والآيات التي قبلها؟



حق الله على العباد، وحق العباد على الله

(م): وعن معاذٍ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمارٍ، فقال لي: (يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله: أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً. قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا). أخرجاه في الصحيحين[1].

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق الجنِّ والإنس[2].

الثانية: أن العبادة هي التوحيد[3]، لأن الخصومة فيه[4].

الثالثة: أن من لم يأت به؛ لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ

---

(١) رواه البخاري (٢٨٥٦) ومسلم (باب مَنْ لَقِيَ اللهَ بِالإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحَرُمَ عَلَى النَّارِ).

(٢) أخذها رحمه الله من قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾(الذاريات: ٥٦)؛ فالحكمة هي عبادة الله لا أن يتمتعوا بالمآكل والمشارب والمناكح.

(٣) أن العبادة هي التوحيد، أي: أن العبادة مبنية على التوحيد؛ فكل عبادة لا توحيد فيها ليست بعبادة، لا سيما أن بعض السلف فسروا قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾: إلا ليوحدون.

(٤) وقوله: (لأن الخصومة فيه)، أي: في التوحيد بين الرسول وقريش؛ فقريش يعبدون الله، يطوفون له ويصلون، ولكن على غير الإخلاص والوجه الشرعي؛ فهي كالعدم لعدم الإتيان بالتوحيد، قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾(التوبة: ٥٤).

﴿٣﴾[(١)].

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمَّت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[(٢)].

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عُبِدَ من دون الله[(٣)].

التاسعة: عِظَم شأن الآيات الثلاث المحكمات[(٤)] في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل[(٥)]، أولها: النهي عن الشرك.

---

(١) سورة الكافرون (الآية: ٣).

(٢) سورة البقرة، (الآية: ٢٥٦).

(٣) فكل ما عبد من دون الله، فهو طاغوت، وقد عرّفه ابن القيم: بأنه كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فالمعبود كالصنم، والمتبوع كالعالم، والمطاع كالأمير.

(٤) قال الشيخ عبد الله الدويش رحمه الله في كتابه: «التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد» أي: لقول عبد الله بن مسعود: (من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ إلى آخر قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

(٥) قال الشيخ عبد الله الدويش رحمه الله في كتابه: «التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد» وقوله: (وفيها عشر مسائل) وهذا بيانها: =

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألةً، بدأها الله بقوله: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾[1] وختمها بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾[2]، ونبهنا الله سبحانه على شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ﴾[3].

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى

=

الأولى: النهي عن الشرك: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾.

الثانية: الوصية بالوالدين: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

الثالثة: النهي عن قتل الأولاد: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾.

الرابعة: النهي عن قربان الفواحش: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾.

الخامسة: النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾.

السادسة: النهي عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾.

السابعة: الوفاء بالكيل والميزان: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

الثامنة: الأمر بالعدل: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾.

التاسعة: الوفاء بالعهد: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾.

العاشرة: الأمر باتباع الصراط المستقيم وترك اتباع ما سواه من السبل، وهذه مسألة واحدة خلافاً لمن جعلها مسألتين واستدرك على الشيخ رحمه الله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

(١) الإسراء، (الآية: ٢٢).

(٢) (الاسراء (من الآية٣٩).

(٣) سورة الإسراء: (من الآية٣٩).

(٤) سورة النساء: (من الآية٣٦).

بقوله: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ ﴾[٤].

الثانية عشرة: التنبيه على وَصيَّة رسول الله ﷺ عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حق الله علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدَّوْا حقه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة رضوان الله عليهم[١].

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة[٢].

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسره.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتِّكالِ على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسؤول عماَّ لا يعلم الله ورسوله أعلم[٣].

---

(١) وذلك أن معاذًا أخبر بها تأثمًا، أي: خروجًا من إثم الكتمان عند موته بعد أن مات كثيرٌ من الصحابة؛ وكأنه رضي الله عنه علم أن النبي ﷺ كان يخشى أن يفتتن الناس بها ويتكلوا، ولم يرد كتمها مطلقًا؛ لأنه لو أراد ذلك لم يخبر بها معاذًا ولا غيره، المصدر: «القول المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عثيمين.

(٢) جواز كتمان العلم للمصلحة: هذه ليست على إطلاقها؛ إذ إن كتمان العلم على سبيل الإطلاق لا يجوز لأنه ليس بمصلحة، ولهذا أخبر النبي معاذًا ولم يكتم ذلك مطلقًا، وأما كتمان العلم في بعض الأحوال، أو عن بعض الأشخاص لا على سبيل الإطلاق؛ فجائزٌ للمصلحة؛ كما كتم النبي ذلك عن بقية الصحابة خشية أن يتّكلوا عليه، وقال لمعاذ: «لا تبشرهم فيتّكلوا».

- المصدر: «القول المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عثيمين.

(٣) قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله في كتابه: «القول المفيد على كتاب التوحيد» معلقاً على قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد: المسألة **التاسعة عشرة**: قول المسؤول عما لا =

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض(١).

الحادية والعشرون: تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدَّابة.

الثالثة والعشرون: فضيلةُ مُعاذٍ بن جبل رضي الله عنه.

الرابعة والعشرون: عِظَمُ شأنِ هذه المسألة.

شرح حديث حق الله على العباد وحق العباد على الله

(ش) تعريف: معاذ: هو معاذ بن جبل بن عمرو الأنصارى الخزرجي شهد بدراً وما بعدها، عالم، وهو أعلم الصحابة في الحلال والحرام، أمَّره الرسول ﷺ على اليمن، صنعاء وما والاها، وهو من جملة الصحابة الذين أُمِّروا هناك، وكان معاذُ معلماً، وقاضياً، وواليًا، وجابياً، وبقي في اليمن إلى أن توفي رسول الله ﷺ.

= يعلم: الله ورسوله أعلم، وذلك لإقرار النبي ﷺ معاذًا رضي الله عنه لما قالها، ولم ينكر النبي ﷺ على معاذٍ رضي الله عنه، حيث عطف رسول الله ﷺ على الله عز وجل بالواو، وأنكر على من قال: (ما شاء الله وشئت)، وقال: «أجعلتني لله ندًّا؟! بل ما شاء الله وحده»؛ فيُقال: إن الرسول ﷺ عنده من العلوم الشرعية ما ليس عند القائل، ولهذا لم ينكر الرسول ﷺ على معاذ رضي الله عنه، بخلاف العلوم الكونية القدرية؛ فالرسول ﷺ ليس عنده علم منها؛ فلو قيل: هل يحرم صوم العيدين؟ جاز أن نقول: الله ورسوله أعلم، ولهذا كان الصحابة إذا أشكلت عليهم المسائل ذهبوا إلى رسول الله ﷺ فيبينها لهم، ولو قيل: هل يتوقع نزول مطر في هذا الشهر؟ لم يجز أن نقول: الله ورسوله أعلم، لأنه من العلوم الكونية.

(١) وذلك لأن النبي ﷺ خص هذا العلم بمعاذ رضي الله عنه، دون أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

المفردات:

(**رديف**) الرديف هو الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة على حمار اسمه: عفير، أهداه له المقوقس ملك مصر.

قوله: (**أتدري ما حق الله على العباد**): قال الشارح: الدراية هي المعرفة، وأخرج السؤال بصيغة الاستفهام، ليكون أوقع في النفس، وأبلغٍ في فهم المتعلم.

(**وحق الله على العباد**): هو ما يستحقه عليهم.

(**وحق العباد على الله**) معناه: أنه متحقق لا محالة، لأنه قد وعدهم ذلك جزاء لهم على توحيده، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل، ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق، فمن الناس من يقول: لا معنى للاستحقاق إلَّا أنه أخبر بذلك ووعده صدق، ولكن أكثر الناس يثبتون استحقاقاً زائداً على هذا، كما دلَّ عليه الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾[2]، ولكن أهل السنة يقولون: هو الذي كتب على نفسه الرحمة، وأوجب هذا الحق على نفسه لم يوجبه عليه مخلوق، والمعتزلة يدعون أنه أوجب عليه بالقياس على الخلق، وأن العباد هم الذين أطاعوه دون أن يجعلهم مطيعين له، وأنهم يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو الموجب، وغلطوا في ذلك). انتهى.

قوله: (**أفلا أبشر الناس**)؟: فيه استحباب بشارة المسلم بما يسره، وفيه: ما كان

---

(١) سورة الروم، (الآية: ٦).

(٢) سورة الروم: (من الآية: ٤٧).

الصحابة من الاستبشار بمثل هذا.

قوله: (**لا تبشرهم فيتكلوا**) أي: يعتمدوا على ذلك فيتركوا التنافس في الأعمال.

وفي رواية: «فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً» أي: تحرجاً من الإثم.

قوله: أخرجاه في الصحيحين، أي: البخاري ومسلم في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة بعد كتاب الله عز وجل.

المعني الإجمالي: للحديث مختصراً:

خصَّ الرسول ﷺ معاذاً بهذا الحديث، وأردفه خلفه، وأمره بكتمه عن الناس لئلا يتكلَ الناسُ، ويتركوا العمل، كما بيَّن في هذا الحديث أن أعظم شيء افترضه عليهم وأمرهم به، هو عبادته، وطاعته، وإخلاص العبادة له دون سواه لا قليلاً ولا كثيراً، فإذا قاموا بواجب العبادة، وأخلصوا له، فإن الله يمن عليهم ويتفضل جوداً منه وكرماً - سبحانه - أن كتب على نفسه هذا الحق، ويكون ثوابهم الجنة، لا بمقابلة أعمالهم ويكون التوحيد سبباً في دخول الجنة، لا كالثمن؛ لأنه لن يدخل أحد الجنة بعمله، حتى ولو كان رسول الله ﷺ كما قال: (**لن يدخل أحد الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**)[1].

وبشارة المؤمن بمثل هذا الفضل مرغَّب فيه، لكن قد يخص بهذه البشارة البعض دون الآخر، كما أمر الرسول ﷺ في كتمان ذلك خوفاً من الاتِّكالِ وترك العمل وخاصةً أهل الجهل والجفا، وأما الأكياس فإنهم يسارعون بالأعمال، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة وعن عائشة رضي الله عنها: (باب لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى).

﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[(١)].

ثم أخبر معاذ رضي الله عنه بهذا الحديث عند موته خوفاً من معرة كتمان العلم والله أعلم.

حكم التوسل بأحد من الخلق في الدعاء:

قال في شرح الطحاوية لَمَّا تكلم عن هذا البحث، قال: فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعده الصادق، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئاً، كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خيرٍ، وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم، وترك تعذيبهم معنى لا يصلح أن يقسم به، ولا أن يسأل بسببه ويتوسل به، لأن السبب هو ما نصبه الله سبباً، وكذلك الحديث الذي في المُسند من حديث أبي سعيدٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الماشي إلى الصلاة: «أسألك بحق ممشاي هذا، وبحق السائلين عليك»[(٢)]، فهذا حق السائلين، هو أوجبه على نفسه، فهو الذي أحق للسائلين أن

---

(١) سورة الانبياء: (من الآية: ٩٠).

(٢) **نص الحديث**: كما في مسند الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قال حين يخرج إلى الصلاة: «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» وكّل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له، وأقبل الله عليه بوجهه حتى يفرغ من صلاته). ورواه أيضاً ابن ماجه في سننه، والطبراني في الكبير، وابن أبي شيبة في مصنفه، وقد حسن الحديث الدمياطي في المتجر الرابح، والحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، والحافظ ابن حجر العسقلاني في أمالي الأذكار، وضعف الحديث آخرون، كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، والهيثمي في مجمع الزوائد، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: قال أبو حاتم: وقفه أشبه.

وأما ما يدل عليه الحديث، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى: فإن كان هذا =

يجيبهم وللعابدين أن يثيبهم.

ولقد أحسن القائل:

ما للعباد عليه حق واجب كلاَّ ولا سعي لديه ضائعُ
إن عُذبوا فبعدله أو نُعموا فبفضله وهو الكريم الواسعُ

فإن قيل: فأي فرق بين قول الداعي: (بحق السائلين عليك) وبين قوله: (وبحق نبيك) أو نحو ذلك؟ فالجواب: إن معنى قوله: «بحق السائلين عليك» أنك وعدت السائلين بالإجابة، وأنا من جملة السائلين، فأجب دعائي، بخلاف قوله: «بحق فلان»- فإن فلاناً وإن كان له حق على الله بوعده الصادق-فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل؛ فكأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي! وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء! وقد قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾[1]، وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، ولم ينقل عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين، ولا عن أحد من الأئمة رضي الله عنهم، وإنما يوجد مثل هذا في الحروز والهياكل التي يكتب بها الجهال والطرقية، والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والاتباع، لا على الهوى والابتداع[2].

= صحيحاً، فحق السائلين عليه أن يجيبهم، وحق العابدين أن يثيبهم، وهو حق أوجبه على نفسه، كما يسأل بالإيمان والعمل الصالح الذي جعله سبباً لإجابة الدعاء. اهـ.

(١) سورة الأعراف: (٥٥).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية للمؤلف علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، باب الشفاعة «حكم الاستشفاع بالرسول وغيره في الدنيا».

فوائد الحديث وما يؤخذ منه :

١ - فضل معاذ بن جبل رضي الله عنه وأنه أعلم[(١)] الأمة بالحلال والحرام، ومن أفاضل الصحابة.

٢ - جواز الإرداف على الدَّابة.

٣ - تواضعه صلى الله عليه وسلم وركوبه الحمار بخلاف ما عليه أهل الأنفة والكبر.

٤ -جواب الإنسان إذا سُئِل عمَّا لا يعلم أن يقول: الله ورسوله أعلم[(٢)].

٥ - معرفة حقَّ الله.

٦ - تفضله وامتنانه على عباده؛ إذا أدوا حقه أنه لا يعذبهم.

٧ - استحباب بشارة المسلم بما يسره.

٨ - جواز كتمان العلم للمصلحة، وبالأخص عمَّن ليس له أهل.

٩ - الاتِّكالِ بدون عملٍ منافٍ للتوحيد، فلا بدَّ من فعل الأسباب مع التوكل على الله.

١٠ - إلقاء المسائل العلمية بصيغة أسئلةٍ ليتنبه المتعلم.

---

(١) تنبيه: وكونه رضي الله عنه أعلم الأمة بالحلال والحرام لا يلزم من أنه أفضل الأمة، بل أفضلها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم الخلفاء الثلاثة بعده «عمر، وعثمان، وعلي» رضي الله عنهم جميعاً، فأعلميته بالحلال والحرام لا تقتضي أنه أعلم الأمة مطلقاً بل في هذا الباب، وهو باب الحلال والحرام.

(٢) سبق الإشارة إلى قول المسؤول عما لا يعلم «الله ورسوله أعلم» في المسألة التاسعة عشرة، وقد ذكرت رأي الشيخ محمد ابن عثيمين رحمه الله.

أسئلة

١- بيّن معاني المفردات الآتية: ما المقصود بالرديف؟ وما هي الدراية؟

٢- لماذا أورد السؤال في صيغة الاستفهام في قوله: «ما حقُّ الله»؟

٣- بيَّن معنى حق الله على العباد، وحق العباد على الله؟

٤- وضح الفرق بين: «قولك بحق ممشاي»، وبين: قولك بحق نبيك أو فلان.

٥- اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبين ما يدل عليه من أحكام.



باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

(م): باب فضل التوحيد وما يكفِّر من الذنوب:

وقـــول الله تعـــالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾(1).

(ش) الباب لغـةً: المدخل إلى الـشيء، وهـو مـا يتوصـل بـه مـن الـداخل إلى الخـارج وبالعكس، وأصله: «بَوَبَ» جملتها أبواباً متميزة، والتبويب استعمل لتنشيط القـارىء، ألا ترى أنه إذا قرأ الباب نشط لقراءة ما بعده. قولـه: «فـضل التوحيـد» والتقـدير: هـذا باب بيان فضل التوحيد، وما يكفـره مـن الـذنوب، ويجـوز في «مـا» أن تكـون مـصدريةً، أي: وبيان تكفيره الذنوب. وأما المناسبة: فإنـه لـمَّا ذكـر التوحيـد ناسـب أن يـذكر بعـده، فضله، وسببه وتكفيره للذنوب ترغيباً.

شرح قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾

تعريف الإيمان:

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: الإيمان(2): لغةً: التصديق.

---

(١) سورة الأنعام: (٨٢).

(٢) **الإيمان لغة**: هو التصديق والاطمئنان، أما في الاصطلاح الشرعي: فهـو الإيـمان بـالله، والإيـمان بملائكتـه، والإيـمان بكتبـه، والإيـمان بـاليوم الآخـر، والإيـمان بالقـدر خـيره وشـره.- المـصدر: الرئاسـة العامـة للبحـوث العلميـة والإفتـاء- مجلـة البحـوث الإسـلامية العـدد الـسابع عـشر - الإصدار مـن ذو القعـدة إلى صـفر لـسنة ١٤٠٦هــ-١٤٠٧هــ، البحـوث، أثـر الإيـمان في إشـاعة الاطمئنان، الإيمان لغة وشـرعاً.

• **تعريف ثاني: الإيمان لغة**: قيل: هو التصديق، وقيل: هو الثقة، وقيل: هو الطمأنينـة، وقيـل: هـو =

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾(١)، أي: مُصدقٍ.

وشرعاً: قول وعمل ونية، يزيد وينقص زيادته بالطاعة ونقصه بالمعصية.

معاني المفردات الواردة في الآية:

﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ ﴾: لم يخلطوا توحيدهم.

﴿بِظُلۡمٍ ﴾: أي: بشركٍ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى اسم الموصول لهم.

﴿ٱلۡأَمۡنُ﴾: التام يوم القيامة، فيأمنوا من الأهوال والمحن.

﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾: على الحق، ثابتون عليه، وضد الحق: الباطل والضلال، فهم على حقٍ وغيرهم على ضلال.

= الإقرار. (المصدر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه لعبد الرزاق البدر - ص: ١٧).

• **تعريف ثالث: الإيمان لغة:** هو التصديق الجازم، والإقرار الكامل، والاعتراف التام؛ بوجود الله تعالى وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، واستحقاقه وحده العبادة، واطمئنان القلب بذلك اطمئناناً تُرى آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه. وشرعاً: مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام.

- المصدر: «الموسوعة العقدية» الكتاب الثامن: حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة، الباب الأول: «حقيقة الإيمان وبيان الخلاف في مسماه» الفصل الأول: تعريف الإيمان لغة وشرعا والعلاقة بينهما.

(١) سورة يوسف: (من الآية: ١٧).

المعنى الإجمالي للآية:

معنى الآية: أن من آمن بالله ووحَّده وأطاعه، وعمل بأوامره واجتنب نواهيه، فهو المؤمن الذي يستحق الثواب، وغيره في ظلمات الضلال ضال عن الحق معرض عنه، فلذا استحق العذاب والنكال، وأما المؤمنون إذا خافت الأمم واضطربت، وبلغت القلوب مبلغها من القلق والشدة، أمنهم ربهم من الفزع، وأعطاهم ما تشتهيه أنفسهم، وتلذ أعينهم لقيامهم بطاعته، وكونهم على بصيرةٍ من أمرهم مهتدين، غير ضالِّين ولا مبتدعين، فجزاؤهم الأمن والاهتداء، وقد ورد في حديثٍ عندما نزلت هذه الآية، أن الأمر اشتد على الصحابة فقالوا: يا رسول الله! وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم»[1]؛ فاتضح أن المراد هنا بالظلم: أنه الشرك، لا مجرد الذنوب والمعاصي، وأن فضيلة التوحيد تكفيره لصغائر الذنوب، وأما الكبائر فلا بدَّ من التوبة منها.

الفوائد التي دلت عليها الآية:

١- تفسير الظلم بأنه الشرك.

٢- أن من أخلص توحيده وعبادته لله، أمن من الفزع الأكبر يوم القيامة.

٣- أن من استقام على الإيمان مهتدٍ وهو على نورٍ من ربه.

٤- أنه لا يكفي مجرد النطق بكلمة الإخلاص بل لا بدَّ من العمل بمدلولها.

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٦٧) عنْ عَبْدِ الله قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله! وَأَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ. قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه الألباني.

شرح حديثي عبادة بن الصامت وعتبان بن مالك في فضل التوحيد

(م) قال: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)** أخرجاه[١].

ولهما من حديث عُتبان: «فإن الله حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[٢].

(ش) : تعريف الصحابيّيْن:

أولاً: عُبادة بن الصامت بن أنيس الأنصاري الخزرجي، بدري من النقباء، ومن أفاضل الصحابة، ومن سابق الأنصار بالإسلام.

ثانياً: عُتبان بن مالك[٣]: من الأنصار أيضاً، أورد المصنف قطعةً من حديث عُتبان،

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٥) واللفظ له، ومسلم (باب: مَنْ لَقِيَ اللهَ بِالإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحَرُمَ عَلَى النَّارِ).

(٢) رواه البخاري (٥٤٠١) ومسلم (باب الرُّخْصَةِ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجَمَاعَةِ بِعُذْرٍ).

(٣) **عتبان بن مالك** صحابي اسمه عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف، اخى النبي بينه وبين عمر بن الخطاب، حدث محمد بن عمر قال حدثني عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عون قال آخى رسول الله بين عتبان بن مالك وعمر بن الخطاب، شهد عتبان بن مالك غزوة بدر وأحد والخندق، وذهب بصره على عهد النبي، فسأل النبي أن يأتيه فيصلي في مكان من بيته فيتخذه مصلى ففعل ذلك رسول الله: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا معمر ومالك عن الزهري عن محمود بن الربيع عن عتبان بن مالك قال: قلت: يا رسول الله! إنها تكون الليلة المظلمة والمطر والريح فلو أتيت منزلي فصليت فيه. قال: فجاءني رسول الله، فقال: أين تحب أن أصلي، فأشرت له إلى ناحية من البيت فصلى وصلينا خلفه ركعتين «توفي =

وهو الشاهد للباب.

المفردات:

قوله: (**من شهد**) أي: نطق بها عاملاً بها ظاهراً وباطناً.

(**أن لا إله إلا الله**): نافياً جميع ما يعبد من دون الله مثبتاً العبادة.

(**لله وحده**): أي: لا شريك له في عبادته، فالله واحد في ملكه وعبادته، لا يشركه في ذلك أحد.

قوله: (**أن محمداً عبده ورسوله**): أي: وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، لأنها قرينة لشهادة أن لا إله إلا الله، فلقد رفع الله له ذكره، فلا يذكر الله تبارك وتعالى إلا وهو معه في الأذان، وفي شهادة الإسلام، والصلاة، وأما «محمدُ ﷺ» سمي بذلك: لكثرة خصاله الحميدة، وقيل: لأنه يقوم المقام المحمود، الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، وهي الشفاعة العظمى، قوله: «عبده»: أخص أسمائه ﷺ العبودية الخاصة، كما في قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[(١)]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾[(٢)]، وهي العبودية الخاصة لأولياء الله وأشرفهم وأفضلهم محمد ﷺ، وأما العبودية العامة فكل من في السموات والأرض عبيد الله، كما في قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾[(٣)].

= عتبان بن مالك في وسط خلافة معاوية بن أبي سفيان.

(١) سورة الاسراء، (الآية: ١).

(٢) سورة الفرقان، (الآية: ١).

(٣) سورة مريم: (٩٣).

وأما «**الرسول**»: فتقدم، وقد قال الشارح: وقد قدَّم العبد على الرسول ترقياً من الأدنى إلى الأعلى.

وقوله: (**وأن عيسى عبد الله ورسوله**): أي: وأشهد أن عيسى عبد الله ورسوله، وهو ابن مريم الذي خلقه الله من أمٍ بلا أبٍ.

وقوله: (**وكلمته**): إنما سمى عيسى عليه السلام كلمة؛ لوجوده بقوله تعالى: (كن) كما قاله السلف من المفسرين، قال الإمام أحمد في الرد على الجهمية: «بالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: (كن) فكان عيسى بــ (كن) وليس عيسى هو (كن)، ولكن (بكن) كان، فكن من الله تعالى قول، وليس (كن) مخلوقاً، وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى عليه السلام». انتهى.

وقوله: (**روح منه**): أي: أنه من جملة الأرواح التي خلقها الله واستنطقها.

وذكر شيخ الإسلام: المضاف إلى الله تعالى، إذا كان معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات، وجب أن يكون صفة لله تعالى به، وامتنع أن تكون إضافته مخلوق مربوب، وإذا كان المضاف عيناً قائمة بنفسها كعيسى وجبريل عليهما السلام وأرواح بني آدم امتنع أن تكون صفة لله تعالى، لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره. أ هـ ملخصاً.

قوله: (**والجنة حق**): الجنة: اسم لما يجن، أي: يستر، وسميت: الحديقة والبستان جنان؛ لأنه تستر ما تحتها، وهي: اسم لما أعدَّه الله لعباده المتقين، وهي جنان متعددة، فمن شهد بذلك صادقاً مصدقاً، مع ما تقدم وما يأتي فهو موحد.

وقوله: (**والنار**): سميت: ناراً لتأججها واشتعالها، وقد أعدها الله لمن عصاه وخالف أمره، وكفر به، وهي أطباق سبع.

قوله: (**أدخله الله**): الجنة على ما كان من العمل، أي: من شهد بها تقدَّم بصدقٍ ويقينٍ وعمل، فإن مآله إلى الجنة، ولو كان له ذنوب فإن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه.

وفي حديث عتبان فائدة: أنه يحرم على الموحد المخلص، وإن كان له ذنوب أن يدخل النار.

الدلائل التي يدل عليها الحديثان:

في هذين الحديثين: دليل على فضائل التوحيد، الخالص من شوائب الشرك برب العالمين، وأن ثوابه الجنة، وقد أخذت بظواهر هذه الأحاديث المرجئة ومن وافقها، بأن التلفظ بالشهادتين كافٍ لإسلام العبد، ولو لم يؤدِ شعائر الإسلام وأركانه، لأن ظاهر هذه الأحاديث أن الله حرَّم على النار من قال: «لا إله إلا الله» يبتغي بذلك وجه الله، لكن عند أهل السنة والجماعة أن هذه الآثار مقيَّدةٍ بالأحاديث التي تدل على كفر تارك الصلاة جاحداً لوجوبها أو متهاوناً أو كسلان، وخرج وقت الحاضرة ولم يصلّ، كما في قوله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»[1]. وغيره من الأحاديث المقيِّدة لما تقدم.

وقد قيل للفضيل بن عياض: «أليس مِفتاح الجنة لا إله إلا الله، قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك»[2].

---

(١) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني، انظر حديث رقم: ٤١٤٣ في صحيح الجامع.

(٢) لم أره للفضيل وإنما ورد من قول وهب بن منبه، رواه البخاري معلقاً (كتاب الجنائز) بَاب مَا جَاءَ فِي الْجَنَائِزِ وَمَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ورواه البخاري في التاريخ الكبير موصولاً، وأبو نعيم في الحلية، قال ابن حجر في فتح الباري عن هذا الأثر: (وَأَمَّا أَثَر وَهْب فَوَصَلَهُ الْمُصَنِّف فِي =

يشير بهذا إلى أن الشهادة لا تكفي وحدها، بل لا بدَّ من أركان الإسلام الخمسة.

حكم من أتى بالشهادتين دون الصلاة وغيرها من أركان الإسلام:

وقد قال العلماء: هل يكفي مجرد النطق بالشهادتين؟ ويكون بذلك مسلماً؟

قالوا: إذا نطق بهما فهو مسلم ويطالب بالأخرى، فإن صلى فذاك وإن أبى قتل، وهذا قول الشافعية، فعلى هذا تكون الشهادتان كالمقدمة للإسلام، وقد نقل في فتح المجيد عن النووى أنه قال: «باب لا يكفي مجرد التلفظ بل لا بدَّ من استيقان القلب»، هذه الترجمة تنبه على فساد قول غلاة المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كافٍ بالإيمان، وأحاديث هذا الباب تدل على فساده، بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليه، ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح، وهو باطل، فإذاً لا بدَّ من القول والاعتقاد والعمل، ثم يعلم أن التوحيد الذي يكفّر هذه الذنوب هو: التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شائبة، ثم إن الموحِّد المخلص يمنعه توحيده من ارتكاب الذنوب، فعندئذٍ يدخل الجنة من أول وهلةٍ، أو يكون له ذنوب قد تاب منها، فإن كان له ذنوب عذب عليها، أو غفر الله له، والله أعلم.

الفوائد والأحكام الواردة في الحديثين:

١- عِظَم ثواب شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

٢- أنه لا يكفي مجرد النطق بالشهادتين، ففيه الردُّ على المرجئة القائلين بذلك ومن وافقهم.

= التَّارِيخ وَأَبُو نُعَيْم فِي الْحِلْيَة).

وقال الدكتور ماهر الفحل: رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٩٨) (٢٦١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٦٦). (انظر: جامع العلوم والحكم، تحقيق الدكتور: ماهر الفحل).

٣- أن النطق بهما وحده لا يكفي، بل لا بد من العمل بمقتضاهما ظاهراً وباطناً نفياً وإثباتاً.

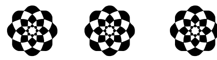
٤- من قال: لا إله إلا الله دخل بالإسلام بشرط الإتيان بالأركان الخمسة.

٥- الردُّ على الجهمية والنصارى القائلين بأن الله خلق عيسى بقول: كُنْ، وأنه هو كن؛ لأن عيسى من ذات الله، أو أنه ثالث ثلاثةٍ بل أنه عبد الله ورسوله(١).

٦- اعتقاد أن عيسى من جملة الأرواح التي خلقها الله واستنطقها.

٧- معرفة أن المضاف إلى الله إذا كان معنىً لا يقوم بنفسه ولا بغيره فإنه من صفاته، وإذا كان المضاف عيناً قائماً بنفسه كجبريل وعيسى وأرواح بني آدم، لا يكون صفةً لله، فإضافته إضافة تشريف كبيت الله وعبد الله.

٨- وجوب الإيمان بالجنة والنار وأنهما مخلوقتان موجودتان الآن خلافاً لمن أنكر ذلك، وأنهما لا يفنيان بل يبقيان ما دامت السموات والأرض.



(١) لعل الصواب: الرد على الجهمية الحلولية والنصارى القائلين بأن الله لم يخلق عيسى بقول: كن، وأن عيسى هو كن؛ لأن عيسى في زعمهم الباطل من ذات الله، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وسبحان الله عما يشركون.

فضل كلمة التوحيد لا إله إلا الله

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (**قال موسى: يا رب! علّمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به. قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله، قال: يا رب! كلُّ عبادِكِ يقولون هذا، قال: يا موسى! لو أن السموات السَّبْعَ وعامِرَهنَّ غيري، والأَرْضِينَ السَّبْعَ في كِفه، ولا إله إلا الله في كفَّةٍ، مالت بهنَّ لا إله إلا الله**)[1].رواه ابن حِبَّان والحاكم وصححه وللترمذي، وحسنه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: (يا ابن آدم، لو أتيتَني بقُرَاب الأَرْضِ خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرةً... الحديث)[2].

مسائل الباب:

الأولى: سِعة فضل الله.

---

(١) رواه ابن حبان والحاكم وصححه وللترمذي وحسنه، ورواه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأبو نعيم في الحلية، وقال: غريب من حديث عمرو، لم يروه عنه إلا ابن وهب، والنسائي في الكبرى، وابن حبان في صحيحه، وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده ضعيف»، والطبراني في الدعاء وقال مخرجو «جامع الأحاديث»: أخرجه أبو يعلى (٢/ ٥٢٨) رقم (١٣٩٣)، والحكيم (٣/ ٢٦٤)، وابن حبان (١٤/ ١٠٢، رقم ٦٢١٨)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٢٨).وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا وفيهم ضعف. وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب.

(٢) رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: ٤٣٣٨ في صحيح الجامع. وقد ورد عند مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه بلفظ: (**وَمَنْ لَقِيَنِى بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لاَ يُشركُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**) باب فضل الذكر.

الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله.

الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب.

الرابعة: تفسير الآية (٨٢) التي في سورة الأنعام.

الخامسة: تأمل الخمس اللواتي في حديث عُبادة.

السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عُتبان وما بعده، تبين لك معنى: «لا إله إلا الله»، وتبين لك خطأ المغررين.

السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عُتبان.

الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل «لا إله إلا الله».

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه.

العاشرة: النص على أن الأرضين سبع، كالسموات.

الحادية عشرة: أن لهنَّ عُماراً.

الثانية عشرة: إثبات الصفات خلافاً للمُعطلة.

الثالثة عشرة: إنك إذا عرفت حديث أنس رضي الله عنه، عرفت أن قوله في حديث عُتبان: «فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله». أن ترك الشرك، وليس قولها باللسان[1].

---

(١) التوضيح: أنك إذا عرفت حديث أنس؛ عرفت أن قوله في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» أن ترك الشرك. وفي بعض النسخ: إذا ترك الشرك. أي: أن قوله: «حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك (يعني: ترك الشرك)، وليس مجرد قولها باللسان؛ لأن من ابتغى وجه الله في هذا القول لا يمكن أن يشرك أبدًا. - =

الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون كل من عيسى ومحمد عَبْدَيْ الله ورسوليه.

الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله.

السادسة عشرة: معرفة كونه روحاً منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة قوله: «على ما كان من العمل».

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كِفتان.

العشرون: معرفة ذكر الوجه(١).

شرح حديثي أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك الواردين في فضل التوحيد وأحكامهما

(ش) أبو سعيد(٢) هو: سعد بن مالك بن سنان، أنصارى خزرجي من أجلاَّء

=

المصدر: «القول المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله.

(١) أي: وجه الله تبارك وتعالى، أي: فيه إثبات صفة الوجه لله سبحانه وتعالى حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، كما دلت على ذلك النصوص المتكاثرة من الكتاب وصحيح السنة المطهرة وأجمع عليه أهل السنة.

(٢) هو الصحابي الجليل: **أبو سعيد الخدري**: سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج من الصحابة وهو من ذرية الخزرج الأكبر، فقيل له: الخزرجي، وهو من الأنصار، اعتنق أبو سعيد الإسلام باكراً، فكان من الذين أسلموا قبل سن البلوغ، لم يسمح له النبي بالقتال في غزوة أحد لصغر سنه، وشارك في معركة الخندق، وبيعة الرضوان، واستشهد أبوه مالك بن سنان في معركة أحد، يعتبر من رواة الحديث، فقد روى أبو سعيد ١١٧٠ حديثًا، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة وأربعين، وانفرد البخاري بستة عشر حديثًا، ومسلم باثنين وخمسين. كان يعظ الخلفاء ويخلص لهم في النصيحة، توفي سنة ٧٤ هـ.

الصحابة، أما ابن حبَّان(١) فاسمه محمد بن أحمد بن حبَّان، والحاكم(٢) اسمه محمد بن عبد الله بن محمد الضبيَّ صاحب المستدرك، والترمذي(٣) أبو عيسى محمد بن عيسى

---

(١) هو **محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعيد بن سهيد بن معبد** بن هدية بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناه بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ولد سنه ٢٧٠ للهجرة على أشهر الأقوال، لقب بالإمام الفاضل والمتقن المحقق والحافظ والعلامة والمجود وشيخ خراسان وأبو حاتم التميمي البستي، كان أحد الأئمة الرحالين والمصنفين ذكره الحاكم أبو عبد الله، فقال: كان من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ من عقلاء الرجال، وكان قدم إلى نيسابور فسمع بها من عبد الله بن شيرويه. ثم أنه دخل العراق فأكثر عن أبي خليفة القاضي وأقرانه وبالأهواز وبالموصل وبالجزيرة بالشام وبمصر وبالحجاز وكتب بهراة ومرو وبخارى ورحل إلى عمر بن محمد بن بجير وأكثر عنه، كان من فقهاء الناس وحفاظ الآثار المشهورين في الأمصار والأقطار عالما بالطب والنجوم وفنون العلوم وكان من الحفاظ الأثبات، مؤلفاته: المسند، الصحيح، التاريخ الثقات لابن حبان، الضعفاء، الكتب المشهورة في كل فن، فقه الناس، كتاب المجروحين من المحدثين، توفي بسجستان ليلة الجمعة لثمان ليال بقين من شوال سنة ٣٥٤ هـ.

(٢) **أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري.** من كبار المحدّثين ومن أصحاب الصحاح اشتهر بكتابه المستدرك على الصحيحين ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة من الهجرة في نيسابور. رحل إلى العراق سنة ٣٤١ هـ وحج، وجال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وفي سنة ٣٥٩ هـ ولي قضاء نيسابور، ولُقّبَ بالحاكم لتوليه القضاء مرة بعد مرة، ثم اعتزل منصبه ليتفرغ للعلم والتصنيف، تولى السفارة بين ملوك بني بويه وبين السامانيين فأحسن السفارة، توفي في نيسابور في ٣ صفر ٤٠٥ هـ الموافق ٢ أغسطس ١٠١٤م، عن أربعة وثمانين سنة.

(٣) **التّرْمذِي**، أبوعيسى (٢٠٩هـ - ٢٧٩ هـ) - (٨٢٤م - ٨٩٢م) هو محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، السلمي الترمذي، أبو عيسى، مصنّف كتاب الجامع، حافظ، علم، إمام، =

الترمذي، روى عن البخاري وغيره، وله كتاب الجامع.

والحسن هو: ما اتصل سنده واشتهر رجاله، لا كشهرة الصحيح بل أقل منه.

المفردات:

(**عَلِّمني**): العلم: ضد الجهل، ورجل عالم أي: تعلم العلم فعلمه.

قوله: (**شيئاً أذكرك**) أي: أُمجِّدك وأثني عليك وأدعوك به، أي: أخصك بالدعاء دون سائر الأدعية.

قوله: (**قل: لا إله إلا الله**): لا بد من الإتيان بها، فلا يكفي النطق ببعضها دون البعض، ومعناها تقدم.

قوله: (**كل عبادك يقولون هذا**): أي: هذه الكلمة، وإنما أريد شيئاً تخصني به من بين سائر عبادك.

قوله: (**لو أن السموات السبع**) أي: سكان السموات.

(**وعامرهن**): أي: مع ما فيهن من عمار، والسكان غير الله سبحانه، «والأرضون السبع»: أي: سكان الأرض وما فيها من العمار.

= بارع، ولد في ترمذ وهي مدينة جنوب أوزبكستان وكانت سابقاً موصولة مع مدينة هرات الأفغانية واختُلف فيه، فقيل: ولد أعمى، والصحيح أنه أضر في كِبره بعد رحلته وكتابته العلم، طاف البلاد وسمع خلقاً كثيراً من الخراسانيين، والعراقيين، والحجازيين، وغيرهم، كان يُضرب به المثل في الحفظ، هذا مع ورعه وزهده، صنّف الكثير، تصنيف رجل عالم متقن، ومن تصانيفه: كتابه الشهير الجامع المعروف بسنن الترمذي؛ العلل؛ الشمائل المحمدية وغيرها، توفي الإمام الترمذي في بلدته بوغ في رجب سنة ٢٧٩هـ وقد أصبح الترمذي أعمى في آخر عمره.

(**في كفة**) أي: أحد كفات الميزان.

(**ولا إله إلا الله في كفة أخرى**): لعظمة شأنها.

(**مالت بهن**): هذه الكلمة العظيمة، ورجحت وثقلت بها سواها.

قوله: (**بقراب الأرض**): أي: ملء الأرض أو ما يقارب ملأها.

(**ثم لقيا الله**): واقعة لا محال[1].

(**يوم القيامة لا تشرك بي شيئاً**): أي: لا قليلاً ولا كثيراً.

(**لأتيتك بقرابها مغفرة**) أي: من لقي الله خالصاً من الشرك لقيه بقرابها مغفرة.

المعنى الإجمالي للحديثين:

الله سبحانه وتعالي يمنُّ ويتفضل على عباده، حيث امتن عليهم بهذه الكلمة ويسرها ويسر النطق بها، على العالم والجاهل والصغير والكبير وجعل لها ثواباً وفضلاً، فمن حققها دخل الجنة، وقد يقال له: ادخل من أي أبواب الجنة الثمانية، وموسى عليه السلام مع فضله، وهو من أولي العزم من الرسل احتاج إلى أن يعلِّمه ربه أفضليتها، وأنها من أفضل الذكر والعمل، مع خفتها على اللسان كانت أعظم في كفة الميزان من السموات السبع، والأرضين السبع غير الله سبحانه وتعالى، ولو كن حلقة حديد لفصمتهن «لا إله إلا الله»، وتثقل بالسموات والأرض وعَّمارهن ما خلا الرب سبحانه وتعالى، وإذا كان يوم القيامة تكون في كفة الرجل، فتثقل بتسعة وتسعين سجلاً، كل سجلٍ مدى البصر مملوء ذنوباً وخطايا، ويؤتى بها في بطاقة لكنه لما حققها وخلص توحيده من الشوائب التي تشوبه، غفر الله له ذلك، وثقلت البطاقة وطاشت السجلات، كما أن

---

(١) معنى قوله: لقيا الله واقعة لا محال: أي لا بد من ذلك ولا مناص منه ولا شك فيه.

الله تكفل لمن لقيه لا يشرك به شيئاً، ولو كان أتى بذنوب تقارب ملء الأرض فإنه يغفرها جميعاً إذا شاء، فالمعول على الإخلاص وما في القلب ويظهر ذلك على الجوارح، كما جاء في الأثر عن الحسن البصري رحمه الله: (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال)(١)، لكن لا بدَّ أن يكون مؤدياً لأركان الإسلام المتقدم بيانها.

ما يؤخذ من ذلك من أحكام:

١- عِظم شأن «لا إله إلا الله»، وأنها تعدل السموات والأرض وعمارهن إلا الله عز وجل إذا خرجت من قلبٍ مخلصٍ.

٢- كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل: «لا إله إلا الله».

٣- وجوب الإيمان بالميزان، وأن له كفتين توزن بهما الأعمال يوم القيامة.

٤- فضل التوحيد، وأن من حقق توحيده ولقي الله بذلك لقيه الله بالمغفرة، ولو كانت له ذنوب كثيرة.

٥- إثبات صفة الوجه لله خلافاً لمنكري ذلك.



---

(١) رواه ابن أبي شيبة في الإيمان رقم ٩٣، وابن بطة في الإبانة ٢/ ٨٠٥ ت رضا نعسان، من طريق أبي مبشر الحلبي، عن الحسن، ومن طريق أبي عبيدة الناجي، عن الحسن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا مشهور عن الحسن، يروى عنه من غير وجه الفتاوى ٧/ ٢٩٣، ٢٩٤.

أسئلة

١- بيّن مناسبة فضل التوحيد لما قبله؟

٢- ما معنى الباب لغةً واصطلاحاً؟ ولماذا بوّب العلماء؟ثم بيَّن فضل التوحيد.

٣- بيَّن معاني المفردات الآتية:

(الذين آمنوا)، «عرِّف»، «ولم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ»، عرِّف الإيمان؟ وما الإشارة إليه في قوله: (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)، ثم اشرح الآية شرحاً مجملاً، وبين ما تدل عليه من أحكام؟

بيّن معاني المفردات في حديث عُبادة؟

٤- اذكر شيئاً من ترجمة عبادة وعتبان؟

٥- ما معنى: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»؟ ولماذا قَدَّم العبودية على الرسالة؟ وما معنى: «أن عيسى عبد الله ورسوله»؟ واذكر كلام العلماء في معنى: «كن»، وما رأي الجهمية والنصارى في ذلك؟ واذكر الرد عليهم من كلام علماء المسلمين؟ ثم اذكر كلام شيخ الإسلام في معنى: «وروح منه»، ثم اشرح الحديثين شرحاً مجملاً وبيّن ما فيهما من أحكام؟

٦- اذكر شيئاً من ترجمة أبي سعيد؟ وابن حبان؟ والترمذي؟ وما هو الحسن من الحديث؟

٧- بين المفردات الآتية: أذكرك وأدعوك به؟ لو أن السموات السبع وعامرهن غيري؟ وكذا الأرضين السبع إلى آخره؟ مالت بهن؟ ثم اذكر قراب الأرض خطايا؟

٨- اشرح الحديثين شرحاً مجملاً، وبيَّن ما يدلان عليه من الأحكام؟



باب من حقَّق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

(م) قوله: باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[١].

شرح قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ وفوائد الآية

(ش): معنى تحقيق التوحيد هو: تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، قليله وكثيره، فإذا صفا إيمانه وتوحيده وأدى ما عليه، غُفر له بسبب ذلك ودخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

المناسبة:

لما ذكر فضل التوحيد، ناسب أن يذكر بعده أن من حقَّق توحيده دخل الجنة بغير حساب، وذلك بكمال الإخلاص لله، في الأقوال والأفعال والإرادات.

المفردات:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾...الآية.

﴿أُمَّةً﴾: أي: إمامًا، والإمام هو الذي يقتدى به في الخير، فإبراهيم أمة[٢] في الدعوة وفي أعمال الخير.

﴿قَانِتًا﴾: وأما القانت فهو: الخاشع المطيع.

---

(١) سورة النحل: (١٢٠).

(٢) معنى كلمة أمة: أي: قدوة يقتدى به، ويتأسى به، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

﴿حَنِيفًا﴾: والحنيف: قال العلامة ابن القيم: المقبل على الله، المعرِض عن كل ما سواه. ا.هـ.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٢٠﴾: أن إبراهيم بتوحيده وإخلاصه لعبادة الله وحده دون من سواه بريء من الشرك وأهله منزه عن ذلك(١).

المعنى الإجمالي للآية:

وصف الربُّ ﷻ خليله بأنه أمة في الخير، لدعوته وتعليمه وعمله والاقتداء به، وأنه كثير الصلاة والتقرب إلى الله بأنواع القُرَب، مطيعاً لربه ﷻ مبتعداً عن الشرك وأهله، قاصداً للتوحيد ملازماً له، فلهذا استحق أن يوصف بهذا الوصف، وينعت بهذا النعت، ولقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سُئل عن الأمة، فقال: (الذي يُعلّم الناس، والقانت المطيع لله ورسوله)(٢)، وقد تنوعت تعبيرات السلف عن التفسير لهذه الآية، وأوردها بألفاظ مختلفةٍ لا يخرج معناها عن ما ذكرناه.

---

(١) قوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٢٠﴾: تأكيد، أي: لم يكن مشركًا طول حياته؛ فقد كان عليه الصلاة والسلام معصومًا عن الشرك، مع أن قومه كانوا مشركين، فوصفه الله بامتناعه عن الشرك استمرارًا في قوله: ﴿حَنِيفًا﴾، وابتداءً في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٢٠﴾، والدليل على ذلك: أن الله جعله إمامًا، ولا يجعل الله للناس إمامًا من لم يحقق التوحيد أبدًا. المصدر: «القول المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله.

(٢) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» بسنده إلى مسروق قال: «قرأت عند ابن مسعود ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾[النحل:١٢٠] فقال: إن معاذاً كان أمة قانتاً لله، قال: فأعادوا عليه، قال: فأعاد عليهم، ثم قال: أتدرون ما الأمة؟ الذي يعلم الناس الخير، والقانت الذي يطيع الله ورسوله». أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٩٠)، وصححه وأقره الذهبي.

ما يؤخذ من الآية الكريمة:

١ – أن إبراهيم إمام يقتدى به في الخير.

٢ – كثرة عبادته عليه السلام، وطاعته لربه وخشوعه.

٣– ابتعاده عن الشرك قليله وكثيره، وبعده عن المشركين بكونه حنيفاً.

٤ – أنه طالب لأنواع الخير، سخيٌّ جواد في أنواع القُرَب، التي تقربه إلى طاعة ربه، يقوم الليل ويطعم الطعام ويدعو الناس إلى ربهم.



شرح حديث: السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير ولا عذاب

(م) عن حصين بن عبد الرحمن رحمه الله قال: (كنتُ عند سَعيد بن جُبير، فقال: أيُّكُم رأى الكوكبَ الذي انقضَّ البارحة؟ فقلتُ: أنا، ثم قلت: أمَا إني لم أكُن في صلاة، ولكني لُدِغتُ، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيتُ، قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديثٌ حدثناه الشَّعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بُريدة بن الحُصَيْب أنه قال: لا رُقْيَةَ إلا من عين أو حُمَةٍ)[1]، قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدَّثنا ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: **(عُرِضَتْ علي الأُمَمُ، فرأيتُ النبي ومعه الرَّهْطُ، والنبيَّ ومعه الرجلُ والرجلان، والنبي وليس معه أحدٌ، إذ رفُع لي سوادٌ عظيمٌ، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أُمَّتُكَ، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجَنَّةَ بغير حساب ولا عذاب، ثم نَهَضَ فدخل منزلَه، فخاض الناسُ في أولئك، فقال بعضُهم: فلعلهم الذين صَحِبُوا رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلِدوا في الإسلام، فلم يُشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياءَ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: هم الذين لا يَسْتَرْقُونَ ولا يَكْتَوُون، ولا يَتَطَيَّرون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام عُكَّاشَةُ بن مِحْصَن رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، ادعُ الله أنْ يجعلني منهم، قال: أنت منهم، ثم قام رجلٌ آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عُكَّاشة)**[2] قال الشارح: هكذا أورده المصنف غير

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب (٥٧٥٢) باب من لم يرق، كتاب الرقاق (٦٥٤١) باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، وصحيح مسلم (٢٢٠)، (٣٧٤) باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، وسنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٤٦) باب (١٦)، مسند أحمد بن حنبل (١/ ٢٧١).

(٢) صحيح مسلم، الإيمان (٢١٨).

معزو، وقد رواه البخارى مختصراً ومطولاً، ومسلم واللفظ له والترمذي والنسائي.

وفيه مسائل:

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد.

الثانية: ما معنى تحقيقه؟

الثالثة: ثناؤه سبحانه على إبراهيم، بكونه لم يكُ من المشركين.

الرابعة: كون ترك الرُّقيةِ والْكيِّ من تحقيق التوحيد.

الخامسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

السادسة: عُمْقُ علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

السابعة: حرصهم على الخير.

الثامنة: فضيلة هذه الأمة بالكمِّية والْكيْفيَّة.

التاسعة: فضيلة أصحاب موسى.

العاشرة: عرضُ الأمم عليه - عليه الصلاة والسلام.

الحادية عشرة: أن كل أمةٍ تُحْشر وحدها مع نبيها.

الثانية عشرة: قِلَّة من استجابَ للأنبياء.

الثالثة عشرة: أن من لم يجبهَ أحد يأتي وحده.

الرابعة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزُّهد في القلة.

الخامسة عشرة: الرخْصة في الرقية من العين والحمة.

السادسة عشرة: عمق علم السلف، لقوله: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا»، فعلم أن الحديث الأول لا يخالفُ الثاني.

السابعة عشرة: بُعْد السلف عن مَدْح الإنسان بما ليس فيه.

الثامنة عشرة: قوله: أنت منهم علم من أعلام النبوة.

التاسعة عشرة: فضل عكاشة.

العشرون: استعمال المعاريض.

الحادية والعشرون: حسن خلقه ﷺ.

ترجمة الأعلام الواردة في الحديث:

«**ش**» : (**حصين بن عبد الرحمن**): هو السلمي، أبو الهذل الكوفي، ثقة، مات سنة ست وثلاثين ومائه، وله ثلاث وتسعون سنة.

و(**سعيد بن جبير**) هو الإمام الفقيه من جِلّة ابن عباس، روايته عن عائشة وأبي موسى مرسلة، وهو كوفي مولى لبني أسد، قتل بين يدي الحجاج بن يوسف سنة خمس وتسعين هجرية، ولم يكمل الخمسين.

(**والشعبي**): اسمه عامر بن شراحيل الهمداني.

(**وبريدة بن الحصيب**): صحابي مشهور.

(**وابن عباس**): هو عبد الله بن عباس ابن عمَّ النبي ﷺ دعا له بقوله: «اللهم فقّهْهُ في الدين وعلمه التأويل»[1].

---

(١) بتمام هذا اللفظ رواه أحمد وابن حبان في صحيحه قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، ورواه البخاري (١٤٣)، ومسلم باب فَضَائِلِ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، وعندهما بلفظ: اللهم فقهه في الدين. بدون زيادة وعلمه التأويل! (قال الألباني في السلسلة الصحيحة: أخرجه الطبراني (٣/ ١٦٤/ ٢) وعنه أبو علي الصواف في «الفوائد» (٣/ ١٦٦ - ١٦٧)، ورواه الضياء في «المختارة» (٢/ ٢٢٦) بإسنادين عن شبل بن عباد عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنه سكب للنبي ﷺ وضوءاً عند خالته ميمونة، فلما خرج قال: من وضع =

ولد في عام موت أبي طالب(١) وتوفي بالطائف عام ٦٨هـ.

المفردات:

(**انقضّ**): بمعنى: سقط.

(**البارحة**): يطلق على ما بعد الزوال من الليلة الماضية، وأما قبل الزوال فيقال: الليلة.

(**أما أني لم أكن في صلاة**): نفي عن نفسه الصلاة إبعاداً للرياء، وعن أن يمدح بما ليس فيه.

=

لي وضوئي؟ قالت: ابن أختي يا رسول الله، قال: فذكره. قال الضياء: «قصدنا من هذا الحديث: «وعلمه التأويل»، وأما قوله: «فقهه في الدين» فقد أخرج في الصحيحين، ثم أخرجه هو (٢٣٣ - ٢٣٤)، والبيهقي في «الدلائل» (ج٢ باب ما جاء في دعائه لابن عباس) وأحمد (١/ ٢٦٦ و٣١٤ و٣٢٨ و٣٣٥) من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير به. وكذا أخرجه الطبراني (٣/ ٨٤/ ٢) وسنده صحيح على شرط مسلم. ثم قال الضياء: «ولم يخرجا: «وعلمه التأويل»، وهذه زيادة حسن. قلت: وصححه الحاكم (٣/ ٥٣٤) ووافقه الذهبي. ثم أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٨٩/ ١ - ٢) و«الصغير» أيضاً (ص: ١١٢ - هند) من طريق داود بن أبي هند عن ابن جبير به. وله في «الكبير» طريق آخر عن ابن عباس، فقال (٣/ ١١٣/ ٢): حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار أخبرنا أبي أخبرنا أبو النضر هاشم بن القاسم أخبرنا ورقاء بن عمر عن عمرو بن دينار عنه مرفوعاً. وتقدم له طريق رابع بلفظ: «اللهم أعط ابن عباس الحكمة...». والجملة الثانية أخرجها الطبراني (٣/ ١٤٤/ ١) من طريق شبيب عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً. وبالجملة، فالحديث صحيح بهذا التمام، وقد عزاه في «شرح الطحاوية» (ص: ٢٣٤) للبخاري، وهو وهم، كما كنت نبهت عليه في تخريج الحديث هناك، وقد ذكرت ثمة أن الإمام أحمد رواه من طريق أخرى بلفظ آخر، ذكرت طرفاً منه».

(١) وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، أي: في السنة العاشرة من البعثة.

(**لُدِغ**): مأخوذ من: لدغته العقرب، أي: أصابته بسمها.

قوله: (**ارتقيت**): الرقية هي: النفث بالقراءة مع الريق، أي: طلبت من يرقيني أو فعلته بنفسي.

قوله: (**فما حملك على هذا؟**): طلب منه الدليل على علمه ذلك.

قوله: (**حديث حدثنا به الشعبي**): أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة

(**العين**): إصابة النفس الشريرة، يقال: أصابه بعينه، أو حمة السم من العقرب أو غيرها، وهي بضم الحاء وفتح الميم مع التخفيف.

قوله: (**قد أحسن من انتهى إلى ما سمع**): أي: لَمَّا ذكر الدليل استحسن فعله، ثم قال: حدثنا ابن عباس إلى آخره.

قوله: (**عرضت علي الأمم**)(١): العرض: إظهاره له.

(**عرض عليه**): أراه إياه، فعرض الأمم عليه إظهارها له، وأرى إياها قيل: إن ذلك ليلة الإسراء والمعراج.

(**فرأيت النبي ومعه الرهط**): الرهط هم: العشرة فما دون.

(**والنبي وليس معه أحد**): لقلة أتباعهم.

(**إذ رفع لي سواد عظيم**): أي: سواد الأشخاص من بعيد.

(**فظننت أنهم أمتي**): لأنه رآهم بالأفق فلا يرى إلا كثرتهم، وأما الظن فهو التردد

---

(١) قوله: «عرضت علي الأمم»، العارض لها الله ﷻ، وهذا في المنام فيما يظهر. وانظر: (فتح الباري) (١١/ ٤٠٧، باب يدخل الجنة سبعون ألفًا، كتاب الرقاق)، والأمم: جمع أمة وهي أمم الرسل. المصدر: «القول المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله.

الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم.

(**فقيل لي**): هذا موسى وقومه، أي: من بني إسرائل.

(**فنظرت فإذا سواد عظيم**): المراد بالسواد هنا: الظاهر أنه الأشخاص، ولهذا يقال: ما رأيت سواده، أي: شخصه، أي: أشخاصًا عظيمة كانوا من كثرتهم سوادًا، وفي بعض الروايات: «ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير»(١).

(**فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب**): أي: لتحقيقهم التوحيد.

وفي بعض الروايات: «**ومع كل ألف سبعون ألفاً**»(٢)، فهذه الأمة أكثر الأمم دخولاً الجنة.

(**ثم نهض فدخل منزله**): نهض: أي: قام.

(**فخاض الناس في أولئك**): خاض: تحدث من هم الذين يدخلون الجنة؟ وما أعمالهم؟ وما إلى ذلك، وهذا الخوض للوصول إلى الحقيقة نظريًّا وعمليًّا حتى يكونوا منهم.

(**فقال بعضهم: فلعلهم الذين صَحِبُوا رسول الله ﷺ(٣)**): لأنهم أفضل أمته.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤١).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٣٧)، وأحمد (٥/ ٢٦٨) (٢٢٣٥٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحسنه ابن حجر في (هداية الرواة) (٥/ ١٧٢) - كما ذكر ذلك في المقدمة، وقال الألباني في (صحيح سنن ابن ماجه): صحيح.

(٣) قوله: (الذين صحبوا رسول الله)، يحتمل أن المراد الصحبة المطلقة، ويؤيده ظاهر اللفظ، ويحتمل أن المراد الذين صحبوه في هجرته، ويؤيده أنه لو كان المراد الصحبة المطلقة، لقالوا: =

(**وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام وذكروا أشياء**): أي: لأنهم نشئوا فيه، ولم يشب توحيدهم شائبة شرك.

(**فخرج عليهم رسول الله ﷺ**): أي: بعد ذلك مع احتمال أنه سمع حديثهم أو لم يسمعه.

(**فأخبروه**): أي: بما قالوا وتحدثوا به.

(**فقال رسول الله ﷺ : هم الذين لا يسترقون**[1]): أي: لا يطلبون من يرقيهم.

(**ولا يكتوون**): أي: لا يطلبون من يكيوهم.

(**وعلى ربهم يتوكلون**): تقول: توكلت بالشيء إذا قمت به، ووكلت أمري إلى فلان

=

نحن؛ لأن المتكلم هم الصحابة، ويدل على هذا قول الرسول لخالد بن الوليد: «**لا تسبوا أصحابي**»؛ فإن المراد بهم الذين صحبوه في هجرته، لكن يمنع منه أن المهاجرين لا يبلغون سبعين ألفًا.

ويمنع الاحتمال الأول: أن الصحابة أكثر من سبعين ألفًا، ويحتمل أن المراد من كان مع الرسول إلى فتح مكة؛ لأنه بعد فتح مكة دخل الناس في دين الله أفواجًا.

وهذه المسألة تحتاج إلى مراجعة أكثر، المصدر: «القول المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله.

(١) قوله: «لا يسترقون»، في بعض روايات مسلم: «لا يرقون»، ولكن هذه الرواية خطأ؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أن الرسول كان يرقي، ورقاه جبريل، وعائشة، وكذلك الصحابة كانوا يرقون، واستفعل بمعنى طلب الفعل، مثل: استغفر؛ أي: طلب المغفرة، واستجار: طلب الجوار، وهنا استرقى؛ أي: طلب الرقية، أي: لا يطلبون من أحد أن يقرأ عليهم، لما يلي: ١- لقوة اعتمادهم على الله. ٢- لعزة نفوسهم عن التذلل لغير الله. ٣- ولما في ذلك من التعلق بغير الله... المصدر: «القول المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله.

إذا طلبت منه ذلك.

قوله: **(فقام عُكَّاشه)**: هو عكاشة بن محصن بضم الميم وتشديد الكاف، من أفاضل الصحابة، بدري وله سبق في الإسلام من بني أسد، قُتل أثناء قتال أهل الردة.

قوله: **(ادعوا الله)**: الدعاء: الطلب من الأدنى إلى الأعلى أن يجعلني منهم، وفي بعض الروايات أنه قال: «اللهم اجعله منهم»[(١)]، فقتل شهيداً.

(ثم قام رجلٌ آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عُكَّاشة): أي: بهذا الفضل الكبير والسبق، فاستعمل المعاريض، ولم يقل: لست أهلاً لذلك، بل قال القرطبي: لم يكن عند الثاني من الأحوال ما كان عند عُكَّاشه، وقد سدَّ الباب خشية أن يقوم من ليس أهله.

المعنى الإجمالي للحديث:

الحرص على العمل بما جاء به رسول الله ﷺ في الكتاب والسنة وعندهم رغبة أن تكون أعمالهم خالصةً -لله عز وجل- دون أن تشوبها شائبة من شوائب الشرك، وسدَّ جميع الذرائع الموصلة إليه، وكان سبب الحديث تساؤلهم عن انقضاض الكوكب في الليل، حتى ساقهم الحديث إلى الابتعاد عن مظان أن ينسب إلى أحدهم أن يعمل عملاً صالحاً وهو ليس كذلك، فنفى حصين ذلك، وقال: «إني كنت ملدوغاً» وأنه ارتقي؛ فاستنكر عليه «سعيد بن جبير» ذلك، ثم أجابه: «حصين بأن الحامل له حديث الشعبي عن بريدة بإباحه الرقية من أجل إصابة العين، أو لدغ ذوات السموم من العقارب وغيرها»، عند ذلك أقره سعيد، واستحسن فعله للدليل، ولكن ترقَّى به إلى ما هو أكمل من ذلك، وهو الحديث الطويل المروي عن ابن عباس رضي الله عنه كما هو ثابت في

---

(١) رواية البخاري (٥٨١١).

الصحيح، في قصة عرض الأمم عليه ﷺ، وفيه بيان قلة المستجيبين للأنبياء، وأن من أكثرهم موسى عليه السلام، فإنه رأى أتباع موسى عليه السلام وقد سدوا الأفق، إلا أن هذه الأمة أكثر وأفضل، وأن فيهم من يدخل الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب، وعددهم سبعون ألفاً[١]، وفي بعض الروايات: «فاستزدت ربي فزادني مع كل ألفٍ سبعين ألفاً»[٢].

وهذا تفضل من الله وامتنان على هذه الأمة، بسبب فضيلة التوحيد وفضيلة نبيها وشرفه، وهو أفضل الأنبياء على الإطلاق، فبعدما أخبرهم بهذا الفضل والثواب، قام أصحابه يبحثون على من يحصل على هذا الفضل، وبدءوا يتساءلون: هل هم أصحاب محمدٍ ﷺ لفضلهم وسبقهم للإسلام؟ أم هم من وُلِدوا في الإسلام ونشئوا عليه وماتوا عليه؟ أو من يكونون؟ فخرج عليهم ﷺ وهم على تلك الحال وبيَّن لهم أنهم أناس اعتمدوا على ربهم في جميع أحوالهم، في السراء والضراء والصحة والمرض، فلا يسترقون أي: لا يطلبون من يرقيهم، ولا يكتوون، فهم متوكلون عليه في جميع أمورهم، ولم يكن في هذا دليل على تحريم الرقية، بل فيه بيان الأفضل وسيأتي التفصيل في ذلك.

---

(١) صحيح مسلم، الإيمان (٢١٨).

(٢) **نص الحديث**: عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أُعْطِيتُ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَقُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَاسْتَزَدْتُ رَبِّي عز وجل فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا». أخرجه أحمد (١/ ٦، رقم ٢٢)، والحكيم (١/ ٣٠٢)، وأبو يعلى (١/ ١٠٤، رقم ١١٢). وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٤٧٣) وقال: صحيح بشواهده.

ما يستفاد من الحديث من أحكام:

١- جواز الرقية من العين، ومن لدغ ذوات السموم، أي: يفعله بنفسه، أو يطلب من يرقيه ورقيه لغيره.

٢- عرض الأمم عليه ﷺ.

٣- قلة المستجيبين للأنبياء، لأن النبي رآهم ومعهم الرهط، والرجل والرجلان.

٤- كثرة أتباع موسى عليه السلام من بين سائر الرسل.

٥- فضيلة هذه الأمة، وأنهم أفضل الأمم وأكثرهم، وأولهم دخولاً للجنة، وأنهم أكثر من بني إسرائيل وأفضل.

٦- دخول عدد من هذه الأمة الجنة بلا حساب ولا عذاب، وأنهم سبعون ألفاً، ومع كل ألفٍ سبعون ألفاً.

٧- خلاف العلماء حول هل الأفضل فعل الرقية أو تركها؛ فظاهر الحديث أن التوكل لمن صبر واحتسب وترك الرقية أفضل، وكذا الكي، وأما الطيرة فسيأتي الكلام عليها في محلها، أما فضيلة تركها؛ لأن النبي ﷺ لَمَّا ذكر أن معهم سبعين ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، قال: «هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»، وقال آخرون: «التداوي لا ينافي التوكل، لأن النبي ﷺ رَقَى ورُقِيَ، ولا يفعل إلا الأفضل، ولبس درعين يوم أحد، وهو سيد المتوكلين»؛ فاختلف العلماء لهذه الأحاديث على ما يأتي:

(أ) أحمد بن حنبل يقول: مباح وتركه[1] أفضل، أي: الكي والتداوي.

---

(١) مراده التداوي، وبيان حكمه عند العلماء.

(ب) الشافعي يرى الاستحباب.

(ج) أبو حنيفة يداني به وجوب فعل الأسباب.

(د) مذهب مالك يستوي الفعل والترك.

(هـ) قال شيخ الإسلام: ليس بواجبٍ عند جماهير الأئمة، وإنما أوجبه طائفة من أصحاب الشافعي قليلة[1].

٨- فضيلة عُكَّاشة بن محصن، وأنه يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب.

٩- هديه ﷺ استعمال المعاريض، لقوله: «سبقك بها عُكَّاشة»، ولم يقل: لست أهلاً لذلك، ولا كذا ولا كذا.

١٠- سدُّ الباب بهذه المقالة، وإلا قام من ليس لذلك أهلاً لذلك.



(١) مراده التداوي، كما سبق.

أسئلة

١- اذكر مناسبة تحقيق التوحيد لما قبله؟ وما معنى تحقيق التوحيد؟

٢- بين معاني المفردات الآتية: (الأمة - قانتاً - حنيفاً - لم يك من المشركين)؟

٣- بين المعنى الإجمالي، وما يستفاد من الحديث من أحكام؟

٤- اذكر شيئاً من ترجمة كلاً من: (حُصين بن عبد الرحمن - وسعيد بن جبير - والشعبي - وابن عباس وبريدة)؟

٥- اشرح المفردات الآتية: (انقضَّ- البارحة)؟

٦-لماذا قال: إني لم أكن في صلاة؟

٧- عرّف كلاً مما يأتي: (الرقية - العين - الحمة - العرض على النبي)؟

٨- متى كان العرض على النبي ﷺ ؟ وكم عدد الرهط؟ وما هو الظن؟ وما معنى نهض؟ وماذا تحدث فيه الصحابة؟

٩- عرف التوكل والدعاء؟ مع بيان فضيلة عُكَّاشة؟

١٠- اشرح الحديث شرحاً مجملاً؟ ثم بيّن ما يدل عليه من أحكام، مع التفصيل في استحباب الرقية أو عدمها؟



باب الخوف من الشرك

(م) قوله: «باب الخوف من الشرك»:

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[١].

وقال الخليل عليه السلام: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٢].

وفي الحديث: **(أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه فقال: الرياء)**[٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار)**[٤] رواه البخاري.

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار)**[٥].

فيه مسائل:

الأولى: الخوف من الشرك.

الثانية: أن الرياء من الشرك.

---

(١) سورة النساء: (من الآية ٤٨).

(٢) (سورة إبراهيم، (الآية: ٣٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسند الأنصار، حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه، برقم (٢٧٧٤٢).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: **(ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً)** (٤٤٩٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه - كتاب الإيمان - باب «**مَنْ مَاتَ لاَ يُشركُ بِالله شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ مَاتَ مُشركًا دَخَلَ النَّارَ**»، برقم (٩٢).

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوفُ ما يُخاف منه على الصالحين.

الخامسة: قُرب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قربهما في حديثٍ واحدٍ.

السابعة: أنه مَنْ لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يُشرك به شيئاً دخل النار، ولو كان من أعبد الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة: سؤال الخليل له وَلبَنِيه وقَايةَ عبادَةِ الأصنام.

التاسعة: اعتباره بحال الأكثر؛ لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[1].

العاشرة: فيه تفسير: «لا إله إلا الله» كما ذكره البخاري.

الحادية عشرة: فضيلة من سلم من الشرك.

شرح قوله تعالى: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ وفوائد الآية

(ش): المناسبة: لَمَّا ذكر الشيخ فضل التوحيد، وأن من حققه دخل الجنة بلا حساب، ناسب أن يذكر بعده ضدَّ ذلك وهو الشرك، فينبغي للعبد أن يخاف منه ويحذر أشد الحذر ولا يغتر.

المفردات:

﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾: أي: اجعلني في جهة وجانب أنا وبني عن عبادة الأصنام.

قوله: ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾: أن والفعل بعدها في تأويل مصدر: مفعول ثان؛

(١) سورة إبراهيم، الآية: (٣٦).

لقوله: «اجْنُبْنِي».

﴿ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾: والأصنام: جمع صنم، وهو ما جعل على صورة إنسان أو غيره يعبد من دون الله، والصنم: ما كان منحوتاً على صورةٍ، والوثن: بخلافه، فيشمل: الشجر والحجر والبنية، وكل ما عبد من دون الله فهو وثن.

المعنى الإجمالي:

أخبر سبحانه أنه لا يغفر لمشركٍ لقيه مصراً على الشرك، قد مات عليه، ولا ينظر لعمله، ويكون عمله هباءً منثوراً، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾[1].

فالمشرك لا يقبل له عمل، ولا يغفر له ذنب، ويستوفي ذلك في حياته الدنيا، إما في صحةٍ في بدنه أو ولده أو تنمية ماله، وأما ما دون الشرك من الذنوب والخطايا فهو تحت مشيئة الله، إن شاء غفر لصاحبه وإن شاء عذبه، فإن الله قادر على أن يغفر الذنوب والسيئات، إما بإخلاصه أو غير ذلك من الأعمال، كالاستغفار والدعاء، ولكن لا بدَّ أن يدخل الجنة، ولو ارتكب بعض الكبائر خلافاً للخوارج والمعتزلة، الذين يخلدون مرتكب الكبيرة في النار، لأن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[2]؛ فأثبت غفران بعض الذنوب والخطايا، فأما المشرك فهو خالد مخلد في النار، ليس له من ينصره ولا من يشفع له.

قال الشارح ﵀: ولا فرق بين مشركي العرب وأهل الكتاب، ومن ارتد عن

---

(١) سورة الفرقان: (٢٣)

(٢) سورة النساء: من الآية (٤٨).

الإسلام، وقد دعا الخليل عليه السلام بأن الله يجنبه عبادة الأصنام، ويجعله في جانب وهي في جانب آخر، لعلمه أنه لا ينفع معها عمل فلذا حِذَرها الخليل وحذر منها، ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم عليه السلام.

ما يؤخذ من الآيتين من أحكام:

١- أنَّ عمل المشرك حابط وهو خالد في النار.

٢- مغفرة الله للموحدين سائر الذنوب، ولكنها تحت مشيئة الله إن شاء غفر لصاحبها، وإن شاء عذَّبه عليها.

٣- تحريم الجنة على سائر الكفار، سواء من أهل الكتاب، أو مشركي العرب أو من ارتد.

٤- أن مأواهم النار وليس لهم ناصر ينصرهم أو يتولاهم.

٥- الرد على الخوارج والمعتزلة.

شرح خوف الرسول على أمته من الشرك الأصغر وفوائده

المفردات:

قوله في الحديث: (أخوف ما أخاف عليكم... الحديث).

(**أخوف ما أخاف عليكم**) أي: أنه يخاف على أمته من وقوعهم في الشرك، ولو كان شركاً أصغر؛ لأنه مُنقص للتوحيد ومحبط للعمل.

(**الرياء**): مأخوذ من: الرؤيا.

(**الند**): الشبيه والمثيل والنظير.

(**يدعو من دون الله ندًّا**): أي: يتخذ لله ندًّا، سواء دعاء عبادة أم دعاء مسألة.

قوله: (**دخل النار**): أي: خالدًا، مع أن اللفظ لا يدل عليه، لأن دخل فعل،

والفعل يدل على الإطلاق.

(**ومن لقي الله**): لا بد من ملاقاة الله يوم القيامة براً أو فاجراً.

(**لا يشرك به شيئاً**): أي: لا يتخذ لله شريكاً لا قليلاً ولا كثيراً.

(**دخل الجنة**): أي: مصيره إليها، أو يكون ثواب توحيده يكفر الذنوب فيدخلها من أول وهلةٍ.

المعنى الإجمالي:

في حديث الرياء: أخبر أنه ذو شفقةٍ على أمته من وقوعها في الشرك والرياء؛ لأن الناس يقعون به وهم لا يشعرون، وكان يخاف منه أشد مما يخاف من المسيح الدجال، لأن في الرياء فتنة، ولا يسلم منها إلا من سلمه الله، وقد يحبط عمل صاحبه.

المراءون: «**أول من تسعر بهم النار يوم القيامة**»[(١)].

---

(١) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: (**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا، قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا، قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ**) صحيح مسلم بشرح النووي - جزء ١٣ - الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان (ص ٥٠/ ٥١) كتاب الإمارة - باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار.

كما في قصة: القارئ والشهيد وصاحب المال[(١)]، وفي الحديث الآخر: بيان لخطورة الشرك، وعظم شأنه، وأنه يدخل صاحبه النار، وقد يخلد فيها إن كان مشركاً شركاً أكبر، ومات على ذلك، أو يعذب به في النار ثم ينقص من نور الإيمان والتوحيد بحسب ما يقع في قلبه من الرياء، أو الرجاء أو الخوف، فكل ما يقع في القلب مما يخالف التوحيد الخالص من شوائب الشرك يكون سبباً لعدم دخول الجنة، ولا بد من لقاء العبد بربه إن كان صالحاً أو طالحاً، فلقاؤه بالصالحين لقاء[(٢)] رحمة ورضا، ولقاؤه للكافرين والعصاة لقاء غضب ومقت، فيأمر به إلى النار كما يأمر بأوليائه إلى الجنة، أما

---

(١) **نص الحديث**: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: (**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ: رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ؛ فَيَقُولُ اللهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي. قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ؛ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللهُ لَهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ، قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ؛ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ؛ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتِي، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**). أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٤٢)، والترمذي (٢٣٨٢)، والنسائي في الكبرى (١١٨٢٤) وابن خزيمة (٢٤٨٢).

(٢) مراده أن الصالحين يلقون ربهم يوم القيامة وهو راضٍ عنهم، والمجرمين يلقونه وهو غير راضٍ عنهم، بل قد حق عليهم من المقت والغضب والعذاب.

من كان في قلبه شيء من الشرك، فإنه يدخل النار بسبب ذلك، لكن لا يخلد بل يعذب ما شاء الله، ثم يخرج منها.

ما يستفاد مما تقدم:

١- أن الرياء من الشرك، وأنه شرك أصغر، لأنه أشرك مع الله في تلك العبادة، وله ثلاث حالات:

(أ) أن يكون الباعث للعمل مراءاة الناس، فهذا العمل حابط.

(ب) أن يكون الباعث للعمل هو قصد الله، ثم يطرأ عليه الرياء ثم يسترسل معه فهذا كالأول.

(ج) أن يكون العمل لله، ثم يطرأ عليه الرياء، ثم يدفعه ولا يبقى له أثر فهذا لا يضر.

٢- انقسام النِّد أو الشرك إلى قسمين: أكبر وأصغر، الأكبر: كدعاء غير الله، والذبح لهم، فهذا صاحبه خالد في النار، والثاني الأصغر: كيسير الرياء، وكقولك: «أنا بالله وبك»، «وما شاء الله وشئت»، فهذا موحد لكن لديه شوائب شرك، وقد توعده الله بالنار، لكن ليس كالأول، بل هو مؤمن ناقص الإيمان.



أسئلة

١- بين مناسبة باب الخوف لما قبله، واشرح الآية شرحاً مجملاً؟

٢- بين المفردات الآتية: (اجنبني وبني)، ثم عرف الصنم؟ وبين ما تدل عليه من أحكام؟ ثم بيِّن الردَّ على الخوارج والمعتزلة؟

٣- اشرح حديث: «أخوف ما أخاف عليكم...إلى آخره»، ثم بين معاني المفردات الآتية: (الندَّ من لقي الله).

اشرح الحديث شرحاً مجملاً، وبين ما تفيده الأحاديث من أحكام؟



باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

(م) قوله: باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[١].

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، (أن رسول الله ﷺ لَمَّا بعث معاذاً إلى اليمن قال: إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)[٢].

وفي رواية: (**إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**)[٣] أخرجاه.

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: (**لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، فبات الناس يَدوكون**[٤] **ليلتهم أيهم يُعطاها، فلما أصبحوا، غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن**

---

(١) سورة يوسف (الآية: ١٠٨).

(٢) صحيح البخاري، الزكاة (١٤٥٨)، صحيح مسلم، الإيمان (١٩)، سنن الترمذي، الزكاة (٦٢٥)، سنن النسائي، الزكاة (٢٤٣٥)، سنن أبي داود، الزكاة (١٥٨٤)، سنن ابن ماجه، الزكاة (١٧٨٣)، مسند أحمد بن حنبل (٢٣٣/ ١)، سنن الترمذي الزكاة (١٦١٤).

(٣) صحيح البخاري، المغازى (٤٣٤٧٨)، صحيح مسلم، الإيمان (١٩)، سنن الترمذي، الزكاة (٦٢٥)، سنن النسائي، الزكاة (٢٤٣٥)، سنن أبي داود، الزكاة (١٥٨٤)، سنن ابن ماجه، الزكاة (١٧٨٣)، مسند أحمد بن حنبل (١/ ٢٣٣)، سنن الترمذي الزكاة (١٦١٤).

(٤) يدوكون، أي: يخوضون.

يُعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل هو: يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه فأتي به فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: انْفُذْ على رِسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من حمر النعم)[1].

فيه مسائل:

الأولى: أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله ﷺ.

الثانية: التنبيه على الإخلاص، لأن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه.

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض.

الرابعة: من دلائل حُسْن التوحيد؛ أنه تنزيه الله تعالى عن المسبَّة.

الخامسة: أَنَّ من قُبح الشرك كونه مَسَبَّة لله تعالى.

السادسة: وهي من أهمها إبعادُ المسلم عن المشركين، لئلا يصير منهم، ولو لم يشرك.

السابعة: كون التوحيد أول واجب.

الثامنة: أنه يُبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة.

التاسعة: أن معنى: «أن يُوحدِّوا الله»، معنى شهادة: «أن لا إله إلا الله».

(١) صحيح البخاري الجهاد والسير (٣٠٠٩)، صحيح مسلم، فضائل الصحابة (٢٤٠٦)، سنن أبي داود، العلم (٣٦٦١)، ومسند أحمد بن حنبل (٥/ ٣٣٣).

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب، وهو لا يعرفها، أو يعرفها[١] ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البُداءة بالأهم فالأهم.

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة.

الرابعة عشر: كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

الخامسة عشرة: النهي عن أخذ كرائم الأموال.

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تحجب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين، من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة: قوله: «لأعطين الراية....إلخ» علم من أعلام النبوة.

العشرون: تفله في عينيه علم من أعلامه أيضاً.

الحادية والعشرون: فضيلة علي رضي الله عنه.

الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دَوْكهم تلك الليلة، وشُغلهم عن بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر، حصولها لمن لم يَسْع لها، ومَنْعِها عمن يسعى.

(١) مراده: شهادة أن لا إله إلا الله، فالضمير يعود إليها.

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: على رسلك.

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دُعوا قبل ذلك وقوتِلوا.

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة، لقوله: «أخبرهم بما يجب».

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله في الإسلام.

التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد.

الثلاثون: الحَلفُ على الفُتيْاء.

شرح قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ وفوائد الآية

(ش):

لَمَّا ذكر التوحيد وفضله وما ينافيه وهو الشرك، ذكر هنا الدعوة إلى الله، لأنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه، بل ينبغي أن يتعدى نفعه إلى غيره فيدعو إلى التوحيد، وهو معنى: «لا إله إلا الله» نفياً وإثباتاً.

المفردات:

﴿قُلْ﴾: أي: يا محمد.

﴿هَٰذِهِۦ﴾: الإشارة إلى الدعوة.

﴿سَبِيلِىٓ﴾: أي: طريقتي وطريقة من اتبعني، ممن هو على هديي وسنتي وشريعتي.

﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾: أي: طريقتنا الدعوة إلى الله وإلى دينه على نور من الله.

﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: أي: على هدى ومعرفة وبرهان، لما ندعو إليه لا تخرصاً ولاظنوناً.

﴿إِنَّا﴾: أي: أنا ومن اتبعني على بصيرة، أي: في عبادتي ودعوتي.

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾: أي: وكذلك أتباعي يدعون إلى الله على ذلك.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: أي: ينزهه عما لا يليق به من الشرك وطرقه وأخلص له العبادة.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾: نفى عن نبيه أن يكون من جملة المشركين، بل نزه نفسه ودعوته ونبيه عن الإشراك وطرقه وأهله.

المعنى الإجمالي:

ذكر ﷻ في هذه الآية الكريمة أن طريقة رسوله وشريعته هي الدعوة إلى الله وتوحيده، وهي طريقة أتباعه على دينه من الصحابة، فمن بعدهم إلى يوم الدين، وهي الدعوة إلى الله، على نور من الله، فهم أولياؤه وهم أحبته، دعاهم إلى الله فأجابوا دعوته، ودعوا إليه على نورٍ منه وبرهان، لا مجرد الظن والخرص، مستبصراً مبصراً غيره، ثم نزهه عن أن يشرك معه أحداً، ولا أن يكون متلبساً بالشرك أو من أهله، أو مقارباً لهم أو مداهناً في ذلك، أو مكثراً لسوادهم.

ما يستفاد من الآية الكريمة:

١- معرفة طريقة النبي ﷺ في الدعوة إلى الله.

٢- أن من شرط الداعي أن يكون عالماً بما يدعو إليه، عالماً بما ينهى عنه.

٣- أن الدعوة إلى الله طريقة أتباع الرسول عليه الصلاة والسلام.

٤- تنزيه الله عن الشرك.

٥- بعده ﷺ عن الشرك، وكذا ينبغي لأتباعه.

شرح حديث بعث النبي معاذاً إلى اليمن

المفردات:

قوله: عن ابن عباس ﵄ لَمَّا بعث معاذ بن جبل ﵁ إلى اليمن... الحديث.

تعريف معاذ تقدَّم ومبعثه، قيل: سنة عَشر من الهجرة، وقيل قبل ذلك.

(**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**): دلَّ على أن أول شيء يبدأ به التوحيد.

قوله: (**إلى أن يوحدوا الله**): أي: يخلصوا له العبادة، دون من سواه.

قوله: (**فإن أطاعوك لذلك**): أي: انقادوا قولاً وعملاً واعتقاداً.

قوله: (**فأعلمهم أن الله افترض**): أي: أوجب وكتب.

(**عليهم خمس صلوات**): أي: أوجب عليهم أداءها على الصيغة المعروفة، مستكملاً شروطها وأركانها وواجباتها.

(**في كل يوم وليلة**): حيث تؤدى في الأوقات التي وقتت لها.

(**فإن هم أطاعوك لذلك**): أي: انقادوا وأدوها على شرعيتها.

(**فأعلمهم أن الله افترض عليهم**): أي: أوجب.

(**صدقة**): أي: الزكاة المفروضة.

(**تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم**): أي: أن الزكاة تؤخذ من أغنياء البلد فتردُّ على فقرائه، ولا تنقل إلى غيرهم.

قوله: (**فإن أطاعوك لذلك**): أي: انقادوا قولاً وعملاً واعتقاداً.

قوله: (**وإياك وكرائم أموالهم**): الكرائم: جمع: كريمة، وهي: الأنفس والأغلى ثمناً

والأجود، فإياك: للتحذير، من أخذ الأجود بل الوسط ولا يأخذ رديئاً.

قوله: (**واتق دعوة المظلوم**): أي: اجعل بينك وبينها وقاية، وهي مخافة الله، واعدل تنجُ من الظلم.

(**فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**): وهو الستر والحاجز فدعوة المظلوم منصورة ولو كان المظلوم كافراً.

فوائد في كيفية الدعوة وفوائد للداعية:

بعث الرسول عليه الصلاة والسلام معاذاً إلى اليمن مرشداً ومعلماً وجابياً وقاضياً وأميراً وداعياً، لتوفر الشروط فيه، فبعثه يدعو أهل اليمن إلى توحيد الله وطاعته، وتعليم الصلاة والزكاة وبقية شرائع الإسلام، فيجب على الولاة بعث الدعاة والمرشدين لتوجيه الناس وتعليمهم دينهم، وعليهم أن يبدءوا بالأهم فالمهم من أمور الدين، وأن يتدرج بالدعوة، فلا يكلفهم بها دفعةً واحدة، بل شيئاً فشيئاً حتى إذا رسخ الإسلام ومفاهيمه في القلوب وتلذَّذت به الأنفس، عند ذلك انتقل إلى تعليمهم الصلاة والزكاة، وهكذا بقية شرائع الإسلام، وبالأخص من نشأ على الكفر وكان بعيداً عن الإسلام كما هي حال أهل اليمن، وأما من نشأ على الإسلام، فإنه لا يترك الإسلام إلا ارتداداً، لكن لا بدَّ من استتابته ثلاثاً، فإن تاب وإلا قتل، وليس حكمه حكم من دُعِيَ إلى الإسلام وهو لا يعرف الإسلام، وكذا الدعاة ينبغي لهم أن يكونوا على بصيرةٍ من الدعوة، ويبينوا للناس محاسن الدعوة بالحجة والبيان؛ لأن الرسول ﷺ أخبر معاذاً رضي الله عنه أنه يأتي قوماً أهل كتابٍ، ليستعد لمناظرتهم الحجة بالحجة، حتى يعرفوا ذلك من خلال بيانه ودعوته، ثم بيَّن في وصاياه أن الدعوة إلى التوحيد أولاً، ثم الصلاة ثانياً لأهميتها، والزكاة وبيان مصارفها، وأنها للفقراء، كما بيَّن الله ذلك في كتابه

بأن أهلها من الأصناف الثمانية، وقد حذره ﷺ من الظلم، لأن الظلم ظلمات يوم القيامة(١)، وقد جاء: (**أن الله يرفع دعوة المظلوم فوق الغمام، ويقول الله: لأنصرنَّكِ ولو بعد حين**)(٢)، ومن الظلم: أخذ أجاود المال، وترك الأردى وعدم العدل بين الرعية

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٧) ومسلم (باب تحريم الظلم) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ورواه مسلم أيضاً عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ «**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٥٥٣): رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١/ ١٨٦) والدولابي (٢/ ١٢٣)، والطبراني (١/ ١٨٦/ ١) من طريقين عن سعد بن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري أنبأنا عبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله رحمه الله حدثني خزيمة بن محمد بن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن أبيه عن جده عن خزيمة بن ثابت مرفوعاً. قلت: وهذا إسناد ضعيف، وفيه علل:

الأولى: محمد بن عمارة هذا في عداد المجهولين، أورده البخاري في «التاريخ» ثم ابن أبي حاتم (٤/ ١/ ٤٤) من رواية ابنه خزيمة فقط عنه ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

الثانية: ابنه خزيمة أورده البخاري أيضاً (٢/ ١/ ١٩٠) وابن أبي حاتم (١/ ٢/ ٣٨٢) من رواية عبد الله بن محمد هذا ولم يذكرا فيه شيئاً.

الثالثة: عبد الله بن محمد بن عمران لم أجد له ترجمة، وبالجملة فالإسناد مظلم مجهول. لكن الحديث حسن على أقل الدرجات، فقد أخرج ابن حبان (٢٤٠٩) طرفه الأول من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «اتقوا دعوة المظلوم». وسنده صحيح. وورد من حديث أنس أيضاً بزيادة فيه، وقد سبق تخريجه برقم (٧٦٧). وأخرج ابن حبان أيضاً (٢٤٠٨) والترمذي (٢/ ٢٨٠) وابن ماجه (١٧٥٢) وأحمد (٢/ ٣٠٥، ٤٤٥) من طريق أبي مدلة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ. «ثلاثة لا ترد دعوتهم... ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين». وقال الترمذي: «حديث حسن». وله عنده (٢/ ٨٦) طريق أخرى، أعلها بالانقطاع. قال في صحيح الجامع: (صحيح) انظر حديث رقم: =

ومن ولاه الله أمرهم، فدعاء المظلوم لا يرده عن الله راد، ولا يحجبه عنه حاجب.

ما يستفاد من الحديث:

١- أن الدعوة قد شملت أهل الكتاب، بل جميع الناس الأسود والأحمر والأبيض، بل الجن والأنس.

٢- أن الداعية يجب عليه أن يتسلح بسلاح العلم، للبيان والمناظرة وتبيين أمر الدين للناس، ومن ليس كذلك لا يصلح لها.

٣- أن أعظم أركان الإسلام الشهادتان؟ ثم الصلاة ثم الزكاة.

٤- طريقة الدعوة في البيان والحجة والتدرج بالدعوة، فيبدأ بالأهم فالمهم، فإذا لم تجد فالقتال، كما يأتي في حديث علي رضي الله عنه.

٥- أن الزكاة تؤخذ من الغني فتعطى للفقير، وهذا حق افترضه الله لهم.

٦- فيه دليل لمن لا يرى نقل الزكاة، حيث أمره الرسول بردها على الفقراء، فلا تنقل مسافة قصر، وهذا مذهب أحمد.

٧- لا يجوز للعامل أن يأخذ أطيب المال ولا الرديء، بل الوسط إلا أن تجود نفس صاحب الجيد بذلك.

٨- أن الله يستجيب دعوة المظلوم، وأن دعاءه لا يرد.

٩- معرفة الفرق بين الفرض والواجب، وأن الفرض ما ثبت بدليلٍ قطعي، والواجب ما ثبت بدليل ضمني، كما ذكره أهل الأصول[1].

= ١١٧ في صحيح الجامع.

(١) الصحيح أن الفرض والواجب بمعنى واحد، فالفرض هو الواجب فهما لفظان مترادفان، وهذا مذهب الجمهور وهو الذي عليه أكثر أهل الأصول، والمحققون، والحديث ليس فيه دليل لما =

١٠- أن الفقير إذا أطلق دخل فيه المسكين، وهو أشد حالاً من المسكين، وكذا العكس إذا أطلق المسكين دخل فيه الفقير.

شرح حديث سهل بن سعد الساعدي
(لأعطين الراية غداً ...) وفوائده

قوله: عن سهلٍ بن سعدٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر.. الحديث.

(ش) سهل بن سعد الساعديُّ أنصاري خزرجي، صحابي مشهور مات سنة ثمان وثمانين من الهجرة وقد جاوز المائة.

المفردات:

(**خيبر**): أي: في غزوة خيبر.

وقوله: (**رجلاً**): أبهمه فلم يبينه.

قوله: (**يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**): أثبت المحبة لله من الجانبين، أي: أن الله تعالى يحب ويحب، المحبة درجات، أولها: العلاقة وهي: تعلق القلب بالمحبوب، وقيل: ميل القلب إلى محبوبه وطلبه منه، وقد عدت إلى عشر درجات: أعلاها الخلة[1].

= ذكره من الفرق المدعى، وما ذكره من الفرق هو مذهب الحنفية وهو مذهب مرجوح عند المحققين.

(١) درجات المحبة عشر، هي: ١- العلاقة، وهي تَعَلُّق القلب بالَمحبوب. ٢- الإرادة؛ وهي مَيْلُ القلب إلى مَحْبوبه، وطلبُهُ له، فالإرادة حركة الإنسان نحو المَحْبوب. ٣- والصَّبابة؛ اِنْصِباب القلب إليه، حيث لا يمْلِكُهُ صاحبهُ، كانْصِباب الماء في المُنْحَدَر. ٤- الغرام؛ هو الحبّ الملازِمُ للقلب، ومنه الغريم لِمُلازَمتِه غَريمَهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ (سورة الفرقان: ٦٥). ٥- المودَّة؛ الوُدّ هو صَفْوَةُ المحبَّة، وخالِصُها، وقالوا: السُّلوك المادي الذي يُجَسِّدُ المحبَّة. ٦- =

قوله: (**يفتح الله على يديه**): أخبر أن ذلك الرجل الذي تسلم له الراية يفتح الله له.

(**فبات الناس**): اهتم الصحابة بهذه البشارة.

(**فباتوا يدوكون ليلتهم**): أي: يتحدثون ويخوضون.

(**أيهم يعطاها**): أي: فيمن تدفع له الراية منهم، وينال هذه المرتبة. قال عمر رضي الله عنه: «ما أحببت الإمارة إلا حينئذٍ»[(١)].

(**فلمّا أصبحوا**): أي: دخلوا في الصباح.

(**غدوا على رسول الله ﷺ**): أي: ذهبوا من أول النهار، كلهم يتمنى هذه الفضيلة

= الشَّغَف؛ وهي وُصول المحبَّةِ إلى شغاف القلب. ٧- العِشْق؛ وهو الحبّ المُفْرِط الذي يُخاف على صاحِبِه منه. ٨- التَّيْمُ؛ تقول: فلانٌ مُتيَّم مِنَ الوَلَـهِ، وهو التَّعَبُّد. ٩- العبادة، فهي من مراتب المحبَّة، أي: خالص الحب، والإخلاص، والطاعة. ١٠- الخُلَّة، وهي المحبَّةُ التي تَخَلَّلَتْ روح المُحِبّ وقلبِهِ. وقيل في تَرْتيبها غير ذلك، أي: أنَّ هذا الترتيب مُفْتَعَل، وهو تَقْريبٌ حَسَن، ولا يُعْرَفُ حُسْنُهُ إلا في معانيه، المصدر: العقيدة الطحاوية، الأسماء والصفات، شرح مراتب المحبة وبيان ما يوصف به الله تعالى منها وما لم يوصف.

(١) **نص الحديث**: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: («لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه». قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال: فتساورت لها، رجاء أن أدعى لها، قال: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، فأعطاه إياها، وقال: امش ولا تلفت حتى يفتح الله عليك، قال: فسار علي شيئاً ثم وقف، ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) المصدر: صحيح البخاري (٤/ ٢٠٧)، وصحيح مسلم (٤/ ١٨٧١، ١٨٧٢) رقم الحديث: (٢٤٠٥) واللفظ له.

التي حصلت لعلي رضي الله عنه.

(**فقال: أين علي بن أبي طالب؟**): فيه سؤال الإمام عن رعيته؛ وتفقد أحوالهم، وفي رواية: «ادعوا لي علياً»[١].

(**فبصق في عينيه**): أي: تفل وهو التفل مع الريق، ويسمى البزاق.

(**فبرأ**): أي: شفي وعوفي من الرمد، قال علي: «ما رمدت ولا صدعت منذ دفع إليّ النبي صلى الله عليه وسلم الراية»[٢].

وقوله: (انفذ على رسلك): أي: امضِ من وقتك وساعتك على رسلك بتأنٍّ وتُؤَدة ورفق، بلا طيشٍ ولا عجلةٍ.

(**حتى تنزل بساحتهم**): الساحة كما يقال: فناء الدار وهو ما يقرب منهم وما حولها.

(**ثم ادعهم إلى الإسلام**): هذا هو المقصود من الحديث؛ لأن فيه الدعوة إلى الله، ويقال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لعليٍّ: «امشِ ولا تلتفت حتى يفتح الله على يديك وسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت، وصرخ يا رسول الله! على ماذا أقاتلهم؟ فقال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»[٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠٤).

(٢) رواه الطبراني عن علي بنحو هذه الرواية، وقال عنها الهيثمي (٩/ ١٢٢): إن إسنادها حسن، ورواه أبو داود في مسند أبي داود الطيالسي - أحاديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه - رقم الحديث: (١٨٣)، بلفظ: عَنْ مُغِيرَةَ الضَّبِّيِّ، عَنْ أُمِّ مُوسَى، قَالَتْ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه، يَقُولُ: «مَا رَمِدْتُ وَلا صُدِّعْتُ مُنْذُ دَفَعَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إِلَيَّ بِالرَّايَةِ يَوْمَ خَيْبَرَ».

(٣) صحيح البخاري (٤/ ٢٠٧)، وصحيح مسلم (٤/ ١٨٧١، ١٨٧٢) رقم الحديث: (٢٤٠٥) واللفظ له.

(وأخبرهم) أي: أعلمهم.

(فيما يجب عليهم من حق الله تعالى) أي: بما هو واجب عليهم من حقوق الإسلام كالشهادتين والصلاة.

(فوالله) قسم منه ﷺ وهو الصادق المصدوق.

(لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً): الهداية هنا هي: هداية الدلالة والإرشاد وتكون سبباً لهداية القلوب، التي هي هداية التوفيق والقبول.

(خير لك من حمر النعم) أي: أن هذا العمل أفضل من أن تكون لك هذه الإبل فتتصدق بها، قال النووي: هذا ضرب مثلٍ وتقريب وإلا ذرّة من ذرات الآخرة خير من الدنيا وما فيها. أ. هـ من كلام النووي رحمه الله[(١)].

فضيلة (علي) لا يلزم منها أفضليته على غيره:

هذه الأحاديث من أعظم ما يستدل به على فضل علي رضي الله عنه لإثبات النبي ﷺ محبته لله ورسوله، ومحبة الله ورسوله لعلي رضي الله عنه، ومعلوم أن مثل هذه الشهادة لا تنبغي إلا لرجلٍ فاضلٍ من كبار المؤمنين، سيّما أصحاب محمد ﷺ الذين هم صفوة الناس، وخير الأمة بل خير الأمم، لا كان ولا يكون مثلهم ما عدا الأنبياء والمرسلين، وعلي رضي الله عنه من الخلفاء الراشدين، ومن العشرة المشهود لهم بالجنة، وقد شهد له النبي ﷺ بالمحبة، وأن الله عز وجل يحبه، وقد أخبر ﷺ أنه يفتح الله على يديه وأنه ينصره، ووقع الأمر كما أخبر، وقد قيل: إن علياً تخلَّف في المدينة في تلك الغزوة، فأبت نفسه المؤمنة التخلف عن غزوٍ مع رسول الله ﷺ فأتى إلى المعسكر الإسلامي في خيبر، أرمد، وقد تنافس

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي رضي الله عنه، حديث رقم (٢٤٠٦).

الصحابة في ليلتهم، وتحدثوا في ذلك الفضل فتطاول لها الفاروق، لينال هذه الرفعة وهذه الشهادة، فأبى الله ذلك إلا لعليٍّ رضي الله عنه، وليس فيه دليل على تفضيله على عمر رضي الله عنه، ولكن هذه الفضيلة ثبتت له دون غيره، فدعاه الرسول ﷺ وهو أرمد فبصق في عينيه ودعا له فنالته بركة الدعوة النبوية المستجابة قطعاً، والرسالة بالدعاء، مع الريق الشريف فصحَّ، وذهب وجعه وقوي بصره، فلم ير رمداً بعدها، ولا وجع عين، عند ذلك سأل علي رضي الله عنه النبي ﷺ عن القتال الذي أراده، وكيفيته وعلى أي شيء يقاتلهم؟ فأرشده النبي ﷺ إلى الدعوة أولاً إلى توحيد الله، وتحكيم كتابه والعمل بتعاليم الشريعة وتأدية أركانها، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا أنفسهم وأموالهم وأهليهم، إلا بحق الإسلام، فإن لم يفعلوا عند ذلك شرع قتالهم، ثم أقسم ﷺ أن من دلَّ الخلق ودعاهم إلى الله عز وجل، وبيَّن لهم شريعته، ودينه فانقادوا، وهداهم الله به؛ فإن ذلك خير من الصدقة بالإبل الحمر، وهي أكرم وأنفس أموال العرب.

ما يستفاد من الحديث:

١- فضل علي رضي الله عنه وأن إثبات محبة الله له دليل إيمانه باطناً وظاهراً وأنه سيموت على ذلك، كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية.

٢- فيه الردُّ على الخوارج والمعتزلة، الذين لا يثبتون لعلي رضي الله عنه هذه المحبة، وهذه الولاية.

٣- الرد على بعض الرافضة الذين يفضلون علياً على النبي ﷺ، أو أنهم يرونه شريكاً في الرسالة، والرد على المغالين به، لأنه من جملة الصحابة ومن أفاضلهم.

٤- فيه دليل على صدق نبوة النبي ﷺ، حيث أخبر بالشيء قبل أن يقع، وهو علم من أعلام النبوة.

٦- جواز الرقية بالدعاء، والنفث والبصاق على المريض، إذا كان بأدعيةٍ معروفة، أو آيات قرآنية أو أحاديث نبوية.

٧- لا يجوز البدء في القتال قبل الدعوة إلى الله، إلا إن كانت بلغتهم الدعوة قبل ذلك لإغارته ﷺ على بني المصطلق، حيث بلغتهم الدعوة[١].

٩- حِرص الصحابة رضوان الله عليهم على الخير، وأنهم يبادرون إليه ويرغبون فيه.

١٠- إثبات المحبة لله، وأن هذه الصفة ثابتة لله تبارك وتعالى، ففيه الرد على منكري ذلك.



(١) وفي الحديث دليل على وجوب الدعوة قبل القتال لمن كانت بلغتهم الدعوة كهؤلاء الذين في خيبر من اليهود، فقد بلغتهم الدعوة بلا شك، أمّا إذا كانت الدعوة لم تبلغهم فيجب دعوتهم قبل البداءة بقتالهم.

أسئلة

١- بين المناسبة بين باب الدعاء إلى شهادة إلا إله إلا الله وما قبله؟ ما المشار إليه في قوله: «هذه سبيلي»؟

٢- بيِّن شروط الداعية وصفة الدعوة، مع بيان معنى: «ومن اتبعني» وما هي البصيرة؟ وما معنى: سبحان الله؟ ثم اشرح الآية شرحاً مجملاً، وبين ما تفيده من أحكام.

٣- اشرح المفردات الآتية: (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)، وقوله: «فإن هم أطاعوك لذلك»؟

٤- ما هي الصلوات المفروضة؟ وما معنى: «افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم»؟ ثم بين معنى: «إياك وكرائم أموالهم»؟ وقوله: «واتق دعوة المظلوم»؟

٥- اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبين ما فيه من أحكامٍ مستقصياً ما مر بك.

٦- اذكر شيئاً من ترجمة سهل الراوى الحديث؟

٧- وما معنى المفردات الآتية: (يوم خيبر - رجلاً - المحبة)؟

٨- ما الذي يدل عليه قول النبي ﷺ: يفتح الله على يديه؟

٩- ما معنى قوله: يدوكون؟ وقوله: فلما أصبحوا غدوا؟

١٠- بين الرقية الجائزة؟ وما هي الراية؟ ومعنى: انفذ على رسلك؟ وما هي الساحة؟ وبين الهداية المذكورة في قوله: «فوالله لأن يهدي بك الله بك رجلاً واحداً، خير لك من حمر النعم »، ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً، وبين ما فيه من أحكام.



باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

(م) باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله:

وقول الله تعالى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾[1].

وقوله: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

وقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[3]. وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾[4].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعْبَدُ من دون الله؛ حَرُم ماله ودَمُه وحسابه على الله** ﷻ)[5].

---

(١) سورة الاسراء، (الآية: ٥٧).

(٢) سورة الزخرف، (الآيات: ٢٦، ٢٧).

(٣) سورة التوبة، (الآية: ٣١).

(٤) سورة البقرة، (الآية: ١٦٥).

(٥) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان (٢٣)، باب الأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ) عَنْ أَبِي مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، مسند أحمد بن حنبل (٦/ ٣٩٤).

شرح عنوان الباب:

وشرح هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

فيه أكبر المسائل وأهمها: وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة، وبيَّنها بأمورٍ واضحةٍ:

منها: آية الإسراء، بَيَّنَ فيها الردَّ على المشركين، الذين يَدْعون الصالحين، ففيها: بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها: آية براءة، بَيَّنَ فيها أَنَّ أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وبَيَّنَ أنهم لم يُؤمروا إلا بأن يَعبدُوا إلهاً واحداً، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم.

ومنها: قول الخليل «عليه السلام» للكفار: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾** ﴾[1] فاستثنى من المعبودين ربه، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة: هي شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: ﴿ **وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾** ﴾[2].

ومنها: آية البقرة: في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿ **وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** ﴾[3]، ذكر أنهم يُحبون أندادهم كحبِّ الله، فدلَّ عَلَى أنهم يحبون الله حباً عظيماً، ولم يُدْخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحبَّ النِّدَّ أكثر من حُبِّ الله؟! فكيف بمن لم يُحِبَّ إلا النِّدَّ

---

(١) سورة الزخرف، (الآيات: ٢٦، ٢٧).

(٢) سورة الزخرف، (الآية: ٢٨).

(٣) سورة البقرة، (الآية: ١٦٨).

وحده؟ ولم يُحِبَّ الله؟!

ومنها: قوله ﷺ: (**من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يُعْبَدُ من دون الله، حَرُم ماله ودَمُه، وحسابه على الله**)[١] وهذا من أعظم ما يبين معنى: «لا إله إلا الله» فإنه لم يجعل التلفُّظ بها عاصِماً للدَّم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لَفْظها، بل ولا الإِقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يَحْرُمُ ماله ودمَه حتى يُضيف إلى ذلك الكفْرَ بما يُعبَدُ من دون الله، فإن شَكَّ أو توقَّفَ لم يَحرُمْ ماله ودمْه، فيا لها من مسألةٍ ما أعْظَمها وأَجَلّها!! ويا لَهُ من بيانٍ ما أوْضَحَهُ وحجَّةٍ ما أقطَعَها للمنازِع!!

شرح قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ وفوائد الآية

(ش):

لَمَّا ذكر المصنف في الأبواب السابقة التوحيد وفضله والدعوة إليه، والشرك والخوف منه الذي هو ضد التوحيد، فإن النفوس اشتاقت إلى معرفة هذا الأمر الذي خلقت له، ناسب أن يذكر بعد هذا الباب الذي حاصله هو البراءة عن عبادة كل ما سوى الله، والإقبال بالقلب والعمل على الله الذي هو معنى التوحيد، وقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾[٢].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (٢٣)، باب الأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله) عَنْ أَبِي مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، مسند أحمد بن حنبل (٦/ ٣٩٤).

(٢) سورة الاسراء، (الآية: ٥٧).

قال الشوكاني رحمه الله: «(الوسيلة): القربة بالطاعة والعبادة، أي: يتضرعون إلى الله في طلب ما يقربهم إلى ربهم، والضمير في ربهم يعود إلى العابدين أو المعبودين، (أيهم أقرب): مبتدأ وخبر، قال الزجاج: المعنى: أيهم أقرب بالوسيلة إلى الله، أي: يتقرب إليه بالعمل الصالح، ويجوز أن يكون بدلاً من الضمير في (يبتغون)، أي: يبتغي من هو أقرب إليه تعالى الوسيلة، فكيف بمن دونه؟ وقيل: إن (يبتغون) مضمن معنى: «يحرصون» أي: يحرصون أيهم أقرب عليه سبحانه بالطاعة والعبادة (ويرجون رحمته): كما يرجوها غيرهم، (ويخافون عذابه) كما يخافه غيرهم، (إن عذاب ربك كان محذوراً): تعليل، لقوله: (يخافون عذابه): أي: إن عذابه سبحانه حقيق بأن يحذره العباد من الملائكة والأنبياء وغيرهم»[1].

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

يخبر سبحانه أن هؤلاء المدعّوين من دونه، كالملائكة وعزير وعيسى لا يملكون للداعي كشف ضر نزل به، ولا تحويله عنه، وهم يدعون ربهم ويتضرعون إليه - سبحانه- بأنواع القُرَب، توسلاً بهذه العبادة إلى القرب منه وهم يرجون رحمته كغيرهم من عباده، ويحذرون من غضبه وعقابه، وحق لهم أن يخافوا عذابه، لأن من أمن عذابه وغضبه فهو مغرور، ومن أمن عذابه فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، التي ينبغي للعبد أن يحذرها ويبتعد عنها ويكون خائفاً من العذاب راجياً الرحمة، وهذه صفات المؤمنين من الأنبياء وغيرهم المدعّوين من دون الله، وهم لا يرضون بدعاء من دعاهم ولا يستجيبون له، وهم من جملة عباد الله، الذين يخافون عذابه ويرجون رحمته.

---

(١) انظر: فتح القدير تفسير سورة الإسراء (آية: ٥٧).

ما يستفاد من الآية الكريمة:

١- أن التوحيد ومعنى الشهادة هو: ترك ما عليه المشركون من دعوة غير الله[(١)].

٢- أن العبادة لا تتم إلا بالخوف والرجاء.

٣- أن كثيراً ممن يدعو الآلهة التي لا تنفع ولا تدفع عنه، ويكفر بها المدعو ويتبرأ إلى الله، كعيسى عليه السلام وغيره من الملائكة والصالحين.

٤- أن النطق بالشهادة لا يكفي بل لا بدَّ من الكفر بالمعبودات من دون الله.

٥- أن دعاء الصالحين والأنبياء والملائكة بدفع ضر أو جلب نفع، أن ذلك هو الشرك الأكبر، كقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾[(٢)].

شرح بقية الآيات الواردة في الباب وفوائدها

المفردات:

﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾: هو الخليل إمام الحنفاء، وأبو الأنبياء عليه السلام.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ﴾: نادى أقرب الناس إليه، ودعاهم؛ لأن الله قال لنبيه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[(٣)].

وقوله: ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾: أي: براء من الأصنام التي تعبدونها.

---

(١) أي: مع إخلاص العباد لله وحده لا شريك له.

(٢) سورة الزخرف، (الآيات: ٢٦، ٢٧).

(٣) سورة الشعراء: (٢١٤).

وقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾: جميع بين النفي والإثبات، فالنفي: ﴿ بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾، والإثبات ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾، فدل على أن التوحيد لا يتم إلا بالكفر بما سوى الله والإيمان بالله وحده: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾[1]، وهؤلاء يعبدون الله ويعبدون غيره، لأنه قال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾، والأصل في الاستثناء الاتصال إلا بدليل، ومع ذلك تبرأ منهم.

ومعنى: ﴿ فَطَرَنِى ﴾: أوجدني.

﴿ فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾: يوفقني للعمل والصواب.

﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾: أي: في ذريته، والكلمة هي: كلمة الإخلاص.

وقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ ﴾: الأحبار هم علماء اليهود والرهبان علماء النصارى، أرباباً: أي آلهة. يعبدون من دون الله، أي: بالتحليل والتحريم المخالف لأمر الله.

﴿ أَندَادًا ﴾: الأنداد: هم الأمثال والأشباه والنظراء.

﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ أي: شركاً في المحبة، فمن أحب معبوده كمحبة الخالق فقد اتخذه لله نداً.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ أي: من أهل الأوثان لأوثانهم.

---

(١) سورة البقراء: (٢٥٦).

المعنى الإجمالي للآيات:

أخبر الله سبحانه عن خليله ونبيه إبراهيم أنه تبرأ من اتخاذهم المعبودات والآلهة من دون الله، الأوثان وغيرها، وأنه توجه إلى خالقه وفاطره، الذي يستحق العبادة، ويستحق أن يوحد ويرجى ويرغب إليه، وهذا هو معنى: (لا إله إلا الله) وتقدم معناها مستوفى، وفوَّض الخليل الهداية لله، لأنه هو الهادي للحق والصواب، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابعه، فإذا أراد أن يقلب قلب عبدٍ قلبه.

وفي الآية **الثانية**: إخبار منه تبارك وتعالى أن هناك طائفةً من الناس اتخذوا العلماء والعباد والمشرعين أرباباً في الطاعة، حيث أحلوا ما حرم الله فحللوه، وحرموا ما أحل الله فحرموه فصارت هذه هي عبادتهم، ويفسر ذلك حديث عَدي بن حاتم الآتي: عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرّم الله فتحلونه، فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم)[1].

وفي الآية **الثالثة**: أن هناك طائفةً أخرى اتخذوا لله شركاء في المحبة، فأحبوا الأوثان

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، سورة التوبة، رقم الحديث (٣٠٩٥)، وابن جرير في تفسيره (١٠/ ٨٠)، وانظر أيضاً: تفسير هذه الآية عند ابن كثير رحمه الله ج ٢، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٩٣): رواه البخاري في التاريخ والترمذي والبيهقي في السنن وابن جرير في التفسير والطبراني في الكبير، والزيادتان يعني زيادة: (فتلك عبادتهم وإنا لسنا نعبدهم) للبخاري (في التاريخ) وغيره، ثم قال: فهو بمجموع طرقه حسن إن شاء الله تعالى، وقد أشار ابن كثير إلى تقويته.

والصالحين الذين يدعونهم من دون الله دون محبة الله تبارك وتعالى، فهذا شرك المحبة فعملهم حابط، وهم في النار، ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾[1]، ولو ادعى الإسلام ما دام مصراً على محبة الأصنام والأوثان فهو مشرك؛ لكن هناك محبة طبيعية كمحبة المال والولد فهذه ليست داخلةً في المحبة الشركية التي ذكرها، بل هي محبة شفقة ورحمة، لا محبة عبادة مضادة لمحبته تبارك وتعالى.

ما يستفاد من الآيات:

١- أن التوحيد لا يحصل إلا بالبراءة من الشرك وأهله.

٢- أن التوحيد الذي دعا إليه الخليل عليه السلام لا بدَّ فيه من الحب والبغض في سبيل الله، وابتغاء طاعته، ولو كان مع الأقربين كالآباء والبنين.

٣- أن من أطاع العلماء والأمراء والمشرعين والعباد في تحريم حلالٍ أو تحليل حرامٍ، فإنه قد اتخذهم أرباباً من دون الله.

٤- أن من اتخذ لله نداً أو شبيهاً في المحبة فقد اتخذه رباً من دون الله.

٥- أن ما جاء به محمد ﷺ هو ما جاء به الخليل، إبراهيم عليه السلام لأنه هو التوحيد الخالص.

٦- أنه لا بد في التوحيد من القول والعمل والاعتقاد، والكفر بجميع ما يعبد من دون الله وإلا لم ينفعه الإسلام.

---

(١) سورة البقرة، (الآية: ١٦٨).

شرح حديث تحريم الموحد على النار وفوائده

المفردات:

قوله: (**في الصحيح**) أي: صحيح مسلم.

(**عن أبي مالك الأشجعي**): لم يذكر المصنف راوي الحديث.

قوله: (**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله**): هذان شرطان: الأول: أنه لا بدَّ مع النطق بها من العمل بها ظاهراً وباطناً، والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، وهو معنى الكفر بالطاغوت.

قوله: (**حرُم ماله ودمه**): أي: إذا عمل بما دلت عليه هذه الكلمات من النفي والإثبات، والعمل بمدلولها ظاهراً وباطناً، فإنه يحرِّم دمه وماله إذا عمل بذلك، وفي بعض الألفاظ: (**إلا بحقها**)[1]، أي: حق الإسلام، كأن يترك شيئاً من أمور الإسلام الظاهرة، كالصلاة أو الزكاة أو الحج أو يقتل مسلماً معصوماً، أو يزني وهو محصن، أو غير ذلك يستباح دمه.

قوله: (**وحسابه على الله**) أي: توكل سريرته إلى الله، فإنه هو الذي يطّلِع على ما في القلوب من إيمان ونفاق.

قوله: (**وشرح هذه الترجمة ما بعدها من أبواب**): أي: شرح تفسير التوحيد.

(**وشهادة أن لا إله إلا الله**): هو ما يترجم له المصنف في الأبواب الآتية.

---

(١) **نص الحديث**: وقد قال النبي ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) صحيح البخاري، الزكاة (١٤٠٠)، صحيح مسلم الإيمان (٢٠) سنن الترمذي، الإيمان (٢٦٠٧)، سنن النسائي، الجهاد (٣٠٩٢)، سنن أبي داود، الزكاة (١٥٥٦)، مسند أحمد بن حنبل (١/ ١٩).

المعنى الإجمالي:

الحديث من أدلة الكتاب على التوحيد، وأن من قال: «لا إله إلا الله» وشهد أن محمداً رسول الله، لا بدَّ مع ذلك من الكفر بما يعبد من دون الله فإنه لم يجعل التلفظ بها كافياً، ولا الإقرار بها، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، فلا بدَّ بالإضافة مع ما تقدم من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، والحديث دليل على أن من دخل في الإسلام طوعاً عصم دمه وماله وما تحت يده، ومجرد النطق بها يعصم الدم والمال، لكن يطالب ببقية شرائع الإسلام وأركانه، كالصلاة فمتى حضرت الصلاة ولم يصلّ، ولو نطق بها فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل بعد ثلاثة أيامٍ، لقول الرسول في الحديث: (**إلا بحقها**)[1]، والصلاة من حقوق الإسلام، ولأنه من ترك الصلاة فقد كفر، وكذلك الزكاة، فإن أبا بكرٍ رضي الله عنه قاتل مانع الزكاة، وقال: «والله لو منعوني عناقاً -وفي رواية: عقالاً- كانوا يُؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلهم على ذلك»[2]، مستدلاً على هذا بالحديث ووافقه الصحابة على ذلك.

وكذا قول عمر رضي الله عنه: (**لقد هممت أن أكتب إلى هذه الأمصار من كان عنده زاد وراحلة، فلم يحج فليضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين**)[3]، وكذا من ارتدَّ عن

---

(١) **نص الحديث**: وقد قال النبي ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها). صحيح البخاري، الزكاة (١٤٠٠)، صحيح مسلم، الإيمان (٢٠) سنن الترمذي، الإيمان (٢٦٠٧)، سنن النسائي، الجهاد (٣٠٩٢)، سنن أبي داود، الزكاة (١٥٥٦)، مسند أحمد بن حنبل (١/ ١٩).

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه سعيد بن منصور في سننه بسند صحيح، ورواه أيضاً البيهقي.

(*) في هذا القول دليل على المبادرة في الحج وعدم تأخيره.

الإسلام لا يكون معصوماً، فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وكذا من قتل نفساً معصومةً حلَّ دمه، والزاني المحصن يُرجم، والمقصود أن من أتى بالشهادتين وحقوقها، فإنه يعصم دمه وماله.

قال الشارح رحمه الله: قلت: وقد أجمع العلماء على معنى ذلك فلا بدَّ من العصمة من الاتيان بالتوحيد، والتزام أحكامه وترك الشرك والله الموفق.

ما يستفاد من الحديث:

١ - أن من نطق بالشهادتين دخل في الإسلام، ويعصم دمه وماله ويطالب ببقية شرائع الإسلام.

٢ - أنه مع النطق لا بدَّ من العمل بمدلولها ظاهراً وباطناً، مع الكفر بما يعبد من دون الله.

٣ - أن من أتى بما تقدم يطالب بحقوق الإسلام كالصلاة، فمن لم يصلّ ليس بمسلم والزكاة، وهكذا كما تقدم في الشرح.

٤ - أن من ارتكب محظوراً يبيح دمه، ليس معصوماً، كقتل النفس بغير حقٍ والزاني المحصن.



أسئلة

١- بيِّن مناسبة باب تفسير التوحيدِ لما قبله، اشرح الآية: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧ ﴾ مع بيان معاني المفردات، وشرحها شرحاً إجمالياً، وما تفيده من أحكام؟

٢- اشرح الآيات التالية: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ ﴾ وقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾.

٣- ماذا قال إبراهيم لأبيه وقومه؟ وماذا يتضمن قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ ﴾؟ ما معنى الكلمة في قوله: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ ﴾؟ ومن هم الأحبار والرهبان؟ عرف المحبة المذكورة في الآية؟

٤- اشرح الآيتين شرحاً مجملاً، مع بيان ما فيهما من أحكامٍ؟

٥- اشرح حديث أبي مالك من قال: «لا إله إلا الله» إلى آخر الحديث شرحاً وافياً، مع بيان ألفاظه واذكر ما يدل عليه؟



باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

(م) باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه، قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[1].

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في يده حلقة من صفر. فقال: **(ما هذه؟ قال: من الواهنة، فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لومت وهي عليك ما أفلحت أبداً)**[2]. رواه أحمد بن حنبل بسند لا بأس به.

وله عن عقبة بن عامر مرفوعاً: **(من تعلق تميمةً فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعه فلا ودع الله له)**[3].

وفي رواية: **(من تعلَّق تميمةً فقد أشرك)**[4].

ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه: **(أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه،**

---

(١) سورة الزمر، (الآية: ٣٨).

(٢) رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، وقال الأرناؤوط في تعليقه على المسند: إسناده ضعيف، وضعفه الألباني. انظر: السلسلة الضعيفة (١٠٢٩).

(٣) رواه أحمد، وقال الأرناؤوط في تعليقه على المسند: حديث حسن، وضعفه الألباني. انظر: الضعيفة (١٢٦٦)، والله أعلم

(٤) رواه أحمد وصححه الألباني. انظر حديث رقم: (٦٣٩٤) في صحيح الجامع.

وتلا قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[(١)][(٢)].

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ في لُبس الحلْقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه، ما أفلح، فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر الكبائر[(٣)].

الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة.

الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة، بل تضر لقوله: «لا تزيدك إلا وَهْناً».

الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئاً وُكِلِ إليه.

السابعة: التصريح بأنَّ من تعلَّق تميمةً فقد أشرك.

الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك[(٤)].

---

(١) (سورة يوسف: ١٠٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (سورة يوسف آية: ١٠٦)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٢٨٩١).

(٣) الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح، هذا وهو صحابي، فكيف بمن دون الصحابي؟! فهو أبعد عن الفلاح. قال المؤلف: (فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر)، قوله: (لكلام الصحابة)، أي: لقولهم، وهو كذلك، فالشرك الأصغر أكبر من الكبائر، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا)، وذلك لأن سيئة الشرك أعظم من سيئة الكبيرة، لأن الشرك لا يغفر ولو كان أصغر، بخلاف الكبائر فإنها تحت المشيئة. المصدر: «القول المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله.

(٤) أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك. يؤخذ من فعل حذيفة أنه رأى رجلًا في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾، المصدر: «القول المفيد على =

التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن أصحابه يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر ابن عبَّاس رضي الله عنهما في آية البقرة.

العاشرة: أن تعليق الودع من العين من ذلك(١).

الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمةً، أن الله لا يتم له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له، أي: ترك الله له.

شرح قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ والأحكام المستفادة منها

«ش» المناسبة: لما ذكر المصنف تفسير التوحيد ناسب أن يذكر أنواع الشرك، فبدأ بما ينافي كماله، وقد ابتدأ بالتدرج من الأدنى إلى الأعلى، كما هي طريقة العلماء، وقد يبدءون بالعكس، حيث بدأ بالشرك الأصغر ليرتفع إلى الأكبر.

المفردات:

﴿قُلْ﴾: يا محمد.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ﴾: من الأوثان والأصنام.

= كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله.

(١) أي: أن قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ في الشرك الأكبر، لكنهم يستدلون بالآيات الواردة في الشرك الأكبر على الأصغر، لأن الأصغر شرك في الحقيقة وإن كان لا يخرج من الملة، ولهذا نقول: الشرك نوعان: أصغر وأكبر، وقوله: (كما ذكر ابن عباس في آية البقرة)، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾[البقرة: ١٦٥]، فجعل المحبة التي تكون كمحبة الله من اتخاذ الند لله عز وجل المصدر: «القول المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي: تخصونها وتضرعون إليها كما هي حال كفار قريش.

﴿إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: أي: ببلاءٍ ومرضٍ ونقصٍ في أهلٍ أو مالٍ.

﴿هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾: أي: هل تستطيع أن تزيل ذلك وترفعه.

﴿أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ﴾: أي: بخيرٍ ورزقٍ وصحةٍ وغيرها.

﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ﴾: أي: كافي من دون هذه الأوثان وغيرها.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

في الآية توضيح لمن اتخذ الآلهة والمعبودات من دون الله، من الأوثان أو غيرها مما ينافي التوحيد أو كمال التوحيد، من اتخاذ الحروز والخيوط على الدوام وغيرها، إذا اعتقد أنها تنفع أو تضر من دون الله، أو مع الله فهذا كله منافٍ للتوحيد أصلاً، كمن اتخذ الآلهة، أو لكماله وهو الذى يتخذ الحروز والخيوط وما شاكلها، لاعتقاد أنها تنفع، فلذا أمر نبيه أن يخبر كفار قريش أن هذه المعبودات ليس في استطاعتها نفع أو ضر، فلا ترفع بلاء ولا تدفعه، والذي يملك ذلك هو الله الكافى لمن توكل عليه وأناب إليه، كما في الأثر المعروف.

ما يستفاد من الآية من أحكام:

١- دلت الآية على بطلان عبادة جميع ما يدعى من دون الله، وأنها لا تنفع ولا تضر.

٢- أن الخير والشر والرحمة وضدها بيد الله -سبحانه- يسوقها لمن يشاء ويصرفها عن من يشاء.

٣- أن من توكل على الله، كفاه الله كل شيء.

٤- استدلال السلف بما نزل في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر كما هنا.

٥- استدلال السلف على تحريم تعليق الخيوط والحروز والودع، كما تقدم في كلامهم.

شرح حديث الأمر بنزع حلقة الصفر من اليد

المفردات:

قوله: عن عمران بن حصين: أي: ابن عبيد بن خلف الخزاعي، من خزاعة، صحابي ابن صحابي، أسلم عام خيبر، ومات سنة اثنين وخمسين بالبصرة.

(رأى رجلاً): في رواية الحاكم: (دخلت على رسول الله ﷺ وفي عضدي حلقة صفر فقال: ما هذه؟..الحديث)، فالمبهم في رواية أحمد هو عمران راوي الحديث، ولم يبين اسمه، لأن المهم بيان القضية وحكمه، لكن ورد ما يدل على أنه عمران نفسه، لكنه أبهم نفسه.

(ما): هذه استفهام إنكار.

قوله: **(من الواهنة)**: هي: عرق يأخذ في المنكب، وفي اليد كلها فيرقي منها، وقيل: هو مرض يأخذ في العضد.

قوله: **(انزعها)**: النزع: هو الجذب بشدة وبقوة، وفي رواية: (انبذها)(١) وهو أبلغ من انزعها.

---

(١) قال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا المبارك عن الحسن قال: أخبرني عمران بن حصين: (أن النبي ﷺ أبصر على عضد رجل حلقة -قال: أراها من صفر- فقال: ويحك، ما هذه؟ قال: من الواهنة، قال: أما إنها لا تزيدك إلا وهنا، انبذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً). سنن ابن ماجه، الطب (٣٥٣١)، مسند أحمد بن حنبل (٤/ ٤٤٥).

(**لا تزيدك إلا وهناً**): مرضاً على مرضك.

(**فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً**): لأنه شرك.

(**والفلاح**): هو الفوز والظفر والسعادة الأخروية، فنفيت عمَّن تعلق قلبه بمثل هذه التمائم والحروز، لدفع هذه الأشياء.

سبب الحديث:

حديث عقبة له سبب، وهو: أنه جاءه أناس يبايعونه فبايع تسعة وأمسك عن واحدٍ، ثم أدخل يده فقطعها، فقال الحديث.

شرح حديث: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له ...»

المفردات:

قوله: (**من تعلَّق تميمةً**): التميمة خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم، يتقون بها العين في زعمهم، فأبطله الإسلام.

(**ومن تعلَّق ودعة**): الودع هو: ما يخرج من البحر ويشبه الصدف، يتقون بها العين.

(**فلا ودع الله له**)، أي: لا تركه الله في دعة وراحة.

(**ومن تعلق تميمةً فقد أشرك**): التمائم من أي نوع كانت من حروز أو ودع أو غيرها، إذا اعتقد أنها تنفع أو تضر فهو شرك.

قوله: (**في يده خيط من الحمى**)، أي: خيوطاً يرقون بها ويعلقونها ويزعمون أنها تنفع.

المعنى الإجمالي للأحاديث المتقدمة:

هذه الأحاديث فيها التغليظ في تعليق الخيوط والتمائم والودع وأمثالها، مما يرقى فيه ويعلق ويعتقد أنها تنفع أو تضر، وأنه من الشرك الذي يجر لصاحبه الهلاك، لأن من تعلق شيئاً وكله الله إليه، ويعامل بنقيض قصده في الدنيا بعدم الشفاء، وعدم تمام الأمور، وأن رسول الله ﷺ قد دعا عليه بأن الله لا يتركه في دعة وسكون، بل تنعكس عليه الأمور وليس من عمله إلا ما تعلق من دون الله، والوقوع في حبائل الشرك المنافي للتوحيد أو لكماله، والذي يستحق صاحبه أن يعذب عليها، بما يستحقه من النكال والجزاء، وقد وجد في هذه الأزمنة من اتخاذ بعض المشعوذين والدجالين، ممن يأكلون أموال الناس بخرافات ابتدعوها من أدوية تضر أكثر مما تنفع، لأنه ليس من الطب المعروف المسلم به، وليس البعض منهم معروفاً بالصلاح، فيرجى بدعواته أن يستجيب الله له، إذا رقى بآيات قرآنية أو أحاديث نبوية، فإن الرقى المباحة تقدم لنا شيئاً منها، ويأتي بعضها، ولكن مشعوذة هذه الأزمنة نوع من الدجل أو السحر، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ما يستفاد من الأحاديث:

١ - تحريم تعليق التمائم من أي نوعٍ كان، وقد اختلف في تعليق القرآن عند أهل العلم.

٢ - أن الرقية إذا كانت بقرآن أو أحاديث أو أدعية مباحة، فإنها جائزة.

٣ - أن الرقى إذا كانت بألفاظ غير معروفة ممنوعة.

٤ - أن تعليق الودع والتمائم والخرز، ولو كانت لقصد رد العين أنها من هذا النوع المحرم.

٥- تغليظ الرسول في تعليق شيء من ذلك، حتى إنه لم يبايع من وجده متعلقاً شيئاً منها.

٦- تغليظ الصحابة وشدة إنكارهم واستدلالهم على ذلك بما نزل في الشرك الأكبر.

٧- أن الشرك الأصغر قد يتحول إلى أكبر، فلذا مُنع منه، وهو أكبر من الكبيرة.



أسئلة

١- ما هي مناسبة الباب لما قبله؟ ولماذا بدأ بذكر الشرك الأصغر؟

٢- بين معنى قوله تعالى: «قل أرأيتم ما تدعون من دون الله»؟ وقوله: «إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره إلى آخر الآية»؟ ثم اشرح الآية شرحاً مجملاً وبيّن ما فيها من أحكام.

٢- اشرح المفردات الآتية: (رأى رجلاً - ما هذه الواهنة - انزعها لا تزيدك إلا وهناً).

٣- ما معنى ما أفلحت أبداً؟ وما سبب حديث عقبة؟ وما هي التميمية والودع؟ وما معنى فلا ودع الله له؟ ثم اشرح الأحاديث شرحاً مجملاً وبين ما فيها من أحكام؟



باب ما جاء في الرقى والتمائم

(م) قوله: باب ما جاء في الرقي والتمائم:

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ: **(في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعيرٍ قلادة من وتر، أو قلادة إلا قطعت)**[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقول: **(إن الرقى والتمائم والتولة شرك)**[٢] رواه أحمد وأبو داود.

(التمائم): شيء يُعلق على الأولاد يتقون به العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فَرَخَّص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، ومنهم ابن مسعود رضي الله عنه.

و«الرقى» هي: التي تسمى العزائم، وخصَّ منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخصَّ فيه رسول الله ﷺ من العين والحمى.

و«التولة» هي: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: (من تعلق شيئاً وكل إليه). رواه أحمد

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد (٣٠٠٥)، باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل، ومسلم كتاب اللباس والزينة (٢١١٥)(١٠٥)، باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد، وقال الأرناوؤط في تعليقه على المسند: صحيح لغيره وصححه الألباني.

والترمذي[١].

وروى أحمد عن رويفع[٢] رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **(يا رويفع! لعل الحياة ستطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظمٍ فإن محمداً بريء منه)**[٣].

وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال: **(من قطع تميمةً من إنسان كان كعدل رقبة رواه وكيع)**[٤].

---

(١) الحديث حسن: رواه الترمذي، كتاب الطب (٢٠٧٢) باب ما جاء في كراهية التعليق، وأحمد (٤/ ٣١٠، ٣١١) والحاكم (٤/ ٢١٦)، وحسنه الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (٧/ ٥٧٥).

(٢) **رويفع بن ثابت الأنصاري الخزرجي** رضي الله عنه صحابي من بني مالك بن النجار، شهد مع النبي ﷺ خيبراً، كما شهد فتوح الشام، نزل مصر وولاة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على طرابلس الغرب سنة ٤٦ هـ ومنها غزا أفريقية سنة ٤٧ هـ، ففتح جربة ووصل إلى موقع القيروان حيث أسس مسجداً عرف بعد تأسيس القيروان باسم «مسجد الأنصار» أو «مسجد سيدي رويفع»، وروى عن النبي ﷺ وعنه بشر بن عبد الله الحضرمي وحنش الصنعاني وأبو الخير وآخرون رضي الله عنهم، وقال ابن البرقي: توفي ببرقة وهو أمير عليها، وقال ابن يونس: مات سنة ست وخمسين وهو أمير عليها من قبل مسلمة بن مخلد. المصدر: (كتاب الإصابة في تمييز الصحابة - الجزء الثاني - للحافظ ابن حجر العسقلاني).

(٣) الحديث صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٠٨)، والنسائي (٨/ ١٣٥، ١٣٦) عن رويفع رضي الله عنه بإسناد صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٨٧) وأحمد (٤/ ١٠٩) وأبو داود (٣٦)، وفيه شيبان القتباني مجهول كما أشار إلى ذلك المؤلف.

(٤) حديث «وكيع» هذا عند أهل العلم له حكم الرفع؛ لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي، ويكون هذا مرسلاً؛ لأن سعيد تابعي، وفيه: فضل قطع التمائم؛ لأنها شرك، ووكيع: هو ابن=

وله عن إبراهيم قال: (**كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن**)[(١)].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الرقى والتمائم.

الثانية: تفسير التولة.

الثالثة: أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك.

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن، فقد اختلف العلماء: هل هي من ذلك أم لا؟

السادسة: أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك، أي: من الشرك.

السابعة: الوعيد الشديد على من تعلَّق وتراً.

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

التاسعة: أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف، لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

= الجراح بن وكيع الكوفي، ثقة إمام صاحب تصانيف، منها الجامع وغيره. روى عنه الإمام أحمد وطبقته. ومات سنة سبع وتسعين ومائة.

(١) انظر: فتح المجيد (ص: ١٣٣)، وإبراهيم هو الإمام إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي، يكنى: أبا عمران، ثقة من كبار الفقهاء. قال المزي: دخل على عائشة، ولم يثبت له سماع منها، مات سنة ست وتسعين، وله خمسون سنة أو نحوها، قوله: «كانوا يكرهون التمائم- إلى آخره» مراده بذلك: أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، كعلقمة والأسود وأبي وائل والحارث بن سويد، وعَبِيدة رضي الله عنهم جميعاً.

شرح حديث الأمر بقطع القلائد من أعناق الحيوانات

المفردات:

قوله: (**في الصحيح**): أي: الصحيحين.

(**أبو بشير**): اسمه: قيس بن عبيد شهد الخندق ومات بعد الستين.

قوله: (**في بعض أسفاره**): قيل: لم يوقف على تعيينها، والسفر: مفارقة محل الإقامة.

قوله: (**فأرسل رسولاً**): هو زيد بن حارثة.

(**لا يبقين قلادة من وتر**): أي: لا تترك قلادة، وهي ما يقلد على الدواب لدفع العين وكذا على الصبيان من وترٍ واحد أوتار القوس وكانوا إذا اخلولق الوتر جعلوه على الدابة.

قوله: (**أو قلادة**): أي: ولو كانت مجرد قلادة، ولو لم تكن من وتر.

قال الشارح: تقييدها بالوتر أصح لثبوت الترخيص في القلادة في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالت: (**إن عبد الله رأى في عنقي خيطاً، فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رقي لي فيه، قالت: فأخذه ثم قطعه، ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الرقى والتمائم والتولة شرك. فقلت: لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقى سكنت، فقال عبد الله: إنما ذاك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقى كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: «أذهب البأس، رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»**)[١].

---

(١) سنن أبي داود الطب (٣٨٨٣)، سنن ابن ماجه الطب (٣٥٣٠)، مسند أحمد بن حنبل =

شرح حديث: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)

قوله: (**إن الرقى**): قال المصنف: هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد خص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة، يشير إلى أن الرقى الموصوفة بكونها شركاء هي التي يستعان فيها بغير الله، وأما إذا لم يذكر فيها إلا أسماء الله وصفاته وآياته، والمأثور عن النبي ﷺ فهذا حسن: جائز أو مستحب.

قوله: (**والتمائم**): شيء يعلق على الأولاد من العين، ولكن المعلق إذا كان من القرآن رخص به بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه، منهم: ابن مسعود رضي الله عنه ، فالمنهي عنه إذا لم يكن من القرآن كتعليق الخرزات والعظام، فهذا من القسم الممنوع، وإذا كان المعلق من القرآن فأجازه بعضهم، ومنعه بعضهم كابن مسعود رضي الله عنه .

وهنا يحسن نقل كلام سعيد بن جبير رضي الله عنه وتقديمه مع هذا البحث، قال: «من قطع تميمةً من إنسان كان كعدل رقبة» أي: أجره وثوابه كمن أعتق رقبة، كما نقل عن إبراهيم أنهم يكرهون التمائم المعلقة، ولو كان المعلق من القرآن وغير القرآن، ففي هذه الروايات عن السلف المنع مطلقاً عن التمائم المعلقة، ولو كان المعلق من القرآن.

وقال المصنف: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته، وهو نوع من السحر لا يجوز تعاطيه، فلذا أدخل مع هذه الأشياء المحرمة، فمن اعتمد على ربه كفاه مئونة الدنيا والآخرة والعوارض والآفات، ومن مال قلبه إلى غير الله فإن الله يكله إليه.

= (١/ ٣٨١)، ورواه ابن حبان والحاكم وقال: صحيح، وأقره الذهبي.

ما يستفاد مما تقدم من أحكام:

١- الرقى المحرمة ما كانت تطلب من غير الله، وبغير الأدعية من القرآن أو السنة.

٢- تحريم تعليق الخرز والحروز، وكذا الأوتار على الدواب والصبيان لرد العين.

٣- تقسيم الرقية إلى نوعين:

(أ) مباح: وهو ما كان بالآيات والأدعية المعروفة المباحة.

(ب) وشرك: وهي الرقية بأسماء الجبال والشياطين، والأسماء غير المعروفة كالحروف المقطعة وما شاكلها.

٤- تقسيم التميمة إلى محرمة، وهي: المعلقة من الأوتار والعظام والودع لرد العين وهي نوع شرك.

٥- كراهة تعليق التميمة ولو كانت من القرآن، فيروى عن ابن مسعودٍ وابن عباس وعلقمة رضي الله عنهما وهي رواية عن أحمد أخذ بها جماعة من أصحابه، وحجتهم الأثر المروي عن إبراهيم وابن مسعود رضي الله عنه في كراهتهم التمائم من القرآن وغيره، والكراهة[1] هنا للتحريم، واستدلوا أيضاً بعمومات الأحاديث، قالوا: ولأنه لا يؤمن الدخول فيه للمراحيض والأمكنة المستقذرة فَسُدَ الباب.

٦- وقالت طائفة أخرى منهم: عبد الله بن عمرو بن العاص، وعائشة رضي الله عنها وأحمد رحمه الله، في رواية عنه أشار لها ابن القيم، إذا كان المعلق من القرآن أو أسماء الله أو

(١) المقصود بالكراهة: أي أن مرادهم بالكراهة هنا التحريم، وهذا كان هو المعروف عند السلف إطلاق المكروه على المحرّم، كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ سورة الأسراء الآية: ٣٨.

آياته وصفاته، وكذا الأدعية المأثورة عن السلف أن ذلك جائز.

٧- تحريم التولة، وأنها نوع من الشرك؛ لأنها ضرب من السحر.

شرح حديث البراءة ممن يعقد لحيته أو يتقلد بالوتر أو يستنجي بالرجيع أو العظم

المفردات:

(**لعل الحياة ستطول بك**): ووقع الأمر كما أخبر، وقد طال عمره، فإنه مات سنة (٥٦ هـ) ببرقة وهو أمير عليها.

قوله: (**فأخبر الناس**): إخبارهم وإعلامهم لمن عنده علم من علوم الدين؛ يختص به واجب، وإذا استوى هو وغيره فهو من فروض الكفاية.

قوله: (**من عقد لحيته اللحية**): جمعها: لحى، وعقدها على ضربين: أحدهما: ما يفعلونه في الجاهلية تكبراً وعجباً في الحروب، وهو من زي الأعاجم، والثاني: معالجة الشعر لينعقد ويتجعد وهو من التأنيث والكل منهي عنه، وقيل: يحمل على ما يفعل بالصلاة، وهو منهي عنه أيضاً لأنه عبث.

قوله: (**أو تقلد وتراً**): أي: جعله قلادة في عنقه أو دابته من أجل العين.

قوله: (**أو استنجى برجيع دابة أو عظم**) الاستنجاء: قطع النجوة، وهو البول أو الغائط، فهو محرم ولا يرفع ذلك الحدث[1] إذا كان برجيع أو روث.

قوله: (**فإن محمداً بريء منه**) فسره النووي: بأن محمداً بريء من فعله، وإجراؤه على ظاهره أبلغ في الزجر، لأنه من أحاديث الوعيد التي تجرى على ظاهرها.

---

(١) قوله: (ولا يرفع ذلك الحدث) صوابه: ولا يزيل ذلك النجاسة، ولا يطهر الموضوع.

المعنى الإجمالي:

أخبر معلم الأمة ومنقذ الإنسانية ومرشدها ومخرجها من دياجير الظلمات إلى نور العلم، أن رويفعاً تطول به الحياة، ووقع الأمر كما أخبر، وأمره أن يعلم الناس أن هذه الأفعال والخرافات المذمومة من أعمال الجاهلية، فعلها محرم لا يجوز وهو عقد اللحى تكبراً وعجباً أو تأنيثاً وتكسراً؛ لأن العجب والكبر والتشبه بالنساء كله محرم منهي عنه، وكذلك تعليق الأوتار على الدواب أو الصبيان، ورد العين لا يرد شيئاً من ذلك العين وغيرها إلا الله، وهذه الأوتار لا تنفع ولا تضر كما أن الاستجمار بالرجيع والعظام لا يجوز لأنه زاد الجن، ومحرم لأجل هذا وهي رجس أو ركس، كما جاء لا تستنجوا بالعظام ولا بالروث، فإنها زاد أخوانكم من الجن.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم عقد اللحى كبراً وعجباً وتشبهاً بالنساء.

٢- تحريم تقلد الأوتار، وكذا تقليدها الدواب والصبيان لرد العين.

٣- تحريم الاستنجاء بالعظام وروث الدواب، لما تقدم ولا يرفع الحدث[١].

٤- براءته ﷺ ممن فعل واحدة منها أو كلها.



(١) قوله: (ولا يرفع الحدث) صوابه، ولا يزيل النجاسة ولا يطهرها.

أسئلة

١- ما مناسبة باب: ما جاء في الرقى والتمائم لما قبله؟ ما اسم بشير؟ ما المراد بالصحيح؟ ومن هو الرسول الذي أرسل؟ ما القلادة؟ وما هو الوتر؟ ما سبب حديث ابن مسعود؟ وماذا قال لامرأته؟ عرف الرقى؟ وبيّن الجائز والممنوع منهما؟ وعرف التمائم وفصل القول في جواز استعمالها وعدمه في كلام العلماء؟ عرف التولة؟ وما حكمها بيِّن الأحكام التي مرت بك في هذه الأحاديث؟

٢- ما الذي يدل عليه قوله: لعل الحياة ستطول بك، وهل طالت به الحياة؟ متى يجب نشر العلم حتماً؟ ومتى يكون فرض كفاية؟ عرف عقد اللحى وما هو الرجيع؟ ولماذا نهي عن الاستنجاء بالرجيع والعظام؟ ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً، وبيِّن ما فيه من أحكام.



باب من تبرك بشجرٍ أو حجر ونحوها

(م) قوله: باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما:

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾[١].

عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهدٍ بكفرٍ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[٢]، لتركبن سنن من كان قبلكم»[٣] رواه الترمذي وصححه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النجم.

---

(١) سورة النجم، (الآيات من: ١٩ - ٢٥).

(٢) سورة الأعراف، (الآية: ١٣٨).

(٣) الحديث صحيح: الترمذي: كتاب الفتن (٢١٨٠): باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وأحمد (٥/ ٢١٨)، وابن جرير (٩/ ٣١، ٣٢)، والطبراني في الكبير (٣٢٩٠)، (٣٢٩٤)، وصححه الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (١٠/ ٣٤).

الثانية: معرفته صورة الأمر الذي طلبوا.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك، لظنهم أنه يحبه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل.

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبي ﷺ لم يعذرهم بل رد عليهم، بقوله: «الله أكبر إنها السنن، لتتبعن سنن من كان قبلكم» فغلظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير، وهو المقصود: أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل، لما قالوا لموسى: «اجْعَل لَنَا إِلَهًا».

التاسعة: أن نفي هذا من معنى: «لا إله إلا الله»، مع دقته وخفائه على أولئك.

العاشرة: أنه حلف على الفُتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أنَّ الشرك فيه أكبر وأصغر، لأنهم لم يرتدُّوا بهذا.

الثانية عشرة: قولهم: «ونحن حدثاء عهدٍ بكفر»، فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك.

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب، خلافاً لمن كرهه.

الرابعة عشرة: سدُّ الذرائع.

الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة: القاعدة الكلية لقوله: «إنها السنن».

الثامنة عشرة: أن هذا عَلم من أعلام النبوة، لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أنَّ ما ذمَّ الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا.

العشرون: أنه مُتقَرَّرٌ عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه عَلَى مسائل القبر، أما «من ربك؟» فواضح، وأما «من نبيك؟» فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما «ما دينك» فمن قولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[1].

الحادية والعشرون: أن سُنة أهل الكتاب مذمومة كسنَّة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه، لا يؤمن أن تكون في قلبه بقية من تلك العادة، لقولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر».

شرح قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ...﴾

«ش» مناسبة الباب لما قبله لما ذكر تعلق القلب في رفع البلاء أو دفعه على التمائم، وفيه نوع شركٍ ناسب أن يذكر هذا الباب بعده، وهو التبرك بالأشجار والأحجار، الذي هو شرك بالله منافٍ للتوحيد أصلاً، أن دُعي من دون الله أو منافٍ لكماله أن تبرك بها مع عبادته لله، أما معنى: التبرك فهو: طلب بركتها، بفعل يفعله عندها، يعتقد أنها تنفعه أو تشفع له عند الله.

المفردات:

﴿ٱللَّٰتَ﴾: مشتقة من الإله، وهي: صخرة منقوشة بيضاء لها أستار وسدنة يعظِّمها أهل الطائف، فلم تزل كذلك حتى أسلم أهل الطائف فهدمت، وقيل: كان رجلاً يلُتّ السويق للحجاج فمات فعكفوا على قبره، ولا منافاة بين القولين: فقد يكون رجلاً يلت السويق على تلك الصخرة، وبنى على قبر ذلك الرجل مع صخرته قبة وعظماً.

(١) سورة الأعراف، (الآية: ١٣٨).

وأما (الْعُزَّى): فهي: مشتقة من العزيز، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، وهي بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها.

وأما ﴿ وَمَنَوٰةَ ﴾: فكانت بالمشلل عند قُديد بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج، قاله ابن كثير، قال: وللعرب في الجزيرة طواغيت أخر تعظمها العرب، كتعظيم الكعبة(١).

قوله: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾: أي: أتجعلون له ولداً، وتجعلون ولده أنثى، وتختارون لأنفسكم الذكور، فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت ﴿ قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾: أي: جوراً باطلة، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة؟

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾، أي: من تلقاء أنفسكم.

﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾، أي: من حجةٍ.

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾، أي: ليس له مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم، الذين سلكوا هذا المسلك الباطل.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾، أي: ولقد أرسل إليهم الرسول بالحق المبين

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: «ومناة»: وأما «مَنَاة» فكانت بالمشلل -عند قديد بين مكة والمدينة- وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها، ويهلون منها للحج إلى الكعبة، وروى البخاري عن عائشة نحوه، وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاث التي نص عليها في كتابه العزيز، وإنما أفرد هذه بالذكر؛ لأنها أشهر من غيرها، انظر: تفسير ابن كثير، تفسير سورة النجم، تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾.

والحجة القاطعة، انتهى من كلام ابن كثير رحمه الله باختصار.

المعنى الإجمالي:

ذكر الله تبارك وتعالى في هذه الآيات الكريمة أن: «اللات والعزى ومنات» اللاتي قد اتخذها بعض العرب في جاهليتهم وغيرها من الأصنام آنذاك، وإنما ضرب بتلك مثل ما يقاس عليه بقيتها، أنها من القسمة الجائرة فكيف تجعلون لله ولداً؟ وهذا الولد تسمونه بنتاً: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[1]، والله مُنزَّه عن الولد والوالد وعن الشريك والمعين والوزير، فلا ينبغي للعبد أن يتخذ لله شريكاً ولا شفيعاً، لأن لله الدنيا والآخرة، ولا يملك عنده أحد الشفاعة، إلا بعد أن يرضى قوله وعمله، ولقد ضلت قريش وغيرها من قبائل العرب الذين اتخذوا الأنداد والأوثان من الأشجار والطواغيت، فكفروا بما فعلوا، وما اتخذوا من الأوثان.

ما يؤخذ من الآيات من أحكام:

١- أن من دعا شجراً أو حجراً أو ولياً فقد اتخذه لله نداً.

٢- أن من نسب إلى الله البنات من الملائكة وغيرهم فهو جائر فيما قال.

٣- إن الذين نسبوا لله هذه المعبودات واشتقوا لها هذه الأسماء، هم كفار قريش ومن والاها من قبائل العرب.

٤- أن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لإبطالها ولمحوها من الوجود.

٥- أن اتخاذها من اتباع هوى النفس، ولم ينزل بذلك من حجة ولا برهان.

---

(١) سورة المؤمنون، (الآية: ٩١).

شرح حديث ذات أنواط

المفردات:

قوله: (**عن أبي واقدٍ الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين**): المراد به: خروجهم لغزوة حنين، وذلك يوم الفتح، وهو بين مكة والطائف.

قوله: (**ونحن حدثاء عهدٍ بكفر**)[1][2]: أي: قريب دخولنا في الإسلام، وأما من تقدَّم إسلامه فلا يخفاه ذلك.

(**يعكفون عندها**): الاعتكاف هو: لزوم الشيء، كما يقال للمقيم في المسجد لأجل العبادة: معتكف.

(**وينوطون بها أسلحتهم**)، أي: يرفعون عليها السلاح ويعلقونها عليها.

(**والنوط**): مصدر للمنوط.

قوله: (**فقال النبي ﷺ: الله أكبر**): والمعنى: أنه كبَّر ربه لأجل تعظيمه وتقديسه عما قالوا.

قوله: (**إنها السنن**)، أي: الطرق.

---

(١) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه: «فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» معلقاً على قوله: «ونحن حدثاء عهد بكفر» أي: قريبٌ عهدنا بالكفر، ففيه: دليل على أن غيرهم ممن تقدم إسلامه من الصحابة لا يجهل هذا، وأن المتنقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يأمن أن يكون في قلبه من تلك العادة.

(٢) قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله في كتابه: «القول المفيد على كتاب التوحيد» معلقاً على قوله: «ونحن حدثاء»: حدثاء: جمع حديث، أي: أننا قريبو عهد بكفر، وإنما ذكر ذلك رضي الله عنه للاعتذار لطلبهم وسؤالهم، ولو وقر الإيمان في قلوبهم لم يسألوا هذا السؤال.

قوله: **(قلتم والذي نفسي بيده)**: خبر بلفظ القسم، أن هذا القول كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، جعل الأشجار والأحجار لطلب التبرك، وإن لم تقصد به الدعاء؛ لأنه شركٍ منافٍ لكمال التوحيد[1].

قوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾: أن هذا شرك ولو علمتم ما فعلتم.

(لتركبن سنن من كان قبلكم)، أي: باتباعكم طرق من قبلكم من الأمم.

المعنى الإجمالي:

خرج رسول الله ﷺ ومعه أصحابه، يقصدون بذلك رضا ربهم وطاعته وطاعة رسوله، باذلين مهجهم في سبيل الله، رغبة فيما عنده، وكان فيهم طائفة لم يسلموا إلا حديثاً بعد فتح مكة، ولم يتوغل التوحيد في قلوبهم رأوا ما يفعله المشركون من التمسح بالأشجار والطواف حولها، فظنوا أن هذا مقصد حسن وطريقة مثلى، فرغبوا في ذلك لئلا يسبقهم الكفار، فطلبوا من الرسول ﷺ أن يجعل لهم شجرةً مثلها يطوفون بها ويعلقون بها أسلحتهم، عند ذلك سبَّح وكبَّر وعظَّم ربه ﷺ عما قاله هؤلاء، الذين هم حديثو العهد في الإسلام، وأخبرهم أن هذا شرك بالله، مناف للتوحيد الذي جاء به، وقاتل الناس لأجله، ولتخليص الناس عمَّا هم فيه من الشرك وعن هذا العمل، واتخاذ مثل هذه الأشجار كطلب بني إسرائيل من موسى الآلهة، وقد أجابهم موسى عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾[2].

---

(١) قوله: مناف لكمال التوحيد. في كلامه نظر! بل هو شرك بالله مناف لأصل التوحيد، فهو عبادة لها من دون الله، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: قلتم كما قال بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة وهذا ما سوف يقره المؤلف في فوائد التوحيد.

(٢) سورة الأعراف، (الآية: ١٣٨).

ما يستفاد من الحديث:

١- أن اتخاذ الأشجار والأحجار ودعاءها من دون الله، أن هذا هو الشرك بعينه، وهو شرك كفار قريش وكثير من العرب.

٢- تحريم مشابهة المشركين.

٣- سرعة قبول النفوس للباطل.

٤- أن من شب على شيء أحبَّه ولو كان محرماً، ومال بطبعه إليه.

٥- ارتكاب كثير من الفعل الحرام وهو لا يشعر أنه حرام.

٦- أنه لا يجوز أن يتخذ مع الله الآلهة.



أسئلة

١- ما مناسبة باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما لما قبله؟ وما معنى التبرك؟ ثم اشرح الآية الكريمة؟

٢- بين معاني المفردات الآتية: ما معنى اللات؟ وما معنى العُزَّى؟ وما معنى مناة؟ ومما تشتق هذه الأسماء؟ ما معنى ضيزى؟ ولمن تكون هذه الأوثان السابقة؟ ثم اشرح الآيات شرحاً مجملاً، مع بيان ما فيها من أحكام.

٣- من حديث أبي واقد بين معاني المفردات الآتية: أين موضع حنين؟ وما معنى: ونحن حدثاء عهد بكفر؟ وما معنى العكوف؟ وما معنى ينوطون بها أسلحتهم؟ وبين معنى: لتتبعن سنن من كان قبلكم، وما هي القذَّة ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً، وبين ما فيه من أحكام.



باب ما جاء في الذبح لغير الله

(م) قوله: باب ما جاء في الذبح لغير الله:

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[1].

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾[2].

عن عليٍّ رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلماتٍ: «لعن الله مَن ذبح لغير الله، ولعن الله مَن لعنَ والدَيه، ولعن الله مَن آوى مُحْدِثاً، ولعن الله مَن غيرَّ مَنار الأرض»[3] رواه مسلم.

عن طارقٍ بن شهابٍ أن رسول الله ﷺ قال: «**دخل الجنة رجل في ذُباب، ودخل النار رجل في ذباب**»، **قالوا: «وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مرَّ رجلان على قومٍ لهم صنم، لا يَجوزُه أحد حتى يُقرِّب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرِّب، قال: ليس عندي شيء أُقرِّب، قالوا له: قرِّب ولو ذباباً، فقرَّب ذباباً، فخلُّوا سبيله فدخل النار، فقالوا للآخر: قرِّب، فقال: ما كنت لأُقرِّب لأحدٍ شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة**» رواه أحمد[4].

---

(١) سورة الأنعام، (الآيات ١٦٢ - ١٦٣).

(٢) سورة الكوثر (الآية رقم: ٢).

(٣) رواه مسلم: كتاب الأضاحي (١٩٧٨)، (٤٣): (باب تَحْرِيمِ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى، وَلَعْنِ فَاعِلِهِ).

(٤) قال الألباني في السلسلة الضعيفة: إطلاق العزو لأحمد فيه نظر! لأنه يوهم بإطلاقه أنه في =

=

«مسنده»! أخرجه أحمد في «الزهد» (ص: ١٥ - ١٦): حدثنا أبو معاوية: حدثنا الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن سلمان قال: ... فذكره موقوفاً عليه. وقال ابنه عبدالله في كتاب «العلل» (١/ ٢٤٠) لأبيه: «سمعته يقول في حديث أبي معاوية عن الأعمش عن سليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب عن سلمان قال: «دخل رجل الجنة في ذباب...»؛ قال الأعمش: «ذباب»؛ يعني: أن سلمان كان في لسانه عجمة». قلت: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين؛ غير سليمان بن ميسرة؛ قال ابن معين: «ثقة». كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ١/ ١٤٣-١٤٤)، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٤/ ٣١٠) وقال: «يروي عن طارق بن شهاب الأحمسي، وله صحبة، وعنه الأعمش» وروى عنه حبيب بن أبي ثابت أيضاً، ووثقه آخرون. انظر: «التعجيل» (ص: ١٦٨،٤٢٣)، فالإسناد صحيح. وقد تابع أبا معاوية: جرير - وهو ابن عبد الحميد الضبي-: عند أبي نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٣)؛ قرنه بأبي معاوية، وقال عقبه: «رواه شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق مثله. ورواه جرير عن منصور عن المنهال بن عمرو عن حبان بن مرثد عن سلمان نحوه». والزيادة الثانية لأبي نعيم. وللأعمش فيه شيخ آخر؛ فقال ابن الأعرابي في «معجمه» (ق ١٧٧/ ١): نا عباس: نا محاضر بن المورع، نا الأعمش عن الحارث بن شبيل عن طارق بن شهاب قال: قال سلمان: ... فذكره موقوفاً أيضاً. وفيه الزيادة الأولى. قلت: وهذا إسناد صحيح أيضاً. رجاله ثقات رجال مسلم؛ غير عباس -وهو ابن محمد الدوري-، وهو ثقة حافظ. وقد توبع هذان الشيخان من قيس بن مسلم؛ كما تقدم عن أبي نعيم معلقاً. وتابعهم أيضاً مخارق بن خليفة؛ فقال ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢/ ٣٥٨): حدثنا وكيع قال: ثنا سفيان عن مخارق بن خليفة عن طارق بن شهاب عن سلمان قال: ... فذكره موقوفاً أيضاً. وهذا صحيح أيضاً. رجاله رجال الشيخين؛ غير مخارق هذا، وهو ثقة من رجال البخاري. وفيه الزيادة الثالثة، والرواية الثانية. وهذه عند ابن الأعرابي أيضا. وبالجملة؛ فالحديث صحيح موقوفاً على سلمان الفارسي رضي الله عنه؛ إلاأنه يظهر لي أنه من الإسرائيليات التي كان تلقاها عن أسياده حينما كان نصرانياً. لقد كان الداعي إلى تخريجه هنا وبيان كونه موقوفاً: أنه كثر السؤال عنه في كثير من البلاد الإسلامية، وشاع تداوله؛ وذلك لأنه ذكره الإمام محمد بن =

فيه مسائل:

الأولى: تفسير: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾.

الثانية: تفسير: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾.

الثالثة: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله.

الرابعة: لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والدي الرجل، فيلعن والديك.

الخامسة: لعن من آوى محدثاً، فهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق الله، فيلتجئ إلى من يجبره من ذلك.

السادسة: لعن من غيرَّ منار الأرض، وهي المراسيم التي تفرِّق بين حقك وحق جارك، فتغيرها بتقديم أو تأخير.

=

عبد الوهاب رحمه الله في كتابه النافع «التوحيد» مرفوعاً معزواً لأحمد! فقال: «وعن طارق بن شهاب: أن رسول الله ﷺ قال... (فذكره). رواه أحمد». وقال شارحه الشيخ سليمان: حفيد محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تبارك وتعالى في «التيسير» (ص: ١٦٠): «هذا الحديث ذكره المصنف معزواً لأحمد، وأظنه تبع ابن القيم في عزوه لأحمد؛ قال ابن القيم: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية... عن طارق بن شهاب يرفعه... وقد طالعت «المسند» فما رأيته فيه، فلعل الإمام رواه في «كتاب الزهد» أو غيره». قلت: وفي هذا العزو أمور:

أولاً: قوله: «يرفعه» خطأ واضح كما يتبين من تخريجنا هذا.

ثانياً: إطلاق العزو لأحمد فيه نظر! لأنه يوهم بإطلاقه أنه في «مسنده»، وليس فيه كما قال الشيخ سليمان رحمه الله، ولو كان فيه لأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»، وليس فيه أيضاً، وإنما هو في «الزهد» له كما تقدم. ثالثاً: لم يتعد في إسناده طارق بن شهاب، فأوهم أنه من مسنده! وإنما هو من روايته عن سلمان موقوفاً؛ كما رأيت عند مخرجيه ومن جميع طرقه.

السابعة: الفرق بين لعن المعَّين ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم.

الثامنة: هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب.

التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصاً من شرهم.

العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبهم، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر؟

الحادية عشرة: أن الذى دخل النار مسلم، لأنه لو كان كافراً لم يقل: «دخل النار في ذباب».

الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك»(١).

الثالثة عشرة: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم، حتى عند عبدة الأوثان.

شرح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ...﴾

«ش» المناسبة: لما ذكر الشيخ رحمه الله تحريم التبرك بالأشجار وأنها من الشرك؛ ناسب أن يذكر بعدها ما هو أصرح وأعظم منها، وهو الذبح لغير الله؛ فإنه شرك جلي، لأن الذبح لله عبادة فصرفها لغيره شرك، وهو من باب التدرج من الأدنى إلى الأعلى.

المفردات:

﴿قُلْ﴾: يا محمد، أمراً لنبيه أن يقول للمشركين.

(١) صحيح البخاري، الرقاق (٦٤٨٨)، مسند أحمد (١/ ٣٨٧).

﴿إِنَّ صَلَاتِي﴾: أي: أخلص صلاتي لله فلا أعبد فيها غيره.

﴿وَنُسُكِي﴾: النسيكة: الذبيحة، فكأنه أمره أن يقول لهم: إن الذبيحة التي يذبحها هي لله، فلا أذكر عليها اسماً غير اسمه.

﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾، أي: ما آتيه في حياتي وأموت عليه من الإيمان خالصاً لله رب العالمين.

شرح قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾، أي: مؤدياً له العبادة دون ما سواه، وخصَّ هاتين العبادتين، وهما: الصلاة والنسك الدالتين على القرب، والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدة الله ﷻ، كما قاله شيخ الإسلام.

المعنى الإجمالي:

أمر الله رسوله ﷺ أن يقول للمشركين: إنَّ صلاتي ونسكي أخلصها لله تقرباً وطاعة وتزلفاً إليه سبحانه دون من سواه، وما آتيه وما أموت عليه من الإيمان به خالصاً لوجهه، وأتبرؤ من فعل المشركين الذين يتقربون إلى غيره بالذبح، وبأنواع القرب المنافية للتوحيد، والتي هي شرك بالله العظيم وقدح في الربوبية العظمي، فلا ينبغي(١) للعبد أن يسوّي بين المخلوق والخالق في أي شيء من أنواع العبادة، لا ذبح ولا صلاة ولا غيرها مما يختص به تبارك وتعالى.

---

(١) لو قال المؤلف رحمه الله: لا يجوز لكانت أنسب من كلمة لا ينبغي.

ما يستفاد من الآيتين:

١- الذبح لله عبادة، والذبح لغيره شرك وكذلك الصلاة مثله.

٢- التنبيه على أن جميع ما يأتيه وما يذره ﷺ في حياته وبعد الموت أنه لله رب العالمين، فلا يميل قلبه إلى غيره، لا في صلاة ولا ذبح ولا غيرهما.

٣- براءته ﷺ من الشرك وأهله، وأنه من المسلمين لا من المشركين، بل قائد المسلمين إلى الإسلام والتوحيد.

شرح حديث: (لعن الله من ذبح لغير الله)

(م) وعن عليّ رضي الله عنه قال: (حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات... الحديث).

علي بن أبي طالب[1] رضي الله عنه أبو الحسن وابن عمِّ رسول الله ﷺ وأحد الخلفاء

---

(١) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول الفتيان إسلاماً، ابن عم النبي ﷺ وصهره وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والفصحاء والعلماء بالقضاء والفتيا، كان اللواء في يده في أكثر المشاهد، ولم يتخلف في مشهد من المشاهد إلا في غزوة تبوك ليرعى عياله، اختاره عمر بن الخطاب بعد طعنه بين الستة من أصحاب الشورى ليخلفه واحد منهم، وهم علي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وسعد بن أبي وقاص، بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان سنة ٣٥هـ، فقام أكابر الصحابة يطلبون القبض على قتلة عثمان وقتلهم، وتوقى علي الفتنة، فتريث فغضبت عائشة أم المؤمنين، وقام معها جمع كبير في مقدمتهم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وقاتلوا علياً، فكانت وقعة الجمل سنة ٣٦هـ، وظفر علي على مقاتليه بعد أن بلغ عدد القتلى في الفريقين عشرة آلاف، ثم كانت وقعة صفين سنة ٣٧هـ، وخلاصة خبرها أن علياً عزل معاوية بن أبي سفيان من ولاية الشام يوم ولي الخلافة، ولم يأخذ برأي من أشار عليه بالتريث، فعصاه معاوية =

فاقتتلا مائة وعشرة أيام، ولما رأى معاوية أن النصر اقترب من علي أشار عليه عمرو بن العاص برفع المصاحف وطلب التحكيم، فحكم علي أبا موسى الأشعري وحكم معاوية عمرو بن العاص، ويروي ابن سعد في طبقاته والذهبي في سير أعلام النبلاء، أن عبد الله بن عباس قال لعلي: لا تحكم أبا موسى! فإن معه رجلاً حذراً قارحاً -أي: مجرباً للأمور- فاجعلني معه، فقال علي: يا ابن عباس ماذا أصنع؟ إنما أوتى من أصحابي، وقد ضعفت نيتهم وكلوا، فهذا الأشعث يقول: لا يكون في التحكيم مضريان حتى يكون أحدهما يمانياً، وأبو موسى يماني، قال ابن عباس: فعرفت أنه مضطهد وعذرته، ومثل ذلك قال له الأحنف بن قيس وطلب أن يكون ابن عباس مع أبي موسى، فأبت اليمانية، وطلب ابن عباس أن يكون الأحنف مع أبي موسى فأبت اليمانية أيضاً، وقد اجتمع الحكمان بأذرح واتفقا سراً على خلع علي ومعاوية وعلى رد الأمر للمسلمين، يختارون من يشاءون، وأعلن أبو موسى ذلك وخالفه عمرو فأقر معاوية وعزل علياً، فافترق المسلمون ثلاثة فرق: الأول بايع معاوية وهم أهل الشام، والثاني حافظ على بيعته لعلي، والثالث اعتزلهما ونقم على علي رضاءه بالتحكيم، فقد أنكر هذا الفريق أن يحكم علي الرجال في حقه بالخلافة، فهو صاحب هذا الحق، وليس له أن يتنازل عنه ويحكم الرجال فيه، فهو حق لله لا يحل فيه التحكيم، وقد جادلهم علي وذكرهم أنهم هم الذين أرغموه على قبول التحكيم حين سئموا القتال، وكانت وقعة النهروان بينه وبينهم سنة ٣٨هـ وفيها قضي على كثير منهم وتفرق من بقي حياً يدعون لمذهبهم الذي عرفوا به وهو (الخوارج)، كما دعوا أيضاً بالحرورية نسبة إلى حروراء التي تجمعوا فيها وأعلنوا فيها خروجهم على علي، وكان منهم جماعة من كبار الصحابة، ويسمون أيضاً بالشراة لأنه شروا أنفسهم وابتاعوا آخرتهم بدنياهم، أقام علي بعد ذلك بالكوفة وجعلها دار الخلافة إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم الخارجي في مؤامرة يوم ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ، واختلف في مكان قبره، وكان عمره يوم قتل ٦٣ سنة، روى عن النبي ﷺ فأكثر، وروى عنه بنوه الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية، وروى عنه الصحابة وكثير من التابعين، وكان عمر بن الخطاب يرجع إليه في المعضلات، وكان الصحابة إذا ثبت لهم الشيء عن علي لم يعدلوا به إلى غيره، وكان النبي ﷺ =

الراشدين الأربعة، ومن المشهود لهم بالجنة ومن كبار أفاضل الصحابة، ولم يسجد لصنمٍ، ولازم النبي ﷺ وهو صغير، وهاجر، وزوجه النبي ﷺ بنته فاطمة الزهراء، مات سنة ٤٠ هـ وهو الخليفة قتيلاً بيد «عبد الرحمن بن ملجم الخارجي».

المفردات:

(**لعن الله**): اللعن من الله هو: الطرد والإبعاد عن مظان الرحمة، ولذا صار إبليس طريداً بعيداً عن رحمة الله، واللعن من الخلق السب والدعاء.

(**من ذبح لغير الله**): كالذبح للجن والشياطين والأوثان، وباسم المسيح أو غير هؤلاء، فهذا من الشرك.

(**لعن الله من لعن والديه**): المراد: سبُّ الآباء والأمهات وهو من الكبائر، كما جاء عنه ﷺ أنه قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»(١).

(**لعن الله من آوى محدثاً**): ومعناه: أنه يحميه ويضمه إليه ويحول دونه ودون صاحب الحق.

«لعن الله من غيَّر منار الأرض»: المنار هي: علامات الحدود، قال المصنف: وهي المراسيم التي تفرق بينك وبين جارك، وتغييرها بالتقديم أو التأخير.

= عند رجوعه إلى المدينة من حجة الوداع سنة ١٠هـ توقف في غدير خم وقال لمن معه: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. والله أعلم.

(١) صحيح البخاري، الأدب (٥٩٧٧)، صحيح مسلم، الإيمان (٩٠)، سنن الترمذي، البر والصلة (١٩٠٢) سنن أبي داود، الأدب (٥١٤١)، مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٢١٦).

المعنى الإجمالي:

الحديث يحذِّر الأمة من ارتكاب مثل هذا الذنب العظيم، وأنه من أبشع الأعمال وأقبحها، وأنه من الشرك بالله الذي حرَّمه الله، على لسان رسول الله ﷺ ولعن الرسول ﷺ من فعله، أو قرب نوعاً من القرابين لغير الله، كما لعن من سبَّ والديه وأساء إليهما، ولو كان متسبباً فإنه ينال هذا الجزاء، وهو طرده عن مظان رحمة الله، ولعن الوالدين كبيرة من الكبائر كما أن إيواء المحدث - وهو الجاني- على غيره، فتحول بينه وبين صاحب الحق الذي يطلبه، فإنه يناله هذا اللعن، وهو بعده عن الله وعن مواطن رحمته، وتعرضه لغضب الله وسخطه، فينبغي لك أن تحذر كل الحذر وتبتعد كل البعد، وتحترم أموال الغير ولا تظلم منها، ولو كان شيئاً يسيراً من الأرض، ولو بتغيير المراسيم والحواجز بين الحقوق، لعلك أن تسلم من لعن الله، وتقترب من رحمته، والمعافى من عافاه الله.

ما يستفاد من الحديث:

١- إن الذبح لغير الله شرك، كالذبح للأصنام والأوثان والأشجار، وأنه ملعون لا تحل ذبيحته، وكذا من قصد تعظيم المسيح أو السادة، أو السلامة من شرور الجن، فهذا مما ذبح لغير الله.

٢- أن سِبَاب الوالدين ولعنهم أو التسبب في ذلك كبيرة، ملعون من فعلها.

٣- أن من حال دون جانٍ ظالم ودون استخراج الحق منه أنه ملعون.

٤- أن تغيير المراسيم كبيرة، وأن من ظلم شبراً من الأرض، طوقه الله سبع أرضين يوم القيامة، وهو متعرض للعن الله والتوبيخ والتهديد.



شرح حديث: «دخل الجنة رجل في ذباب...»

(م) قوله: عن طارق بن شهاب[(١)] رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «دخل رجل الجنة في ذباب......الحديث»[(٢)].

المفردات:

قوله: **(دخل الجنة رجل في ذباب)**: أي: بسبب ذباب.

(قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟): استفسروا لقلة العمل وضعفه وحقارته.

قوله: **(فقال: مرَّ رجلان على قومٍ لهم صنم)**: أي: في طريق هذين الرجلين، والصنم تقدم تعريفه.

(لا يجاوزه أحد): أي: لا يمر به ولا يتعداه.

(حتى يقرب له شيئاً): من أنواع القرابين، ولو كان المقرب حقيراً كالذباب.

قوله: **(قرِّب ولو ذباباً)**: المراد بالتقريب هنا: التقرب إليه بهذا النوع من العبادة، وهو الذبح.

---

(١) هو صحابي جليل وله بكتب الصحاح (٨٤) حديثاً شريفاً، ويقول الكلبي: إنه كان شريفاً ويحدث عنه، واسمه: طارق بن شهاب بن عبد شمس بن سلمة بن هلال بن عوف بن جشم بن نفر بن عمرو بن لوئ بن رهم بن معاوية بن أسلم بن أحمس بن الغوث البجلي الأنماري، ويقول الزركلى صاحب (الأعلام): إن طارق بن شهاب بن عبد شمس بن سلمة البجلي الأحمسي، يكنى أبا عبد الله، وهو من الغزاة، وأدرك النبي ﷺ، وغزا في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ثلاثة وثلاثون غزوة، وسكن الكوفة، وله في صحيحي البخاري ومسلم وبقية الكتب السته عدة أحاديث ينقلها عن الصحابة والخلفاء الأربعة، وقد توفي سنة ٨٣ هـ.

(٢) انظر: الحديث السابق الذي تم تخريجه.

(فخلوا سبيله): أي: تركوه ولم يتعرضوا له.

(وقالوا للآخر: قرِّب، فقال: ما كنت لأقرب لأحدٍ شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه، فدخل الجنة): والمراد بالقربان هنا: الذبيحة، أو ما في معناه مما يتقرب به.

(فضربوا عنقه فدخل الجنة): أي: قتلوه بسبب إخلاصه العبادة والتوحيد لربه عز وجل.

المعنى الإجمالي:

أخبر الشارع -عليه الصلاة والسلام- أن رجلين دخل أحدهما الجنة والآخر النار، في عملٍ يسيرٍ في أعين الناس، ولذا قال الصحابة: وكيف ذلك يا رسول الله؟ ولما كان من أنواع الشرك والتقريب للأصنام ولأهلها لما يحبون وصرف ما هو من خصائص رب العالمين، إلى جمادٍ لا ينطق بل لا ينفع ولا يضر، صار جزاء ذلك أغلظ وهو دخول النار بسبب ذلك التقريب، وأما الآخر فإنه لَمَّا حقَّق توحيده وأخلصه لربه ولم يصرف هذه العبادة العظيمة إلا له، جازاه على ذلك أفضل الجزاء، وهو دخول الجنة والنجاة من النار، ولكنه لَمَّا صبر على ما لقي من القتل، في سبيل رضا الله عز وجل حصل له هذا الفضل العظيم.

ما يستفاد من الحديث:

١- أن القُرَبَ لغير الله شرك من أعمال الجاهلية.

٢- التغليظ في الشرك حتى ولو كان شيئاً حقيراً، أدخله الله النار بسببه.

٣- أن التقريب ولو قصد به التخلص؛ فإنه يكون سبباً لدخول النار.

٤- أن الذي دخل النار بسبب الذباب، كان قبل ذلك مسلماً.

٥- فضيلة تحقيق التوحيد وكثرة ثوابه.

٦- أن الموحد المخلص يصبر على ما يلاقي في سبيل ذلك من القتل والتعذيب.

٧- شؤم الشرك وشدة عقابه، وإدخال صاحبه النار ولو بشيء يسير.



أسئلة

١- بيِّن مناسبة باب ما جاء في الذبح لغير الله لما قبله؟

٢- بيِّن معاني المفردات الآتية: «قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين»؟ وقوله: «فصلِّ لربك وانحر»؟ ثم بيِّن معنى الصلاة والنحر في الآية الكريمة، ثم اشرح الآيتين شرحاً مجملاً؟

٣- بيِّن معنى اللعن في قوله: «لعن الله» إلى آخره؟ وبيِّن مثالاً للذبح لغير الله؟ وما معنى لعن الوالدين؟ وهل يشمل المتسبب؟ وما هو منار الأرض؟ ثم بيِّن معنى إيواء المحدث؟ ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً، وبيِّن ما يدل عليه من أحكام؟

٤- اشرح حديث طارق بن شهاب: «دخل الجنة رجل في ذبابٍ...إلى آخره »شرحاً مجملاً، وبين ما فيه من أحكام؟



باب لا يذبح لله بمكانٍ يذبح فيه لغير الله

(م) باب لا يذبح لله بمكانٍ يذبح فيه لغير الله:

وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)﴾[١].

وعن ثابتٍ بن الضحَّاك[٢] رضي الله عنه قال: «**نذر رجل أن ينحر إبلاً بِبُوانة[٣]، فسأل النبي ﷺ فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد. قالوا: لا، قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**»، رواه أبو داود وإسناده على شرطهما[٤].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: (لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً).

الثانية: أَن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة.

الثالثة: رد المسألة المشكِلة إلى المسألة البينة، ليزول الإشكال.

---

(١) سورة التوبة: (١٠٨).

(٢) ثابت بن الضحاك بن خليفة الأشْهلي، صحابي مشهور، روى عنه أبو قِلابة وغيره، مات سنة أربع وستين.

(٣) قوله: «ببوانة» بضم الباء، وقيل: بفتحها، قال البغوي: موضع في أسفل مكة دون يَلَمْلَم، قال أبو السعادات: هضبة من وراء يَنْبُع.

(٤) صحيح: أبو داود، كتاب الأيمان والنذور (٣٣١٣) باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر، وصححه الحافظ في التلخيص (٤/ ١٨٠)، وصححه الألباني في تخريج المشكاة (٣٤٣٧)، وصحيح الجامع (٢٥٤٨).

الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك.

الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية، ولو بعد زواله.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم، ولو بعد زواله.

الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة؛ لأنه نذر معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصد.

العاشرة: لا نذر في معصية.

الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

شرح قوله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ ... ﴾

«ش» المناسبة: **لمَّا ذكر الشيخ شؤم الذبح لغير الله، وأنه من الكفر؛ ناسب أن يذكر قبح الأماكن التي يذبح فيها لغير الله، وأن الذبح فيها ولو كان لله؛ حرام لا يجوز ووسيلة لإحيائها.**

(م) قوله: وقول الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ ﴾(١).

المفردات:

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ ﴾: المراد به: مسجد الضرار، الذي كانت إقامته محادة لله ولرسوله، فنهى عن الصلاة فيه، وأمر بالصلاة في مسجد قباء وهو الذي أسس على

---

(١) سورة التوبة: (١٠٨).

التقوى، لأنه أسسه رسول الله ﷺ حين قدم المدينة فكان رسول الله ﷺ يزوره راكباً وماشياً.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾: من الأنجاس والأدناس، من أنجاس الشرك وأنجاس الحدث.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾: أحبهم الله للقيام بأمره، والطهارة الظاهرة والباطنة.

مناسبة الآية للترجمة:

ومناسبة الآية: أنه لَمَّا نهى عن الصلاة في هذا المسجد لما كان مؤسساً على الباطل؛ فلأن ينهى عن الذبح بالأماكن التي يذبح فيها لغير الله من باب أولى.

المعنى الإجمالي:

نهى الله رسوله ﷺ أن يقيم الصلاة في مسجد الضرار، المعد للتفريق بين المؤمنين، والترصد لمن حارب الله تعالى وحارب رسوله ﷺ، وهم المنافقون الذين بنوه لهذا الغرض، ووصفهم الله بأنهم كمن أسس بنيانه على شفا جرفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنم، لأن الجزاء من جنس العمل، ومع ذلك هدمه رسول الله ﷺ، فهذا ينبهك على أن الأعمال على حسب ما يقوم في قلوب أصحابها، لا بالمظاهر والزخارف والتمويه، «إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[1]، وإلا فظاهر هذا العمل جليل وفضل كبير، لكن لَمَّا لم يقصد به وجه الله، وما أعده لعمار المساجد وصار

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، حديث (٤٦٥١)، وابن ماجه في كتاب الزهد، حديث (٤١٣٣)، وأحمد في باقي مسند المكثرين، حديث (٧٤٩٣).

ضراراً، يقصد به الفتك بالرسول ومن معه، أمر بإزالته من الوجود، حيث عمر محادة لله ورسوله وإضراراً للمسلمين.

ما تفيده الآية من أحكام:

١- نهى ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار، ويقاس عليه البقاع المقصودة بعمل من أعمال الجاهلية.

٢- أن البقعة إذا كان يقصدها المشركون للذبح وللتعظيم أو للتقرب لأوثانهم، ينهى المسلمون عن العبادة فيها صلاةً أو غيرها.

٣- أن مسجد الرسول هو المسجد الذي أسس على التقوى، ولا ينافي أن يكون مسجد قباء قد أسس على التقوى، فلأن يكون مسجد الرسول ﷺ قد أسس على التقوى من باب أولى، والحديث ورد في ذلك.

٤- تشبيه العمل إذا قصد به غير الله، فهو كمن بنى بيتاً على شفا جرفٍ هارٍ.

٥- ثناء الله على أهل قباء بالتطهر، لجمعهم بين الطهارة الحسية والمعنوية.

٦- إثبات محبة الله لعباده الصالحين المتطهرين، من أدناس الأوثان والأنجاس الظاهرة والباطنة.

٧- تحريم مشابهة المشركين في تعظيمهم لمعبوداتهم، أو التشبه بزيهم وأشكالهم.

شرح حديث ثابت بن الضحاك: «نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة ...»

المفردات:

(**نذر**)[(١)]: النذر: سيأتي تعريفه.

(**رجل**): الرجل هو كردم بن سنان.

(**أن ينحر**): النحر للإبل والذبح لغيرها.

(**بِبُوانة**[(٢)]): بُوانة: اسم موضع أسفل مكة. وقيل: غير ذلك.

(**هل كان فيها وثن؟**): الوثن: كل ما عبد من دون الله.

(**من أوثان الجاهلية**): الجاهلية: ما قبل الإسلام، وكل عمل خالف الإسلام فهو جاهلي، كما قاله شيخ الإسلام.

---

(١) قوله: (نذر)، النذر في اللغة: الإلزام والعهد، واصطلاحًا: إلزام المكلف نفسه لله شيئًا غير واجب، وقال بعضهم: لا نحتاج أن نقيد بغير واجب، وأنه إذا نذر الواجب صح النذر وصار المنذور واجبًا من وجهين: من جهة النذر، ومن جهة الشرع، ويترتب على ذلك وجوب الكفارة إذا لم يحصل الوفاء، والنذر في الأصل مكروه، بل إن بعض أهل العلم يميل إلى تحريمه، لأن النبي نهى عنه، وقال: «لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل»، ولأنه إلزام لنفس الإنسان لما جعله الله في حل منه، وفي ذلك زيادة تكليف على نفسه، ولأن الغالب أن الذي ينذر يندم، وتجده يسأل العلماء يمينًا وشمالًا يريد الخلاص مما نذر لثقله ومشقته عليه، ولا سيما ما يفعله بعض العامة إذا مرض، أو تأخر له حاجة يريدها، تجده ينذر كأنه يقول: إن الله لا ينعم عليه بجلب خير أو دفع الضرر إلا بهذا النذر. المصدر: «القول المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ/ محمد بن عثيمين رحمه الله.

(٢) قوله: «ببوانة» بضم الباء، وقيل: بفتحها، قال البغوي: موضع في أسفل مكة دون يَلَمْلَم، قال أبو السعادات: هضبة من وراء يَنْبُع.

(**هل كان فيها عيد من أعيادهم؟**): العيد: اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائداً: إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر، أو نحو ذلك من أعيادهم، وكانت لهم في الجاهلية أعياد أبدلها الله بأعياد المسلمين.

قوله: (**أَوفِ بنذرك**): الوفاء بالنذر لازم، إذا انتفت الموانع المتقدمة، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله كأن يقصد به غير الله من تعظيم أو تقرب لغير الله، ولا في ما لا يملك ابن آدم، كأن يعتق رقبة معينة لا يملكها، أو يتصدق بشيءٍ لا يملكه.

المعنى الإجمالي:

الحديث يدل على اهتمام الصحابة بالسؤال عمَّا يعرض لهم خشية من الوقوع في المحرمات، وهم لا يشعرون، وقيل: إن سبب النذر أنه نذر إن ولد له ولد ذكر أن يذبح مائة ناقة ببوانة، موضع قرب رابغ على أحد الأقوال، وقيل: أسفل مكة، فلما أراد أن يفي لمكانة النذر عنده، سأل الرسول ﷺ عن ذلك وهل يباح أو يمنع، استفصل منه الرسول عليه الصلاة والسلام عن الشيئين، فإن كانت خاليةً منهما وجب عليه أن يفي بما نذر، وهي خلوها من الأوثان أو الأعياد، التي تعظمها الجاهلية والرسول يحذِّر من مشابهة المشركين في الأعياد والاجتماعات وتعظيم الأشجار أو القباب والدعاء عندها، والذبح ولو كان يقصد بها وجه الله سداً للذرائع وخوفاً من تعظيمها.

ما يستفاد من الحديث:

١- وجوب الوفاء بنذر الطاعة.

٢- تحريم تعظيم الأوثان وأعياد المشركين.

٣- تحريم الذبح عند الأوثان، ولو كان الذبح لله.

٤- تحريم الوفاء بنذر المعصية، والتغليظ في ذلك.

٥- نذر ما لا يملك إذا كان معيناً، كعتق رقبة بعينها لا يملكها لا يجب الوفاء به، وأما إذا نذر رقبةً في ذمته، فأقره العلماء في نذر المعصية: هل يكفر إذا لم يَفِ أو يكفي تركه ويكون كفارة؟

(أ) **الأول**: ذهب أحمد في رواية وأبو حنيفة على أنه: يجب فيها كفَّارة لحديث: (لانذر في معصية، وكفارته كفارة يمين).

(ب) **الثاني**: لا كفَّارة، وهو مذهب الشافعي ومن وافقه، مستدلين بالحديث المذكور في الباب لم يذكر فيه كفارة.

باب من الشرك النذر لغير الله

(م) باب من الشرك النذر لغير الله:

وقول الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ﴾(١). وقوله: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾(٢).

عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(من نذر أن يُطيعَ الله فْليُطعْه، ومَن نذر أن يَعصيَ الله فلا يَعصه)**(٣).

فيه مسائل:

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادةً لله، فصرفه إلى غيره شرك.

الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

شرح النصوص الواردة في الباب

«ش» المناسبة: **لَمَّا كان الذبح عبادةً ناسب أن يذكر بعدها ما هو ضده، وهو النذر لغير الله، لأنه شرك فأتبعه بالباب الذي قبله.**

المفردات:

تعريف النذر: نذر ينذر نذراً ونذوراً لغة، إذا أوجبه على نفسه ونذر لله سبحانه كذا، أو النذر ما كان وعداً على شرطٍ، فِعْليِّ أن شفى الله مريضي نذر كذا.

(١) سورة الانسان: (٧).

(٢) سورة البقرة: (٢٧٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور (٦٧٠٠)، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية.

المعنى الإجمالي:

دلت الآية **الأولى**: على مدح الله وثنائه على المؤمنين الموفين بالنذر وخوفهم من عقاب الله، فإذا كان الوفاء بالنذر طاعةً وقربةً من أجلِّ العبادات التي تجب لله -تبارك وتعالى- كان صرفها لغيره شركاً.

والآية **الثانية**: تدل على أن الله عالم بالنفقات، التي تنفق وعلى أي وجهٍ تنفق والنذور التي تنذر مطلع عليها، فالمنذورات والنفقات التي تصرف للربِّ عبادة يجازي عليها أفضل الجزاء، وما يصرف بأسماء الشياطين والمشاهد أو القبور أو غير ذلك فهذا شرك بالله، ويجازي عليه أشد العقاب، فمن نذر لميتٍ أو لعبدٍ صالحٍ أو لملكٍ أو غير ذلك فهو شرك، لا يجوز الوفاء به ولا صرفه لهذا الشأن، وكذا يحذر من نذر المعصية أنه لا يجوز أن من نذر نذر معصية أن يفي بنذره أما نذر الطاعة، فإنه يوجب الوفاء به على التفصيل الآتي.

ما يؤخذ مما تقدم مع بيان أحكام النذر:

١- نذر القربة كأن يقول: «إن شفى الله مريضي، أو رد غائبي فعليَّ الصدقة بكذا»، فهذا يجب الوفاء به إذا حصل المقصود، وكقولك: «وعليَّ عتق رقبةٍ أو صوم كذا»، وهذا يجب الوفاء به أيضاً.

٢- نذر المعصية، كأن ينذر للقباب أو المشاهد أو الأضرحة، إطعاماً أو ذبحاً أو نقوداً أو إسراجاً، فهذا لا يجوز الوفاء به بحالٍ، وهل فيه كفارة أو كفارته ترك فعل المعصية؟ تقدم في الباب قبله.

٣- النذر المباح كما نذرت امرأة أن تضرب على رأس النبي ﷺ بالدف، قالوا حكمه حكم الحلف، إن شاء فعل وإن شاء كفر.

٤- نذر اللجاج والغضب فهو مخير بين فِعله وكفارة يمين، كما في حديث لا نذر في غضبٍ، وكفارته كفارة يمين.



أسئلة

١- بيِّن مناسبة باب لا يذبح لله في مكانٍ يُذبح فيه لغير الله للباب قبله، وبيِّن معنى الآية لا تقم فيه أبداً. ومناسبتها للباب، ومعنى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين وما المسجد الذي أسس على التقوى؟ وهل يشمل مسجد الرسول؟ مع شرح الآية شرحاً مجملاً، وما تدل عليه من من أحكام؟

٢- اشرح حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه شرحاً مجملاً وبين أحكامه؟

٣- ما مناسبة باب من الشرك النذر لغير الله، لما قبله؟ ثم عرف النذر واشرح الآية الكريمة، ثم اذكر عدد النذور؟



باب من الشرك الاستعاذة بغير الله تعالى

(م) باب من الشرك الاستعاذة بغير الله تعالى:

وقول الله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾[١].

وعن خولة بنت حكيمٍ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من نزل منزلاً، فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك) رواه مسلم[٢]؛ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه من الشرك.

الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث، لأن العلماء يستدلون به على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع، لا يدل على أنه ليس من الشرك.

شرح قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ...﴾

«ش» المناسبة: أو الربط للباب قبله، لمَّا ذكر أن النذر لغير الله شرك لا يجوز، فكأن الناذر لا ينذر إلا لمن يستعيذ به، ناسب أن يعقبه بباب من الاستعاذة بغير الله، التي هي

---

(١) سورة الجن: (٦).

(٢) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء (٢٧٠٨)(٥٤)، باب فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ.

نوع من الشرك، فهذه الأبواب من تنويع الشرك التي هي من العبادة، ولا يجوز صرف شيء منها لغير الله.

ومعنى الاستعاذة: طلب العوذ والالتجاء والاعتصام لمن تعوذ به، وهي من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، فالعائذ من الشيء قد هرب منه، والعائذ بالشيء قد لجأ إليه، فالعائذ بالله قد هرب إليه.

المفردات:

قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾[1].

رهقاً: أي: طغياناً وإثماً وتسلطاً.

المعنى الإجمالي:

كان في الجاهلية رجال من الإنس يلجئون إلى الجن، وهذا في الجاهلية الأولى كما جاء في تفسير الآية[2]، عن غير واحدٍ أنهم كانوا يقولون: إذا هبطوا وادياً، وأرادوا نزوله قالوا: نعوذ بعظيم هذا الوادي، من شر سفهائه، «فزادوهم رهقاً»: أي: زادوا الكفَّار ذعراً لَمَّا استعاذوا بهم، وقيل: كانوا إذا أمسوا في وادي قفرٍ في بعض أسفارهم، قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي، من شر سفهائه، «فزادوهم رهقاً»: أي: تسلطاً وخوفاً.

---

(١) سورة الجن: (٦).

(٢) قال ابن كثير في تفسير الآية: أي: كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس، لأنهم كانوا يعوذون بنا: أي إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوءهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقاً، أي: خوفاً وإرهاباً وذعراً، حتى يبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذاً بهم. ا.هـ من كلام ابن كثير، انظر: تفسير ابن كثير سورة الجن، الآية رقم: ٦.

قوله: عن خوله بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من نزل منـزلاً، فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منـزله ذلك) رواه مسلم[١].

شرح حديث: «من نزل منزلاً فقال ...»

(**ش**) قوله: «خولة بنت حكيم السلمية»: صحابية فاضلة، قيل: إنها هي الواهبة.

المفردات:

قوله: (**من نزل منزلاً**): أي: حل في تلك البقعة، سواءً كانت بيتاً أو أرضاً أو فلاة فيعمها ذلك.

قوله: (**بكلمات الله التامة**): كلمات الله التامة الكاملة الشافية التي لا يلحقها نقص ولا عيب وهي كافية لمن عاذ بها ولجأ وكلماته منه.

(**من شر**): أي: كل ذي شر جنٍّ أو إنس أو إنسان أو حيوان، لم يضره شيء مما تقدم من الهوام والشياطين وغيرها، حتى يرحل من منزله ذلك، وقد جرَّب ذلك فكان كما قال ﷺ كما سيأتيك.

المعنى الإجمالي للحديث:

وجد الرسول ﷺ الناس في العصور الجاهلية يستعيذون بالجن خوفاً منها، فأبطل الله ذلك بالإسلام، وعلمهم الرسول ﷺ أن يستعيذوا بالله وكلماته منه، فمن استعاذ به ولجأ إليه أو بأسمائه أو بصفةٍ من صفاته؛ لأنها منه فإنه سبحانه يؤمنه، من الفزع ومن الخوف ومن الحيَّات والحيوانات المؤذية، يروى عن القرطبي أنه قال: «هذا خبر

---

(١) رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء (٢٧٠٨)(٥٤)، باب فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ.

صحيح، وقول صادق علمنا دليله بالتجربة، فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت به فلم يضرني شيء، إلى أن تركته فلدغتنى عقرب بالمهدية[1] ليلاً، فتفكرت في نفسي فإذا أنا قد نسيت أن أتعوذَّ بتلك الكلمات» ا.هـ من كلام القرطبي رحمه الله.

فعليك أيها المسلم! اتباع السنة ولزومها تنجو من المُهلِكات العاجلة والآجلة.

ما يستفاد من الباب:

١- أن الاستعاذة بغير الله شرك.

٢- الاستعاذة بالله عبادة، فلا يجوز صرفها إلى غيره.

٣- فضيلة هذا الدعاء وأنه من كلام المصطفى.

٤- أن كلمات الله صفة من صفاته، ولو كانت مخلوقةً لما جاز الاستعاذة بها.

٥- الردُّ على القائلين بخلق القرآن، وأنه من كلامه والله يتكلم متى شاء وإذا شاء.

أسئلة

١- بيِّن مناسبة باب من الشرك الاستعاذة بغير الله لما قبله، وما معنى الاستعاذة؟ وما معنى قوله: فزادوهم رهقاً؟ مع شرح الآية الكريمة مجملاً. وما تفيده من أحكام؟

٢- من حديث خولة رضي الله عنها، بين معاني المفردات: من نزل منزلاً، وقوله: أعوذ بكلمات الله التامة، ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً، وبيِّن ما يدل عليه الباب من أحكام.



(١) **المهدية**: مدينة قرب القيروان في شمالِها، وتقع الآن في الجمهورية التّونسية، اختطّها المهديُّ رأسُ الدّولة العُبيدية المشهورة بالفاطمية.

باب من الشرك: أن يستغيث بغير الله، أو يدعو غيره

(م) باب من الشرك: أن يستغيث بغير الله، أو يدعو غيره:

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[1].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[2]. وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾[3]. وقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[4].

وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: **(أنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله)**[5].

---

(١) سورة يونس الآيات (رقم: ١٠٦: ١٠٧).

(٢) سورة العنكبوت: (١٧).

(٣) سورة الاحقاف الآيات (٥ – ٦).

(٤) سورة النمل: (٦٢).

(٥) لم أجده في شيء من كتب السنة، وإنما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، حيث قال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث، وقد رواه أحمد بغير هذا السياق وهو =

فيه مسائل:

الأولى: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

الثانية: تفسير قوله: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾.

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة: أن أصلح الناس لو يفعله إرضاءً لغيره صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها.

= في الأدب في باب القيام. قلت: قوله: عن ابن لهيعة وهو حسن الحديث فيه نظر؛ بل هو ضعيف الحديث لسوء حفظه، وعليه يحتج بحديثه في الشواهد والمتابعات، وعند بعض المحدثين حسن الحديث إذا روى عن العبادلة، قال الشيخ العلوان: وابن لهيعة ضعيف الحديث مطلقاً قاله البخاري ويحيى بن معين وأبو حاتم وغيرهم، وهذا المشهور عن أئمة السلف وأكابر المحدثين فلا يفرقون بين رواية العبادلة عن ابن لهيعة وبين رواية غيرهم، وإن كانت رواية العبادلة عنه أعدل وأقوى من غيرها، غير أن هذا لا يعني تصحيح مروياتهم، فابن لهيعة سيء الحفظ في رواية العبادلة عنه، وفي رواية غيرهم، والكل ضعيف، وأقوى هذا الضعيف ما رواه القدامى عنه والله أعلم.

واللفظ الذي عند أحمد: عنْ عَلِيِّ بْنِ رَبَاحٍ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ يَقُولُ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﵁: قُومُوا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ الله ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يُقَامُ لِي إِنَّمَا يُقَامُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قال الأرناؤوط في تعليقه على المسند: إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن لهيعة.

والخلاصة: الحديث ضعيف: رواه الطبراني كما في المجمع (١٠/ ١٥٩)، وفي إسناده ضعف، فيه ابن لهيعة ضعيف مختلط، وراجع النهج السديد (١٦١)، ورواه الإمام أحمد (٥/ ٣١٧) وانظر أيضاً: فتح المجيد (ص: ١٣٨).

السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا، مع كونه كفراً.

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه.

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشرة: أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعي، لا يدري عنه.

الثانية عشرة: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.

الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: هي سبب كونه أضل الناس.

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

السابعة عشرة: الأمر العجيب، وهو إقرار عبدة الأوثان: أنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفى ﷺ حِمى التوحيد، والتأدب مع الله.

معنى الاستغاثة

(ش) الإستغاثة: طلب الغوث، وهي إزالة الشدة بعد نزولها، وهي نوع دعاءٍ، إلا أن الفرق بينهما أن الاستغاثة من المكروب والدعاء من المكروب وغيره.

الربط: لما ذكر الاستعاذة -وهي من العبادة- ناسب أن يلحقها بالاستغاثة، لأن من استعاذ بأحدٍ، فحريّ أن يستغيث به، والاستغاثة عبادة فصرفها لله عبادة،

وصرفها لغيره شرك، ومثلها الاستعاذة وسائر أنواع العبادة، وهو من أنواع الشرك المتقدم.

شرح الآيات الواردة في الباب

(م) وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[1].

المفردات:

(وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ): الدعاء: لغةً: الرغبة إلى الله مأخوذ من دعا دعاء ودعوى، والدعاء ينقسم إلى قسمين:

- **دعاء مسألة**. - **ودعاء عبادة**.

- **فدعاء المسالة:** أن تدعوه بما ينفعك، من جلب خيرٍ أو دفع ضر بحاجة بعينها.

- **ودعاء العبادة:** كدعاء الصلاة، وسائر الدعاء المتضمن للعبادة فدعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة.

قوله: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ أي: أن ينزل بك ضراً من فقر أو مرض.

﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: لا قادر على كشفه وإزالته سواه.

﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ ﴾: من رخاءٍ وعافيةٍ.

﴿ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾: فلا يستطيع أحد أن يدفع عنك حيث يصيب به من يشاء من عباده.

---

(١) سورة يونس الآيات (رقم: ١٠٦- ١٠٧).

﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾: أي: يصيب به من يشاء من خلقه، ويصرفه عمَّن يشاء، ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ﴾: لمن تاب (الرَّحِيمُ): بعبادة المؤمنين فإن رحمته وسعت كل شيء في الدنيا إلا أنها في الآخرة اختص بها المؤمنون.

قوله: ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾ أي: اطلبوه من عند الله، لا من عند غيره.

﴿ وَٱعْبُدُوهُ ﴾ أي: أفردوه بالعبادة، ومن ضمنه الاعتماد عليه في طلب الرزق.

﴿ وَٱشْكُرُواْ ﴾: أي: على نعمه عليكم، والشكر على نعمه وهو أعم من الحمد متعلقاً وأخص منه سبباً، لأنه في مقابلة النعمة، ويكون باللسان والجنان والأركان.

﴿ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾: أي: يوم الجزاء والحساب، فيجازيكم على ذلك.

قوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ ﴾ أي: لا أحد أضل منه.

﴿ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: لأنه يدعو من لا يستجيب له.

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾: لأنهم لا يسمعون، ولو سمعوا ما استجابوا.

﴿ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾: وهم مع هذا غافلون عن دعائهم، ويوم القيامة يتبرءون إليه -سبحانه- ويكونون لهم أعداء، ومع ذلك يكفرون بعبادتهم.

وقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ ﴾: المضطر: هو المكروب المجهود الذي لا حول له ولا قوة، لرفع فقره أو مرضه أو غفر ذنبه.

﴿ إِذَا دَعَاهُ ﴾: أي: ألجأه ذلك الاضطرار إلى دعائه، فمن يحول بينه وبين إجابة دعائه، إلا أنه قد يكون في بعض الداعين مانع يمنعه من إجابة دعائه.

قوله: ﴿وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾: أي: الكرب، وما يسوء العبد من ذلك الضر.

﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾: أي: يخلف كل قرنٍ القرن الذي قبله.

﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾: أي: يفعلوا ذلك إله معه الجواب: لا.

شرح الآيات المتقدمة موجزاً ومعناها إجمالياً:

أمر الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ أن لا يدعو من دون الله من لا يضره، فلا يستطيع أن ينزل به ضر ولا أن يرفعه إذا نزل، والذي يستحق أن يدعي ويرجى هو الله - سبحانه- ومن دعا غيره أو رجاه أو توكل عليه أو رغب إليه فهو من جملة الظالمين والجاحدين لتوحيده، البعيدين عن طاعته، وإن مسَّ العبد ضر من ربه، فلا أحد يستطيع كشف ذلك الضر، ولا تخفيفه عنه من المعبودات، فإن الله هو الذي يستطيع ذلك، بتيسيره وإرادته، وإن أراد أحداً بخيرٍ من عافيةٍ أو صحةٍ ورزقٍ وغير ذلك، فلا أحد من الناس يستطيع رد ذلك، أو منعه ولو اجتمعوا فهو الرزاق المدبر، المحيي المميت، فله الكمال المطلق والحمد التام، وهو الذي يستحق الشكر المطلق، والدعاء المطلق والرجاء والرجوع إليه في السراء والضراء، ولا يجوز أن يدعى أو يرجى سواه، ولا أن يتوكل إلا عليه، وهو الذي يجيب دعاء المضطرين ويكشف بلاء المبتلين وينفّس كرب المكروبين وهو الذي جعل الناس خلفاء في الأرض، يخلف بعضهم بعضاً، ويعقب من قبله وأنه ليس مع الله مدبر ولا مشير ولا معين ولا وزير، فتعالى وتقدس عما يصفه به الجاحدون والملحدون والمشركون، الذين جعلوا له أنداداً وشركاء في عبادته تعالى علواً كبيراً.

ما يستفاد من الآيات من أحكام:

١- تحريم دعوة غير الله مع الله، سواءً كان صالحاً أو طالحاً أو شجراً أو حجراً.

٢- دعوة غير الله مع الله شرك أكبر، مع وصف الداعي بالضلال.

٣- معرفة أنه لا ينفع داعيه ولا يضره ولا يرفع عنه ضر نزل به ولا يدفعه عنه قبل نزوله، والذي بيده هذه الأمور هو الله ﷻ.

٤- وصفه الداعي من دون الله بالظلم الذي هو الشرك.

٥- أن الخير كله بيد الله، يعطيه من يشاء ويمنعه عمن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، وأنه قد يمنع من إجابة الداعي، لمن تاب وأناب أو يدفع عنه شراً أو يدخره له.

٦- وصفه بالرحمة وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم.

٧- طلب الرزق من عند الله، لا من عند الأصنام والأوثان، مع الأمر بعبادته.

٨- أن الشكر الذي يستحقه هو الله سبحانه، وأن شكر النعمة أن تتحدث بها ظاهراً واعتقادها باطناً وصرفها في طاعة الله مسديها ومبديها.

٩- اعتقاد رجوع الخلائق إلى الله، وهو يوم البعث والنشور والحساب.

١٠- عدم استجابة المدعو من دون الله، مع غفلته عن دعائه وكفره بعبادة عابده.

١١- وصف الداعي والمدعو بالعداوة، لأنه إما أن لا يرضى بدعوة داعيه كحال عيسى والصالحين والأنبياء والملائكة، أو لعداوةٍ تحدث بينهم يوم القيامة، فيلعن بعضهم بعضاً، كما جاء ذلك في القرآن.

شرح حديث: «إنه لا يستغاث بي...»

قوله: (**وروى الطبراني**[١]...**إلخ**): الطبراني هو الإمام سليمان بن أحمد اللخمي، صاحب المعاجم الثلاثة.

المفردات:

قوله: (**أنه كان في زمن النبي منافق**): المنافق: من أظهر الإسلام وأبطن الكفر،

---

(١) هو الإمام الحافظ الثقة الرحال الجوال محدث الإسلام علم المعمرين **أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي** الشامي الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة: (المعجم الصغير والمعجم الأوسط والمعجم الكبير).

وكان مولده بمدينة عكاف شهر صفر سنة ستين ومائتين وأول سماعه في سنة ثلاث وسبعين، وارتحل به أبوه وحرص عليه.. ولقي الرجال ستة عشر عاماً وكتب عمن أقبل وأدبر وبرع في هذا الشأن وجمع وصنف وعمر دهراً ولم يزل يكتب حتى كتب عن أقرانه وسمع بالحرمين واليمن ومدائن الشام ومصر وبغداد والكوفة والبصرة وأصبهان وخوزستان وغير ذلك ثم استوطن أصبهان وأقام بها نحواً من ستين سنة ينشر العلم ويؤلفه. قال فيه الحافظ ابن منده: أبو القاسم الطبراني أحد الحفاظ المذكورين. وقال أبو بكر بن أبي علي المعدل: الطبراني أشهر من أن يدل على فضله وعلمه، وكان واسع العلم كثير التصانيف. وقيل: ذهبت عيناه في آخر أيامه، ولأبي القاسم من التصانيف كتاب السنة وكتاب الدعاء وكتاب الطوالات وكتاب مسند شعبة كبير ومسند سفيان وكتاب مسانيد الشاميين وكتاب التفسير كبير جداً وكتاب الأوائل وكتاب الرمي وكتاب المناسك وكتاب النوادر وكتاب دلائل النبوة وكتاب عشرة النساء وأشياء سوى ذلك لم نقف عليها، منها: مسند عائشة ومسند أبي هريرة وغير ذلك وأكثرها مسانيد حفاظ وأعيان ولم نرها، ولم يزل حديث الطبراني رائجاً نافقاً مرغوباً فيه وقد عاش الطبراني مائة وعشرة أشهر، قال أبو نعيم الحافظ: توفي الطبراني لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ستين وثلاث مائة بأصبهان.

ويعبر عنه بعض العلماء بالزنديق، والمنافق المذكور في الحديث هو: عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين.

قوله: (**يؤذي المؤمنين**): أي: بالسبِّ واللمز.

قوله: (**فقال بعضهم**): جاء تعريفه أنه: أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

قوله: (**قوموا بنا نستغث برسول الله ﷺ من هذا المنافق**): الاستغاثة تقدمت تعريفها.

قوله: (**فقال ﷺ: أنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله**): هذا من باب سدِّ الذرائع، وإلا هو موجود قادر على ردِّ أذاه عنهم.

المعني الإجمالي:

أورد الرسول ﷺ هذا الحديث في التحذير وسدِّ الذرائع ووسائل الشرك، لأن الرسول ﷺ أخبر الصحابة أن الاستغاثة من خصائص الله، مع وجوده وحضوره وقدرته على ذلك، مع العلم أن الإنسان إذا استغاث به أحد، كأن يستغيث بقول: «انقذني»، إذا كان غريق أو حريق، أنه لا بأس به إذا كان حاضراً قادراً على إغاثته، لكن الحديث فيه تنبيه للصحابة على مثل هذا، فما ظنك بمن دونهم، فحذَّر ﷺ منه خشيةَ أن يكون وسيلةً إلى الشرك فيستغاث به بعد موته، كأن يقول له إنسان: «اغثني يا رسول الله»، أو «أنا بك يا رسول الله»، وما شابه ذلك بعد موته، وقد أخبر سبحانه وتعالى عن نبيه ﷺ بأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن غيره، كما في آية الأعراف: ﴿**قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ**

﴿ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾[١].

فالوسيلة: لشفاعة النبي ﷺ هي: متابعته والاستقامة على شريعته وسنته ولا يدعى بعد موته ولا يستغاث به، وقد سدَّ الذريعة - وهو حي - فكيف بعد الموت؟ والله الموفق.

ما يستفاد من الحديث:

١- أن الاستغاثة بغير الله شرك، إذا كانت فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٢- أن الصحابة يلاقون أذى في توحيد الله وطاعته.

٣- سدّ الذرائع والوسائل، لأن الوسيلة لها حكم الغاية.

٤- (أ) الاستغاثة المحرمة هي: فيما لا يقدر عليه إلا الله، كالاستغاثة بالأموات والغائبين، من طلب شفاء مريضٍ أو إنقاذه من هلكة أو نصر على أعداء.

(ب) أما إذا استغاث بك شخص في إنقاذٍ من هلكةٍ، أو نصر أو إعانة -وأنت قادر على ذلك- لا بأس به، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾[٢].



(١) سورة الأعراف (الآية: ١٨٨).

(٢) سورة القصص (من الآية ١٥).

أسئلة

١- اشرح الحديث الذي رواه الطبراني مع ذكر شيء من ترجمته؟

٢- عِّرف المنافق؟ ومن هو الذي كان يؤذي المؤمنين؟ ومن الذي قال: قوموا بنا إلى رسول الله نستغيث به من هذا المنافق؟ وبماذا أجابهم الرسول ﷺ لَّما سألوه؟ ولأي شيء قال الرسول ﷺ لما سألوه؟ ولأي شيء قال الرسول ﷺ: إنه لا يستغاث بي؟

٣- اشرح الحديث شرحاً مجملاً. ثم بيِّن ما فيه من فوائد؟



باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ...﴾

(م) قوله: باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾[1]. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[2]. وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: شُجَّ النبي ﷺ يوم أُحد، وكسرت ربَاعيته، فقال: «كيف يُفلح قوم شجّوا نبيهم؟ فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[3]»[4].

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهّم العن فلاناً وفلاناً، بعدما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[5][6].

---

(١) سورة الأعراف الآيات: (١٩١، ١٩٢).

(٢) سورة فاطر، الآيات: (١٣، ١٤).

(٣) سورة آل عمران، (الآية: ١٢٨).

(٤) رواه البخاري معلقاً (٧/ ٢٨١) في المغازي، غزوة أحد، باب قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، أما حديث حميد فوصله أحمد والترمذي والنسائي من طرق حميد، كما في الفتح (٧/ ٣٦٥)، أما حديث ثابت فوصله مسلم (١٧٩١) في الجهاد والسير، باب غَزْوَةِ أُحُدٍ من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه.

(٥) سورة آل عمران، (الآية: ١٢٨).

(٦) رواه البخاري، كتاب المغازي (٤٠٦٩) باب قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قام رسول الله ﷺ حين أُنزل عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[1] فقال: يا معشر قريش -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم لا أُغني عنكم من الله شيئاً، يا عبَّاس بنَ عبد المطلب، لا أُغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمةَ رسول الله ﷺ لا أُغني عنكِ من الله شيئاً، ويا فاطمة بنتَ محمد سليني من مالي ما شيئت، لا أُغني عنك من الله شيئاً»[2].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أُحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين ﷺ.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها: شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها: التمثيل بالقتلى مع أنهم بنوا عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[3].

السابعة: قوله: ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾[4] فتاب عليهم فآمنوا.

---

(١) سورة الشعراء، (الآية: ٢١٤).

(٢) رواه البخاري (٤٤٧١) في تفسير سورة الشعراء، باب قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾، وفي الوصايا: باب هل يدخل النساء والأولاد في الأقارب؟

(٣) سورة آل عمران، (الآية: ١٢٨).

(٤) سورة آل عمران، (الآية: ١٢٨).

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعن المعين في القنوت.

الحادية عشرة: قصته ﷺ لَمَّا أنزل عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[١].

الثانية عشرة: قوله للأبعد والأقرب: (لا أغني عنك من الله شيئاً)، حتى قال: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً»، فإذا صرح وهو سيِّد المرسلين، بأنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس، اليوم تبين له التوحيد وغربة الدين.

شرح الآيات الواردة في الباب

(**ش**) المناسبة: **لما ذكر في الباب قبله أن الاستغاثة بغير الله شرك؛ ناسب أن يذكر بعد ذلك أن دعاء غير الله شرك، لأن الكل من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله.**

المفردات:

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا ﴾: هذا توبيخ وتقريع للمشركين، أي: أيشركون في عبادته ما لا يخلق شيئاً، فالذي لا يخلق لا يستحق أن يعبد ويَدعى.

﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾: أي: وهو مخلوق مربوب مملوك لخالقه، فكيف يعبد المخلوق؟ ويترك الخالق الذى يستحق العبادة؟

﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾: أي: نصر من يدعوهم أو يعبدهم.

(١) سورة الشعراء، (الآية: ٢١٤).

﴿ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢ ﴾: أي: الذي دعا من دون الله إذا نزل به بأس أو شدة أو مرض، فلا يستطيعون دفع ذلك عن أنفسهم.

قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾: أي: من هذه الأصنام، فتعبدونها من دون الله، بالدعاء والتضرع وصرف القُربان وغيره لها.

﴿ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ ﴾: أي: ولا تملك نفعكم، ولا باللفافة التي فوق النواة، وهذا من أضعف الأشياء أن تدعوه.

﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ ﴾: لأنهم إما موتى وقد بلوا وشغلوا بأنفسهم أو جمادات لا تسمع.

﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ ﴾: لأنهم عباد صالحون لا يرضون بهذا، كمن دعا المسيح وأمه أو عزيراً أو الملائكة أو غيرهم.

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ ﴾ أي: ولا يخبرك بما تئول إليه الأمور.

﴿ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤ ﴾: أي: ببواطنها وظواهرها، وهو الله فهو مطلع على الدقيق والجليل.

المعنى الإجمالي للآيات:

أخبر الله ﷻ أن الذين يشركون مع الله -بأي نوعٍ من أنواع العبادة- أنهم أشركوا مخلوقاتٍ ضعيفة، لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً ولا لمن دعاها ولجأ إليها، ولا تستطيع نصر أحدٍ ولا الدفع عنه ما نزل به، والرب هو الذي يملك النفع والضر، والحياة والموت والرزق والنصر وغير ذلك، ثم هم مع هذا لا يستطيعون الدفع عن أنفسهم، ولا نصرها من الأعداء.

وقد كان النبي ﷺ إذا اشتد الحرب وحمي الوطيس، يقول: (**اللَّهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول وبك أجول، وبك أصول وبك أقاتل**)(١).

وكذا الآية **الثانية**: تفيد ما أفادته الآية الأولى، أن الداعين مهما بلغوا وبذلوا في سبيل المدعوين من دون الله لا يملكون أدنى شيء، ولو كان قطميراً مع حقارته وعدم تقويمه، لا يملكه لداعيه، ولو دعوا ما سمعوا دعاء من دعاهم، ومع فرض السماع لا يستجيبون، لأن الله لم يأذن لهم بذلك، وإذا كان يوم القيامة كفروا بهم وبدعائهم، وتبرءوا منهم إلى الله، وقد أنبأك الخبير المطلع على سرائر الأمور وظواهرها وأولاها وأخرهاوحاضرها وغائبها، وهو الله سبحانه.

ما يستفاد من الآيات:

١- تحريم الشرك وتحريم دعوة غير الله قليلاً أو كثيراً.

٢- التنبيه على غفلة الداعين، كيف يدعى من لا يخلق؟ وهو مخلوق ضعيف، لا يستطيع نصر نفسه، فضلاً عن داعيه.

٣- التنديد بأحوال الداعين لهذه الأصنام!! كيف يدعون من لا يملك قطميرا؟ وقد ضرب به المثل لحقارته؟ فكيف لما هو أعظم من ذلك؟!

(١) رواه أبو داود وغيره عن أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني. انظر: حديث رقم: ٤٧٥٧ في صحيح الجامع. ولفظ: (بك أجول) وردت عن الطبراني في الكبير عن ابن عباس. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عثمان بن سعد المكتب وثقه أبو نعيم وأبو حاتم وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات، ووردت أيضاً عن علي عندما يريد السفر قال الألباني في الضعيفة: (ضعيف) أخرجه أحمد (١/ ٩٠ و١٩١) والبزار (٣١٢٦)، وابن جرير الطبري في «التهذيب» (رقم٧ - مسند علي).

شرح الأحاديث الواردة في الباب

المفردات:

قوله في الصحيح: عن أنس رضي الله عنه قال: شج النبي ﷺ يوم أحد..إلخ[١].

قوله في الصحيح: أي: صحيح البخاري ومسلم.

(**شُجَّ النبي ﷺ**): الشج: هو الضرب بشيءٍ فيجرحه برأسه، ويستعمل لغير الرأس لأنهم قالوا: الشجة بالرأس يوم أحد، أي: في واقعة أحد المعروفة.

و«أحد»: اسم للجبل الذي جرت فيه الواقعة، وهو قرب المدينة وقد دفن الشهداء قربه.

(**كسرت رباعيته**): الرباعية هي كل سنٍّ تلي الثنية.

(**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟**): كيف: استفهام إنكارٍ، والفلاح هو: السعادة والفوز.

قوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾: المراد أن الأمر كله بيد الله، والإيمان لقريش وغيرهم بيده تعالى، فامض أنت لما أمرت به من الدعوة، ثم آمن بعد ذلك من آمن، ومات من مات على كفره.

قوله: (**وفيه**): أي: صحيح البخاري.

(**بعدما يرفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر**): أي: يقول هذا الدعاء والقنوت بعد الشج والوقعة.

(**اللَّهم العن فلاناً وفلاناً**): هم من يأتي بيان أسمائهم، وهم: «صفوان بن أمية

---

(١) رواه مسلم (باب غَزْوَةِ أُحُدٍ).

وسُهيل بن عمرو، والحارث بن هشام»، كما قال شيخ الإسلام: قوله: على صفوان بن أُمية إلى آخره هم المعنيون لأنهم المحرضون، وهم رءوس الكفر يوم ذاك.

ومعنى سمع الله: أي: أجاب وتقبل.

واستجاب له: أي: لمن حمده تعالى.

(ربنا ولك الحمد): أي: استجب ولك الحمد فيشمل على معنى الدعاء، ومعنى الخبر، والحمد ضد الذم، والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له.

المعنى الإجمالي:

لَمَّا خرج الرسول ﷺ في غزوة أُحد، متوكلاً على ربه مظاهراً بين درعين، لا يدري ما يصيبه في سبيل الله، وقد كانت الدائرة في أول المعركة على المشركين، والنصر للمسلمين حتى انهزموا وتبعهم المسلمون لمقصد الغنيمة، ثم إن الرماة الذين أمرهم الرسول أن يتمركزوا في الجبل فلا يتخلوا عنه مهما كان الأمر فسرعان ما تركوا أماكنهم، وتبعوا المشركين لأخذ الغنيمة، لأن نساء المشركين حسرن عن خلاخلهن منهزماتٍ، فلم يبق في مركز الرماة إلا أميرهم وقلة معه، فأتى خالد بن الوليد ومن معه من المشركين من قبل الجبل، وهو إذ ذاك مشرك، فهزموا المسلمين ودارت الدائرة على المسلمين منهزمين، وقتل من قتل من المؤمنين، منهم حمزة عم رسول الله ﷺ وعبد الله بن حرام وغيرهم ممن استشهد حتى وصل المشركون إلى رسول الله ﷺ والمسلمون يدافعون عنه فيسقطون الواحد تلو الواحد فكسر المشركون رباعيته وشجوا رأسه، وهو يدافع هو ومن معه من أصحابه عن أنفسهم وأجهد النبي ﷺ وتبعهم أبي بن خلف فطعنه النبي ﷺ بالحربة فمات من تلك الطعنة، وعلا أبو سفيان على الجبل منتصراً ونادى باسم اللات والعزى وهبل الأكبر حتى قال: أُعلُ هبل، فقال النبي ﷺ

: «أجيبوه، فقالوا: ماذا نقول يا رسول الله، فقال: قولوا: الله أعلى وأجل»[(١)]، وكان في هذه الوقعة تمحيص للمسلمين واستشهاد من استشهد منهم لحكمةٍ أرادها الله، وليعلم أن الأنبياء والصالحين يصيبهم ما يصيب البشر، فتبطل دعوى من دعاهم أو التجأ إليهم كما في الآية: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾[(٢)].

ما يؤخذ من الحديث:

١- أن الرسول ﷺ يصيبه ما يصيب البشر من الابتلاء والامتحان.

٢- معاتبة الله سبحانه لنبيه، دلَّ على أن الله استأثر بالهداية، حيث آمن من آمن بعد أحد من المشركين.

٣- أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، وليس له شركة فيما هو من خصائص الله.

٤- جواز القنوت في الركعة الأخيرة من الفجر، إذا نزل بالمسلمين نازلة، استدلالاً بهذا الحديث كما هو مذهب أحمد، وأما الشافعي رحمه الله فإنه يرى أن القنوت في الركعة الأخيرة من الفجر بعد الركوع مستمراً في جميع السنة، مستدلاً بهذا الحديث وبحديثٍ آخر ما زال رسول الله ﷺ يقنت حتى فارق الدنيا، فأجاب أحمد ومن معه أن معنى القنوت هو إطالة الصلاة[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، المغازي (٤٠٤٣)، سنن أبي داود (٢٦٦٢)، مسند أحمد بن حنبل (٤/ ٢٩٣).

(٢) سورة الأعراف الآيات (١٩١، ١٩٢).

(٣) أي: إطالة القيام بعد الركوع والمداومة على القنوت في الفجر بلا سبب يقتضي ذلك أطلق عليه بعض أهل العلم مسمى البدعة لعدم الدليل عليه.

٥- أن الأنبياء والصالحين يصيبهم ما يصيب البشر، وأن الأمر بيد الله، فلا يطلب منهم ما لا يقدرون عليه، من دفع ضر أو كشف كربٍ.

٦- جواز الدعاء على رءوس الكفر في الصلاة ولعنهم، وأنه لا يخل بالصلاة.

٧- أن الإمام يجمع بين التسميع، وقول: ربنا ولك الحمد، كما في هذا الحديث، وهو قول الشافعي وأحمد، خلافاً للإمام أبي حنيفة والإمام مالك رحمهم الله.

شرح حديث إنذار الرسول لقومه

المفردات:

قوله: وفيه عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الأقربين...إلخ».

قوله: قام رسول الله ﷺ، وجاء في روايةٍ أخرى: فصعد على الصفا حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾: معنى الإنذار: هو الإعلام والتخويف والتحذير، فالرسول ﷺ خوَّف قومه.

(وعشيرة الرجل): هم بنو أبيه الأدنون، أو القبيلة بأسرها.

(يا معشر): المعشر: الجماعة أو كلمة نحوها، وبنصب الكلمة، أي: أو نحو يا معشر.

قوله: **(اشتروا أنفسكم)**: الاشتراء هو: الابتياع والمشترى هو قريش، والمقصود أن يشتروا أنفسهم بالتوحيد والإخلاص.

قوله: **(لا أغني عنكم من الله شيئاً)**: أي: بسبب قرابتي فلا أدفع عنكم عذابه.

قوله: **(يا عباس بن عبد المطلب، ويا صفية عمة رسول الله، ويا فاطمة بنت محمدٍ،**

لا أغني عنكم من الله شيئاً): هذا تخصيص للأقربين وهم: عمه وعمته وبنته التي هي بضعة منه، فإذا كان هؤلاء لا يغني عنهم شيئاً مع قرابتهم فغيرهم أولى وأحرى.

المعنى الإجمالي:

لما أمر الرسول ﷺ بالإنذار والبلاغ الخاص والعام بدأ بإنذار عشيرته وهم: قرابته الأقربون كأعمامه وعماته وبناته، فنادى بقبيلته وعشيرته وبلغها ما أمر به على رءوس الخلائق، أنه لا يغني عنهم من عذاب الله شيئاً، إلا أن يشتروا أنفسهم بالعمل الصالح، والتوحيد والإخلاص لله، وأفهمهم أنه لا يملك سوى المال وأمور الدنيا، فقال: يا فاطمة بنت محمد رسول الله مع أنه لا يمنع عنها ما يملك من المال، وهو الذي يملكه حقيقة لا غير أما الثواب والعقاب والهداية والفوز بالسعادة بالجنة والنجاة من النار فهو بيد مالك الملك، الحي الدائم الذي لا يحول ولا يزول، عند ذلك ينقطع التعلق والتوسل به، وبغيره من الأنبياء والمرسلين، ولم يبق سوى إخلاص العمل لله بالتوحيد واتباع شريعة الرسول، والعمل بها ففيه النجاة.

ما يستفاد من الحديث:

١- تخصيص عشيرته وقرابته بالدعوة، لأنهم أخص الناس ببره وصلته وإحسانه، مع العلم أن الدعوة عامة لجميع الناس، بل للثقلين الإنس والجن.

٢- أنه لا ينجي من عذاب الله إلا العمل الصالح، وإخلاص ذلك لله.

٣- أن الرسول ﷺ لا يملك شيئاً من أمور الآخرة، ولا الهداية وإنَّما عليه الدعوة.

٤- لا ينفع الرسول ﷺ أهله وقرابته، إلا بالدعوة والبيان أو المال والهداية بيد الله.

٥- لا ينافي ما تقدم فضيلة أهل بيت الرسول المتبعين له، المهتدين بهديه المستنين بسنته، فإنهم من أفضل الناس.

أسئلة

١- اشرح الآيات الآتية:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾... الآية. وقوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾، ثم بيِّن معاني المفردات في الآيتين السابقتين كما مرَّ بك، وبيِّن ما فيهما من أحكام.

٢- بيِّن المفردات الآتية: في حديث أنس رضي الله عنه المتقدم قوله: «في الصحيح» ما هو الصحيح؟ وما معنى شُجَّ النبي؟ وأين تكون الشجة؟ ما هي الرباعية؟ وما هو الفلاح؟ بيِّن معنى قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾، وعرف الاستفهام؟ ولماذا خُصَّ من سمي بالحديث باللعن دون غيرهم من الكفار؟ وما معنى سمع الله؟ وماذا يدل عليه ربنا ولك الحمد من المعاني؟ ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً على ما مر بك، وبيِّن ما يدل عليه من فوائد.

٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما اسم أبي هريرة؟ وما هي عشيرة الرجل؟ وما معنى الإنذار؟ ولماذا خص عشيرته؟ وبأي شيء يكون الاشتراء؟ ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً، مع بيان ما فيه من فوائد.



باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ...﴾

(م) باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾[1]. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عنه عن النبي ﷺ قال: (إذا قَضَى الله الأمرَ في السماء، ضربَت الملائكة بأجنحتها خَضَعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان يَنفذُهم ذلك، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾[2] فيسمعها مُسترق السمع -ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض- وصفه سفيان بكفه، فحرَّفها وبدد بين أصابعه- فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشِّهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يُدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، وكذا وكذا؟ فيصدَّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء)[3].

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي فأخذت السموات منه رجفة، أو قال: رعدة شديدة خوفاً من الله عز وجل، فإذا سمِع أهل السموات صعقوا وخرُّوا لله سُجَّداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمرُّ جبريل على الملائكة، كلما مر بسماءٍ

---

(١) سورة سبأ من الآية: (٢٣).

(٢) سورة سبأ من الآية: (٢٣).

(٣) رواه البخاري (٤٨٠٠) في تفسير سورة سبأ، باب (حتي إذا فزع عن قلوبهم)، (٤٧٠١) في التفسير، سورة الحجر، باب (إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين).

سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال: الحق وهو العليُّ الكبير، فيقولون كلهم: مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل»[١].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصاً ما تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة: تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾[٢].

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله: «قال كذا وكذا».

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل.

السابعة: أنه يقول لأهل السموات كلهم، لأنهم يسألونه.

الثامنة: أن الغَشْي يعم أهل السموات كلها.

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٢٢/ ٩١)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٨)، وأبو الشيخ (٢/ ٥٠٠، رقم ٤٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص: ٢٠٣). وأخرجه أيضًا: ابن خزيمة في التوحيد (ص ١٤٤)، وابن أبي عاصم (١/ ٢٢٦، رقم ٥١٥) والطبراني في الشاميين (١/ ٣٣٦، رقم ٥٩١)، والديلمى (١/ ٢٤٨، رقم ٩٦٤)، قال الهيثمى (٧/ ٩٥): رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح، وقد وثق وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين وبقية رجاله ثقات (انظر: جامع الأحاديث)، ورواه ابن الأعرابي في معجمه، وضعفه الألباني في تعليقه على ظلال الجنة في تخريج السنة، والله أعلم.

(٢) سورة سبأ من الآية: (٢٣).

التاسعة: ارتجاف السموات بكلام الله.

العاشرة: أن جبريل هو الذي ينتهي الوحي إلى حيث أمره الله.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضاً.

الثالثة عشرة: إرسال شهاب.

الرابعة عشرة: أنه تارةً يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارةً يلقيها في أُذن وليِّه من الإِنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يصدُق بعض الأحيان.

السادسة عشرة: كونه يكذب معها مائة كذبة.

السابعة عشرة: أنه لم يصدق كذبه إِلا بتلك الكلمة، التي سُمعت من السماء.

الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة.

التاسعة عشرة: كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة، ويحفظونها ويستدلون بها.

العشرون: إثبات الصفات، خلافاً للأشعرية المعطلة.

الحادية والعشرون: أن تلك الرجفة والغشي خوفاً من الله عزوجل.

الثانية والعشرون: أنهم يخرُّون لله سُجداً.

«ش» المناسبة:

لما ذكر المصنف حال الرسول ﷺ، وعدم ملكه عن الدفع عنه، وعن أهل بيته وقرابته، ناسب أن يبوب باباً آخر، يبين فيه حالة الملائكة وخوفهم من الله، ووجلهم

عند نزول الوحي من الله من السماء، وفزعهم لتنقطع من القلوب دعوتهم ورجاؤهم والالتجاء إليهم من دون الله، فيخلص العبد الدعاء لله.

شرح قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ...﴾

المفردات:

﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ﴾: أي: يسألون جبريل بعدما يوحي الله إليه بالأمر.

﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾: فيقولون كلهم مثل ذلك، أنه قال الحق، فالله عز وجل حق، وكلامه حق، وأمره حق، وشرعه حق، ولا يقول إلا الحق.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾: فله العلو المطلق من جميع الجهات، علو القدر، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾[1]، وعلو القهر كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾[2]، وعلو الذات كما في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾[3].

قوله: (**الْكَبِيرُ**): فلا أكبر ولا أعظم منه تعالى وتقدس.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

يخبر الله تعالى أنه بعدما يوحي بالأمر ويقضي، يُسمع لذلك صوت كجر السلسلة على الحجر الأملس، ثم تخر الملائكة جميعها سجداً لله، تعظيماً وإجلالاً وهيبةً، حتى يرفع جبريل عليه السلام رأسه، فيكلمه الله بما شاء من الأمر والنهي والإحياء والإماتة وغير ذلك، ثم يمر جبريل عليه السلام على الملائكة، فيخبرها بأن الله قال حقاً، ويخبرهم الخبر

---

(١) سورة سبأ من الآية: (٢٣).

(٢) سورة الأنعام من الآية: (٦١).

(٣) سورة طه، الآية: (٥).

فتقول الملائكة مثل مقالة جبريل عليه السلام بأن الله تعالى قال الحق، وهو العلي على الخلق، بالتدبير والقهر والارتفاع فوق سماواته، لا إله غيره ولا رب سواه.

ما تفيده الآية:

١- أن الله يتكلم كلاماً حقيقياً يسمع بصوتٍ وحروف، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

٢- الرد على من أنكر كلامه تبارك وتعالى.

٣- أن الملائكة تخر صعوقاً، تعظيماً لله وهيبة وإجلالاً.

٤- إثبات علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه، كما ورد في الآية وغيرها، مما ورد ذكره في القرآن كثيراً.

شرح الأحاديث الواردة في الباب

قال شيخ الإسلام: الرحمن على العرش استوى...في سبع مواضع من القرآن[1]، ثم

---

(١) **الموضع الأول:** قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(سورة الأعراف الآية ٥٤).

- **الموضع الثاني:** قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ سورة يونس (الآية: ٣).

- **الموضع الثالث:** قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ سورة الرعد (الآية: ٢).

- **الموضع الرابع:** قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ سورة طه الآية: (٥).

- **الموضع الخامس:** قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾(سورة الفرقان الآية: ٥٩).

- **الموضع السادس:** قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ (سورة السجدة الآية ٤). =

ساق أولها سورة الأعراف، ثم سورة يونس، وهكذا حتى عدَّ سبعاً.

٥ - أن الله كبير وعظيم، لا يقدر أحد قدر عظمته وكبريائه.

المفردات:

قوله في الصحيح: أي: صحيح البخاري.

(**إذا قضى الله الأمر في السماء**) أي: إذا تكلم الله بالأمر الذي يوحيه إلى جبريل، بما أراد وقضاه.

(**ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله**): أي: تضرب الملائكة مع خضوعٍ وخوفٍ.

قوله: (**كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك**): أي: الصوت.

(**حتى إذا فزع عن قلوبهم**): أي: زال عنها الفزع.

(**قالوا: ماذا قال ربنا؟**): أي: يسألون ماذا قال ربنا؟

يجابون بأنه: قال الحق وهو العلي الكبير.

(**يسمعها مسترق السمع**): وهم الشياطين.

(**ومسترق السمع هكذا**): أي: يركب بعضهم بعضاً، إما في الهواء أو العنان وهو السحاب، وقيل: عند السماء الدنيا.

(**وصفه سفيان**): أي: ابن عيينة.

(**بكفه فحرفها**): أي: فرق بين أصابع كفه وبددها.

=

- **الموضع السابع**: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ سورة الحديد (الآية: ٤).

(**يسمع الكلمة التي قضى الله وتكلم بها الملائكة، فيلقيها إلى من تحته**) أي: من يليه، حتى تصل إلى الأسفل منهم.

(**وربما أدركه الشهاب**): أي: أصابه، وهو القطعة من النجم ترمى بها الشياطين.

(**قبل أن يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فيكذب معها مائة كذبة**): أي: مع الكلمة، أي: يزيد فيها هذه الزيادة.

(**فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا؟**): أي: يقول أولياؤهم قد قال اليوم الفلاني من أيام الأسبوع أو السنة: إنه سيكون كذا.

(**فيصدق بتلك الكلمة**): أي: الكلمة المسترقة من السماء عند وقوعها ونزولها.

مفردات الحديث الثاني:

(**إذا أراد الله أن يوحى بالأمر**): أي: أراد أن يقضي فيوحي بكلامٍ يسمع بأمرٍ ونهيٍ وإحياء وإماتة.

(**رجفةً أو رعدةً**): أي: سمع لذلك صوت كصوت الرعد.

(**خوفاً من الله**): أي: أن أهل السموات تخافه.

(**صعقوا**): أي: خروا صعوقاً وهو الغشي مع السجود.

(**فيكون أول من يرفع رأسه جبريل**): أي: جبريل عليه السلام وهو أشرف الملائكة، وهو السفير بين الله وخلقه، وهو أفضل الملائكة، كلما مر على أهل السماء سأله ملائكتها، فالملائكة إذا أفاقت سألت جبريل عليه السلام عما أوحاه الله فيخبرها جبريل.

المعنى الإجمالي للحديثين:

هذان الحديثان يدلان على عظمة الله -تبارك وتعالى- وعلى شدة خوف السموات منه وسكانها من الملائكة والأرض والجبال، وأن الجميع يصعق إشفاقاً وخوفاً من

عذاب الله، وإجلالاً ومهابةً للربِ، وعلى أن الله يتكلم بحرفٍ وصوتٍ يسمع من بعْدٍ، كما يسمع من قربٍ، وأن ذلك الصوت ينفذ إلى جميع أهل السموات، وهذا رد على منكري ذلك من الجهمية وغيرهم، ويدل أن جبريل عليه السلام أفضل الملائكة، يكلمه الله بما يشاء من وحيه، وهو السفير بين الله وبين الخلق فينزل بالوحي مع قوته وأمانته على وحى الله ورسالته فتسأله الملائكة إذا رفعت رءوسها، وأفاقت من غشيها فيخبرها بما قضاه الله وقدَّره وأوحاه وأمر به من جميع الأمور، كما قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1]، وقولهم: إن الله عز وجل قال الحق فهو حق وكلامه حق، وقوله حق ووعده صدق، وهو العلي الكبير، وله العلو المطلق بكل وجهٍ، واعتبار علو الذات وعلو القدر وعلو القهر، فلا أكبر منه ولا أعظم، وأن الشياطين تسترق السمع، لَمَّا تتكلم به الملائكة فيما بينها، إما عند سماء الدنيا وإما في العنان. ولربما أدركتهم الشهب، وأُحرِقوا قبل أن يلقوها إلى من تحتهم، كما أن الشياطين يكذبون مع ما سمعوا من السماء مائة كذبة، وأن تلك الكلمة التى اختطفت من السماء يصدقون بها مع ما أتوا به من الكذب، لوقوعها في الوقت الذي سمعوه من السماء، ثم تقع به لا تتقدم ولا تتأخر، فيغتر بها كثير من ضعاف العقول والعقيدة.

ما يؤخذ من الحديثين من فوائد:

١ – سماع الملائكة لكلام الله.

٢ – خوفهم منه هيبةً وتعظيماً وإجلالاً، فيحصل لهم السجود والصعوق.

٣ – فضيلة جبريل وتكليم الله له وأمانته، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ

---

(١) سورة الرحمن: (من الآية: ٢٩).

﴿٤٠﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾[1].

٤- الردُّ على الجهمية المنكرين أن القرآن كلام الله، وكما في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾[2].

٥- استراق الشياطين للسمع من السماء أو السحاب، وأنهم يركب بعضهم بعضاً في الهواء، فيسمعون حديث الملائكة.

٦- إحراق الشياطين بالشهب في بعض الأحيان، وربما سلموا من ذلك، فيلقون ما استرقوا على لسان وليهم من السحرة والكهنة.

٧- ازدياد حراسة السماء والشهب بعد مبعث الرسول ﷺ.

٨- كذبهم مع ما استرقوا من السمع.

٩- وفيه: قبول النفوس للباطل، ويصدقون بكلمةٍ ولا يعتبرون بمائة كذبة.



(١) سورة التكوير (الآيات: (١٩، ٢٠، ٢١).

(٢) سورة الواقعة (الآيات من: ٧٧- ٨٠).

أسئلة

١- من باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ اذكر مناسبة هذا الباب لما قبله؟ ثم بيِّن معاني المفردات الآتية: «حتى إذا فزع عن قلوبهم»؟ «قالوا ماذا قال ربكم»؟ «وهو العلي الكبير»؟ ما هو العلو المراد؟ وما معنى الكبير؟ اشرح الآية شرحاً مجملاً، وبيِّن ما فيها من أحكام.

٢- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما هو الصحيح؟ ومعنى قضى الله الأمر في السماء؟ وما معنى: ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله؟ وما معنى كأنه سلسلة؟ وما معنى ينفذهم؟ اشرح قوله: «إذا أراد الله أن يوحي بالأمر»؟ وما معنى صعقوا؟ وبيِّن ما يدل عليه قوله: «فيكون أول من يرفع رأسه جبريل»؟

٣- اشرح الحديثين شرحاً مجملاً، وبيِّن ما يدلان عليه من أحكام.



باب الشفاعة

(م) باب الشفاعة، وقول الله عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[١]. وقوله: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ ﴾[٢].

وقوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾[٣].

وقوله: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[٤]. وقوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ ﴾[٥].

قال أبو العباس[٦]: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[٧]، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ: «أنه يأتي

(١) سورة الأنعام: (٥١).

(٢) سورة الزمر: من الآية (٤٤).

(٣) سورة البقرة: (من الآية: ٢٥٥).

(٤) سورة النجم: (٢٦).

(٥) سورة سبأ الآية: (٢٢، ٢٣).

(٦) هذه كنية شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني إمام المسلمين رحمه الله.

(٧) سورة الانبياء: (من الآية: ٢٨).

فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولاً؛ ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يُسمعْ، وَسَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَّع»(١).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه له ﷺ: **(من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه)**(٢).

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله، وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفرُ لهم بواسطة دعاء من أَذِنَ له أنْ يشفع؛ لِيُكْرِمَهُ وينال المقام المحمود؛ فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبتت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص، انتهى(٣).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود.

الخامسة: صفة ما يفعله ﷺ أنه لا يبدأ بالشفاعة، بل يسجد فإذا أُذن له شَفع.

---

(١) صحيح البخاري أحاديث الأنبياء (٣٣٤٠)، صحيح مسلم الإيمان (١٩٤)، سنن الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٤).

(٢) صحيح البخاري العلم (٩٩)، مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٣٧٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية الجزء السابع - المحقق: أنور الباز - عامر الجزار - الناشر: دار الوفاء - الطبعة: الثالثة، (١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م).

السادسة: من أسعد الناس بها.

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الثامنة: بيان حقيقتها.

شرح آيات الشفاعة الواردة

(ش) المناسبة: لمَّا ذكر المؤلف وَجَلَ الملائكة وخوفهم وصعوقهم عند سماع كلامه - تعالى- ناسب أن يردف بذكر الشفاعة، لأن الإنسان إذا عرف خوف الملائكة، فينقطع من قلبه التعلق بهم ودعائهم، فلم يبق إلا الشفاعة، فناسب أن يبينها بما يجوز وما لا يجوز، لتطلب بالطريقة الشرعية الآتي تفصيلها.

تعريف الشفاعة:

شفعت بالأمر شفاعةً طالبت بوسيلةٍ أو ذمام، وهو شفيع والجمع شفعاء، والشفاعة عند الله ليست كالشفاعة في الدنيا، بل لابدَّ من الرضا والإذن والصفة الآتي بيانها.

المفردات:

﴿ وَأَنذِرْ ﴾: الإنذار: الإعلام بأسباب المخافة والتحذير منها.

﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ﴾: وهم: المؤمنون.

﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ ﴾: أي: الله.

﴿وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾: أي: فيشفع لهم.

قوله: ﴿لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ ﴾: فهي ملك له فلا أحد يشفع إلا بإذنه.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ ﴾: أي: لا يشفع في أحدٍ إلا بعد إذنه ورضاه

عن المشفوع.

قوله: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾: كم: خبرية دلَّ أن الملائكة موجودون في السموات.

﴿لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾: فلا بدَّ من وجود هذين الشرطين: الإذن للشافع، ورضاه عن المشفوع له.

وقوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم ﴾: أي: قل: يا محمد لهؤلاء المشركين.

﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم ﴾: من المعبودات من دون الله، ثم نفى أولاً: الملك بل أدنى ملك وهو مثقال ذرة، ثانياً: وما لهم فيهما من شركٍ، ثالثاً: الإعانة أو أن يكون ظهيراً لله، وما له منهم من ظهير، رابعاً: بين عدم الانتفاع بالشفاعة، لأن هذا أدنى شيء يرجى منهم.

المعنى الإجمالي:

أمر الرب ﷻ رسوله ﷺ بإنذار الذين يخافون وهم المؤمنون من الحشر وما فيه من الأهوال، أنه ليس هناك ولي يتولاهم، ولا ناصر ينصرهم ولا شافع يشفع لهم، إذاً فلا بدَّ من الاستعداد بإخلاص التوحيد والعمل الصالح، كما أخبر في الآية الأخرى أن الشفاعة جميعاً خاصة لله ملكاً واستحقاقاً، وليس لأحدٍ أن يشركه فيها، وأخبر في الآية الثالثة أنه لا أحد يستطيع أن يشفع إلا بعد إذنه ورضاه، فعند ذلك ينقطع الذين يدعون الأولياء، ويطلبون منهم الشفاعة، والشفاعة لا تطلب إلا برضى الربِّ وطاعته وتجريد التوحيد والعبادة له دون ما سواه، وأولى الناس بشفاعته ﷺ هم الموحِّدون كما أخبر أن الملائكة في السموات والأرض، أنها لو طلبت لا تغني ولا تنفع إلا بعد إذنٍ من الله -سبحانه- لمن يشاء له ويرضى عن المشفوع، كما وبَّخ الذين يدعون الأصنام ويزعمون أنها تنفع، بل لا تملك شيئاً وليست شريكةً ولا معينة ولا ظهيرة ولا شافعة، فمن كان

كذلك فجدير أن لا يدعى من دون الله، بل قد يتبرءون منهم يوم القيامة، كما في قوله: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾[1]، وقوله: ﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[2].

فعليك بإخلاص العمل لله، وطلب الشفاعة بالعمل الصالح، ومتابعة الرسول ﷺ.

ما يستفاد من الآيات:

١- الإنذار العام، وخصَّ بذلك المؤمنين لمخافتهم من عذاب الله يوم الحشر والنشر.

٢- نفي الشفاعة عمَّن سوى الله، من الملائكة والصالحين وغيرهم وإثباتها لله.

٣- طلب الشفاعة من الله، بالعمل الصالح وإخلاص التوحيد.

٤- أن الشفاعة ملك لله.

٥- الشفاعة لا تكون إلا يوم القيامة بالشرطين الآتيين:

الأول: إذن الرب للشافع، أن يشفع ليكرمه بالشفاعة.

الثاني: رضاه عن المشفوع له، لأنه قد رضي قوله وعمله، لكن له ذنوب فأذن للشافع.

٦- نفي كل ما يتعلق به المشركون، كما قاله الشيخ: من الملك أو الشراكة أو أن يكون عوناً أو ظهيراً، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا بإذنه.

---

(١) سورة القصص: (من الآية: ٦٣).

(٢) سورة سبأ: (٤١).

المقصود بشيخ الإسلام في الكتاب وفي فتح المجيد

المفردات:

قوله: (**قال أبو العباس**) أبو العباس هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، وهو شيخ الإسلام المشهور، وإذا أطلق هذا اللقب في فتح المجيد «شيخ الإسلام» فالمراد به المذكور، وكذا إذا قلت: قاله «الشيخ » فالمراد به هو غالباً.

شرح حديث أسعد الناس بشفاعة الرسول

(**من أسعد الناس**): سعد كنفع وهو اليُمْنُ والسعادة، ضد الشقاوة.

تعريف الإخلاص:

«وتعريف الإخلاص»: قال في فتح المجيد: الإخلاص محبة الله وحده وإرادة وجهه، فأهل الإخلاص هم أهل التوحيد الخالص لرب العالمين، الذى لا تشوبه شائبة شركٍ، عكس ما عليه أهل الإشراك من طلب الشفاعة من الأموات والغائبين والملائكة، فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهؤلاءِ من أبعد الناس عن شفاعة رسول الله ﷺ، لاتخاذهم الأنداد، وزاد ابن القيم رحمه الله شرطاً ثالثاً للشفاعة، وهو: أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسول الله ﷺ فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك، من قلب من عقلها ووعاها.. انتهى.

وأما شفاعة الرجل عند سلطانٍ أو غيره لاستنقاذ مظلوم من يده، فهذا مرغوب فيه وليس من الشفاعة المحرمة، فليتنبه.

أنواع الشفاعة:

في تنويع الشفاعة وما كان خاصاً للرسول ﷺ، وما كان مشتركاً له ولغيره:

١-الشفاعة العظمى، وهو: أنه إذا كان يوم القيامة قام الناس على صعيدٍ واحدٍ،

وألجمهم العرق واشتد بهم الكرب، كما في حديث الشفاعة الطويل: «أنهم يأتون آدم عليه السلام، فيقولون: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، فاشفع لنا إلى ربك، فيذكر خطيئته فيحيلهم إلى نوح عليه السلام، فيقول: اذهبوا إلى أبيكم من بعد أبيكم، اذهبوا إلى نوح عليه السلام، ثم يحيلهم نوح عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام، ثم يحيلهم إبراهيم عليه السلام إلى موسى عليه السلام، ثم يحيلهم موسى عليه السلام إلى عيسى عليه السلام، مع أن كل واحد يذكر خطيئته إلا عيسى عليه السلام فلا يذكر خطيئة، ثم يقول: اذهبوا إلى محمدٍ ﷺ فهو عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتون إلى محمد ﷺ فيقول: أنا لها بعدما يعتذر من قبله من أولي العزم، فيأتي إلى العرش فيسجد تحت العرش ثم يحمد الله ويهلله، ويفتح الله عليه من الدعاء، فيقال له: يا محمد! وقل يُسمعْ وَسَلْ تُعْطَ واشْفَعْ تُشَفَّع، فيقول: يا رب! أمتي أمتي»[(١)] فهذه الشفاعة الكبرى، وهو المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، لأنه يسأل الله لأمته ولسائر الخلائق، ويتكرر منه ذلك مراراً وهذه خاصة به ﷺ.

٢- شفاعته في أناسٍ قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع لهم في دخول الجنة.

٣- شفاعته في أناسٍ قد أمر بهم في دخول النار، فيشفع لهم في دخول الجنة.

٤- شفاعته في أقوامٍ أن يدخلوا الجنة بلا حساب ولا عذاب، كما في قصة عُكاشة بن محصن.

٥- شفاعته في رفع درجات من يدخلون الجنة، فوق ما يقتضيه ثواب أعمالهم.

٦- شفاعته في التخفيف في العذاب عمَّن يستحقه، كشفاعته في عمِّه أبي طالب.

---

(١) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء (٣٣٤٠)، صحيح مسلم، الإيمان (١٩٤)، سنن الترمذي، صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٤).

٧- شفاعته في أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، وورد أنه قال: أنا أول شفيعٍ في الجنة، وأنا أول من يحرك حلق باب الجنة، ومعي فقراء أمتي، وهذه الشفاعات المتقدمة خاصة به ﷺ.

٨- شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت به الأحاديث، فهذه الشفاعة يشاركه فيها الأنبياء والمرسلون والملائكة والمؤمنون والأفراط من أبناء المسلمين، وأنكرتها الخوارج والمعتزلة وبعض فرق الرافضة الذين يخلدون أهل الكبائر في النار، هذه الشفاعة تتكرر منه أربع مراتٍ.

اختلاف الفرق في الشفاعة لأهل الكبائر:

وللناس في ذلك ثلاثة أقوال:

أولاً: المشركون والنصارى والمبتدعة من الغلاة في المشايخ وغيرهم، يجعلون شفاعة من يعظمون عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا.

ثانياً: المعتزلة والخوارج وبعض فرق الرافضة، أنكروا شفاعة نبينا ﷺ وغيره في أهل الكبائر.

ثالثاً: أهل السنة والجماعة يعترفون بشفاعته وما اختص به دون غيره، ويعتقدون ذلك من شفاعته وشفاعة غيره في أهل الكبائر.



أسئلة

السؤال الأول: ما هي مناسبة باب الشفاعة لما قبله، مع تعريف الشفاعة، وما معنى قوله: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾؟ مع تعريف الإنذار؟ ولماذا خصَّ الإنذار بأهل الخوف؟ وما معنى: ليس لهم من دونه من ولي؟ مع بيان قوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ وما معنى (كم) في قوله: «وكم من ملك»؟ وما معنى: «لا تغني شفاعتهم شيئاً»؟ واذكر شروط الشفاعة؟

السؤال الثاني: ما هو المنفي في قوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ ﴾؟

اشرح الآيات شرحاً مجملاً وبيِّن ما فيهما من أحكام واذكر ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية.

السؤال الثالث: ما معنى السعادة في قوله: «من أسعد الناس في شفاعته»؟ عرف الإخلاص مع ما زاد ابن القيم؟ بيِّن معنى الشفاعة عند السلطان ليتميز الفارق بينهما، واذكر أنواع الشفاعة مع تبيين ما هو خاص بالنبي ﷺ وما هو مشترك له ولغيره، واذكر أقوال الناس في ذلك.



باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ...﴾

(م) باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾[1].

وفي الصحيح: عن ابن المُسيَّب عن أبيه، قال: (لمَّا حَضرتْ أبا طالبٍ الوفاةُ جاءه رسول الله ﷺ، وعنده عبد الله بن أبي أُمَيَّة وأبو جهل، فقال له: يا عمِّ، قل: «لا إله إلا الله» كلمة أحاجُّ لك بها عند الله، فقالا له: أترغبُ عن مِلّةِ عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على مِلّةِ عبد المطلب، وأَبى أن يقول: «لا إله إلا الله»، فقال النبي ﷺ: لأستغفرنَّ لك ما لم أُنه عنك، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾[2]، وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[3])[4].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾.

الثانية: تفسير قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ

---

(١) سورة القصص (الآية رقم: ٥٦).

(٢) سورة التوبة (من الآية: ١١٣).

(٣) سورة القصص الآية (رقم: ٥٦).

(٤) رواه البخاري: كتاب الجنائز (١٣٦٠)، صحيح مسلم، الإيمان (٢٤)، سنن النسائي، الجنائز (٢٠٣٥)، مسند أحمد بن حنبل (٥/ ٤٣٣).

كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ ﴾.

الثالثة: وهي المسألة الكبيرة: تفسير قوله: «قل: لا إله إلا الله» بخلاف ما عليه من يدعي العلم.

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل: «قل: لا إله إلا الله».

الخامسة: جِدُّه ﷺ ومُبالغته في إسلام عمه.

السادسة: الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له، بل نهي عن ذلك.

الثامنة: مضرة أصحاب السوء على الإنسان.

التاسعة: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: استدلال الجاهلية بذلك.

الحادية عشرة: الشاهد بكون الأعمال بالخواتيم، لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين، لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.

شرح النصوص الواردة

(ش) المناسبة:

لَمَّا ذكر الشفاعة وشروطها المتقدمة وأنها لا تنفع إلا الموحدين، وأن النبي ﷺ لا يشفع في أحدٍ إلا من رضي الله قوله وعمله، مع إذنه تبارك وتعالى، ولَمَّا كان عم النبي

ﷺ أحق الناس بالشفاعة، لو كانت بيد الرسول ﷺ الهداية، لكنها قيدت بشروطٍ لا تنطبق علي أبي طالب، لتظهر حكمة الله جلَّ وعلا وأن بيده هداية القلوب، وليعلم الناس أن الرسول ﷺ لا يملكها، ولكنه خفَّف عنه العذاب بسبب شفاعته، ولم يخرج من النار لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾[1].

معنى الآية: أنك يا محمد لا تملك الهداية، والمالك لها هو الله، فيهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويوفق من يشاء، فبيده الأمور وهو أعلم بالمهتدين، أي: من يستحق الهداية ممن لا يستحقها.

أقسام الهداية:

الهداية تنقسم إلى أقسام كثيرة ذكرها ابن القيم[2]، ونذكر منها:

١- هداية دلالةٍ وبيانٍ وإرشادٍ، وهي المذكورة في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾[3]. صراط الله، أي: تبين للناس طريق الحق وطريق الرشاد.

---

(١) سورة البقرة (من الآية: ١٦٧).

(٢) أقسام الهداية عند ابن القيم رحمه الله في كتابه المانع: أربعة أنواع هي:

أ. الهداية العامة المشتركة بين الخَلْق المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ سورة طه: (٥٠).

ب. هداية البيان والدلالة والتعريف، ومنها قوله تعالى: «وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم» الشورى: ٥٢.

ج- هداية التوفيق والإلهام، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء، فلا يتخلف عنها، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[النحل:٩٣].

د- الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليها.

(٣) سورة الشورى: (من الآية: ٥٢).

=

٢- هداية توفيق وقبول وإلهام، وهي المذكورة في قولـه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾(٤)، فنفى عن نبيه هذه الهداية وأثبتها لنفسه تبارك وتعالى.

المفردات:

قوله: في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه...إلخ الحديث.

(**الصحيح**): هما الصحيحان ويقصد بهم البخاري ومسلم.

(**ابن المسيب**): هو سعيد بن المسيب تابعي جليل قرشي مخزومي، أحد الفقهاء السبعة ومن علماء التابعين، ومن أبرزهم علماً وتقى وورعاً وعبادة.

(**لَمَّا حَضرتْ أبا طالبٍ الوفاةُ**): أي: المقدمات والعلامات الدالة على ذلك.

(**جاءه رسول الله ﷺ فقال له: يا عمِّ**): منادى مضاف في حذف إثبات الياء.

قل: «لا إله إلا الله»: هي كلمة التوحيد، وقد دلَّت على نفي العبادة عمَّن سوى الله وإثباتها لله.

(**كلمةً**): أي: هذه الكلمة: «لا إله إلا الله».

وقوله: «أحاج لك بها عند الله»: أي: أجادل وأدافع.

(**فقالا له**): أي: جليساه عبد الله بن أمية وأبو جهل.

(**أترغب عن ملة عبد المطلب؟**): وهي دينه الذي مات عليه وهو الشرك.

(**فأعاد عليه**): أي: النبي ﷺ قول: «لا إله إلا الله».

(**فأعاد عليه**): أي: عبد الله بن أبي أُمَيَّة وأبو جهل التحريض على البقاء على دين

=

(٤) الآية: قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (سورة القصص الآية رقم: ٥٦).

آبائه.

(**فكان آخر ما قال هو عليَّ ملة عبد المطلب**): أي: مات على الشرك.

قال في فتح المجيد: في قوله: «هو على ملة عبد المطلب»: الظاهر أن أبا طالب قال: «أنا» فغيره الراوي استقباحاً للفظ المذكور، وهو من التصرفات الحسنة، قاله الحافظ.

قوله: (**وأبى أن يقول: لا إله إلا الله**): وهذا تأكيد على أنه مات على الكفر.

قوله: (**فقال النبي ﷺ: لأستغفرنَّ لك**): أي: سأطلب لك المغفرة من الله بالدعاء.

(**ما لم أُنْهَ عنك**): ما لم ينهني الله عن الاستغفار لك، فنهي عن ذلك بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾[1]، وأنزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[2].

المعنى الإجمالي:

كان أبو طالب حدباً على النبي ﷺ وكان يحوطه ويحميه من أذى قومه ويصبر على ما يلاقي في سبيل ذلك، واعترف بكثيرٍ من أشعاره بصدق رسالته ﷺ إلا أنه لم يتابع الرسول على دينه، خشية المسبة من قومه والملامة منهم عليه، فمات على الكفر، ومتابعة الآباء، ولما حضرته مقدمات الموت وعلاماته، حضره الرسول ﷺ ودعاه للإسلام لعله يموت عليه، ولكن جلساء السوء حضروه في المجلس، ولقنوه الحجة الفاسدة، وجاء ذلك في القرآن: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾[3]

---

(١) سورة التوبة: (من الآية: ١١٣).

(٢) سورة القصص (الآية رقم: ٥٦).

(٣) سورة الزخرف (الآية: ٢٣).

فرغب في ملة آبائه وأجداده، ومات على الكفر، ولو كان الرسول ﷺ يملك هداية القلوب لهداه، ولكن الهداية بيد الله، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ولو أراد الله الهداية لقال هذه الكلمة ومات على الإسلام ودخل الجنة، وقد رغب الرسول ﷺ في الاستغفار لعمه فنهاه الله عن ذلك، وأخبره تبارك وتعالى أن هداية القلوب بيد الله، أما هداية الدلالة والبيان والإرشاد، فهي ثابتة لرسول الله ﷺ ولمن دل على دينه ودعا إليه وأرشد الخليقة بذلك.

ما يستفاد مما تقدم:

١- سبب نزول الآية الكريمة هو موت أبي طالب على الكفر ورغبة النبي ﷺ في هدايته، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾(١).

٢- انقسام الهداية إلى أقسامٍ، منها: هداية الدلالة والإرشاد، وهذه هي المعنية في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾(٢)، أي: تدل عليه بالدعوة الثانية هداية توفيق وقبول، وهذه من خصائص الله تبارك وتعالى للآية الكريمة.

٣- عظم مكانة التوحيد، وأن «لا إله إلا الله» هي العروة الوثقى، ومن مات عليها مات على الإسلام، مع الاعتقاد بمعناها وما دلت عليه والعمل بمقتضاها.

٤- مضرة جلساء السوء حيث صرفوا أبا طالب عن التوحيد، ومات على ضده.

٥- حرصه ﷺ على هداية عمه، وحكمة الله في ذلك ليتبين أن الهداية بيده.

٦- منع النبي ﷺ من الاستغفار له، فغيره من باب أولى وأحرى ما داموا على

---

(١) سورة القصص (الآية رقم: ٥٦).

(٢) سورة الشورى (من الآية: ٥٢).

الشرك.

٧- لا يجوز الدعاء للمشركين بعد موتهم.



أسئلة

١- ما مناسبة الباب لما قبله، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾؟ اذكر نوعي الهداية المتقدمة؟

٢- بيِّن ما معنى: «لا إله إلا الله»؟ وما معنى: «كلمة أحاج لك بها عند الله»؟ وما هي ملة عبد المطلب؟

٣- ما معنى فأعاد عليه النبي وأعادا عليه؟ مع بيان قوله: «لأستغفرن لك»؟ وهل أقر أو نهي عن الاستغفار؟

٤- اشرح الحديث شرحاً مجملاً، وبيِّن ما يدل عليه من أحكام؟



باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

(م) باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين:

وقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾(١).

وفي الصحيح: عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾(٢) قال: «هذه أسماءُ رجالٍ صالحين في قوم نوح، فلمَّا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبِوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسِي العلم عُبِدَت»(٣).

وقال ابن القيم: قال غير واحدٍ من السلف: «لمَّا ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم».

وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**لا تُطْرُوني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله**)(٤) أخرجاه.

---

(١) سورة النساء، (من الآية ١٧١).

(٢) سورة نوح الآية (رقم: ٢٣).

(٣) رواه البخاري كتاب التفسير في تفسير سورة نورح باب «وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق» رقم (٤٩٢٠).

(٤) رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥)، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ =

وقال: قال رسول الله ﷺ: **(إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو)**(١).

ولمسلمٍ عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(هلك المتنطعون قالها ثلاثاً)**(٢).

فيه مسائل:

الأولى: أن مَنْ فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شركٍ حدث في الأرض، أنه بشبهة الصالحين.

الثالثة: معرفة أول شيء غُيرِّ به دين الأنبياء، وما سبب ذلك، مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع مع كون الشرائع والفِطَر تردها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مَزْجُ الحق بالباطل، فالأول: محبة الصالحين، والثاني:

=

﴿ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ من حديث عمر رضي الله عنه، وهذا الحديث لم يروه مسلم، وإنما انفرد به البخاري عن مسلم، وراجع تخريجه والكلام عليه في شرح عشرين حديثاً للبخاري (ص: ١٦٩-١٧٠).

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢١٥، ٣٤٧)، ابن ماجه (٣٠٢٩) كتاب المناسك: باب قدر حصى الرمي، ولم يروه الترمذي، وإنما هي عند النسائي أيضاً (٥/ ٢٦٨) في المناسك باب التقاط الحصى، وابن خزيمة (١٨٢٨٢/ ٢)، وابن حبان (١٠١١)، والحاكم (١/ ٤٦٦)، والبيهقي (٥/ ١٢٧)، والضياء في المختارة (٥٩/ ٢٠٠/ ٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء (ص: ١٠٦) إسناده صحيح على شرط مسلم، ووافقه الألباني في الصحيحة (١٢٨٣)، وصححه النووي في المجموع (٨/ ١٧١).

(٢) رواه مسلم، كتاب العلم (٢٦٧٠) (٧) باب هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ.

فِعل أُناسٍ من أهل العلم شيئاً أرادوا به خيراً، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جِبِلّة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد.

الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حَسُن قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مَضرة الوقوف على القبر لأجل عملٍ صالحٍ.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب قراءتهم إياها في التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فِعل قوم نوحٍ أفضل العبادات، فاعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»، فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نُسي العلم، ففيها: بيان معرفة قدر

وجوده، ومضرة فقده.

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.

شرح قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾

«ش» المناسبة: لما كان لله سبحانه الكمال المطلق والغنى المطلق والتصرف المطلق من جميع الوجوه، وأنه لا يستحق العبادة والتأليه أحد سواه سبحانه، فمن غلا في مخلوقٍ حتى أنزله في منزلة الله في قضاء الحوائج أو شيئاً من هذه الأشياء فقد نازع الله فيما هو من خصائصه، ناسب ذكر هذا الباب وهو الغلو، ومعناه: الإطراء ومجاوزة الحد في تعظيم شخصٍ يقول، أو اعتقادٍ في رجلٍ صالحٍ أو نبيٍّ، ولهذا ترجم المصنف لهذا الباب بهذه الترجمة، ليدلك على منع الغلو في الصالحين أو غيرهم.

المعنى الإجمالي:

وجَّه اللوم - تبارك وتعالى - لأهل الكتاب لغلوهم في أنبياء الله ورفعهم فوق مقام النبوة والرسالة، في قولهم في عيسى عليه السلام: إنه ابن الله، وجعله إلهاً مع الله، تعالى الله عن ذلك، وأخبر -سبحانه- أن المسيح ابن مريم رسول الله، حيث قال: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾[1] وأمر أن يعبد وحده دون ما سواه، وأنه لا إله إلا هو في الأرض وفي السماء ومنزه عن الشريك والمعين والمشير والوزير، والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فهو موجه تحذيراً لهذه الأمة، لئلا تفعل مثل ما فعلوا، وتغلو في نبيها أو بقية الصالحين، كما غلت النصارى في عيسى، فكل من غلا في نبيٍّ أو وليٍّ فعليه وعيد شديد من الله عز وجل.

---

(١) سورة المائدة (٧٥).

ما تفيده الآية:

١- النهي عن الغلو في الصالحين، ورفع منزلتهم فوق المنزلة التي أنزلهم الله عليها.

٢- أمر أهل الكتاب بأن لا يغلوا في دينهم، فيدعوا المسيح من دون الله.

٣- من أعظم البهتان والكذب أن يجعلوه ابن الله، أو ثالث ثلاثة أو إلهاً مع الله.

٤- تحذير هذه الأمة أن لا يغلوا في دينهم، وتفعل كما فعلت اليهود أو النصارى في أنبيائها.

٥- أن سبب تغيير دين الإسلام هو الغلو في الصالحين.

شرح حديث ابن عباس في كيفية بدء الشرك في قوم نوح

المفردات:

قوله: (**في الصحيح**): أي: صحيح البخاري.

﴿لَا تَذَرُنَّ﴾: لا تتركوا.

﴿ءَالِهَتَكُمْ﴾: معبوداتكم، ومعرفة الآله تقدم في أول الكتاب.

قوله: ﴿وُدًّا﴾: هذه أسماء رجالٍ صالحين، ثم صارت هذه الأوثان تعبد في العرب.

﴿وُدًّا﴾: فكانت لكلب بدومة الجندل.

﴿سُوَاعًا﴾: فكانت لهذيل.

﴿يَغُوثَ﴾: فكانت لمراد، ثم لبني غُطيف بالجُرف عند سبأ.

﴿وَيَعُوقَ﴾: فكانت لهمدان.

﴿وَنَسۡرٗا﴾: فكانت لِحِمْيَر لآل ذي الكلاع.

(**فلمَّا هلكوا**): أي: ماتوا.

(**أوحى الشيطان إلى أوليائهم أن انصبوا**)، وهو: التسوية أنصاباً جمع: نصب، وهي: الأصنام المصورة على صورهم.

(**حتى إذا هلك أولئك**): أي: الذين صوروا صورهم.

(**ونُسِي العلم**): وذلك بذهاب العلماء بالموت.

(**عبدت**): أي: زيَّن لهم الشيطان عبادتهم.

ومعنى الأمد: طول الزمن.

قوله: (**عكفوا**): أي: أطالوا المكث عندها بالدعاء، قال تعالى: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢﴾[1].

المعنى الإجمالي:

ذكر الله ﷻ قصة حدوث الشرك في الأرض بعد آدم وذلك أن أناساً صالحين من قوم نوحٍ عليه السلام أهل عبادةٍ وزهد، فلما ماتوا جاءهم الشيطان، وأوحى إليهم أن صوروا صورهم في مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها حتى تتذكروا أعمالهم وعبادتهم وتفعلوا كفعلهم، وتزدادوا بذلك عبادة وصلاحاً، فلمَّا مات من فعل ذلك لأجل الذكرى والاقتداء بهم أتاهم الشيطان، وقال: ما فعل ذلك أوائلكم إلا لأنهم يعبدونهم فغرر بهم فعبدوهم، وهم الأصنام المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا

(١) سورة الانبياء: (من الآية: ٥٢).

وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾[١].

وقد أضلوا كثيراً بعبادتهم لهم من دون الله، وقد نسفت تلك الأصنام على ساحل جدة، وأتى الشيطان إلى عمرو بن لحي الخزاعي وهو سيد خزاعة، وكان أول من سيب السوائب، وغيرَّ دين إبراهيم، وكانت العرب قبله على دين إبراهيم، حتى أحدث فيهم الشرك عمرو، ولما جاءه الشيطان قال له: ائت جدة تجد فيها أصناماً معدةً عند ذلك وزعها في قبائل العرب المتقدم ذكرهم، حتى قال فيه الرسول عليه السلام: «إني رأيته يجر قصبه في النار»[٢]، لأنه أول من سيب السوائب، وغيّر دين إبراهيم عليه السلام، ولهذا وأمثاله نهي عن تعظيم الصالحين والدعاء عند قبورهم؛ لئلا يحدث ما حدث في الأمم السابقة.

ما يستفاد من الحديث:

١- معرفة ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وأنها أسماء صالحين.

٢- استدراج الشيطان بالخلق، وإتيانهم من باب التعظيم والإقتداء حتى أوقعهم في الشرك الأكبر.

٣-نبذ كثير من هذه الأمة تحذير الرسول ﷺ من تعظيم القبور والصالحين حتى وقعوا بالشرك، كما يُفعل عند كثيرٍ من قبور الصالحين، بل والطالحين من طلب

---

(١) سورة نوح: (٢٣).

(٢) الحديث: أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب)، رواه البخاري (فتح الباري) برقم (٣٥٢١، ٣٥٢٣)، ومسلم برقم (٩٠٤، ٢٨٥٦)، أحمد (٢/ ٢٧٥، ٣٦٦).

(*) وفيه أيضًا عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (رأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا، ورأيت عمرًا يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب)، رواه البخاري (فتح الباري) برقم (١٢١٢)، ومسلم برقم (٩٠١).

الحاجات ورفع الكربات وذبح القرابين.

٤- أن سبب ذهاب العلم موت العلماء، وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾[١]، قيل: المراد موت العلماء.

٥-أن العباد ولو كثروا أهون على الشيطان من عالمٍ واحدٍ مخلصٍ[٢].

شرح حديثي النهي عن إطراء النبي والنهي عن الغلو

المفردات:

(الإطراء): هو مجاوزة الحد بالتعظيم والمدح.

قوله: **(كما أطرت النصارى ابن مريم)**: بالغلو المتقدم صفته.

قوله: **(إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله)**: هذا من أشرف مقامات النبيِّ ومن العبودية الخالصة كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾[٣] وكذا الرسالة، فالله اصطفاه وأرسله وشرفه على سائر الأنبياء والمرسلين، والغلو هو: رفع الشخص فوق منزلته بالتعظيم وتقدم تعريفه.

قوله: **(هلك المتنطعون)**: أي: المتعمقين لطلب أطايب الكلم، ويشمل المتنطع في علم الكلام وغيره، مما يتقعر فيه كما أن الغلو في الدين مذموم.

وهذه قطعة من حديثٍ رواه أحمد وغيره، عن ابن عبَّاس أن النبي ﷺ قال: (غداة

---

(١) سورة الرعد: (٤١).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، ولكن ورد في الأثر عن عمر رضي الله عنه قال: (موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه).

(٣) سورة الزمر: (ص: ٣٦).

جمع هلمّ فالتقط لي فلقطت له حصى هن حصى الخذف، فلما وضعهن بيده قال: نعم بمثل هذه وأياكم والغلو في الدين)[١].

المعنى الإجمالي للحديث:

هذه الأحاديث تدل على اهتمام الشارع وإنكاره لمبدأ الشرك ووسائله وما يقرب منه، ولهذا أخبر أن النصارى غلت في المسيح، حتى جعلوه إلهاً مع الله، فنهى أمته عن إطرائه ورفع درجته فوق منزلته؛ لئلا يقعوا فيما وقعت فيه بنو إسرائيل، من دعائه وجعله إلهاً مع الله وكما فعلوا في عزير، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾[٢]، في دينكم الخطاب موجه لأهل الكتاب، وعنيت فيه هذه الأمة كما في هذه الأحاديث: «**لا تطروني بالغلو ورفع منزلتي**»[٣] وقد غلوا فيه ونبذوا تعليمه وما أمر به وارتكبوا ما نهى عنه، واعتقد البعض منهم أنه يعلم الغيب، وأن الدنيا بيده.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢١٥، ٣٤٧)، ابن ماجه (٣٠٢٩) كتاب المناسك: باب قدر حصى الرمي، ولم يروه الترمذي، وإنما هي عند النسائي أيضاً (٥/ ٢٦٨) في المناسك باب التقاط الحصى، وابن خزيمة (١٨٢٨٢/ ٢)، وابن حبان (١٠١١)، والحاكم (١/ ٤٦٦)، والبيهقي (٥/ ١٢٧)، والضياء في المختارة (٥٩/ ٢٠٠/ ٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء (ص: ١٠٦) إسناده صحيح على شرط مسلم، ووافقه الألباني في الصحيحة (١٢٨٣)، وصححه النووي في المجموع (٨/ ١٧١).

(٢) سورة المائدة: (من الآية: ٧٧).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢١٥، ٣٤٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩) كتاب المناسك: باب قدر حصى الرمي، ولم يروه الترمذي، وإنما هي عند النسائي أيضاً (٥/ ٢٦٨) في المناسك باب التقاط الحصى، وابن خزيمة (١٨٢٨٢/ ٢)، وابن حبان (١٠١١)، والحاكم (١/ ٤٦٦)، والبيهقي (٥/ ١٢٧)، والضياء في المختارة (٥٩/ ٢٠٠/ ٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء (ص: ١٠٦) إسناده صحيح على شرط مسلم، ووافقه الألباني في الصحيحة (١٢٨٣)، وصححه النووي في المجموع (٨/ ١٧١).

فقال شاعرهم[(١)]:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي فضلاً وإلاّ فقل يا زلة القدم

وعلم الغيب والخير بيد الله، وإيجاد الدنيا وزوالها كله بيد الله، قال تعالى عن لسان نبيه ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾[(٢)].

إذا عرفت هذا، عرفت ما وقع به كثير من هذه الأمة من الوقوع في الشرك والغلو، فمن غلا في نبيٍّ أو غلا في التشديد وترك المباحات، من أكل المأكولات الطيبة الحلال، أو ترك النكاح، أو ترك الملابس الحسنة، التي لم تخرج إلى حد الإسرف.

---

(١) **الشاعر البوصيري**: من قصيدة نهج البردة في مدح النبي ﷺ، وتعد من أشهر قصائده في مدح النبي ﷺ، وهذه القصيدة قد اشتملت على كفرٍ صريح، وقد تتابع العلماء من أهل السنة والجماعة على نقضها ونقدها وتبيين عوارها وكشف زيغها ومخالفتها لاعتقاد أهل السنة والجماعة، وقد وقع البوصيري في الغلو المذموم، والإطراء الذي نهي عنه النبي ﷺ في قوله: (**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**) رواه البخاري.

(*) **والبوصيري هو**: محمد بن سعيد بن حمّاد الصنهاجي، ولد سنة ٦٠٨ هـ، وتوفي سنة ٦٩٦ هـ، وقد قيل في سببها: أن «البوصيري» أصيب بمرضٍ عُضالٍ، لم ينفع معه العلاج، وأنه كان يُكثر مِن الصلاة على الرسول ﷺ، حتى رآه في المنام ذاتَ ليلةٍ، وغطَّاه ببردته الشريفة، وأنه لمَّا قام «البوصيري» مِن نومه: قام، وليس به مرضٌ، فأنشأ قصيدته، والله أعلم بحقيقة ذلك.

(٢) سورة الأعراف: (الآية: ١٨٨).

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

١- النهي عن الغلو في الرسول ﷺ ورفع منزلته فوق المنزلة التى أنزله الله إياها.

٢- تحذير هذه الأمة عمَّا وقعت فيه النصارى، من جعلها إلهاً مع الله.

٣- أشرف مقامات الرسول ﷺ العبودية والرسالة.

٤- تحريم الغلو في الدين والمبالغة، وخير الأمور الوسط، لا غالياً ولا جافياً.

٥- أن التعمق والتقعر في الكلام أو غيره إذا لم يقصد به تبين حق أو دحض باطل فهو محرم.



أسئلة

١- بيِّن مناسبة باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين، لما قبله مع بيان الغلو؟ ثم اشرح قوله تعالى: (ولا تقولوا على الله إلا الحق)؟ اشرح الآية الكريمة شرحاً مجملاً، وبيِّن ما تدل عليه من أحكام؟

٢- ما معنى قوله: «لا تذرن آلهتكم»؟ وبيِّن معنى الأصنام الآتية: «ود - سواع - يغوث - يعوق - نسر»؟ أين تقع أماكنها في أرض العرب؟ ولمن تكون هذه الأصنام من قبائل العرب؟ مع توضيح ما يأتي: «أن انصبوا إلى مجالسهم التي يجلسون إليها أنصاباً»، وما هو سبب نسيان العلم؟ اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبين أحكامه؟

٣- ما هو الإطراء؟ وما هو إطراء النصارى لعيسى؟ وما هي العبودية؟ وما هو التنطع؟ اشرح الحديث شرحاً مجملاً، وما يفيده من أحكام؟



باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد اللّه عند قبر رجلٍ صالحٍ فكيف إذا عبده

(م) قوله باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجلٍ صالحٍ فكيف إذا عبده.

في الصحيح عن عائشة ﵂: أن أُمَّ سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصوَر فقال: «أُولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح، بنوْا على قبره مَسجداً وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»[١].

فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما عنها[٢] قالت: لما نُزل برسول الله ﷺ طَفِقَ[٣] يطرح خميصةً[٤] له على وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشَفها[٥]، فقال -وهو كذلك-: (لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخَذوا قبور أنبيائهم مساجد، يُحذِّر ما صنعوا، ولولا ذلك أُبرز قبره، غير أنه خَشِي أن يُتخذ مسجداً) أخرجاه[٦].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة (٤٢٧) باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٨)(١٦) باب النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ المَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ، وسنن النسائي المساجد (٧٠٤)، مسند أحمد بن حنبل (٦/ ٥١).

(٢) يقصد أم المؤمنين عائشة ﵂.

(٣) قوله: «طفق» بكسر الفاء وفتحها، والكسر أفصح. وبه جاء القرآن، ومعناه: جعل.

(٤) قوله: «خميصة» بفتح المعجمة والصاد المهملة. كساء له أعلام.

(٥) قوله: «فإذا اغتم بها كشفها» أي: عن وجهه.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الصلاة (٤٣٥) باب (٥٥)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة =

ولمسلم عن جُنْدُب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سَمعتُ النبي ﷺ قبل أن يموت بخمسٍ، وهو يقول: (إني أَبْرَأُ إلى الله أَن يكونَ لي منكم خليلٌ؛ فإن الله قد اتَّخذني خَليلاً، كما اتخذَ إبراهيم خليلاً، ولو كنت مُتَّخِذًا من أُمتي خليلاً، لاتَّخذت أَبا بكر خليلاً، أَلاَ وإِنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أَنبيائهم مساجد، أَلاَ فَلاَ تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك)[1].

فقد نهى عنه في آخر حياته ثم إنه لعن -وهو في السياق- من فعله، والصلاةُ عندها من ذلك، وإن لم يُبن مَسْجِد، وهو معنى قولها[2]: «خشي أن يتخذ مسجدًا»، فإنَّ الصحابة لم يكونوا ليبنوا حَولَ قبره مسجدًا، وكلُّ موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتُّخِذ مسجدًا، بل كل موضع يصلَّى فيه يسمى: مسجدًا، كما قال ﷺ: (جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا)[3].

ولأحمد بسندٍ جيِّدٍ عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد» رواه أبو حاتم في صحيحه[4].

= (٥٣١)، (٢٢) باب النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ، وسنن النسائي المساجد (٧٠٣)، مسند أحمد بن حنبل (٦/ ١٤٦)، سنن الدارمي الصلاة (١٤٠٣).

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢)، (٢٣)، باب النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ.

(٢) يقصد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التيمم (٣٣٥)، صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، سنن النسائي، الغسل والتيمم (٤٣٢)، مسند أحمد بن حنبل (٣/ ٣٠٤)، سنن الدارمي، الصلاة (١٣٨٩).

(٤) الحديث صحيح: رواه أحمد (١/ ٤٣٥)، ابن حبان (١٣٤٠) في الصلاة، باب ما جاء في الصلاة في الحمام =

فيه مسائل:

الأولى: ما ذكره الرسول ﷺ فيمن بنى مسجداً، يعبد الله فيه عند قبر رجل صالحٍ ولو صحت نية الفاعل.

الثانية: النهي عن التماثيل، وغلظ الأمر في ذلك.

الثالثة: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك، بيَّن لهم هذا أوَّلاً، ثم قبل موته بخمسٍ قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم.

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنه إياهم على ذلك.

السابعة: أن مراده تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره.

التاسعة: في معنى اتخاذها مسجداً.

العاشرة: أنه قَرَن بين من اتخذها مسجداً، وبين من تقوم عليهم الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكره في خطبته -قبل موته بخمس- الرد على الطائفتين اللتين هما أشر أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة، وهم

= والمقبرة، وابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ١٤٠ طبع الهند)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٧٧/ ١)، وأبو يعلى في مسنده (٢٥٧/ ١)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ١٤٢)، وقال ابن تيمية في الاقتضاء (١٥٨): وإسناده جيد، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٣٨٤٤، ٤١٤٣) وصححه الألباني في تحذير الساجد (ص: ١٩).

الرافضة والجهمية، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.

الثانية عشرة: ما بُلِيَ به ﷺ من شدة النزع.

الثالثة عشرة: ما أُكرم به من الخلة.

الرابعة عشرة: التصريح بأن الصِّدِّيق أفضل الصحابة.

الخامسة عشرة: الإشارة إلى خلافته[1].

شرح حديثي النهي عن بناء المساجد على القبور وحديث لعن اليهود والنصارى لفعلهم ذلك

«ش» **المناسبة: لما ذكر الشيخ الغلو في الصالحين وبيان تحريمه؛ ناسب أن يذكر بعده العبادة عند القبور، وأنها من أسباب الغلو.**

المفردات:

قوله: (**التغليظ**): أي: من الرسول ﷺ كما في قوله: «أولئك من شرار الخلق»، ولما كانت العبادة عند قبور الصالحين وسيلةً إلى عبادتها، والوسيلة لها حكم الغاية حرمت لأجل ذلك، وأما إذا عبدها فهذا الشرك الأكبر.

قوله: في الصحيح: عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة...إلخ ويروى أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا لرسول الله ﷺ.

(**والصحيح**): المراد به صحيح البخاري ومسلم.

والكنيسة: معبد النصارى.

(١) يقصد خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(بنوا على قبره مسجداً): هذا هو الشاهد من الحديث، حيث نهى عن اتخاذ القبور مساجد.

قوله: **(وصوروا فيه تلك الصور)**: أي: صور الصالحين.

(أولئك شرار الخلق عند الله): لأن الرسول ﷺ لعنهم لارتكاب هذا الفعل المحرم، ولأنهم يسجدون على القبور وقد نهوا عن ذلك.

قال شيخ الإسلام: «**فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور، لأن الفتنة بها تصيرها أوثاناً تعبد من دون الله، وفتنة التصاوير لأن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون**» ا.هـ.

قوله: **(لما نزل برسول ﷺ)**: أي: الموت.

(طفق): أي: جعل.

(خميصه): والخميصة الكساء له أعلام.

قوله: **(لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)**: تحذيراً للأمة خشية الفتنة، بها.

(ولولا ذلك): أي: خوف اتخاذه مسجداً لأبرز قبره مع سائر الصحابة. غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً، يحتمل أنه هو الخائف، ويحتمل أنهم الصحابة خافوا ذلك.

المعنى الإجمالي:

تحدثت أم سلمة أم المؤمنين وأم حبيبة أم المؤمنين أيضاً للرسول الكريم بما رأتا من عجائب فعل النصارى، عند قبور الصالحين منهم من بناء المساجد عليها، وتصوير التماثيل أيضاً والصلاة عندها، فأخبرهما ﷺ أنهم شرار الخلق عند الله يوم القيامة، لما ارتكبوا من عظيم الإجرام وسيء الأفعال، بسجودهم عند قبور أنبيائهم، وباستقبال القبور للصلاة، وكل هذا غير جائز ومحرم عند جماهير العلماء المعتد بقولهم، أما السجود

فشرك كما ذكر ذلك شيخ الإسلام، أن جميع أتباع الأئمة الأربعة قد أجمعوا على تحريم ذلك، وقد جمعوا في فعلهم هذا بين فتنتين عظيمتين محرمتين: فتنة تعظيم القبور، وفتنة التصاوير، لأن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون، والذي يعظم القبور، كما سيأتي، وهذا الذي نقلته مختصر من كلام الشيخ رحمه الله.

ما يستفاد مما تقدم:

١- تحريم اتخاذ القبور مساجد.

٢- أن التصاوير وتعظيم القبور من فعل النصارى، وأن النبي ﷺ نهى وغلظ القول في ذلك تحذيراً للأمة.

٣- إخباره ﷺ أن من فعله أنه من شرار الخلق.

٤- أن من عبد الله عند القبر، فهو فعل محرم، وأما إن عبد القبر فهو شرك جلي، وقد عبَّر عن الأول بالشرك الخفي.

شرح حديث براءة الرسول من أن يكون له خليل

المفردات:

قوله: (**إني أبرأ إلى الله**) برئت من الشيء أبرؤ براءةً.

(**وأنا منه برئ**): إذا أزلته عن نفسك، وقطعت سبب ما بينك وبينه.

قوله: (**أن يكون منكم خليل**): أي: ليس لي من هذه الأمة خليل.

والخلة هي: أعلى درجات المحبة.

قوله: (**فإن الله قد اتخذني خليلاً...إلخ**): فيه الرد على من زعم أن محمداً حبيب الله، وإبراهيم خليله.

قوله: (**ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكرٍ خليلاً**): فيه فضيلة أبي بكر وأنه أفضل الأمة على الإطلاق، بل لم تطلع الشمس ولم تغرب على أفضل منه، ما

خلا الأنبياء والمرسلين.

قولـه: (**ألا وإن مـن كـان قـبلكم**): أي: مـن الأمـم، كـما تقـدم في فعـل اليهـود والنصارى.

قوله: (**ألا فلا تتخذوا القبور مساجد...إلخ**): هذا تغليظ منه ﷺ وتحذير لهذه الأمة لئلا تفعل كفعل الأمم، وقد خالفوا أمره وارتكبوا نهيه.

قوله: (**فقد نهى عنه وهو في السياق**): أي: سياق الموت، وهذا الكلام من كلام شيخ الإسلام.

قوله: (**والصلاة عندها من ذلك**) أي: مما نهي عنه.

قوله: (**وأن لم يبن مسجد**): فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً؛ لأنه ليس من شرط المساجد أن تبني على هيئة مسجد بل ما تقصد فيه الصلاة، فهو مسجد.

قوله: (**إن من شرار الناس**): أي: أن شرار الخلق عند الله من تقوم عليهم الساعة، وهم أحياء أو من تدركهم مقدماتها.

(**والذين يتخذون القبور مساجد**): أي: أن من اتخذ القبور مساجد، يصلَّى فيها أو يسجد عليها أو يدعوها، من دون الله أو مع الله ومن دعاها، مع الله أو من دون الله، فإنه شرك بالله.

الفرق بين المحبة والخلة:

المحبة: هي تعلق القلب بالمحبوب.

والخلة: هي كمال المحبة المستغرقة للحب.

كما قيل[(١)]:

قــد تخللــت مــسك الــروح منــي ولـــذا ســـمي الخليـــل خلـــيلاً[(٢)]

ومحبة الله لعباده وخلته كما يليق به سبحانه، والخلة تخلل المحبة، فلذا امتزجت في دمه ولحمه، ولذا قال ﷺ: **(إني أبرأ إلى كل خليلٍ من خلته، ولكن صاحبكم خليل الله)**[(٣)] يعني: نفسه، فكانت الخلة أعلى درجات المحبة[(٤)] ولذا ثبتت محبته لأشخاصٍ كأبي بكرٍ رضي الله عنه وابنته عائشة رضي الله عنها، وقد قال لمعاذٍ: **(والله إني لأحبك)**[(٥)]، ولـمَّا قال

(١) **الأبيات للشاعر عمر الرافعي**: هو عمر تقي الدين بن عبد الغني بن أحمد بن عبد القادر الرافعي. وهو أول من لقب بهذا اللقب، وإليه تنسب الرافعية في مصر والشام. قاضي أديب وشاعر ومفتي متصوف نشأ وترعرع في طرابلس الشام ودرس تفسير القرآن بين يدي الشيخ محمد عبده في مصر. حاول إنشاء جريدة باسم باب النصر بحلب سنة ١٩٠٦ فلم ينجح، عمل محامياً بدمشق سنة ١٩١٣م ثم سجنه العثمانيون سنة ١٩١٦ بتهمة العمل ضد السلطنة والتعاون مع الجمعية الثورية العربية. وصفه الشيخ عبد الكريم عويضة الطرابلسي بقوله: مجد الأدب الروحي في دنيا العرب تقريظاً لكتابه مناجاة الحبيب. انتخب في عام ١٩٤٨ مفتياً لطرابلس وتوجه عمامة الفتوى السيد الحاج عبد الله الغندور. له: مناجاة الحبيب، أساليب العرب في الشعر والرسائل والخطب، الغضبة المضرية في القضية العربية.

(٢) هذه القصيدة بعنوان: «قد تخللت مسك الروح مني» وهي من العصر الحديث، من بحر الخفيف وعدد أبياتها (٤).

(٣) رواه مسلم، باب مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، عن أبي الأحوص عن عبد الله وعنده بلفظ: **(أَلاَ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خِلٍّ مِنْ خِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، إِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ)**.

(٤) سبق ذكر مراتب المحبة، انظر: باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾..الآية.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الاستغفار برقم (١٥٢٢)، والنسائي في كتاب السهو (١٣٠٣).

ولَمَّا قال عمرو بن العاص: (**أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة! قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها**)[(١)].

إنكار الجهمية لكمال المحبة وحقيقتها من الجانبين:

وقد أنكرت الجهمية كمال المحبة، كما أنكرت حقيقة المحبة من الجانبين، زعماً منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة، وكذلك أنكروا حقيقة التكليم.

وكان أول من ابتدع هذا القول هو الجعد بن درهم[(٢)]، في أوائل المائة الثانية،

---

(١) رواه البخاري (٣٦٦٢) ومسلم، باب مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه.

(٢) **الجعد بن درهم**: يرجع أصل الجعد بن درهم إلى منطقة خراسان وكان من موالي بني مروان وجاء خراسان وسكن مدينة دمشق وابتنى بها داراً بجوار الكنيسة فهو في الأصل أعجمي وليس عربي الأرومة لذلك فلا عجب عندما يضل عن معاني القرآن وقد اشتغل بدمشق في تعليم الصبيان في المكاتب وترقي به الحال حتى أصبح مؤدب مروان بن محمد بن الحكم وذلك سنة ٧٥هـ تقريباً ومروان هو آخر خلفاء بني أمية لذلك عرف باسم مروان الجعدي نسبة إلى مؤدبه وشيخه الجعد بن درهم، وقد لقب الجعد بن درهم بإمام التعطيل.

(*) قال السيوطي رحمه الله في: «كتاب الأوائل» أول من تفوه بكلمة خبيثة في الاعتقاد هو الجعد بن درهم فقال إن الله لا يتكلم. والجعد بن درهم هذا هو أول من تكلم في صفات الله عز وجل وأنكرهما وأول من قال بخلق القرآن وأنكر أن يكون الله عز وجل قد تكلم به وأنكر أن يكون اتخذ إبراهيم خليلاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن أول من حفظ عنه مقالة: «إن الله ليس على العرش حقيقة وأن معنى استوى بمعنى استولى هو الجعد بن درهم» فهو بذلك أول إمام المعطلين.

(**) **مقتل الجعد بن درهم الخبيث:**

ظل الجعد بن درهم مقيماً بدمشق حتى أظهر بدعته الخبيثة بين الناس وعرفوا حقيقة ضلاله، فتطلبه بنو أمية الحكام فهرب منهم وسكن بالكوفة، فلقيه فيها الجهم بن صفوان، فتقلد منه بدعته وبدأ الجعد =

وضحى به خالد بن عبد الله القسري[(١)] أمير العراق والمشرق بواسط[(٢)] خطب الناس

=

يدعو لبدعته بالكوفة، فعندما وصلت أخبار الجعد بن درهم إلى خالد أخذه وناظره مع أهل العلم من التابعين وألزموه بطلان بدعته ولكنه أصر عليها ولم يرجع عنها واستتابه مدة ثلاثة أيام وهو مُصر على بدعته وكفره.

وفي يوم ١٠ ذي الحجة سنة ١٢٤هـ اصطحبه خالد القسري إلى مدينته واسط وقام يخطب العيد على المنبر والجعد مكبل بقيوده أسفل المنبر، ثم قال خالد للناس: «أيها الناس! ضحوا يقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً» ثم نزل وقال له: يا جعد! ارجع عن مقالتك فقال الجعد: «والله لا أرجع عنها أبداً» فأخذه خالد وذبحه في أصل المنبر.

قال الإمام الذهبي رحمه الله: قتيبة بن سعيد وغيره، قالا: حدثنا القاسم بن محمد، عن عبد الرحمن بن محمد بن حبيب، عن أبيه، عن جده، قال: شهدت خالد القسري في يوم أضحى، يقول: ضحوا تقبل الله منكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه. قلت: هذه من حسناته، هي، وقتله مغيرة الكذاب) انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٢).

(١) **الأمير الكبير أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري الدمشقي**: أمير العراقين لهشام وولي قبل ذلك مكة للوليد بن عبد الملك ثم لسليمان، روى عن أبيه، وعنه سيار أبو الحكم، وإسماعيل بن أوسط البجلي وإسماعيل بن أبي خالد، وحميد الطويل. وقلما روى. له حديث في «مسند أحمد»، وفي «سنن أبي داود» حديث، رواه عن جده يزيد، وله صحبة. وكان جواداً ممدحاً معظماً عالي الرتبة من نبلاء الرجال، لكنه فيه نصب معروف، وله دار كبيرة في مربعة القز بدمشق، ثم صارت تعرف بدار الشريف اليزيدي، وإليه ينسب الحمام الذي مقابل قنطرة سنان بناحية باب توما، قال ابن جرير: لبث خالد بن عبد الله في العذاب يوماً، ثم وضع على صدره المضرسة، فقتل من الليل في المحرم سنة ست وعشرين ومائة في قول الهيثم بن عدي، فأقبل عامر بن سهلة الأشعري، فعقر فرسه على قبره، فضربه يوسف بن عمر سبع مائة سوط.

(٢) هي محافظة تقع وسط العراق سميت باسم **مدينة واسط** التي بناها الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٧٨ هجرية وأتمها في سنة ٨٦ هجرية لتكون مقرًا جديدًا لجنوده. عاصمة محافظة واسط الحالية هي مدينة =

يوم الأضحى، فقال: «أيها الناس! ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، ثم نزل فذبحه، وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء التابعين رضي الله عنهم **(من شرح الطحاوية)**»[١].

وقال ابن القيم في ذلك:

شكر الضحية كل صاحب سنة ... لله درك من أخي قربان[٢]

المعنى الإجمالي للأحاديث المتقدمة مختصراً:

تبرأ الرسول -عليه الصلاة والسلام- بهذه الدار لارتفاع منزلته إلى خلة الأبرار، ولما انقطع بمحبة محبوبه وصدق بقصده، اصطفاه بالخلة بعد الرسالة، كما اصطفى إبراهيم عليه السلام بالخلة والكرامة، وقد بين ﷺ في الحديث: (إني أَبْرَأُ إلى الله أَن يكونَ لي منكم خليلٌ؛ فإن الله قد اتَّخذني خَليلاً، كما اتخذَ إبراهيم خليلاً)، ليثبت أن هذه أعلى درجات المحبة، ولو كانت المحبة أفضل لما تبرأ من خلة أحب الناس إليه أبو بكر رضي الله عنه، مع أنه أثبت أنه أحب الناس إليه، وكذلك عائشة رضي الله عنها، ومعاذ رضي الله عنه وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم، ثم حذَّر من شيء يخافه على أمته، وهو اتخاذ القبور مساجد، فلهذا حذَّر من ذلك أشد التحذير، وخاصةً قبره كما في قوله: «اللهم لا

= الكوت التي من سماتها المميزة: أنها على شكل شبه جزيرة تحيط بها المياه من جهات الشرق والغرب والجنوب وتبعد عن بغداد التي تقع شمالها ١٨٠ كيلو مترًا وتربطها بجنوب العراق.

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، الجزء الثاني، باب: «اتخذ الله إبراهيم خليلاً وكلم موسى تكليماً» (ص: ٣٩٥).

(٢) كتاب: متن القصيدة النونية، للمؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية.

تجعل قبري وثناً يعبد»[(١)]، ولهذا نهى عنه في آخر حياته قبل موته بخمسٍ، ثم إنه قد لعن وهو في سياق الموت من فعل مثل هذا، كل هذا خوفاً على الأمة لئلا تقع بها وقعت به الأمم قبلها، كما وضح ذلك الشيخ رحمه الله، ثم إن اتخاذ القبور مساجد لا يلزم منه أنه بنى على هيئة مسجد أو يقصد من بعد بل إذا صليت إلى قبر عالمٍ بهذا القبر فقد اتخذته مسجداً، أما الذي يقصده ويشد الرحال إليه، فهذا أعظم إثماً؛ لأن شد الرحال لا يجوز إلا إلى المساجد الثلاثة، ثم إنه أخبر أن شرار الناس من تقوم عليهم الساعة، لأنها تأتي ريح من قِبل الشام، فتقبض روح كل مؤمنٍ ومؤمنةٍ فيبقى شرار الخلق فتقوم عليهم الساعة، ولا تقوم الساعة ويقال في الأرض: الله الله، كما أن من شرار الخلق الذين يتخذون عليها المساجد، كما هو واقع من هذه الأمة منذ أزمنة بعيدةٍ، وكأن الرسول ﷺ لم يَعْنِهم بهذا، فبنوا المساجد وأسرجوا السرج بأنواع القناديل والمصابيح والثريات، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ما يستفاد من الأحاديث:

١- الفرق بين المحبة والخلة.

٢- معرفة أن الخلة أعلى درجات المحبة.

٣- براءته من اتخاذ الخليل لأمته.

٤- فضيلة أبي بكر رضي الله عنه، وأنه أفضل الأمة، وأنه خليفة رسول الله ﷺ، لهذا الحديث ولغيره من الأدلة الأخرى.

٥- تحذيره من اتخاذ القبور مساجد، وبالأخص قبره ﷺ.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٦) دون قوله: (يعبد)، ورواه مالك في موطئه (٢/ ١٧٢) والحديث صححه الألباني في أحكام الجنائز.

٦- أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق.

٧- إن من اتخذ القبور مساجد، ونوَّرها بالمصابيح والسرج من شرار الخلق عند الله.



أسئلة

١- ما مناسبة باب ما جاء في التغليظ في من عبد الله عند قبر رجل صالح إلى آخره لما قبله؟ ولماذا غلظ الرسول في ذلك؟ وبيِّن ما الكنيسة ومن رآها في أرض الحبشة؟ وما هو الشاهد من الحديث للباب؟

٢- لماذا جَمَعَ من صوَّر الصورَ على القبور بين فتنتين؟ وما الذي نزل برسول الله ﷺ؟ وما معنى طفق؟ وما الخميصة؟ ومن الذي خشي أن يتخذ مسجداً؟ ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً، وبين ما فيه من أحكام؟

٣- من حديث جندب بيِّن معاني المفردات الآتية: عرف الخلة؟ وما الفرق بين الخلة والمحبة؟ واذكر دليل فضل أبي بكر رضي الله عنه، ثم اشرح قوله: «ألا وإن من كان قبلكم كان إذا مات فيهم الرجل الصالح..إلخ» هل تجوز الصلاة إلى القبر؟ وهل حكم المقابر كالقبر الواحد من قبل الصلاة؟ وهل يشترط في تحريم الصلاة عند القبر كونه مبنياً على هيئة مسجد؟ ومن هم شرار الناس الوارد ذكرهم في الحديث؟ وما المراد بالساعة؟ ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً، مع بيان أحكامه؟



باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

(م) قوله: باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله:

روى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: **(اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)**(١).

ولابن جريرٍ بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾(٢) قال: «كان يلت لهم السويق، فمات فعكفوا على قبره»(٣).

وكذا قال: أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان يلت السويق للحاج»(٤).

---

(١) رواه مالك في الموطأ مرسلاً (باب جامع في الصلاة) عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، وصححه الألباني، وقال أيمن صالح شعبان في تعليقه على جامع الأصول طبعة دار الكتب العلمية: أخرجه مالك في الموطأ (٤١٥) قال: عن زيد بن أسلم، فذكره. وقال الزرقاني في شرح الموطأ (١/ ٤٩٦) قال ابن عبد البر: لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث، وأسنده البزار عن عمر بن محمد عن زيد عن عطاء، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ، وقوله: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» محفوظ من طرق كثيرة صحاح. وعمر بن محمد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب من ثقات أشراف أهل المدينة. روى عنه مالك والثوري، وسليمان بن بلال، فالحديث صحيح عند من يحتج بمراسيل الثقات، وعند من قال بالمسند لإسناد عمر بن محمد له بلفظ الموطأ سواد وهو من تقبل زيادته وله شاهد عند العقيلي من طريق سفيان عن حمزة بن المغيرة عن سهيل بن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه.

(٢) سورة النجم (آية رقم: ١٩).

(٣) انظر تفسير الطبري سورة النجم (آية رقم: ١٩)، وفي رواية: (فيطعم من يمر الناس، فلما مات عبدوه، وقالوا: هو اللات) رواه سعيد بن منصور.

(٤) البخاري، كتاب التفسير (٤٨٥٩)، باب: «أفرأيتم اللات والعزى».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) رواه أهل السنن(١).

(١) قال الإمام الألباني في الضعيفة: ضعيف. بهذا السياق والتمام، أخرجه أصحاب السنن الأربعة إلا ابن ماجه وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ١٤٠) والبغوي في حديث علي بن الجعد (٧/ ٧٠/ ١) والطبراني (٣/ ١٧٤/ ٢) وأبو عبد الله القطان في «حديثه» (١/ ٥٤) والحاكم (١/ ٣٧٤) والبيهقي (٤/ ٧٨) وكذا الطيالسي (١/ ١٧١) وأحمد (٢٠٣٠) من طريق محمد بن جحادة قال: سمعت أبا صالح زاد القطان، بعدما كبر، وهو رواية لابن أبي شيبة (٢/ ٨٤/ ١) عن ابن عباس قال، فذكره، وقال الحاكم وتبعه الذهبي: أبو صالح باذان ولم يحتجا به، وأما الترمذي فقال: ديث حسن، وأبو صالح هذا هو مولى أم هانيء بنت أبي طالب، واسمه باذان، ويقال: باذام أيضاً، قلت: وهو ضعيف عند جمهور النقاد، ولم يوثقه أحد إلا العجلي وحده كما قال الحافظ في «التهذيب» بل كذبه إسماعيل بن أبي خالد والأزدي، ووصمه بعضهم بالتدليس، وقال الحافظ في «التقريب»: ضعيف مدلس.

قلت: وكأنه لهذا، قال ابن الملقن في «خلاصة البدر المنير» بعد أن حكى تحسين الترمذي للحديث قال (١/ ٥٩): قلت: فيه وقفة لنكتة ذكرتها في الأصل يعني «البدر المنير» ولم أقف عليه لنقف على النكتة التي أشار إليها وإن كان الظاهر أنه أراد بها ضعف أبي صالح المذكور وتدليسه، وبه أعله عبد الحق الإشبيلي في «أحكامه الكبرى» (١/ ٨٠)، فقال: وهو عندهم ضعيف جداً.

قلت: فمن هذا حاله لا يحسن تحسين حديثه كما فعل الترمذي! فكيف تصحيحه كما فعل الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» وعلى سنن الترمذي (٢/ ١٣٦ – ١٣٨)؟ وهذا التحسين والتصحيح بالإضافة إلى اشتهار الاستدلال بهذا الحديث على تحريم إيقاد السرج، حملني على أن أبين حقيقة إسناد هذا الحديث لكي لا ينسب إليه صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، نعم قد جاء غالب الحديث من طرق أخرى، فلعن زائرات القبور، رواه ابن ماجه (١/ ٤٧٨) والحاكم، والبيهقي وأحمد (٣/ ١٤٢) من حديث حسان بن ثابت، والترمذي وابن ماجه والبيهقي والطيالسي وأحمد (٢/ ٣٣٧) عن أبي هريرة بلفظ: «زوارات القبور»، انظر: «أحكام الجنائز» (١٨٥-١٨٧). وقال في ضعيف الجامع: (ضعيف) انظر حديث رقم: ٤٦٩١ في ضعيف الجامع.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

الثالثة: أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

الرابعة: قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

الخامسة: ذكر شدة الغضب من الله.

السادسة: وهي من أهمها صفة معرفة اللات، التي هي أكبر الأوثان.

السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح.

الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية.

التاسعة: لعنه زائرات القبور.

العاشرة: لعنه من أسرجها.

(ش) المناسبة: لما ذكر تحريم العبادة عند القبر الصالح، الذي هو سبب الغلو، ناسب أن يذكر الغلو الذي هو سبب تصييرها وثناً يعبد، ولهذا منع منه.

المفردات:

(**تعريف الإمام مالك**[١]): راوي الحديث هو: إمام دار الهجرة، مالك بن أنس

---

(١) **هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن الحارث** بن عمرو بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح من حمير حليف لبني تيم من مرة من قريش، ولد الإمام مالك سنة ثلاث وتسعين من الهجرة، لقد تربى مالك رحمه الله ونشأ في بيئة علمية عريقة فقد كان جده من كبار علماء التابعين الذين أخذوا عن عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله وعثمان بن عفان وعائشة رضي الله عنهم وأبوه أنس كان من رواة الحديث وإن لم يكن من المكثرين، وكان أخوه النضر من طلبة العلم المشهورين في=

الأصبحي من شيوخ الشافعي، قرأ عليه الموطأ وأحد الأئمة الأربعة المشهورين.

قوله: (**اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد**): الوثن: كل ما عبد من دون الله، ونسأل الله أن لا يجعل قبره كقبر غيره من الأنبياء باتخاذه مسجداً.

قوله: (**اشتد غضب الله**): تغليظ في ذنب من فعل هذا الذنب.

قوله: (**اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**): وذلك لأنه وسيلة إلى عبادتها، وربما كانت تعبد من دون الله لهذا السبب كما فعلته النصارى.

قوله: «**ولابن جرير بسنده**[1]»: وهو الإمام الكبير: محمد بن جرير الطبرى المفسر

= المدينة وأخذ الإمام مالك العلم عن شيوخ كثيرين، منهم: أبو عبد الله القرشي العدوي نافع مولى عبد الله بن عمر. ابن شهاب الزهري: هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري يكنى بأبي بكر، ربيعة الرأي: هو ربيعة بن عبد الرحمن بن فروخ التميمي مولاهم المدني ويكنى أبا عثمان، وغيرهم، وقال الشافعي في حقه: إذا ذكر العلماء فمالك النجم ومالك حجة الله على خلقه بعد التابعين، وقال الإمام أحمد: مالك أثبت في كل شيء، وإذا رأيت الرجل يبغض مالكاً فاعلم أنه مبتدع. وفاته: ولقد اختلف المؤرخون في وفاته، إلا أن الذي رجحه أئمة المؤرخين كالقاضي عياض: أن وفاته كانت في ربيع الأول سنة ١٧٩ هـ في يوم الأحد.

(١) **هو الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الآملي**، وألقابه كثيرة، فهو الإمام المجتهد المفسر المحدث الحافظ الفقيه المؤرخ العلامة اللغوي الثقة الثبت، ولد أبو جعفر بمدينة آمل طبرستان في آخر سنة ٢٢٤ هـ ونشأ بهذه المدينة، وكان أبوه موسراً، أنفق عليه ليتعلم العلم لرؤيا رأى فيها النبي ﷺ وهو بين يديه ومعه مخلاة مملوءة حجارة ومحمد بن جرير يرمي بها بين يديه. فعبرت له: بأن ابنك إن كبر نصح في دينه وذب عن شريعته ﷺ. فكانت سبباً في تبكيره في طلب العلم. فحفظ القرآن وعمره سبع سنين وأم الناس في الصلاة وعمره ثمان سنين، وبدأ يكتب الحديث وعمره تسع سنين، من أهم شيوخه: ١- محمد بن حميد الرازي التميمي أبو عبد الله، وهو أول شيوخه في الري. ٢- عمران بن موسى الليثي البصري وقد لقيه بها في أول دخوله العراق، وكان ﷺ حافظاً صدوقاً ويعرف بالقزاز. ٣- أبو همام الوليد بن شجاع السكوني لقيه في الكوفة، عقيدته: الإمام محمد بن جرير الطبري من كبار أئمة أهل =

المجتهد وكل المفسرين عيال عليه.

قوله: **(عن سفيان)**(١): هو ابن سعيد الثوري، كان من المعروفين بالعلم والعبادة والزهد، ومن أئمة الدين المشهورين.

(عن منصورٍ)(٢): هو ابن المعتمر السلمي.

«**ومجاهد**(٣)»: أبو الحجاج بن جبير من بني مخزوم.

= السنة والجماعة المتبعين منهج وعقيدة السلف الصالح في أنواع توحيد الله ﷻ وبقية أصول الإيمان وما يتبعه من مسائله والصحابة والإمامة، توفي عام ٣١٠ هـ، في شهر شوال، عن عمر ٨٦ سنة.

(١) **هو سفيان بن سعيد بن مسروق**، أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي، سيِّد أهل زمانه علماً وعملاً، من كبار أتباع التابعين، (ت: ١٦١). قال شعبة وابن معين وجماعة: سفيان أمير المؤمنين في الحديث. وقال ابن المبارك: لا أعلمُ عَلَى وجه الأرض أعلمَ منه. وقال ابن مهدي: ما رأيت أحفظ للحديث من الثوري. قال ابن حجر: ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة.

(٢) **منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي**، أبو عتاب: من أعلام رجال الحديث، من أهل الكوفة لم يكن فيها أحفظ للحديث منه. وكان ثقة، وهو الحافظ الثبت القدوة أبو عتاب السلمي الكوفي أحد الأعلام. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: هو من بني بهثة بن سليم من رهط العباس بن مرداس السلمي (١٣٢ه - ٧٥٠م).

(٣) **مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المخزومي** (٢١-١٠٤هـ، ٦٤٢-٧٢٢م) شيخ القراء والمفسرين. إمام، ثقة، فقيه، عالم، كثير الحديث، برع في التفسير وقراءة القرآن والحديث. روى عن ابن عباس فأكثر، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه. كما روى عن أبي هريرة وعائشة وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري. وقد عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات يقف عند كل آية يسأله، فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ قرأ عليه القرآن ثلاثة من أئمة القراءات: ابن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء البصري، وابن محيصن. وحدّث عنه عكرمة وطاوس وعطاء، وهم أقرانه، وعمرو بن دينار وسليمان الأعمش وجماعة. كان ابن جبر لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها، ذهب إلى بئر برهوت بحضرموت، وذهب إلى بابل يبحث عن هاروت وماروت. له كتاب في التفسير يرى بعض المفسرين أنه كان يسأل أهل الكتاب ويقيد فيه ما يأخذه عنهم. وكان أعلم الناس بالقرآن، حتى قال الثوري: =

قوله: (**كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره**): أي: أنهم غلوا فيه لشهامته وكرمه وإحسانه.

قوله: (**فعبدوه من دون الله**): وهذا هو الشاهد وتقدم معناه، وكذا تقدم معرفة اللات والعزى.

(**وأبو الجوزاء**[1]): هو: أوس بن عبد الله الربعي.

(**أي قال**): مثل ما قال: مجاهد من سبب الغلو فيه.

قوله: (**لعن الله زائرات القبور**): زائرات القبور من النساء لا يجوز لهن الزيارة، وسيأتي بيان ذلك.

وقوله: «والمتخذين عليها المساجد والسرج»: فهذا يدل على تغليظ المبالغة في تعظيم القبور، وإنارتها، لأنه تعظيم لها ووسيلة إلى عبادتها كسائر تعظيم القبور.

= خذوا التفسير من أربعة: مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك.

(١) **أبو الجوزاء**: هو أوس بن عبد الله الربعي البصري، من كبار العلماء، حدث عن عائشة، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، روى عنه أبو الأشهب العطاردي، وعمرو بن مالك النكري، وبديل بن ميسرة، وجماعة، وكان أحد العباد الذين قاموا على الحجاج. فقيل: إنه قتل يوم الجماجم، روى حماد بن زيد عن عمرو بن مالك، سمع أبا الجوزاء يقول: ما لعنت شيئاً قط، ولا أكلت شيئا ملعونا قط، ولا آذيت أحداً قط، قلت: انظر إلى هذا السيد، واقتد به، وعنه أنه قال: ما رأيتُ أحداً قط، وروى عنه عمرو بن مالك، قال: لأن أجالس الخنازير أحب إلي من أن أجالس أحداً من أهل الأهواء، وكان أبو الجوزاء قوياً بالمرة، روى نوح بن قيس، عن سليمان الربعي، قال: كان أبو الجوزاء يواصل أسبوعاً، ويقبض على ذراع الشاب فيكاد يحطمها.

المعنى الإجمالي للباب:

الرسول عليه الصلاة والسلام دعا وسأل ربه، أن لا يجعل قبره من جملة القبور التي تعبد من دون الله، بالصلاة لها أو عندها فيكون سبباً لهلاك أمته وزجراً عنها إلى الشرك، الذي حذر منه غاية التحذير، وبالغ في ذلك في آخر حياته، وأخبر أن الله اشتد غضبه على من اتخذ القبور مساجد يصلي إليها ويعبدها من دون الله، كما سدَّ باب تعظيمه لئلا يغلى فيه، فيدعى من دون الله ويسجد له، وذكر ابن القيم رحمه الله: «أن الله أجاب دعاءه بقوله:

فأجاب ربُّ العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران[1]

حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان

وقال القرطبي: بالغت الأمة في تعمية قبره عن اتخاذه مُصلى يصلى إليه، فكأن الجدار جاء على صفة مثلثٍ، لئلا يكون في قبلة المصلي انتهى بالمعنى، ثم ساق المصنف حديث سبب عبادة اللات، وأنه كان رجلاً صالحاً ذا كرمٍ وسخاء، فافتتن الناس فيه فعظموه وغلوا فيه، حتى عبدوه من دون الله لما عرف عنه من إكرام الحاج ولت السويق لهم، كما أخبر الرسول ﷺ أن من اتخذ القبور مساجد يصلي لها ويعبدها من دون الله، فهو ملعون على لسانه، وكذا زائرات القبور من النساء، وقد علَّل ذلك بعض العلماء بأنهن ضعيفات عقلٍ ودينٍ فلا يؤمن عليهن الجزع عند زيارة القبور بخلاف الرجال فإنه قد رغب في زيارتهم للقبور، وسيأتي الفرق بين النساء والرجال في الزيارة.

---

(١) كتاب: متن القصيدة النونية، للمؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية.

ما يؤخذ من الباب:

١- النهي عن الغلو في الصالحين، وأن الغلو سبب لعبادتها كما جرى لقوم نوحٍ ومن بعده.

٢- دعاؤه وسؤاله ربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد، وقد استجيب له.

٣- أن الله يشتد غضبه على من عبد قبر نبيٍّ فكيف بمن دونه؟

٤- نهي النساء عن زيارة القبور والتغليظ فيه، حيث أنه لعن زائرات القبور، مع اختلاف العلماء في ذلك. فذهب البعض: إلى جوازه مستدلين بفعل عائشة رضي الله عنها من زيارتها لقبر أخيها عبد الرحمن، مع قولها: **(لو كنت حضرت وفاتك ما زرتك)**[١]، وقد أنكر عليها ذلك فاستدلت رضي الله عنها بالرخصة العامة: **(إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها)**[٢] وهذا عام للرجال وتدخل فيه النساء، كما هو معروف في كتب الأصول، لكن خصص هذا بلعنه زائرات القبور، وبقوله لفاطمة: **(لو بلغت معها الكدي لم تدخلي الجنة)**[٣]، وكذا نهيه النساء عن اتباع الجنائز، وهذا هو القول الثاني: قال العلماء: هذا الذي عليه العمل من عدم جواز زيارة النساء للقبور، ويقول شيخ الإسلام: هذا آخر الأمر منه ﷺ في آخر حياته، وأما الرجال فقد رغب -عليه الصلاة والسلام- في ذلك، وقال: **(من صلى على جنازة فله قيراط، فإن شهد دفنها فله قيراطان القيراط مثل**

---

(١) **نص الحديث:** عن ابن أبي مليكة قال: لما توفي عبد الرحمن بن أبي بكر بالحبشي وهو موضع فحمل إلى مكة فدفن بها، فلما قدمت عائشة أتت قبر عبد الرحمن بن أبي بكر، فقالت: وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معا. ثم قالت: والله لو حضرتك ما دفنت إلا حيث مت، ولو شهدتك ما زرتك، رواه الترمذي.

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٦٧٢)، رقم (٩٧٧).

(٣) أخرجه أبو داود في الجنائز، باب في التعزية (٣/ ١٨٨) برقم (٣١٢٣)، والنسائي (١/ ٦١٦)، والحاكم (١/ ٥٢٩،٥٣٠)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

أحد)[(١)] والعلة في تحريم الزيارة على النساء هو ضعفهن وعدم صبرهن وربما أظهرن الجزع بخلاف الرجال والله أعلم.

٥- إن شرارهم هم الذين يسرجون السرج على القبور.

٦- لا يجوز صرف ما نذر لإسراج القبور، بل يصرف في الخير.



أسئلة

١- ما مناسبة باب ما جاء أن الغلو في الصالحين يصيرها أوثاناً إلى آخره لما قبله؟ واذكر شيئاً من ترجمة الإمام مالك وابن جرير الطبري وسفيان الثوري وأبي الجوزاء؟ ثم اشرح قوله ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»؟ مع بيان صيانة الله لقبره ﷺ؟ ولماذا حذَّر من اتخاذ قبره مسجداً؟

٢- بين الزيارة المشروعة للرجال، والزيارة الممنوعة للنساء، واذكر الخلاف في ذلك، وهل يجوز للنساء تشييع الجنازة؟

٣- بين حكم الصلاة على الجنازة للنساء؟ ثم اذكر فضيلة المصلى والتابع لها حتى تدفن؟ ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً واذكر ما يستنبط منه من أحكام؟



---

(١) صحيح البخاري، الجنائز (١٣٢٥)، سنن الترمذي، الجنائز (١٠٤٠)، سنن النسائي، الإيمان وشرائعه (٥٠٣٢) سنن أبي داود، الجنائز (٣١٦٨).

باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد وسدّه كل طريقٍ يوصل إلى الشرك

(م) قوله: باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسدّه كل طريقٍ يوصل إلى الشرك.

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عَلَيَّ فإنّ صلاتكم تبلغني، حيث كنتم**) رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات[2].

وعن على بن الحسين رضي الله عنه: «أنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعْتُه من أبي عن جدِّي، عن رسول الله ﷺ قال: (لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليَّ، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم) رواه في المختارة[3].

---

(١) سورة التوبة، (الآيات: ١٢٨، ١٢٩).

(٢) رواه أبو داود وأحمد وصححه الألباني. انظر: حديث رقم: (٧٢٢٦) في صحيح الجامع. وقال الألباني في صحيح أبي داود (الأم) (قلت: إسناده صحيح، وكذا قال الحافظ، وحسنه ابن القيم)، وقال الأرناؤوط في تعليقه على المسند: إسناده حسن.

(٣) صحيح: أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ رقم (٢٠) وصححه الألباني لطرقه وشواهده، وروي في الأحاديث المختارة للضياء المقدسي، وأبو يعلى في مسنده، وابن أبي شيبة في مصنفه، =

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده أُمته عن هذا الحِمى غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجهٍ مخصوصٍ، مع أن زيارته من أفضل الأعمال[1].

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة[2].

السادسة: حثه على النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة.

الثامنة: تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.

= وقال حسين سليم أسد في تعليقه على مسند أبي يعلى: إسناده ضعيف.

(١) نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، تؤخذ من قوله: «ولا تجعلوا قبري عيدًا»، فقوله: (عيدًا) هذا هو الوجه المخصوص، وزيارة قبر النبي ﷺ من أفضل الأعمال من جنسها، فزيارته فيها سلام عليه، وحقه أعظم من غيره، وأما من ناحية التذكير بالآخرة فلا فرق بين قبره وقبر غيره. - المصدر: «القول المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله.

(٢) نهيه عن الإكثار من الزيارة، تؤخذ من قوله: «لا تجعلوا قبري عيدًا»، لكنه لا يلزم منه الإكثار، لأنه قد لا يأتي إلا بعد سنة، ويكون قد اتخذه عيدًا، فإن فيه نوعًا من الإكثار المصدر: «القول المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله.

شرح قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾

«ش» **المناسبة: لما ذكر أسباب الشرك ووسائله من اتخاذ القبور مساجد وتعظيم الصالحين، ناسب أن يذكر بعده حماية النبي ﷺ للتوحيد لئلا يقع أحد في الشرك، فسدّ الطرق الموصلة إليه.**

المفردات:

قوله: (**المصطفى**): وهو المختار من الصفوة وطاؤه منقلبة عن تاء.

(**وجناب التوحيد**): أي: جانب التوحيد وجهاته وسده كل طريق يوصل إليه لبيانه لتلك الطرق.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾: أي: المسلمون.

﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: أي: من جنسكم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: أي: يعز عليه كل ما يشق عليكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾: أي: على هدايتكم بالمؤمنين.

﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾: الرأفة والرحمة من أسماء الله تعالى وقد أثبتهما لنبيه ﷺ.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أي: عن دين الإسلام ومتابعته.

﴿فَقُلْ حَسْبِيَ﴾: أي: كافيَّ الله لا إله إلا هو، فلا أعتمد على غيره عليه.

﴿تَوَكَّلْتُ﴾: أي: فوضت أمري واعتمادي عليه.

﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾: ذكر هنا أنه رب العرش العظيم فوصفه بالعظيم، ووصفه مرة أخرى بالمجيد، وهو الواسع فهو عظيم فوق كل شيءٍ من المخلوقات، وهو أيضاً كريم والله جلَّ وعلا مستوٍ عليه، فإذا كان الكرسي موضع القدمين، وسع

كرسيه السموات والأرض فما بالك بالعرش الذي لا يقدر قدره إلا هو.

المعنى الإجمالي:

وصف الرب -تبارك وتعالى- نبيه بالرأفة والرحمة، وأنه رسول إلى الناس كافةً أسودهم وأبيضهم وأحمرهم، وبيَّن ذلك وهو حريص على هداية أمته وهو منهم، يعرفون حسبه ونسبه ومدخله ومخرجه وصدقه وأمانته وعفافه وطهارته ونزاهته، ومع ذلك فهو ذو شفقةٍ على الأمة، يشق ويعز عليه كل ما فيه حرج وتعب وعنت على الناس، وقد جاء بالحنيفية السمحة وهي ملة إبراهيم عليه السلام، فأمره بتبيينها للناس ودلهم عليها، وأما هداية القلوب فهي بيد الله، ولذا قال: فإن تولوا عما جئت به، فقل: حسبي الله الذي يكفي من توكل عليه ورغب في ما عنده فهو المتفرد بالعظمة والعزة والقهر، فوق عباده يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

ما تفيده الآية:

١- أن الله بعث نبياً عربياً من جنس العرب، يعرفون عنه كل شيء وله مكانة عظيمة عندهم قبل الوحي، من الأمانة والصدق والعفاف، فحري أن يتابع.

٢- إن كل ما يشق على الأمة يعز على هذا الرسول ﷺ.

٣- حرصه على هدايتهم ودخولهم في الإسلام.

٤- وصف الله له بالرأفة والرحمة، مع أن الله عز وجل وصف نفسه بأنه رءوف رحيم.

٥- أن من أعرض عما جاء به الرسول ﷺ من الحق، فإن الله مطلع وحسيب عليه وسيجازيه على ذلك.

٦- عظمة العرش وأنه فوق ما تتصوره الأذهان.

٧- من اتصف بهذه الصفات المتقدمة حري أن يستجاب لدعوته.

شرح الحديثين الواردين في النهي عن اتخاذ قبر الرسول عيداً

المفردات:

قوله: (**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً**): يحتمل أن المراد هجرها عن الصلاة فيها فتكون كالمقبرة، ويحتمل النهي عن الدفن فيها، فحينئذ لا تجوز فيها الصلاة.

قوله: (**فرجة**): هي الكوة بالجدار.

(**وصلوا عليّ**): الصلاة لغة: الدعاء، والصلاة وصفتها على النبي ﷺ تقدم في أول الكتاب.

قوله: (**فإن تسليمكم يبلغني حيث كنتم**): أي: سواء عند قبر النبي ﷺ في المدينة، أو في المشرق أو المغرب أو في أي جهةٍ ما، لأن الله ﷻ موكل لنبيه ﷺ ملائكة تبلغه السلام من أمته.

المعنى الإجمالي:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحديث علي بن حسين زين العابدين اتفق هذان الحديثان على تحريم قصد الزيارة، وجعل ذلك قربة بشد الرحل إليها، لأن فيه تعظيماً وعلواً، نهى عنه الرسول ﷺ، وعلي بن الحسين لما رأى فاعل ذلك استدعاه وأخبره بالحديث، وصار سبباً لإيراد الحديث، وقال في آخرهما: أنت ومن بالأندلس إلا سواء، لأن الله وكَّل ملائكة طوافةً سيارةً تطلب من يصلى عليه وتبلغه بذلك، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يقصدون القبر بزيارة خاصة، بل أول ما يدخل الرجل المسجد يصلي ركعتين، ثم إن كان قدم من سفرٍ -بعد تحية المسجد- يأتي فيسلم على النبي ﷺ، ثم على أبي بكر ثم عمر رضي الله عنهما، ولا يقف ولا يدعو عند قبر النبي ﷺ ولا قبر صاحبيه، كما يُفعل الآن من بعض الناس، كما أنهم لم يقصدوا القبر بزيارة أو تعظيم

يجعله، كالعيد إما بذبحٍ أو إقامة مهرجانات أو اجتماعات، كما يُفعل أيضاً عند عيد المولد الذي يقام في هذه الأزمنة، والذي عم القرى والأمصار، من إقامة الخطب وتقديم الطعام وإنشاد الأشعار، وكان الأجدر بالمسلمين بدل ذلك أن يحسنوا عملهم، بمتابعة النبي ﷺ والعمل بسنته.

ما يستفاد من الأحاديث:

١ - النهي عن اتخاذ قبر النبي ﷺ عيداً، أو إقامة الحفلات والمهرجانات أو دعائه والاستغاثة به.

٢ - أن من صلى على النبي ﷺ ولو كان بعيداً شرقاً أو غرباً، تبلغ الرسول ﷺ هذه الصلاة.

٣ - تحريم اتخاذ القبور مساجد، وهجر البيوت عن الصلاة فيها، فتكون كالمقبرة، وكذا الدفن في البيوت فتهجر عن الصلاة.



أسئلة

١- ما مناسبة باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد...إلخ لما قبله؟ وما هو جناب التوحيد؟ وما هي الطرق الموصلة إليه؟ وعرف المصطفى.

٢- يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)﴾ ما معنى الكلمات الآتية: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾؟ وما معنى من أنفسكم؟ واشرح معنى قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)﴾، ثم اشرح الآية شرحاً مجملاً، وبين ما فيها من أحكام.

٣- من حديث: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً...إلخ) ما معنى: لا تجعلوا بيوتكم قبوراً؟ وما الفرجة؟ وما سبب إيراد حديث علي بن الحسين؟ ثم اشرح الحديثين شرحاً مجملاً، وبين ما فيهما من أحكام.



باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

(م) قوله: باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان:

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾(١). وقوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾(٣).

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟) أخرجاه(٤).

---

(١) سورة النساء: (٥١).

(٢) (سورة المائدة: (٦٠).

(٣) (سورة الكهف: (٢١).

(٤) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالسنة (٣٤٥٦) (٧٣٢٠) باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، ومسلم كتاب العلم (٢٦٦٩) (٦): باب اتِّبَاعِ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وليس عندهم لفظ (لدخلتموه) فعند البخاري بلفظ (لسلكتموه) ولفظ (تبعتموهم)، وعند مسلم بلفظ (لاتَّبَعْتُمُوهُمْ)، وأيضاً ليس عندهم لفظ (حذو القذة بالقذة) فلم أجدها عندهم أصلاً، وقد رواها أحمد والطبراني في الكبير والطيالسي في مسنده عن شداد ابن أوس، أن النبي ﷺ قال: (**لَيَحْمِلَنَّ شرارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى سَنَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ**)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب، وباقي رجاله ثقات. قلت: قال بعض طلاب العلم: إن سبب تناقل (حذو القذة بالقذة) على أنها في الصحيحين هو أنه ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم، =

ولمسلمٍ عن ثوبان رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الله زَوَى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وأن أُمَّتي سيبلُغ ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وأني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنةٍ بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنةٍ عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً**)[1]، ورواه البرقاني في «صحيحه»، وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حَيٌّ من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتى الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى»[2].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

= وتابعه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وذكرها في كتاب التوحيد وقال: أخرجاه، ودرج على هذا كثير من طلاب العلم، وعلى ذلك فليتنبه، والله أعلم.

(١) رواه مسلم كتاب الفتن (٢٨٨٩) (١٩): باب هَلاَكُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ.

(٢) وهذه الزيادة عند أحمد (٥/ ٢٧٨، ٢٨٤) وأبي داود (٤٢٥٢) كتاب الفتن: باب ذكر الفتن ودلائلها، ابن ماجه (٣٩٥٢) كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن، وصححه الألباني، وقال الأرناؤوط في تعليقه على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

الرابعة: وهي أهمها: ما معنى الإيمان بالجِبْتِ والطاغوت؟ هل هو اعتقادُ قلب؟ أو هو موافقةُ أصحابها مع بُغْضِها ومعرفة بطلانها؟

الخامسة: قولهم(١): إن الكفار الذين يعرفون كُفْرَهم أهدَى سبيلاً من المؤمنين.

السادسة: وهي المقصود بالترجمة، أنَّ هذا لا بدَّ أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

السابعة: التصريح بوقوعها، أعني: عبادَة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة.

الثامنة: العجبُ العجاب: خروج مَنْ يَدَّعي النبوة، مثل المختار، مع تكلُّمه بالشهادتين، وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأَنَّ الرسول حَقٌّ، وأن القرآن حقٌّ، وفيه أن محمداً خاتم النبيين، ومع هذا يُصَدَّق في هذا كله مع التضادِّ الواضح، وقد خرج المختارُ في آخر عصر الصحابة، وتبعه فِئَامٌ كثيرة.

التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية، كما زال فيما مضى، بل لا تزالُ عليه طائفة.

العاشرة: الآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: إن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيه من الآيات العظيمة، منها: إخبارهُ بأن الله زَوَى له المشارقَ والمغاربَ، وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال، وإخباره بأنه أعطي الكنزين، وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين، وإخباره بأنه منع الثالثة

---

(١) قولهم: أي: اليهود من أهل الكتاب.

وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع، وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة، وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدةٍ منها من أبعد ما يكون في العقول.

الثالثة عشرة: حَصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

شرح الآيات الواردة في الباب

(ش) هذه الترجمة تبين الرد على من زعم أن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب، وتأويل الحديث في ذلك بالحديث الآخر: (لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة[(١)][(٢)]).

أما المناسبة: فإن الشيخ لمَّا ذكر تحريم اتخاذ قبر النبي ﷺ عيداً، ناسب أن يذكر بعدها أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان، فإذا اتخذوا القبور مساجد لا سيما قبر النبي ﷺ فهو وسيلة لاتخاذها أوثاناً تعبد من دون الله، لأن كل ما عبد من دون الله فهو داخل في ذلك.

---

(١) المراد بالخلصة: الخلصة صنم لدوس كان يعبدونه، وقد أمر النبي ﷺ جرير بن عبد الله رضي الله عنه بحرقه وهدمه، قال ﷺ في الحديث لجرير بن عبد الله: (ألا تريحني من ذي الخلصة؟ فركب إليه بمن معه فأحرقه وهدمه ثم أتى النبي ﷺ فأخبره. قال: فبرّك على خيل أحمس ورجالها خمسًا) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير (٣٠٢٠)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة (٢٤٧٦)، سنن أبي داود كتاب الجهاد (٢٧٧٢)، مسند أحمد (٤/ ٣٦٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن (٧١١٦)، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٦)، مسند أحمد (٢/ ٢٧١).

المفردات:

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾ أي: جزءاً من علم.

﴿الْكِتَابِ﴾: المراد به التوراة.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: معناه: يصدقون بأخبارهم ويعبدونهم.

ومعنى: (الْجِبْتِ): هو: الشيء الفاشل الذي لا خير فيه، فكل شيء لا خير فيه يسمى جبتاً، سواء كان حيي بن أخطب(١)، أو كعب بن الأشراف(٢)، أو غيرهما على قول: إن الجبت حيي إلى آخره، فهو يعم الجميع.

﴿وَالطَّاغُوتِ﴾: مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، وقد عرَّفه ابن القيم بأنه: ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، وعدَّد رءوسهم بأنهم خمسة.

---

(١) **حيي بن أخطب هو سيد بنو النضير** قبل الإسلام، وهو والد أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب. كان من أعلم اليهود بدينهم كما كان من أشد مقاتليهم، عدائه للنبي: بعد الهجرة، حين وصل النبى للمدينة، ذهب حيى بن أخطب مع شقيقة أبو ياسر بن أخطب للقاء النبى، وطلباً منه النظر بين كتفيه، بحثاً عن خاتم النبوة «وهي وحمة تشبه الزيتونة موجودة في أجسام كل الأنبياء يخرج منها ثلاث شعرت وتقع عند الفقرة الأولى من العمود الفقري». ونظروا ورأوا الخاتم، سألوه: متى توفى والدك؟ أجابهم، سألوه: من الذي قام بتربيتك؟ وأسئلة كثيرة، فأجابهم. ورجع حيي بن أخطب وهو من أحبار اليهود، فسأله أخوه: أهو هو؟ «يقصد الموجود في التوراة» قال: هو هو (أي: هذا هو النبي)، قال: فماذا تنوي؟ قال: عداوته ما بقيت، وقد قرر بنو النضير اغتيال النبي بإلقاء صخرة عليه من فوق أحد الحصون إلا أنه نجا من تلك المحاولة. فقرر النبي طردهم من المدينة فغزاهم، وسميت تلك الغزوة بغزوة بني النضير والتي نتج عنها طرد بنو النضير إلى خيبر.

(٢) **كعب بن الأشرف**، رجل من طيء وأمه من يهود بني النضير، ذكر في سيرة النبي محمد بأنه أمر بقتله ونفذ ذلك الأمر جماعة من الأوس.

وقوله: ﴿قُلْ﴾: أي: يا محمد.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾: أي: أخبركم.

﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾: أي: أقل حظاً ونصيباً مما ذكرتم، إنه ليس هناك أهل دينٍ شر من دينكم.

﴿مَثُوبَةً﴾: أي: ثواباً وجزاء.

﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ﴾: أي: شر الناس من غضب الله عليه ولعنه.

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾: أي: من المغضوب عليهم من اليهود، ومسخهم قردةً وخنازير.

﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ أي: أطاعه واتبع أمره وعبده.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾: أي: هؤلاء شر وأضل سبيلاً.

وقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾: فإن أصحاب الكهف وهم الفتية لما ظفر بهم قومهم، جعلوا على باب الكهف مسجداً، وهذه الأمة ستتبعها باتخاذ المساجد على القبور.

المعنى الإجمالي:

في الآية **الأولى**: ذكر -الله ﷻ- كعب بن الأشرف وحيي بن الأخطب، مقالتهما لما سألهما كفار قريش عن محمدٍ مع علمهما بصدق محمد، فزكّت قريشاً على محمدٍ، قالا: أنتم أهدى سبيلاً من محمدٍ؛ لأن قريشاً قالت: نحن ننحر الكوم، ونسقي الحجيج ونفعل ونفعل، قالا: أنتم خير من محمدٍ، فذمهم الله شر ذمٍّ وسماهم الله طاغوتاً وأنهم يؤمنون بالجبت، وكل من تحاكم إلى الطاغوت أو حكم به، وعدل عمّا أنزل الله فإن

اعتقد حل ذلك وأنه خير من شريعة الإسلام فهو كفر لا شك فيه، وإن فعله مع اعتقاد تحريمه، فإنه حكم بغير ما أنزل الله، وهو حرام كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[1].

وفي الآية **الثانية**: يخبر سبحانه أنه لا أحد أشر ولا أضل ممن لعنه الله وغضب عليه، فهو أشر الخليقة، وحقيق بذلك وهو بعيد عن الخير بخلاف ما يرى أعداء الإسلام أن المسلمين شر، فهذه من الله لهم براءة وتزكية للمسلمين، فالمسلمون أهل خيرٍ وبركةٍ لاتباعهم لدينه ورسله ﷺ وجديرون بذلك بخلاف من مسخ قرداً وخنزيراً، وعبد الشيطان بطاعته له فهو شر الناس وقد ضل عن سبيل الحق والرشاد، إلى سبيل الزيغ والضلال الذي هو سبيل اليهود والنصارى، كما أخبر سبحانه وتعالى أن قبور أصحاب الكهف قد اتخذها أتباعهم مسجداً، أقاموه على باب الغار الذي أقاموا فيه المدة الطويلة، وأخيراً كان مثواهم، وأن هذه الأمة سيكون فيها من يفعل مثل فعلهم، وقد وقع في هذه الأمة ما قد جرى من بناء المساجد على قبور الصالحين، وعظموها وعبدوها من دون الله.

ما يؤخذ من الآيات من الأحكام:

١ - تحريم التحاكم إلى غير ما أنزل الله، كما فعلت قريش بتحاكمها إلى كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب.

٢ - إن من حكم بغير ما أنزل الله فهو طاغوت على ما يأتي:

(أ) أنه يخرج من الملة، إذا اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه.

---

(١) سورة المائدة: (من الآية: ٥٠).

(ب) أن من اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه يستحق العقوبة، فهذا عاصٍ يسمى كافراً مجازياً، أو كفراً أصغر.

(ج) وإن جهل وحكم فيها مع بذل جهده، واستفرغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأ فهو مخطئ، له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور إذا كان من أهل الاجتهاد، وقال بعضهم: «ومثل هذا ما ابتلي به الذين درسوا القوانين الأوروبية من رجال الأمم الإسلامية ونسائها، الذين أشربوا حبها والشغف بها والذب عنها، وحكموا بها وأذاعوها بما ربوا من تربيةٍ أساسها صنع المبشرين الهدامين، أعداء الإسلام ومنهم من يصرح، ومنهم من يتوارى، ويكادون يكونون سواء، فإنا لله وإنا إليه راجعون» انتهي من شرح الطحاوية[1].

شرح حديث: الإخبار بأن الأمة ستتبع اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة

المفردات:

قوله: (**سنن**): السنن: بالضم ويجوز الفتح، أي: طرق.

وقوله: «القذة»: تجمع على قذذ، وهي: ريش السهم.

(**حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه**): أي: أن هذه الأمة ستتابع الأمم السالفة.

(**قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى**): أي: هم اليهود والنصارى المعنيون.

(**قال: فمن؟**) أي: ليس المراد غيرهم.

(**أخرجاه**): أي: البخاري ومسلم.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لصدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر رحمهما الله.

المعنى الإجمالي:

في الحديث المشار إليه أن هذه الأمة ستتبع طريق الأمم السالفة، وتماثلها وتساويها في جميع ما عملته وتقلدها، لمحاذاتها لها حذو الشيء بالشيء، وحذو النعل بالنعل في شبهة النصارى في غلوها وكذا اليهود، وقد فعلت ذلك من التعظيم والغلو، بل وعبادة القبور واتخاذها مساجد، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ما يستفاد من الحديث:

١- إن هذه الأمة ستعمل عمل الأمم السابقة في كل شيء.

٢- وقوع الأمر كما أخبر ﷺ فتعاقبت اليهود والنصارى، وما قبلهما في الغلو وعبادة الصالحين.

شرح حديث: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ...»

المفردات:

قوله: (**عن ثوبان**[1]): هو مولى رسول الله ﷺ.

قوله: (**زوى لي الأرض**): زويت الشيء جمعته، أي: قرّبها له وجمعها.

(**فرأيت مشارقها ومغاربها**) أي: عند ما جمعها لي.

(**رأيت المشارق والمغارب**): جمع مشرق ومغرب، وهي جهات الشروق والغروب.

قوله: (**وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها**): وقد وقع الأمر كما أخبر، فملكت

---

(١) ثوبان النبوي مولى رسول الله ﷺ، سبي من أرض الحجاز، فاشتراه النبي ﷺ وأعتقه، فلزم النبي ﷺ، وصحبه، وحفظ عنه كثيراً من العلم، وطال عمره، واشتهر ذكره، يكنى أبا عبد الله، ويقال: أبا عبد الرحمن، وقيل: هو يماني، واسم أبيه جحدر، وقيل: بجدد، عن ثور بن يزيد أن ثوبان مات بحمص سنة أربع وخمسين. وقال ابن سعد: نزل حمص وله بها دار، وبها مات سنة أربع وخمسين.

البلاد شرقاً وغرباً خلاف الجنوب والشمال.

قوله: (**وأعطيت الكنزين**): أي: كنز كسرى، وهو ملك الفرس، وكنز قيصر، وهو ملك الروم، وعبر بالأحمر عن كنز قيصر، لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى، لأن الغالب عليهم كان الجوهر والفضة.

(**وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنةٍ عامة**): السنة الجدب والقحط.

(**بعامة**): الباء زائدة؛ لأن «عامة» صفة السنة، وقد ورد حذفها في بعض الروايات.

(**من سوى أنفسهم**): أي: من غيرهم.

(**فيستبيح بيضتهم**): البيضة: حوزة كل شيء وساحته.

(**حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً**): وقد وقع الأمر كما أخبر من وقوع الفتن بين المسلمين.

(**وإن ربي قال: يا محمد! إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد**): القضاء هو الحكم والإرادة، فإنه لا راد لما قضاه.

قوله: (**البرقاني**)[1]: هو الإمام الحافظ اسمه: أحمد بن محمد الخوارزمي الشافعي، له مصنفات كثيرة، منها: المسند ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان[2].

قوله: (**الأئمة**): جمع إمام وهو من يقتدى به، والغالب أنه من يقتدى به في الخير،

(١) هو الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة، قال الخطيب: كان ثبتاً ورعاً، لم نَر في شيوخنا أثبت منه، عارفاً بالفقه، كثير التصانيف، صنف مسنداً ضمَّنه ما اشتمل عليه الصحيحان، وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة.

(٢) كتاب البرقاني مستخرج على الصحيحين.

والمراد هنا: أئمة الضلال المضلين عن الحق، من العلماء والسلاطين والعباد والأمراء وغيرهم.

(وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة): أي: إذا وقعت الفتن فإنها تستمر إلى قيام القيامة، وقد وقع الأمر من حين قتل عثمان رضي الله عنه إلى عصرنا الحاضر والفتن مستمرة.

قوله: **(وحتى يلحق حي من أمتي بالمشركين)**: الحي: واحد الأحياء وهي القبائل من العرب.

قوله: **(وحتى تعبد فئام)**: والفئام: الجماعات الكثيرة، وقد وقع ما في الحديث.

قوله: **(وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي)**: وقد خرج ذلك العدد، كما جاء عن القاضي عياض: «أنهم أحصوا من لهم أتباع وشوكة فوجد العدد المذكور»، وقد جاء عددهم في حديثٍ آخر: **(أن الرجال سبعة وعشرون وأربع نسوة)**[(١)].

قوله: **(وأنا خاتم النبيين)**: فالرسول ﷺ هو الآخر من الأنبياء وأمته آخر الأمم، وهم الأولون يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[(٢)].

قوله: **(لا نبي بعدي)**: فمن ادعى النبوة فهو من جملة الكاذبين، الذين أخبر عنهم ﷺ.

---

(١) **نص الحديث**: عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يكون في أمتي كذابون دجالون سبع وعشرون، منهم أربع نسوة) الحديث: حسن: أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٧٩) وقال: غريب، تفرد به معاذ بن هشام عن أبيه موجوداً في كتابه ا.هـ، وإسناده حسن.

(٢) سورة الأحزاب: من الآية (٤٠)

(**ولا تزال طائفة**): الطائفة: الجماعة من الناس.

(**من أمتي على الحق منصورة**): وهم أهل السنة والجماعة الذين اهتدوا بهديه واستنوا بسنته، من أهل الحديث والفقه فهم قائمون على الحق منصورون إلى يوم القيامة.

(**لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم**): خذله: أي: تركه ولم ينصره وتخلف عن اللحاق به، والمخالفة مأخوذة من الخلاف، والمخالفة عن النصرة وهم منصورون مؤيدون بتأييد الله لهم.

(**حتى يأتي أمر الله**): وهي: الساعة أو مقدماتها، أو الريح التي تقبض أرواح المؤمنين، وهو الظاهر.

(**تبارك**): أي: كمال البركة وعظمتها وسعتها، هو سبحانه وتعالى المتبارك وعبده ورسوله المبارك، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[1]. فمن يبارك الله فيه وعليه فهو المبارك.

(**تعالى**): أي: تقدس وتنزه.

المعنى الإجمالي:

هذا حديث عظيم، رواه مسلم فيه أخبار بمغيباتٍ لا يمكن أن يَّطلِع عليها إلا نبي أطلعه الله عليها من علوم الغيب، وبما هو واقع من ظهور أمته وملكها من المشرق إلى المغرب، ووقوع الأمر كما أخبر ﷺ والاستيلاء على كنز كسرى وقيصر، وإنفاقهم أموالهم التي من الذهب والفضة في سبيل الله، كما وقع الأمر في زمن عمر رضي الله عنه وقد دعا ربه أن لا يهلكها بسنةٍ واحدة من جدبٍ أو قحطٍ، وأن لا يسلط عليها عدواً من

---

(١) سورة مريم: (من الآية٣١).

غيرهم يهلكهم ويستبيح النساء ويسترق الأطفال، وقد أجاب الله دعوته، ولكن يقع بينهم فتن من القتل وكثرة الهرج، فمنذ قتل عثمان رضي الله عنه والفتن مستمرة إلى عهدنا ولكن تقل مرةً وتكثر أخرى، وتكثر في جهةٍ، وتقل في أخرى، فتارةً هنا، وتارةً هناك، وتارةً تهدأ الأحوال، وتارةً تكثر الفتن والقتال وسلب الأموال، وكما ذكر في الرواية الأخرى من وجود أئمة ضلال ودعاة شقاء من مبتدعةٍ متزندقة مُلحدة، تغطي إلحادها بما تدعو إليه بشعاراتٍ مختلفةٍ، على حسب الزمان والملابسات، فمثل هؤلاء يفسدون الدين والدنيا، يحلّون بأهوائهم ويحرمون بأهوائهم، ليسوا من الدين في شيء، همهم المناصب والجاه ولو في سبيل إتلاف الأمة وإبادتها، ومهما دنسوا من الدين أو أفسدوا من دين الآخرين، وعقيدتهم إذا توصلوا إلى أغراضهم وكذا الدنيا، فهم أئمة ضلال وأصنام الطغيان، وبسبب أمثال هؤلاء يقع السّفك للدماء والقتل الذريع، ولا ترفع السيوف حتى تقوم الساعة.

كما أخبر ﷺ أن طوائف وجماعات وأحياء بأسرها من هذه الأمة تلحق بالمشركين وكذا بعض القبائل، وكما قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس، حول ذي الخلصة الصنم»[1]، والذي هُدِمَ على عهده ﷺ فلا يخبر عن هذا الغيب إلا نبي أطلعه الله عليه، كإخباره بخروج الدجالين الكذابين الذين يدَّعون النبوة والرسالة، مع أن الله ختم الرسالة بمحمد بن عبد الله، وقد خرجوا وبلغوا هذا المبلغ من المتنبئين، وهم كل من كان له أتباع وشوكة، لكن سرعان ما تنكشف أحوالهم بدعواهم الفاجرة

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن (٧١١٦)، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٦)، مسند أحمد (٢/ ٢٧١).

الكاذبة، كمسيلمة الكذاب[١]، والأسود العنسي[٢]، وطليحة بن خويلد[٣].

---

(١) **مسيلمة الكذاب رجل من بني حنيفة اسمه مسيلمة بن ثمامة،** كان قد تسمى بالرحمان، فكان يقال له: رحمان اليمامة، وكان يعمل كثيراً من أعمال الدجل، وادعى النبوة في عهد النبي ﷺ، وشهد له أحد أتباعه أنه سمع الرسول ﷺ يقول: إنه أشرك معه مسيلمة في الأمر، وتابعه كثير من أهل اليمامة، وخاصة من بني حنيفة، وكان يدعي الكرامات، فأظهر الله كذبه ولصق به لقب الكذاب، وأراد إظهار كرامات تشبه معجزات النبي ﷺ، فأظهر الله كذبه فيها، فقد ذكر ابن كثير في البداية أنه بصق في بئر فغاض ماؤها، وفي أخرى فصار ماؤها أجاجاً، وسقى بوضوئه نخلاً فيبست، وأتى بولدان يبرك عليهم فمسح على رءوسهم، فمنهم من قرع رأسه ومنهم من لثغ لسانه، ودعا لرجل أصابه وجع في عينيه فمسحهما فعمي، وقد قتل لعنه الله في حديقة الموت بمعركة اليمامة أيام خلافة أبي بكر الصديق، وقيل: إن عمره حينئذ كان يناهز مائة وخمسين سنة، وقيل: إن الذي قتله وحشي بن حرب قاتل حمزة رضي الله عنه يوم أحد، (راجع للتوسع في حياته البداية والنهاية، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم).

(٢) **عبهلة بن كعب بن غوث العنسي المذحجي** المعروف باسم «الأسود» و«ذي الخمار» كان سيداً على مذحج وبعض قبائل اليمن، ولذلك سمي بالأسود وزاد أهل الأخبار فقالوا: إن أمه سوداء وتجاهل الإخباريون تفاصيل نسبه وكثيراً من حياته محاولة للتقليل من شأنه حاله حال كل من شابهه إلا أن المعروف أن عنس بطن من بطون مذحج طرد الفرس من اليمن وقاتل عامل النبي محمد وهرب معاذ بن جبل ولجأ إلى «بني السكون» أحد بطون كندة لأنه كان متزوجاً منهم واستولى على صنعاء ونجران وحضرموت والأحساء، تبعته قبائل من اليمن لتعصب فيهم، إذ أنها رأت في الزكاة أتاوة يدفعونها لقريش وصفت حركته بأول ردة في الإسلام؛ رغم عدم وجود دلائل على إسلامه؛ فلم يذكر في أي من كتب السيرة أن الأسود العنسي أسلم ثم ارتد بل تكتفي بقول: «ارتد من أسلم من مذحج»، وتشير الروايات أنه كان مشعوذاً يستعمل السحر لإقناع أتباعه، وقد طرد معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري الذين كانوا متواجدين في اليمن، وبعد أن انتشر فساده كتب النبي ﷺ كتاباً إلى المسلمين في اليمن يأمرهم بقتله، وقتل على يد شخص يدعى فيروز. (راجع البداية والنهاية لابن كثير).

(٣) **طليحة بن خويلد الأسدي** من قادة حروب الردة بعد وفاة النبي محمد سنة (١١هـ-٦٣٢م) ادّعى النبوة في قومه بني أسد وتبعه بعض طيء وغطفان في أرض نجد، إلا أنه هزم مع أتباعه على يد خالد بن الوليد في معركة بزاخة ودخل الإسلام على إثر ذلك. شارك طليحة في الفتوحات الإسلامية =

=

واستشهد في معركة نهاوند سنة (٢١هـ-٦٤٢م) توبته: عاد طليحة بعد ذلك وأسلم وحسن إسلامه، ثم اتجه إلى مكة يريد العمرة في عهد أبي بكر الصديق واستحيا أن يواجهه مدة حياته، وقد رجع فشهد القتال مع خالد بن الوليد، وكتب الصديق إلى خالد أن استشره في الحرب ولا تؤمره، وهذا من فقه الصديق رضي الله عنه وأرضاه، لأن الذي جعل طليحة يدعي النبوة حبه للرياسة والزعامة، ولذا سأل خالد أحد أتباع طليحة ممن أسلموا وتابوا معه: أخبرنا عما كان يقول لكم طليحة من الوحي؟ فقال: إنه كان يقول: «الحمام واليمام والصرد الصوام، قد صمن قبلكم بأعوام، ليبلغن ملكنا العراق والشام» ولما جاء وسلم على عمر قال له: «اغرب عن وجهي، فإنك قاتل الرجلين الصالحين، عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم» فقال: «يا أمير المؤمنين! هما رجلان أكرمهما الله على يدي ولم يهني بأيديهما» فأعجب عمر كلامه، وأوصى الأمراء أن يشاور ولا يولى من الأمر شيئاً، شهد معركة اليرموك وكذلك كانت وصية عمر إلى سعد بن أبي وقاص في القادسية، فلما كان يوم أرماث قام طليحة في بني أسد يدفعهم إلى القتال وإلى الدفاع عن الإسلام والمسلمين. يقول: «ابتدئوا الشدة، وأقدموا عليهم إقدام الليوث الحربة، فإنما سميتم أسداً لتفعلوا فعلة الأسد»، ثم بارز الفرس وقادتهم وعلى رأسهم «الجالينوس» فقتل منهم وأصاب. وفي يوم عماس كان مقداماً لا يهاب الموت، وهاجم الفرس وحده من خلفهم ثم كبر ثلاث تكبيرات ارتاع لها الفرس، فظنوا أن جيش الإسلام جاءهم من ورائهم، وفي القادسية خرج هو وعمرو بن معد يكرب و(قيس بن المكشوح) للاستطلاع، فأبى أن يرجع حتى يتم المهمة، واتهمه البعض بالغدر وعايروه بقتله عكاشة وصاحبه، لكنه أصر أن يكمل المهمة وحده دون عون منهم، فخاض في الماء يريد الوصول إلى معسكر رستم قائد الفرس، الذي يضم أكثر من ثمانين ألف مقاتل. وكذلك وهو يركب فرساً من خيلهم وكان يحب الخيل وأخذ يعدو به، وخرج الفرس في أثره يريدون القبض عليه أو التخلص منه، فقتل منهم اثنين من خيرة قادتهم وفرسانهم، ثم أسر الثالث وسار به حتى وصل معسكر المسلمين، فدخل على سعد، فقال له سعد: «ويحك ما وراءك؟» قال طليحة: «أسرته فاستخبره فاستدعى سعد المترجم» فقال الأسير: «أتؤمنني على دمي إن صدقتك؟» قال سعد: «نعم». قال: «أخبركم عن صاحبكم قبل أن أخبركم عمن قبلي» ثم راح يحدثهم عن بطولة وشجاعة طليحة النادرة، واختراقه معسكراً فيه ما فيه من الجنود والقادة، وشهد له بأنه يعدل ألف فارس، ثم أسلم هذا الأسير، وحسن إسلامه، واستفاد منه المسلمون استفادة عظيمة نظراً لخبرته بمعسكر الفرس، وفاته: قاتل طليحة في معركة نهاوند قتال الأبطال حتى نال الشهادة عام ٢١ هـ (راجع للتوسع في حياته: البداية =

وسجاح[١]، والمختار بن أبي عبيد[٢] وأمثال هؤلاء، لكن طليحة تاب وخرج للجهاد في سبيل الله، مع البشارة النبوية بعدم انقراض الحق، بل تبقى عليه طائفة =

والنهاية، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم).

(١) **سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان** امرأة نجدية من بني تغلب. التف حولها بعض قومها، وقد عزموا على غزو أبي بكر الصديق، كان ممن استجاب لها مالك بن نويرة التميمي وعطارد بن حاجب وجماعة من سادات أمراء بني تميم وتخلف آخرون منهم عنها، ثم اصطلحوا على أن لا حرب بينهم إلا أن مالك بن نويرة لما وادعها ثناها عن عودها وحرضها على بني يربوع ثم اتفق الجميع على قتال الناس. وقالوا: بمن نبدأ؟ فقالت لهم فيما تسجعه: «أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم أغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب»، ثم إن سجاح قصدت بجنودها اليمامة لتأخذها من مسيلمة الكذاب فهابه قومها، وقالوا: إنه قد استفحل أمره وعظم، فقالت لهم فيما تقوله: عليكم باليمامة، دفوا دفيف الحمامة، فإنها غزوة صرامة، لا تلحقكم بعدها ملامة. قال: فعمدوا لحرب مسيلمة، فلما سمع بمسيرها إليه خافها على بلاده.

وفاتها: لما بلغها سير خالد بن الوليد بقواته نحو اليمامة بعد أن قضى على حركتي طليحة ومالك بن نويرة، عادت إلى بلاد الرافدين وبقيت بين قومها من بني تغلب ثم تابت إلى الإسلام وحسن إسلامها بعد مقتل مسيلمة على يد وحشي. وتوفيت في عهد الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان بمدينة البصرة، وقيل: بل كانت وفاتها بمدينة الكوفة (راجع البداية والنهاية لابن كثير).

(٢) ولد **المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير** بن عوف بن عفرة بن عميرة بن عوف بن ثقيف الثقفي في الطائف في السنة الأولى للهجرة، وأبوه أبو عبيد الثقفي قائد المسلمين في معركة الجسر، وقد أسلم أبوه في حياة الرسول وكان صحابياً وانتقل مع والده إلى المدينة في زمن الخليفة عمر بن الخطاب، واستشهد والده في أثناء معركة كبيرة مع الفرس من ضمن الفتوحات الإسلامية وكان عمر المختار ثلاث عشرة سنة آنذاك وكان مصاحبًا لوالده وأخيه ونشأ في المدينة متأثرًا بالخليفة علي بن أبي طالب وأصبح من محبيه. عُرف عنه أنه كان فارسًا شجاعًا، وهو من المعروفين تاريخياً بمناصرة الحسن والحسين، وقد كان مقتله في الرابع عشر من رمضان سنة سبع وستين، وله من العمر سبع وستون سنة، على يد جيش مصعب بن الزبير..(انظر: البداية والنهاية لابن كثير، الجزء الثامن)، (تاريخ الرسل والملوك للطبري، الجزء السادس).

ظاهرة منصورة مستمرة إلى يوم الدين، بإذن الله إلى قيام الساعة، لا يضرهم كيد كائد، ولا تخذيل مخذل، ولا تنقص متنقص، إلا أنه لا يلزم أن تكون هذه الطائفة في بلدٍ واحدٍ ولا في حيٍّ واحدٍ، بل يجوز أن تكون في بلد أو بلدان مجتمعين أو متفرقين، وهذه الطائفة هم أتباع الرسول ﷺ المتمسكين بسنته وشريعته واهتدوا بهديه.

ما يستفاد من الحديث:

١- الإخبار باتساع الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً خلاف الجنوب والشمال.

٢- فيه علم من أعلام النبوة، حيث أخبر بالشيء قبل أن يقع، ووقوعه جاء كما أخبر.

٣- الإخبار بأن الصحابة سيستولون على كنوز كسرى وقيصر من الذهب والفضة.

٤- البشارة بأن الله لا يهلك هذه الأمة بشيئين: الجدب والقحط.

٥- بشارته بأن الله لا يسلط على المسلمين أحداً فيهلك حوزة المسلمين.

٦- إخباره بوقوع الفتن بينهم، وسبي بعضهم بعضاً، وقد وقع الأمر كما أخبر من عهد قتل عثمان رضي الله عنه.

٧- الإخبار بأن جماعات من هذه الأمة ستعبد الأوثان، وحتى تلحق بعض قبائل العرب بالمشركين، وهو شاهد الحديث للباب.

٨- الإخبار بخروج الكذابين، يدعون النبوة وأن عددهم ثلاثون.

٩- أن الله ختم الأنبياء برسالة محمد ﷺ فلا نبي بعده، فمن ادعى النبوة فهو كاذب.

١٠- البشارة بوجود طائفة على الحق إلى يوم القيامة، وهم أهل السنة والجماعة.

١١- أن هذه الطائفة لا تزال موجودة حتى تقوم الساعة أو تأتي مقدماتها.

أسئلة

١- اذكر مناسبة باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان لما قبله؟ اشرح الآيات الآتية: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾...الآية؟

ماذا تفيد الهمزة؟ ما هو النصيب؟ وما هو الكتاب المذكور في الآية؟ وعرف الجبت؟ ومن هم الذين كفروا؟ ومن القائل؟ ومن المقول فيه؟

٢- قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾.. الآية؟ ما معنى مثوبة؟ من هم الذين جعل منهم القردة والخنازير؟ ما المراد بقوله: (قال الذين غلبوا على أمرهم)؟ ثم اشرح الآيات المتقدمة شرحاً مجملاً، وما تدل عليه من أحكام.

٣- من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: بين معاني المفردات الآتية: السنن؟ من هم الذين من قبلنا؟ ما هي القذة؟ ما الذي يفيد قوله: «حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه؟ مع شرح الحديث شرحاً مجملاً وبيان أحكامه.

٤- من حديث ثوبان رضي الله عنه: بين معنى زوى لي الأرض لغة ومعنى، ولماذا خصَّ المشارق والمغارب دون غيرها؟ وهل ملكت الأمة ما أخبر به الرسول ﷺ؟ وما المراد بالكنزين الأحمر والأبيض؟

٥- بين معنى قوله: «بسنة بعامة»؟ ومن المراد بسوى أنفسهم؟ وما هي البيضة؟ وهل وقع إهلاك بعضهم بعضاً؟

٦- اذكر معنى قضاء الله؟ ثم ترجم للبرقاني ترجمة مختصرة؟

٧- عرف الأئمة؟ وما المراد بالأئمة المضلين في الحديث؟ متى وقع السيف في هذه الأمة؟ وما هو الحي والفئام؟

٨- وماذا يستدل بقوله: حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين؟ وهل خرج الكذابون؟ اذكر بعضهم؟ وما هو الدليل على أن النبي ﷺ خاتم النبيين؟ وما هي الطائفة التي على الحق منصورة؟ هل يلزم اجتماع هذه الفئة أو كونها في جهةٍ واحدةٍ أو معينةٍ؟ وما المراد بأمر الله؟

٧- اشرح الحديثين شرحاً موجزاً، على ما مرَّ بك وبين الأحكام فيهما.



باب ما جاء في السحر

(م) قوله: باب ما جاء في السحر:

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾(١) قال عمر رضي الله عنه : «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان»(٢).

وقال جابر رضي الله عنه : «الطواغيت: كهان، كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هُن؟ قال: الشرك بالله، والسحر؛ وقتل النفس التي حرم الله إِلا بالحق، وأكلُ الربا، وأكلُ مال اليتيم، والتَّوَلِّي يَوم الزحْف، وقذف المحصناتِ الغافلات المؤمنات»(٤).

وعن جندب رضي الله عنه مرفوعاً: «حد الساحر ضربه بالسيف» رواه الترمذي وقال: الصحيح أنه موقوف(٥).

---

(١) سورة النساء: (٥١).

(٢) هذا الأثر رواه ابن أبي حاتم وغيره.

(٣) هذا الأثر رواه ابن أبي حاتم ونحوه مطولاً عن وهب بن منبه، قال: «سألت جابر بن عبد الله عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها؛ فقال: إن في جهينة واحداً، وفي أسلم واحداً، وفي هلال واحداً، وفي كل حي واحداً، وهم كهان كانت تنزل عليهم الشياطين».

(٤) رواه البخاري: كتاب الوصايا (٢٧٦٦) باب قول الله تعالى: «إن الذين يأكلون أموال اليتامي ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا»، ومسلم: كتاب الإيمان (٨٩)، (١٤٥) باب: بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا.

(٥) الحديث ضعيف: رواه الترمذي: كتاب الحدود (١٤٦٠) باب ما جاء في حد الساحر، والحاكم=

وفي «صحيح البخاري» عن بجَالة بن عَبدَة قال: «كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كلَّ ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر»[(١)].

وصحَّ عن حفصة[(٢)] رضي الله عنها: «أنها أمرت بقتل جاريةٍ لها سحرتها فقتلت»[(٣)]، وكذا صحَّ عن جُندب[(٤)].

= (٤/ ٣٦٠)، والبيهقي في السنن (٨/ ١٣٦)، والدارقطني (٣/ ١١٤)، والحديث ضعفه الحافظ في الفتح (١٠/ ٢٣٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٦٩٨).

(١) رواه البخاري: كتاب فرض الخمس (٣١٥٦) باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، ولفظه كالآتي: عن بجالة بن عبدة قال: «كنت كاتباً لجزء بن معاوية عم الأحنف، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة: فَرِّقوا بين كل ذي محرم من المجوس، ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس»، وبهذا اللفظ: «أن اقتلوا كل ساحرة وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر» رواه البيهقي في الكبرى وبنحوه، ورواه أحمد، وأبو داود، وصححه الألباني، وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند: إسناده صحيح على شرط البخاري.

(٢) **حفصة بنت عُمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح** بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، ولدت حين كانت قريش تبني الكعبة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بـ ٥ سنوات، وهي أرملة خنيس بن حذافة، عَرَضَ والدها على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما الزواج منها فلم يقبلوا، فذهب للنبي صلى الله عليه وسلم يشتكي ذلك فتزوجها عليه الصلاة والسلام وهو في عمر ٥٥ سنة، وكان عمرها ١٩ سنة، تزوجها عليه الصلاة والسلام مكافأةً لعمر رضي الله عنه لينال شرف المصاهرة، ولم تنجب منه أولاداً، طلّقها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّة واحدة ثم راجعها بأمر الله وأخبره جبريل عليه السلام بأنها زوجته في الجنة، وتسمى (حارسة القرآن) لأن المصحف تُرِك عندها لحفظه، روت ٦٠ حديثاً، وتوفيت في المدينة المنورة سنة ٤٥هـ.

(٣) رواه مالك في الموطأ (ص: ٦٢٨) توزيع رئاسة البحوث الإسلامية، وانظر: فتح المجيد (٢٤٢)، وتيسير العزيز الحميد (٣٩٣).

(٤) وصح عن جندب رضي الله عنه أنه قال: (حد الساحر ضربه بالسيف) والحديث ضعيف: رواه الترمذي: كتاب الحدود (١٤٦٠) باب ما جاء في حد الساحر، والحاكم (٤/ ٣٦٠)، والبيهقي في السنن (٨/ ١٣٦)، والدارقطني (٣/ ١١٤)، والحديث ضعفه الحافظ في الفتح (١٠/ ٢٣٦) وضعفه الألباني =

قال أحمد[1]: «عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ».

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجنّ، وقد يكون من الإِنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

السادسة: أن الساحر يكفر.

السابعة: أنه يُقتل ولا يستتاب.

الثامنة: وجود هذا في المسلمين على عهد عمر رضي الله عنه، فكيف بعده؟

(ش) المناسبة: إدخال باب السحر في التوحيد؛ لأنه لمَّا كان غالباً الساحر يستعمل أموراً شركية، ولا يأتي إلا بالأرواح الشيطانية، والاستخدام لها وتقريب ما تحبه، والساحر غالباً يستعمل الأمور الشركية وحكمه عند العلماء أنه كافر، فلمَّا كان السحر من الكفر والشرك، ناسب أن يذكره المصنف في هذا الكتاب؛ لأنه ينافي التوحيد.

تعريف السحر:

هو ما لطف وخفي سببه[2]، ولذا سمي السحر سحراً لوقوعه آخر الليل خفياً،

= في ضعيف الجامع (٢٦٩٨).

(١) قال الإمام أحمد رحمه الله: ثبت ذلك -يعني: قتل الساحر- من غير استتابة عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ، يعني بذلك: «عمر وجندباً وحفظه» رضي الله عنهم جميعاً.

(٢) **السحر في اللغة:** عبارة عما خفي ولطُف سببه، ولهذا جاء في الحديث: «إن من البيان لسحراً» أخرجه =

فلذا كان السحر من هذا القبيل، وحكم تعلمه وتعليمه وتعاطيه أنه يكفر.

شرح الآيتين الواردتين في الباب

المفردات:

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ﴾: يطلق الجبت، ويراد به عدة معانٍ، ويراد به هنا: السحر كما في تعريف عمر رضي الله عنه، وكما يطلق أيضاً على الشيطان، قولهم: ﴿خَلَٰقٍ﴾[(١)]: أي: لا حظ ولا نصيب.

المعنى الإجمالي للآيات والآثار:

ذكر الله -سبحانه- أن استبدال ما تلقيه الشياطين على أوليائها من السحرة وغيرهم على كتاب الله أنه ليس له حظ ولا نصيب من الخير، يوم القيامة؛ لأنه استبدال عن وحي الرحمن إلى وحي الشيطان، واستبدال تحكيم الكتاب والسنة بتحكيم أعمال الكهنة والسحرة، وكان هو حظهم ونصيبهم في الدنيا والآخرة، كما آمنوا بالسحرة وأعمالهم وصدقوهم بما قالوا، مع أن هذا كفر بالقرآن وإيمان بالطاغوت، والله تعالى يقول: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[(٢)]، وهؤلاء عكسوا وكفروا بالله وآمنوا بالجبت والطاغوت، كان هو حظهم ونصيبهم، قال تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟

=

البخاري، كتاب النكاح (٥١٤٦) باب الخطبة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه مسلم، كتاب الجمعة (٨٦٩) (٤٧) باب تخفيف الصلاة والخطبة، (انظر: كتاب فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد).

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: من نصيب، وقال قتادة: وقد علم أهل الكتاب فيما عهد إليهم: أن الساحر لا خلاق له في الآخرة، وقال الحسن: ليس له دين.

(٢) سورة البقرة: (٢٥٦).

﴿يَعْلَمُونَ ١٠٢﴾[(١)].

ما يؤخذ من الآيتين:

١- من استبدل أقوال الرسول ﷺ وما جاء به في أعمال السحرة فهو حظه ونصيبه من العلم والدين.

٢- أن الجبت هو: السحر، والطاغوت هو: الشيطان، ويدخل في ذلك الكهان من أولياء الشيطان وغيرهم.

٣- أن السحر لا خير فيه، وأنه من أعمال الشياطين.

شرح حديث السبع الموبقات

المفردات:

قوله: (**اجتنبوا**): هو طلب البعد عنها، وهو أبلغ من اتركوا أو لا تفعلوا.

قوله: (**السبع الموبقات**): حصرت بالسبع هنا، قيل: لمناسبة المقام فإنه يقتضي إيراد هذه السبع، أو لغلظهن فخصصهن بذلك.

(**الموبقات**): المهلكات.

قوله: (**الشرك بالله تقدم تعريفه في أول الكتاب**).

وأما **الثانية**: «السحر»: وهو الشاهد فإنه من أكبر الكبائر، وهو محرم تعلمه وتعليمه إجماعاً بين العلماء.

و**الثالثة**: «قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق»: فمن قتل معصوماً فإنه ارتكب كبيرة عليه وعيد شديد، مع الخلاف هل تقبل له توبة أم لا والصحيح قبولها.

---

(١) سورة البقرة: (١٠٢).

والرابعة: «أكلُ الربا»: والمراد به تعاطى الربا والمعاملة به، وعبرَّ بالأكل؛ لأنه أغلب أحواله وإلا فيحرم سائر تعاطي الربا.

والخامسة: «أكل مال اليتيم»: وهو من لا والد له فيتصرف الولي بماله لمصلحته الخاصة دون مصلحة اليتيم، فنهى عن ذلك وعبَّر بالأكل كالربا.

السادسة: «التولي يوم الزحف»: والمراد به عند ملاقاة الكفار فينهزم فهذه كبيرة لا يجوز له التولي يوم الزحف، إلا إن أراد الكر أو التحيز إلى فئة وإلا فهي كبيرة عليه غضب من الله.

والسابعة: «قذف المحصنات الغافلات»: وقذفها بالزنا.

(**المحصنة**): لنفسها بالكسر، وبالفتح المحصن لها غيرها، والمراد حفظ فرجها عن الزنا.

قوله: (**الغافلات**): عمَّا قذفن به.

(**المؤمنات**): جمع مؤمنة وهي: المصدقة بأمر الله وأمر رسوله ﷺ العاملات به الناطقات بذلك.

المعنى الإجمالي للحديث:

أمر الرسول -عليه الصلاة والسلام- بالابتعاد عن هذه السبع المهلكات الموبقات، لمن وقع فيهن لأنهن من أكبر الكبائر، فمن أشرك بالله حبط عمله وخسر دنياه وآخرته، ومن سحر فقد باع دينه بدنياه، لأنه لا يسحر إلا بعد أن يخرج منه الإيمان فيكفر بمجرد ذلك على القول في مذهب أحمد، ومن قتل نفساً معصومة وهو المسلم الذي لا يستحق القتل لا حداً ولا قوداً، فإن من قتله عليه هذا الوعيد الشديد، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ

عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾[(١)]، وابن عباس رضي الله عنهما يغلظ في ذلك فلا يرى أنه له توبة، والصحيح: أنه له توبة عند جماهير أهل العلم، وقد رجع ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله[(٢)].

ومن الموبقات أيضاً: تناول الربا وتعاطيه بيعاً وشراء وأكلاً ومساعدةً في كتابة أو شهادة أو غير ذلك من سائر التصرفات والأعمال، فقد ارتكب إثماً عظيماً وحوباً كبيراً، يقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾[(٣)]، فلا أعظم حرباً ممن حارب الله ورسوله، فقد خاب وخسر، وغلب فأكل مال اليتيم والتصرف فيه بغير مصالح اليتيم من الكبائر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾ ﴾[(٤)].

ومن الكبائر: إذا لقيت عدوك من المشركين بعد التحام القتال، ثم وليت هارباً، غير كارٍ ولا متحيزاً إلى فئة أخرى من المسلمين لتكون لهم ردءاً، أو يكون لك قوة، فتبوء بغضبٍ من الله عليك، كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾[(٥)].

---

(١) سورة النساء: (من الآية: ٩٣).

(٢) الصواب: ابن عباس رضي الله عنه لا يقول بأن القاتل عمداً يكفر بذلك، بل يقول: ليست له توبة، وفرق بين الأمرين، وقد رجع عن قول ذلك رضي الله عنه.

(٣) سورة البقرة الآيات: (٢٧٨-٢٧٩).

(٤) سورة النساء (الآية: ١٠).

(٥) سورة الأنفال (الآيات: ١٥- ١٦).

ومن الكبائر أيضاً: قذف المحصنات المؤمنات الغافلات بزنا، وهي بريئة منه فإن عليه لعنة الله وغضبه، وارتكاب هذا الذنب الشنيع الذي عده الرسول ﷺ موبقاً.

ما يستفاد من الحديث:

١- الأمر بالابتعاد عن هذه الكبائر السبع، وأنهن يوبقن العمل، أي: يحبطنه.

٢- الشرك بالله هو أكبرها.

٣- السحر تعلماً وتعليماً واعتقاداً والتفصيل كالآتي:

(أ) الإمام أحمد ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله: يرون أن الساحر يكفر، بمجرد تعلم السحر وتعليمه، ونقل في المغني لابن قدامة إلى أنه: «إن كان بأدوية وما شابهها، لا يقتل لأنه لا يكفر بذلك»، وأما الشافعي رحمه الله فإنه يقول: «إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر، مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافرِ، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته كفر.ا.هـ.

(ب) ولا خلاف في تحريم تعلمه وتعليمه.

(ج) وهل تقبل توبته؟ ذهب أحمد والشافعي إلى أنه تقبل توبته، قالوا: إن الكافر تقبل توبته، والسحر ليس أعظم من الكفر، فعلى هذا تقبل وهو الذي يظهر، وقال مالك: رواية عن أحمد أنه لا تقبل توبته، قالوا: لأن السحر باق في قلبه لا يزول.

حد الساحر

المفردات:

(حد الساحر): الحد: الحاجز بين شيئين وهو تأديب المذنب، بما يمنعه وغيره عن الذنب.

قوله: (**ضـربه بالسيف**): أي: أنه يقتل بالسيف ضـربةً بالتنوين وبالهاء والتخفيف.

المعنى الإجمالي للآثار:

في الأحاديث دلالة على أن السحر مرض فسادٍ مؤذ، ينبغي أن يوخذ من يتعاطاه بالتعليم أو التعلم أو العمل، والسحر يؤخذ بالشدة والقوة ولو بإزهاق نفسه حفاظاً على إصلاح المجتمع، لأن إفساد الساحر عام للرجل والمرأة والمجتمعات التي يعيش فيها إذا فشا فيها السحر يفسدها ويفسد بعضهم على بعض، ويفرق بينهم ويورث العداوة والبغضاء والقطيعة وربما قَتَلَ بسحره، وربما أمرض بعضهم على بعض، وربما أذهب عقله؛ لذا أوجبت الشريعة تغليظ العقوبة ليردعه وأمثاله، ومعلوم أن القتل من أعظم الذنوب، لكنه هنا ليكون أعظم زجراً وأقرب إلى التقليل من شيوع السحر والسحرة والقضاء عليهم، وورد القتل عن الصحابة، ولم ينكر عليهم، كما قاله أحمد بن حنبل عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.

ما يستفاد من الأحاديث:

١- أن الساحر يقتل بالسيف حداً، مع الخلاف المتقدم في ذلك والتفصيل في هذا الباب.

٢- ثبوت ذلك عن كبار الصحابة، كعمر وابنته حفصة وجندب رضي الله عنهم.

٣- استدلال أحمد على قتله، لثبوته عن ثلاثةٍ من الصحابة قتل الساحر.



أسئلة

١- ما مناسبة باب السحر لما قبله ولكتاب التوحيد؟ ثم اذكر تعريف السحر واشرح معاني المفردات التالية: يؤمنون بالجبت والطاغوت؟ قوله: «من خَلاَقٍ». ثم اشرح الآيات شرحاً مجملاً، مع بيان أحكامها.

٢- من حديث أبي هريرة بيِّن معنى: «اجتنبوا السبع الموبقات»؟ وما هي أكبر الكبائر؟ وما هو الشاهد من الحديث للباب؟ وما هي النفس المحرم قتلها؟ ولماذا خصُّ الأكل للربا دون غيره وكذا مال اليتيم؟ وما المراد بالتولي يوم الزحف؟ وعرف المحصنة؟ وبأي شيء يكون القذف؟ ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً وبين ما فيه من أحكامٍ، مع ذكر خلاف العلماء.

٣- من حديث جندب: عرف الحد لغة؟ وحد الساحر أيضاً؟ ثم اشرح حديث جندب وحديث بجالة، وحديث حفصة رضي الله عنها شرحاً مجملاً، وبيّن الأحكام التي يؤخذ منها.



باب بيان شيء من أنواع السحر

(م) باب بيان شيء من أنواع السحر:

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قَطَن بن قبيصة، عن أبيه، أنه سمع النبي ﷺ قال: «إن العِيَافَة والطَّرْق والطِّيَرة من الجبت» قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض، والجبت: قال الحسن: «رنة الشيطان»، إسناده جيدَ، ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه: المسند منه[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من اقتبس شُعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد) رواه أبو داود وإسناده صحيح[٢].

وللنسائى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «منَ عقَد عُقدة ثم نفث فيها فقد سَحر، ومن سَحر فقد أشرك، ومن تعلَّق شيئاً وُكِلَ إليه»[٣].

---

(١) أخرجه ابن سعد (٧/ ٣٥)، وأحمد (٥/ ٦٠)، رقم (٢٠٦٢٢)، والطبراني (١٨/ ٣٦٩)، رقم (٩٤١) وأخرجه أيضًا: النسائي في الكبرى (٦/ ٣٢٤)، رقم (١١١٠٨) والبيهقي (٨/ ١٣٩)، رقم: (١٦٢٩٢) (انظر: جامع الأحاديث) وابن حبان (١٤٢٦ موارد) ورواه أبو داود كتاب الطب (٣٩٠٧): باب في الخط وزجر الطير، وقال الألباني: ضعيف، وقال الأرناؤوط في تعليقه على المسند: إسناده ضعيف.

(٢) قال الألباني في الصحيحة: رواه أبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجه (٣٧٢٦) وأحمد (١/ ٢٢٧)، ٣١١) والحربي في «الغريب» (٥/ ١٩٥/ ١) عن عبيد الله بن الأخنس عن الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس مرفوعاً. قلت: وهذا إسناد جيد، رجاله كلهم ثقات، وعبيد الله بن الأخنس وثقه أحمد وابن معين وأبو داود والنسائي وابن حبان، إلا أنه قال: «يخطىء كثيراً»! فما أرى أن يعتد بقوله هذا كثيراً! وقال في صحيح الجامع: (صحيح) انظر: حديث رقم: (٦٠٧٤) في صحيح الجامع.

(٣) رواه النسائي، كتاب تحريم الدم (٧/ ١٢٢) باب الحكم في السحرة، وضعفه الذهبي في الميزان=

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ألا هل أُنبئكم ما العَضْة؟ هي النميمة: القالَة بين الناس) رواه مسلم(١).

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (**إن من البيان لسحراً**)(٢).

فيه مسائل:

الأولى: أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق.

الثالثة: أن علم النجوم نوع من السحر.

الرابعة: العقد مع النفث من ذلك.

الخامسة: أن النميمة من ذلك.

السادسة: أن من ذلك بعض الفصاحة.

شرح حديث: «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت»

(**ش**) المناسبة: **لمَّا ذكر السحر وأحكامه وتحريمه والتغليظ في ذلك، ناسب أن يعقب ذلك بذكر شيءٍ من أنواعه، التي تدخل في مسمى السحر، الذي هو طرف من الشرك، وأنواعه أي: ما يدخل تحت اسم السحر، وإن لم يكن بأدويةٍ أو عقد، ومنها أدخل ضرب الحصا، وزجر الطير والضرب بالودع والخط وما شاكل ذلك، فكل هذا داخل**

=

(٢/ ٣٧٨)، وقال الألباني: ضعيف، انظر: حديث رقم (٥٧٠٢) في ضعيف الجامع. لكن جملة (من تعلق شيئاً وكل إليه) رواها الترمذي وغيره وحسنها الألباني.

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب (٢٠٦) (١٠٢) باب تحريم النميمة.

(٢) رواه البخاري، كتاب النكاح (٥١٤٦) باب الخطبة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ومسلم كتاب الجمعة (٨٦٩)، (٤٧) باب تَخْفِيفِ الصَّلاَةِ وَالْخُطْبَةِ. عن عمار رضي الله عنه.

في مسمى السحر.

المفردات:

قوله: (**العيافة**): زجر الطير، وذلك بالتشاؤم بأصواتها أو ممرها، أو التفاؤل بذلك.

قوله: (**والطرق**): الخط يخط بالأرض، وهي الطريقة المستطيلة في الشيء أو الطريق الخفيف في السهل، والمراد به: تخطيط السحرة والمشعوذين، ويدخل فيه ضرب الحصى.

(**والجبت**): تقدم بيانه، ويدخل فيه مسمى السحر.

قوله: (**رنة الشيطان**): الرنين التصويت، وقد ورد(١) أن: «الشيطان رنَّ أربع رنات، رن حين لعن، ورن حين أهبط، ورن حين ولد الرسول، ورن حين أنزلت عليه سورة الفاتحة».

قوله: (**من الجبت**): أي: الجميع داخل في مسمى الجبت.

قوله: (**ولأبي داود...إلخ**): أي: نحو ما تقدم من تفسير الأشياء المذكورة.

المعنى الإجمالي:

ذكر رسول الله ﷺ أن زجر الطير والتشاؤم أو التفاؤل بها أو بغيرها مما تعتقده العرب في جاهليتها، أن لهذه الطيور أثراً في سفر الشخص أو زواجه أو شقائه أو سعادته أو مرضه، وقد أخبر ﷺ أن هذا داخل في السحر، مع أنه خرافات شيطانية لصدِّ الناس عن توحيد الله وتجريده عن شوائب الشرك، فعملوا لتدنيسه بهذه الأشياء من الخطوط في الأرض مما يستدلون به على الأشياء الغائبة عنهم، وكذا أصوات

---

(١) قوله: (وقال الحسن: رنة الشيطان): قلت: ذكر إبراهيم بن مفلح: أن في تفسير بقي بن مخلد: أن إبليس رن أربع رنات: رنة حين لعن، ورنة حين أهبط، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ، ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب... (انظر: كتاب فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد).

الشياطين وإجلابه على الناس، كل هذا داخل في السحر المحرم، فعله وتعليمه واعتقاده، لأنه مناف للتوحيد أصلاً، أو كمالاً على حسب جرم المرتكب، فإن اعتقد أنها تؤثر أو تنفع أو تضر من دون الله، فهذا شرك أكبر، وإن اعتقد أن المؤثر هو الله، ولكن وقع في قلبه شيء منه، فهذا منافٍ لكمال التوحيد الواجب في الاعتقاد، في هذه الأمور وطرد ذلك واعتمد على ربه فلا يضره شيء.

ما يستفاد مما تقدم:

١- تحريم استعمال العيافة والطرق والطيرة المتقدم معرفتها.

٢- أن هذه الأشياء داخلة في السحر.

٣- أن الشيطان لما لعن وأبلس وأهبط، وبعث رسول الله ﷺ، وأنزلت سورة الفاتحة، سمع له رنين وعويل في كل واحدة.

شرح حديث: «من اقتبس شعبة من النجوم ...»

وحديث: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ...»

المفردات:

قوله: (**من اقتبس شعبة من النجوم.... إلخ الحديث**).

(**من اقتبس**): قبس العلم إذا تعلمه، واقتبسته إذا تعلمته.

(**والشعبة**): الطائفة والجزء من الشيء فقد اقتبس تعلَّم.

(**شعبةً من السحر**): أي: تعلم جزءاً من السحر.

قوله: (**زاد ما زاد**): أي: كلَّما زاد في التعلم زاد في الإثم.

قوله: (**من عقد عقدةً**): أي: عقد السواحر، لقوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ

﴿فِي الْعُقَدِ ۝٤﴾[1].

(**والنفث**): هي: القراءة مع الريق والنفخ.

قوله: (**فقد سحر**): أي: أن هذه من أعمال أهل السحر.

(**ومن سحر فقد أشرك**): أي: أن أعمال الساحر من الشرك.

(**ومن تعلق شيئاً وكل إليه**): أي: من تعلق قلبه بالله كفاه الله، ومن تعلق بغيره وكّله الله إليه.

المعنى الإجمالي:

أخبر -عليه الصلاة والسلام- أن تعلم النجوم وهو علم التأثير لا علم التسيير كما سيأتي تفسيره، أن هذه الأشياء من علم النجوم من السحر، وهو حرام تعلمه وتعليمه، كقولهم: إذا طلع نجم كذا، ولد مولود أو مات شخص، أو ولد عظيم أو زال ملك، وما شاكل ذلك من الإخبار بالمغيبات، كنزول المطر أو كون السنة خصباً أو جدباً، أو يكون قحط في المكان الفلاني، أو رخاء أو غير ذلك مما هو من علم الغيب، الذي لا يقدر عليه إلا الله، وهو نوع سحرٍ، وأنه كلمّا زاد في تعلم النجوم والاعتقاد فيها، زاد في الإثم كما أخبر -عليه الصلاة والسلام- أن عقد العقد في الخيوط والنفث فيها أنه نوع سحرٍ، وقد أمر الله نبيه أن يستعيذ من ذلك، وهذا العمل يدخل صاحبه في الشرك، كذلك من تعلق قلبه بالسحر والعقد والنفث، وكّله الله إلى ذلك وبرئ الله منه ورسوله ﷺ، ومن اعتمد على ربه وتوكل عليه حفظه، ووقاه من شر الأشرار بقدرته ومشيئته.

---

(١) سورة الفلق الآية (رقم: ٤).

ما يستفاد من الحديثان:

١- أن علم النجوم والاعتقاد بالتأثير في الأشياء، أنه محرم ونوع من أنواع السحر.

٢- أنه كلمَّا زاد في تعلم ذلك وتوسع في علم النجوم، والاعتقاد فيه أنه يزداد إثماً وعذاباً.

٣- أن العقد التي يستعملها السحرة، أنها من هذا النوع المحرم الممنوع، وأنها نوع شرك.

٤- أن تعلق القلب على الله عبادة، مع كفايته لمن توكل عليه، وتعلقه على غيره شرك، يكله الله عليه.

شرح حديث العضة وحديث: «إن من البيان لسحراً»

المفردات:

قوله: (**ألا هل أنبئكم ما العضة؟.... إلخ الحديث**).

(**العضة**): عضه الرجل جمع: عضة، أي: كذب وسحر ونم، قال الزمخشري: أصلها «العضهة» فعلة من العضة وهو البهت فحذفت لامه، كما حذفت من السَّنَة والشَّفة، وتجمع على «عضين»، قال في القاموس: عضا عضاه يعضوه: ساءه أو اغتاله فسقاه سمَّاً، وصرفه عن الخير، واغتابه أو تناوله بلسانه هي النميمة النم والنميمة التوريش والإغراء، ورفع الحديث على جهة الإشاعة والإفساد، ورجل ينم ونمام ينقل الحديث.

قوله: (**القالة بين الناس**): قال في فتح المجيد: أي: كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس.

قوله: (**البيان**): هو البلاغة في الكلام والفصاحة فيه وإظهاره ويأتي للمدح ويأتي للذم.

المعنى الإجمالي:

الحديث الأول: فيه ذم للنمام، الساعي بين الناس بالإفساد، وإيقاع المشاجرة والنزاع، وربما تقاطع ذوو الرحم بسببه، وربما وقع قِتال وسفك دماء، لأن النمام يزيد في الكلام، ويموه على السامع وكثيراً ما تقع النميمة من الكذاب، فلذا قيل: (**يفسد النمام في ساعةٍ ما لا يفسده الساحر في سنة**)(١)، وقد قال بعض العلماء: «ومن السحر السعي بين الناس بالنميمة» ووجه المناسبة أن الساحر يفسد بأدويته، ويفرق بين الأحبة، والنمام يفسد بلسانه ويفرق، الغرض الذي وصلا إليه واحد وهو الإفساد، والتفرقة وإيقاع العداوة والبغضاء، فلذا صارت النميمة من السحر، أما أن النمام يقتل أو يكفر فهنا يظهر الفرق بين الساحر والنمام.

ما يجوز وما لا يجوز من البيان:

وفي الحديث الثاني: أخبر الرسول -عليه الصلاة والسلام- أن من البيان لسحراً، والبيان تارةً يكون مذموماً، وهو إذا كان فيه نصر للباطل وإدحاض للحق، فهو مذموم؛ لأنه تمويه وتزويق للباطل، وطليه على السامع حتى يخرج في صورة الحق، ويقبله ضعاف العقول والسُذَّج، فيعمل فيهم عمل السحر، فكان محرماً مذموماً، وكان نوعاً من السحر، وأما المحمود فهو الذي في نصر الحق، وإظهاره وتبيينه للناس،

---

(١) قال الشرواني: قال يحيى بن أبي كثير: (يفسد النمام والكذّاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة) حواشي الشرواني (٩/ ١٨١).

(*) وقد ورد بلفظ (شهر): حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَيَّانَ، قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: ثنا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: ثنا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ، عَنِ النَّضر بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ يَحْيَى، قَالَ: «يُفْسِدُ النَّمَّامُ فِي سَاعَةٍ مَا لا يُفْسِدُ السَّاحِرُ فِي شَهْرٍ» حديث مقطوع (انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، حديث رقم (٣٣٦١).

كالخطب التي في نصر الحق، والرسائل والشعر المحمود، كما جرى في عهد الرسول ﷺ ومن بعده، وقد تكلم رجل في مسألة بين يدي عمر بن عبد العزيز رحمه الله فأحسن، فقال: «هذا والله السحر الحلال»[١]، وقد ذم العلماء الذي يطلب غريب اللغة وشواذ الكلم ويسهب في ذلك، (**لأن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها**)[٢] بل ينبغي أن يكون الكلام سهلاً مفهوماً، فهذا هو المحمود كما هو معروف، من السهل الممتنع الذي إذا سمعه الجاهل يظن أنه يحسن مثله. والله أعلم.

ما يستفاد من الحديثان:

١- ذمُّ النميمة والغيبة، والفرق بينهما: أن النميمة هي نقل الحديث، والغيبة هي ذكر الرجل بما ليس فيه، وفيه تقسيم البيان إلى ممدوحٍ ومذمومٍ.

(أ) الممدوح ما كان في بيان الحق ونصره، وإظهاره لتقبله النفوس وإزالة اللبس عنه، حتى يتبين لعامة الناس.

(ب) المذموم ما كان في بيان الباطل، وإظهاره على الحق وإيراده في صورة الحق، بالتلبيس والتمويه على السذج والجهال ليقبلوه.

٢- يجب على الإنسان أن لا يغتر بكل ما سمع، حتى ينقحه ويعرف مصدره، لئلا يكون هذا الكلام من المذموم.

---

(١) انظر: كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، باب الزاي، زيد بن أسلم، الحديث الحادي والأربعون، إن من البيان لسحراً أو إن بعض البيان لسحر، (ص: ١٧٤).

(٢) نص الرواية عن عبد اللهَّ بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً: (**إِن اللهَّ يبغِض البليغ من الرجالِ الذي يتخلل بلسانِهِ كما تتخلل البقرة بلسانها**) رواه الترمذي الأدب (٢٨٥٣)، سنن أبي داود، الأدب (٥٠٠٥)، مسند أحمد (٢/ ١٨٧).

أسئلة

١- ما معنى اقتبس شعبة من النجوم؟ عرف ذلك لغة؟ولماذا كان التنجيم من السحر؟ مع بيان معنى قوله: «زاد ما زاد»؟ وما معنى: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر»؟ وبين معنى من تعلق شيئاً وكل إليه؟ مع شرح ما تقدم شرحاً مجملاً.

٢- ما هو العضه؟ وما هو البيان مفصلاً؟ وفرق بين الغيبة والنميمة، ثم اشرح الحديثين شرحاً مجملاً، وبين ما يدلان عليه من أحكام.



باب ما جاء في الكهان ونحوهم

(م) قوله: باب ما جاء في الكهان ونحوهم:

روي مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**)(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (من أتيى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ) رواه أبو داود. وللأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ) - ولأبي يعلي بسندٍ جيِّدٍ عن أبي مسعود مثله موقوفاً(٣).

وعن عمران بن حصين مرفوعاً: (ليس منَّا من تطير أو تُطيِّر له، أو تكهَّن أو تكُهِّن له، أو سَحر أو سُحر له، ومَن أتى كاهناً فصدَّقهُ بما يقول فقد كفر بما أُنْزِل على محمد

---

(١) رواه مسلم، باب تَحْرِيمِ الْكِهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ، إلا أن لفظ: (فصدقه) ليست عند مسلم!

(٢) قال الإمام الألباني في إرواء الغليل: أخرجه أبو داود (٣٩٥٤) والنسائي (٧٨/ ١) والترمذي (١/ ٢ ٩) والدارمي (١/ ٢٥٩) وابن ماجه (٦٣٩) والطحاوي (٢/ ٦٢) وابن الجارود (١٠٧) والبيهقي (٧/ ١٩٨) وأحمد (٢/ ٤٠٨ و٤٧٦)، وقال: إسناده صحيح.

(٣) رواه أحمد والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما جميعاً من حديث ابن سيرين ولم يخرجاه وحدث البخاري عن إسحاق عن روح عن عوف عن خلاس ومحمد عن أبي هريرة قصة موسى أنه آدر، وقال الذهبي في التلخيص: على شرطهما. قال الألباني في الإرواء: وهو كما قالا، وقال الأرناؤوط في تعليقه على المسند: حسن رجاله ثقات رجال الصحيح، أما الموقوف عن ابن مسعود فقد رواه أبو يعلى في مسنده، وقال محققه حسين سليم أسد: رجاله ثقات.

ﷺ) رواه البزار بإسنادٍ جيد، ورواه الطبراني في الأوسط بإسنادٍ حسنٍ من حديث ابن عباس رضي الله عنه ، دون قوله: **(ومن أتى... إلى آخره)**[١].

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٢٢٨): أخرجه البزار (ص: ١٦٩-زوائده) والطبراني في «الكبير» (ق ٧٣/ ١ - منتقى منه) عن إسحاق بن الربيع أبي حمزة العطار عن الحسن عن عمران بن حصين: أنه رأى رجلاً في عضده حلقة من صفر، فقال له: ما هذه؟ قال: نعت لي من الواهنة. قال: أما لو مت وهي عليك وكلت إليها، قال رسول الله ﷺ: فذكره. وليس عند البزار هذه القصة، وقال: «لا نعلمه عن عمران إلا بهذا الطريق وأبو حمزة بصري لا بأس به». قلت: وفي «التقريب»: «صدوق، تكلم فيه للقدر». فالسند جيد لولا عنعنة الحسن -وهو البصري- فإنه مدلس، مع الخلاف في ثبوت سماعه منه في الجملة. لكن يشهد له حديث ابن عباس مرفوعاً به. أخرجه البزار أيضا والطبراني في «الأوسط» (ص: ٣٩٣ - حرم) عن زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً به. قلت: وقال البزار: «لا نعلمه إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد». وزمعة ضعيف ونحوه سلمة. ويشهد له أيضاً حديث علي بن أبي طالب مرفوعاً به. أخرجه الطبراني أيضاً» (ص: ٥٠١) وأبونعيم في «الحلية» (٤/ ١٩٥) عن عيسى بن مسلم أبي داود عن عبد الأعلى بن عامر قال: قال أبو عبد الرحمن السلمي: «دخلت المسجد وأمير المؤمنين علي المنبر، وهو يقول: «فذكره مرفوعاً في قصة، وقال الطبراني: «لا يروى عن علي إلا بهذا الإسناد، تفرد به عيسى». قلت: وهو لين الحديث، ومثله عبد الأعلى بن عامر، وهو الثعلبي، قال في «التقريب»: «صدوق يهم». قلت: وبالجملة، فحديث الترجمة حسن، بل هو صحيح بهذين الشاهدين. والله أعلم. وحديث ابن عباس قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٣١٠): أخرجه البزار في «مسنده» (ص: ١٦٩ - زوائده) والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٣٩٣) عن زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً. وقال البزار: «لا نعلمه إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، وزمعة ضعيف». وكذا قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢١٧). وأقول: وسلمة بن وهرام قريب منه. لكن للحديث شاهد من رواية أبي حمزة العطار إسحاق بن الربيع: عن الحسن عن عمران بن حصين مرفوعاً بلفظ: «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن عقد عقدة، أو قال عقد عقدة، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد». أخرجه البزار وقال: «قد روي بعضه من غير وجه، فأما بتمامه ولفظه فلا نعلمه إلا عن =

قال البغوي: العرَّاف: «الذي يدَّعي معرفة الأمور، بمقدماتٍ يستدل بها على المسروق ومكان الضالة، ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو: الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عمَّا في الضمير»(١).

وقال أبو العباس ابن تيمية: «العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمّال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق»(٢).

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما - في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم-: **(ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق)**(٣).

فيه مسائل:

الأولى: لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

= عمران بهذا الطريق، وأبو حمزة بصري لا بأس به». وقال المنذري (٤/ ٥٢): (رواه البزار بإسناد جيد، ورواه الطبراني من حديث ابن عباس دون قوله: «ومن أتى...» إلخ، بإسناد حسن). كذا قال، وهو مردود بضعف زمعة، إلا أن يعني: أنه حسن لغيره، فنعم. وقال الهيثمي: «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع، وهو ثقة». قلت: نعم، ولكن الحسن - وهو البصري - مدلس وقد عنعنه، فهو جيد بحديث الترجمة، وأما قوله: «ومن أتى...»، فله شواهد كثيرة، وبعض أسانيدها صحيح، وهي مخرجة في «الإرواء» (٢٠٦٦)، ومع ذلك فقد ضعفه الجاني على السنة في تعليقه على «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٥٩) متجاهلاً إسناده الصحيح. وقد تقدم تخريج الحديث برقم (٢١٩٥)، فقدرت الإعادة لزيادة فائدة.

(١) انظر: شرح السنة للبغوي: (١٨٢/ ١٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (١٣٧/ ٣٥).

(٣) هذا الأثر موضوع: رواه الطبراني في الكبير (١٠٩٨٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، وقال الهيثمي (٥/ ١١٧): «وفيه خالد بن يزيد العمري وهو كذاب»ا.هـ، وأما الموقوف عن ابن عباس فرواه عبد الرزاق (١١/ ٢٦)، والبيهقي (٨/ ١٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسنده صحيح.

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذكر من تُكهِّن له.

الرابعة: ذكر من تُطيِّر له.

الخامسة: ذكر من سُحر له.

السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد.

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعرَّاف.

معنى الكاهن

(ش) المناسبة: لما ذكر الشيخ السحر وأنواعه، ناسب أن يذكر بعده ما هو داخل فيه، أو ضربٌ منه؛ لأن الساحر قد يكون كاهناً أو يأخذ عن الكاهن - جمعه كهنة وكُهَّان والكاهن: اسم فاعل والكاهن عند النصارى واليهود وعبدة الأوثان الذي يقدم الذبائح والقرابين، وربما كان مأخوذاً في الأصل من معنى القضاء بالغيب، كما كانت تفعله الجاهلية والكاهن وهو الذي يخبر عن القرائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة الغيب، ويخبر بالأموال الغائبة، وقد يأخذ عن مسترق السمع من الشياطين، وهذا الأخير هو تعريف الكاهن.

شرح أحاديث النهي عن إتيان العرافين والكهنة

قوله: روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(من أتى عرافاً فسأله عن شيءٍ فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً)**[1].

---

(١) رواه مسلم، كتاب السلام، باب تَحْرِيمِ الْكِهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ، برقم (٢٢٣٠) إلا أن لفظ: (فصدقه) ليست عند مسلم، وفي رواية: (من أتى كاهناً -وفي لفظٍ عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ) أخرجه الإمام أحمد في مسند المكثرين، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (برقم: ٩٢٥٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**من أتي كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**)[١] رواه أبو داود. وللأربعة والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما: (**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**)[٢].

المفردات:

(**العرَّاف**): فَّال للمبالغة، قيل هو: الذي يخبر عن الماضي والمستقبل، وقال بعضهم: العرَّاف دون الكاهن، وسيأتي في كلام الشيخ تعريفه أيضاً، والكاهن: تقدم تعريفه.

قوله عن: «من أتى عرّافاً...إلى آخره»: لم يذكر راوي الحديث، وقد بيَّض له المصنف، وهو مرويٌّ عن أبي هريرة رضي الله عنه، كما رواه أحمد والبيهقي.

المعنى الإجمالي:

أخبر الرسول -عليه الصلاة والسلام- أن من أتى كاهناً أو عرَّافاً وصدقه، وفي بعض الألفاظ: فسأله بدون ذكر التصديق، فإن صلاته لا تقبل أربعين يوماً، دلَّ على جرمه وذنبه، وأنه مرتكب كبيرةً من كبائر الذنوب وموبقة لمرتكبها؛ لأنه من باب التصديق بالسحر، مع العلم أنه لا يؤمر بإعادة الصلاة في هذه المدة، لكن ليس له ثواب فيها، كما أن من مات كاهناً فقد كفر بالكتاب والسنة، لأنهما هما اللذان أُنزلا على محمدٍ

---

(١) قال الإمام الألباني في إرواء الغليل: أخرجه أبو داود (٣٩٥٤) والنسائي (١/ ٧٨)، والترمذي (١/ ٢٩)، والدارمي (١/ ٢٥٩)، وابن ماجه (٦٣٩)، والطحاوي (٢/ ٢٦)، وابن الجارود (١٠٧) والبيهقي (٧/ ١٩٨) وأحمد (٢/ ٤٠٨ و٤٧٦)، وقال: إسناده صحيح.

(٢) **نص الحديث**: (من أتى كاهناً -وفي لفظٍ: عرافاً- فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ) أخرجه الإمام أحمد في مسند المكثرين، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (٩٢٥٢).

ﷺ، وهذا تحذير من ارتكاب مثل هذا العمل، لأنه يحبط الصلاة وثوابها مع الكفر بالكتاب والسنة، ولكنه كفر دون كفر، فعلى هذا لا يخرج من ملة الإسلام، بل مرتكب لكبيرة قد تئول بصاحبها من الخروج عن الإسلام، فيما إذا أصر وتمادى واعتقد فيها وأهلها علم الغيب، أو الإطلاع على شيءٍ منه، والله أعلم.

ما يستفاد من الأحاديث:

١- عظم ذنب الكاهن والعراف والمنجم ومن في معناهم.

٢- أن من أتى واحداً من هؤلاء وسأله لم تقبل صلاته أربعين يوماً.

٣- أن سؤال الكاهن والعراف مع التصديق كفر بالكتاب والسنة وفي بعض الألفاظ مجرد السؤال.

٤- أنه لا يؤمر بإعادة الصلاة لهذه الأيام.

٥- أن صلاته لا ثواب لها[١][٢].

---

(١) قال العلماء: إن معنى ذلك أنه لا يثاب عليها، فهو مأمور بأن يصليها، ولكن لا ثواب له عليها، وإن كانت هي مسقطة للفرض الذي عليه، فإذا أداها قد سقط عنه الفرض وقد أداه، لكنه لا تقبل له الصلاة في معنى أنه لا يؤجر فيما قام به من هذه الصلوات جزاءً لما فعله من ذهابه إلى هذا العراف الذي ادعى علم الغيب.

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «قوله: (فسأله؛ لم تقبل له صلاة أربعين يوماً). ظاهر الحديث أن مجرد سؤاله يوجب عدم قبول صلاته أربعين يوماً، ولكنه ليس على إطلاقه؛ فسؤال العراف ونحوه ينقسم إلى أقسام: **القسم الأول**: أن يسأله سؤالاً مجرداً؛ فهذا حرام، لقول النبي ﷺ: (من أتى عرافاً...)؛ فإثبات العقوبة على سؤاله يدل على تحريمه؛ إذ لا عقوبة إلا على فعل محرم.

القسم الثاني: أن يسأله فيصدقه، ويعتبر قوله؛ فهذا كفر لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن، حيث قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾(النمل: من الآية: ٦٥). =

شرح حديث: «ليس منا من تطير أو تطير له ...»

المفردات:

قوله: (**ليس منا**): أي: ليس من هدي الرسول ﷺ، وهو وعيد شديد على مرتكب ذلك.

قوله: (**من تطير أو تطير له**): فعل الطيرة بنفسه، أو طلب من يفعل ذلك.

قوله: (**أو تكهن أو تكهن له**): أي: تكهن بنفسه أو طلب من يتكهن له بذلك، وكذا معنى قوله: «من سحر أو سحر له» ويقول الشارح فيما تقدم وصدقه وتابعه على ذلك.

المعنى الإجمالي للأحاديث:

حذر الرسول عليه الصلاة والسلام في هذه الأحاديث وبالغ في ذلك أن من طلب من يسحر له أو سحر بنفسه أو طلب من الكهان شيئاً من أنواع الكهانة، فكل من عمل ذلك العمل فهو مخالف لهدي الرسول ﷺ وطريقته، بل خالف أمره وارتكب نهيه، وقد وصفه ﷺ بالكفر بالكتاب والسنة، ولا شك أنه قال ما يقال فيه: إنه كفر دون كفر، أي: لا يخرج من الملة، وتقدم أن الشرك الأصغر أكبر من الكبيرة، وقد تلقى

= **القسم الثالث**: أن يسأله ليختبره: هل هو صادق أو كاذب، لا لأجل أن يأخذ بقوله؛ فهذا لا بأس به، ولا يدخل في الحديث، وقد سأل النبي ﷺ ابن صياد؛ فقال: (ماذا خبأت لك؟ قال: الدخ. فقال: (اخسأ؛ فلن تعدو قدرك)؛ فالنبي ﷺ سأله عن شيء أضمره له؛ لأجل أن يختبره؛ فأخبره. به. القسم الرابع: أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه، فيمتحنه في أمور، وهذا قد يكون واجباً أو مطلوباً وإبطال قول الكهنة لا شك أنه أمر مطلوب، وقد يكون واجباً؛ فصار السؤال هنا ليس على إطلاقه، بل يفصل فيه هذا التفصيل على حسب ما دلت عليه الأدلة الشرعية الأخرى» انتهى من «القول المفيد» (٢/ ٤٩).

علماء السنة هذه الأحاديث بالقبول وشرحوا معانيها.

الفرق بين العراف والكاهن والساحر:

فرق العلماء بين أنواعها، كما نقل عن أحمد رحمه الله: «أن العرافة طرف من السحر والساحر أخبث»، وشيخ الإسلام أدخل في تعريفه العرَّاف أن الكاهن والمنجم والرمال ونحوهم داخل في اسم العرَّاف والذي يظهر أن الكاهن أخبث الأصناف لتلقيه عن الشياطين مباشرة واستخدامهم له والعكس.

ما يستفاد من الأحاديث والآثار:

١- أن الرسول ﷺ بريء ممن يتعاطى السحر بنفسه، أو يطلب من يعمل له ذلك، وكذا الكهانة والطيرة.

٢- تصديق العرَّاف مع سؤاله كفر بالكتاب والسنة.

٣- دخول الكهانة والتنجيم والضرب بالحصى والرمل باسم العرافة.

٤- أن العرافة طرف من السحر، والجميع خبيث من أعمال الشيطان.

٥- اختلاف العلماء في كفر من أتى الكاهن أو العراف، مع التصديق هل هو كفر مخرج من الملة أو كفر دون كفر.

(أ) يرى الإمام أحمد: التوقف، وأنه لا يقال يخرج من.

(ب) يرى بعض العلماء التفصيل، وهو من تلقى هذه الأمور وتعاطاها، وتابع عليها وصدق فهو كافر، كالساحر والكاهن لادعائهم علم الغيب وتصديقهم بذلك.

(ج) مجرد التعاطي أو السؤال مع عدم التصديق يكون من باب: كفر دون كفر، والله أعلم.

شرح أثر ابن عباس فيمن يكتب أبا جاد وفوائده

المفردات:

قوله: (**في حديث ابن عبَّاس** رضي الله عنهما **في قومٍ يكتبون أبا جاد**): هو ما يسمى علم الحرف، وذلك بأن يركب حروف أبا جاد على النجوم، ثم يستدل بها على الحوادث، هذا هو المقصود من هذا العلم، وهي المعروفة بحروف التهجي «أبجد هوز»... إلى آخره، لأن كل حرف يأخذ رقماً.

قوله: (**وينظرون في النجوم**): هو: علم التأثير، يعني: تركيب هذه الحروف مع النجوم، واعتقاد أن لها أثراً في الحوادث، فهذا هو المحرم.

قوله: (**ما أرى**): أي: ما أظن، بضم الهمزة.

(**من خلاق**): أي: من نصيبٍ وحظ.

المعنى الإجمالي للأثر:

هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما ذكره الشيخ رحمه الله هنا إلحاقاً لهذا النوع بهذا الباب، وأن هذا العلم علم حروف «أبجد هوز» إذا ركبها على النجوم ثم استدل بتلك على الحوادث أنه محرم، وأنه نوع من السحر لا حق فيه، وأنه قد فقد حظه ونصيبه في الآخرة، بسبب اعتقاده أن من النجوم مع تلك الحروف أثراً في الحوادث الغيبية، التى استأثر الله بعلمها، ونسب الحوادث الحاضرة والغائبة إلى النجوم، ولا شكَّ في كفر من اعتقد هذا الاعتقاد وهو من علم الغيب.

ثم قال ابن عباس رضي الله عنه : ليس له عند الله من خلاق، فهو فاقد الخير والحظ، لادعائه أشياء قد استأثر الله بها، من نزول الأمطار وهبوب الرياح وموت وحياة.

ما يفيده الأثر:

١- تحريم تعلم حروف أبجد، للاستدلال بها[١] على الحوادث والنوازل، مع تركيبها مع النجوم.

٢- تعلم حروف أبجد إلى آخره للتهجي لا بأس به.

٣- تحريم تعلم النجوم وتركيب الحروف عليها، مع ادعاء شيء من علم الغيب.

٤- أن من فعل هذا الفعل ليس له حظ ولا نصيب في الآخرة.

٥- كفر من ادعى بها شيئاً من علم الغيب، وتقدم.



أسئلة

١- ما هي العِضَة والنميمة؟ وبيِّن معنى البيان في قوله: «إن من البيان لسحراً محموده ومذمومه» ثم اشرح الحديثين شرحاً مجملاً وبين ما يستفاد منهما من أحكام؟

٢- عرف الكهان والعرَّاف. وما الذي أنزل على محمد ﷺ؟ وهل الكفر المراد به المخرج من الملة أم التفصيل في ذلك؟ اشرح الحديث شرحاً مجملاً مع بيان أحكامه؟

٣- اشرح حديث: «ليس منَّا من تكهن أو تكهن له»، وبيِّن معنى مفرداته وبيان أحكامه على ما مرَّ بك؟

٤- ما المراد بقوله: أبا جاد؟ اشرح الحديث المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفصل القول في ذلك مع بيان أحكامه؟



---

(١) بهذا القيد أمَّا لو تعلمها واستعملها للحساب، والعدّ أو لترقيم الجمل والفقرات فلا حرج في ذلك ولا محظور.

باب ما جاء في النشرة

(م) قوله: باب ما جاء في النشرة:

عن جابر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة، فقال: (هي من عمل الشيطان) رواه أحمد بسندٍ جيِّدٍ وأبو داود[١]، وقال: سئل أحمد عنها، فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

وفي البخاري عن قتادة «قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو من ينشر، قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه» انتهى[٢].

وروى عن الحسن أنه قال: «لا يحل السحر إلا ساحر»[٣].

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٦١١): أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٢٩٤) وعنه أبو داود في «السنن» (٣٨٦٨) ومن طريقه البيهقي (٩/ ٣٥١): حدثنا عبد الرزاق حدثنا عقيل بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه يحدث عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله ﷺ عن النشرة؟ فقال: «هو من عمل الشيطان». قلت: وهذا إسناد صحيح، وقوله (وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله).

(٢) رواه البخاري معلقاً انظر: تبويب البخاري عند حديث رقم (٥٧٦٥)، قال الإمام الألباني في الصحيحة وصله الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢٣٣) من رواية الأثرم وغيره من طرق عن قتادة عنه. ورواية قتادة أخرجها ابن أبي شيبة (٨/ ٢٨) بسند صحيح عنه مختصراً، ثم قال: (أي: الألباني) وأثر سعيد (يحمل) على الاستعانة بالرقى والتعاويذ المشروعة بالكتاب والسنة. وإلى هذا مال البيهقي في «السنن»، وهو المراد بما ذكره الحافظ عن الإمام أحمد أنه سئل عمن يطلق السحر عن المسحور؟ فقال: «لا بأس به».

(٣) قال في فتح المجيد: هذا الأثر ذكره ابن الجوزي في جامع المسانيد، (وانظر أيضاً: فتح الباري =

قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: «حل بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة، فهذا جائر، بل مستحب» انتهى[(١)].

فيه مسائل:

- **الأولى**: النهي عن النشرة.
- **الثانية**: الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه عما يزيل الإشكال.

تعريف النشرة

(**ش**) المناسبة: **لمَّا ذكر الشيخ رحمه الله السحر وأنواعه، وما يدخل فيه من المحرمات؛ ناسب أن يعقب ذلك بما يفعل بالمسحور من الأدوية والرقى، وما يجوز وما لا يجوز، في حل السحر عن المسحور في الباب هنا.**

تعريف النشرة: نشرت عن العليل نشراً، ونشرت عنه تنشيراً إذا رقيته بالنشرة، كأنك تفرق عنه العلة، وكذا نشرت عن المريض والمجنون عوذه بالنشرة، وكذلك إذا كتب له النشرة، وعرفت النشرة بأنها حل السحر عن المسحور، فهذا تعريف النشرة لغةً واصطلاحاً.

المفردات:

قوله: (**سئل عن النشرة**): أي: المعهودة في الجاهلية.

=

(١٠/ ٢٣٣).

(١) انظر: فتاوى إمام المفتين لابن القيم (ص: ٢٠٧، ٢٠٨).

قوله: (**طب**): أي: سحر.

قوله: (**يؤخذ عن امرأته**): أي: عن الوصول إليها.

المعني الإجمالي:

في الأحاديث والآثار الواردة في الباب أن النشرة من عمل الشيطان ومن تزيينه، ولأنَّ الناشر والمنتشر يتقربان إلى الشيطان، بما يحب ويبطل عمله الأول عن المسحور، فهذا عمل سحرٍ محرمٍ؛ لأنه تقرب إلى الشيطان بما يحب، وابن مسعود ﵁ يكره هذا العمل وغيره من سائر الأدوية استدلالاً بقول الرسول ﷺ المشار إليه، وهو ما ذهب إليه الحسن ﵁، لأنه لا يحل السحر إلا ساحر، فهو محرم عندهما، ولا يجوز عمل شيء من ذلك مطلقاً، أما ابن المسيب ﵀، فإنه يرى الجواز في إصلاح المريض ومعالجته بالرقى والأدوية والدخنة المباحات، ويمنع مما سوى ذلك من الأشياء المحرمة، وقد أحسن ابن القيم وفصَّل القول في ذلك، فإنه إن كان بسحرٍ مثله فهو محرم، وعليه حمل قول ابن مسعود والحسن، ﵄، وأما بالأدوية والدخنة والدعوات والرقية، فهذا مباح، وعليه حمل قول ابن المسيب، وما أحسن ما قال ﵀.

ما يستفاد من الباب:

١- معرفة النشرة وأنها حلُّ السحر عن المسحور.

٢- انقسام النشرة إلى قسمين: ممنوع ومباح:

(أ) الممنوع: ما يحل بأنواع السحر والطلاسم، فهو محرم.

(ب) المباح ما كان بالأدوية والدعوات، والرقى المعروفة من الكتاب والسنة، فهذا مباح.



أسئلة

١- ذكر الشيخ النشرة هنا فما مناسبتها؟ عرف النشرة؟ ومعنى: نشر وطب، ثم اشرح ما تقدَّم في الباب شرحاً مجملاً مع بيان أحكامه، ثم قسم النشرة واذكر الجائز والممنوع؟



باب ما جاء في التطير

(م) قوله: باب ما جاء في التطير، وقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾[١].

وقوله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر) أخرجاه[٣]، زاد مسلم: **(ولا نوء ولا غول)**[٤].

ولهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل. قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة)**[٥].

---

(١) سورة الأعراف: (من الآية: ١٣١).

(٢) سورة يّس (الآية: ١٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب الطب (٥٧٥٧): باب لا هامة دون الزيادة، ومسلم، كتاب السلام (٢٢٢٠)، (باب لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ وَلاَ نَوْءَ وَلاَ غُولَ وَلاَ يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ).

(٤) (زيادة ولا نوء): وردت عن أبي هريرة رضي الله عنه، (أما ولا غول) رواه مسلم كتاب السلام (٢٢٢٢) (١٠٧) باب: لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ وَلاَ نَوْءَ وَلاَ غُولَ وَلاَ يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ)، عن جابر رضي الله عنهما.

(٥) رواه البخاري، كتاب (٥٧٧٦) باب لا عدوى، ومسلم، كتاب السلام (٢٢٢٤) (١١٢) (باب الطِّيَرَةِ وَالْفَأْلِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ الشُّؤْمُ) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ورواه البخاري أيضاً في كتاب الطب برقم (٥٧٥٥) باب الفأل، ومسلم أيضاً كتاب السلام (٢٢٢٣) (١١٠): باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولأبي داود بسندٍ صحيحٍ عن عقبة بن عامر قال: (**ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: أحسنها الفأل، ولا تردُّ مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهُّم لا يأتي الحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك**)(١).

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه مرفوعاً: (الطيرة شرك وما منَّا إلا(٢)، ولكن الله يذهبه بالتوكل)(٣) رواه أبو داود والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعودٍ.

---

(١) قال الإمام الألباني في الضعيفة: (ضعيف الإسناد) أخرجه أبو داود (٢/ ١٥٩) من طريق سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند النبي ﷺ فقال: فذكره. وأخرجه ابن السني (رقم: ٢٨٨) من طريق الأعمش عن حبيب به، إلا أنه قال: «عقبة بن عامر الجهني» بدل: «عروة بن عامر». وأظنه تصحيفاً من بعض الرواة. وهذا إسناد ضعيف، وإن كان رجاله ثقات، فإن حبيب بن أبي ثابت كثير التدليس، ولم يصرح بالتحديث، وعروة بن عامر ذكره ابن حبان في ثقات التابعين، فالحديث مرسل، وقيل: إن له صحبة، وقال الحافظ في «التهذيب»: «أثبت غير واحد له صحبة، وشك فيه بعضهم، وروايته عن بعض الصحابة لا تمنع أن يكون صحابياً، والظاهر أن رواية حبيب عنه منقطعة». وقال في «الإصابة» بعد أن ساق الحديث من طريق أبي داود وغيره: «رجاله ثقات، لكن حبيب كثير الإرسال».انظر: حديث رقم: ١٩٩ في ضعيف الجامع.

(٢) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: (في الحديث حذف يعرف بالقرينة، أي: إلا ويقع في نفسه شيء من التأثير بحسب العادة والوراثة، ولكن الله يذهبه من قلب المؤمن؛ لإيمانه بأن حركة الطير لا تأثير لها في سير المقادير. ا. هـ. من [مجموعة التوحيد النجدية]. (ط مكة المكرمة ١٣٩١هـ) (ص: ٣٧).

(٣) الحديث صحيح: رواه أبو داود، كتاب الطب (٣٩١٠): باب في الطيرة، وفي لفظ أبي داود: (الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك. ثلاثاً)، ورواه الترمذي، كتاب السير (١٦١٤): باب ما جاء في الطيرة، وقال: هذا حديث حسن صحيح، رواه ابن ماجه، كتاب الطب (٣٥٣٨): باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، مسند أحمد بن حنبل (١/ ٤٤٠)، ابن حبان: =

ولأحمد من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما: **(من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك)**(١).

وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنه: **(إنما الطيرة ما أمضاك أو ردَّك)**(٢).

فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مع قوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾.

الثانية: نفي العدوى.

الثالثة: نفي الطيرة.

= (١٤٢٧- موارد)، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٤٢٩)، وزيادة «وما منا إلا...» مدرجة كما نص على ذلك البخاري وغيره، راجع الترغيب والترهيب للمنذري (٤/ ٦٤).

(١) الحديث صحيح: رواه أحمد في مسنده برقم (٢٨٢٢٠) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وقال الهيثمي بعد أن عزاه لأحمد والطبراني (٥/ ١٠٥): «وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجاله ثقات» ا.هـ، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٦٥) لأنه من رواية ابن وهب - أحد العبادلة عنه وهي صحيحة، ثم قال الألباني (٣/ ٥٤): فينبغي أن ينبه على ذلك في التعليق، حيث عزا الحديث لأحمد ثم أعله بابن لهيعة، فأوهم ضعف الحديث!

(٢) **نص الحديث**: عن الفضل بن عباس رضي الله عنه قال: (خرجت مع رسول الله ﷺ يوماً، فبرح ظبي، فمال في شقه فاحتضنته، فقلت: يا رسول الله، تطيرت، فقال: إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك) وفي إسناده انقطاع، أي: بين مسلمة رواية وبين الفضل وهو الفضل بن عباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ، رواه أحمد (١/ ٢١٣) والحديث إسناده ضعيف فيه انقطاع، كما ذكر سابقاً، وضعفه أيضاً ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/ ٣٧٧).

الرابعة: نفي الهامة.

الخامسة: نفي الصفر.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يُذْهِبُه الله بالتوكل.

التاسعة: ذكر ما يقول من وجده.

العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

تعريف الطيرة

«ش» **المناسبة: لما ذكر السحر وأنواعه وما يدخل فيه، ناسب أن يذكر بعده الطيرة، التي هي شبيهة به، لأن الأول يمنعه أو يرده قول الكاهن أو فعل الساحر أو غيرها، وهذا يرده التشاؤم بالطيور بأصواتها أو ممرها أو الظباء أو غير ذلك، فناسب أن يذكره بعده.**

تعريف الطيرة لغة: والطيرة ما يتشاؤم به من الفأل الرديء، وتطير به ومنه، وهو اسم مصدرٍ من تطير طيرةً كما يقال: تخير، ولم يجيء من المصادر على هذا الوزن غيرهما، وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطيور والظباء وغيرها، وقد سئل «رؤبة بن العجاج»[1] عنها فقيل له: «ما السانح، فقال: ما ولاَّك ميامنه؛ فقيل: ما البارح؟ فقال:

---

(١) **رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي**، من رجاز الإسلام وفصائحهم، وهو من مخضرمي الدولة الأموية والعباسية، وكان رأساً في اللغة، وكان أبوه قد سمع من أبي هريرة قال خلف الأحمر: سمعت رؤبة يقول: ما في القرآن أعرب من قوله تعالى: =

ما ولاَّك مياسره، وما أتى من أمامك. فهو الناطح والنطيح، والذي من خلفك فهو القاعد والقعيد».

شرح الآيات الواردة في الباب

المفردات:

قوله: ﴿طَٰٓئِرُهُمۡ﴾: ما قُضِي وقُدِّر عليهم، وهو ما يتشاءمون به من موسى وقومه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾: أي: ضلالاً وجهلاً لا يدرون ولا يفهمون.

﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾ أي: حظكم فما أصابكم من شر بسبب مخالفتكم لرسل الله.

﴿أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ﴾: أي: من أجل أن ذكرناكم ورددتم علينا ذلك.

﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾: أي: عادون عن الحق إلى الضلال.

المعنى الإجمالي للآية:

ذكر الله عز وجل أن قوم فرعون كانوا يتشاءمون بموسى ومن معه من بني إسرائيل، ويتطيرون بهم، فأخبر -تبارك وتعالى- أن ما أصابهم هو بسبب ذنوبهم، وهو مقدر من عند الله، ولكن أكثرهم لا يعلمون الحق، ولا يعرفون الباطل الذي هم مرتكبوه، فأصابهم ما أصابهم على ذنوبهم وإجرامهم، كما أخبر -سبحانه- أن بعضاً من أمم الأنبياء كانوا يتشاءمون بأنبيائهم وصالحيهم، فأعلمهم أن ما أصابهم بسبب ردهم الحق، وعدم تذكرهم لنعم الله وآلائه، وقبول ما جاءت به أنبياؤه، وإسرافهم في ذلك فطائرهم ملازم لهم وفي أعناقهم ما داموا على ذلك مصرين.

= ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ قال النسائي في رؤبة: ليس بالقوي. وقال غيره: توفي سنة خمس وأربعين ومائة.

ما يؤخذ من الآيتين:

١- أن الجاحدين لآيات الله المكذبين لرسله يتشاءمون من أهل طاعة الله.

٢- إخباره بأن هؤلاء مشؤومون بأنفسهم، بجهلهم وعنادهم وتكذيبهم.

٣- أن كثيراً من المسرفين يردون الحق، على من قال ويرمونه بما هو من خصائصهم، وهو في أعناقهم لازم لهم، وهو موجود في كل زمان ومكان.

شرح أحاديث نفي العدوى والطيرة وما في معناهما

المفردات:

قوله: (**لا عدوى**): معناها لغةً: أعداه أعداءً، إذا أكسبه من خلقه أو علة به، أو جرب إن أكسبه مثلماً به.

قوله: (**الهامة**): هي: البومة وهي من طيور الليل يتشاءمون بها.

(**ولا صفر**): هي: حيَّة تكون في بطن البعير، أعدى عند العرب من الجرب، وقيل: شهر صفر، ولا نوء هو واحد الأنواء.

(**ولا غول**): الغول بالضم واحد الغيلان جنس من الجن، يتراءى بأشكالٍ وصورٍ مختلفة.

قوله: (**الفأل**): الفأل يستعمل فيما يسر غالباً، وهو ضد الطيرة، كأن يسمع كلاماً طيباً فيتفاءل به، والفأل يعجب الرسول ﷺ[1] كقولك للمريض: يا سالم، ولمن قصد سفراً: يا راشد، أو غير ذلك مما يسر.

---

(١) فعلى هذا يكون الفأل مستحباً كما أن التطير محرّم.

المعنى الإجمالي للحديثين:

أخبر الرسول ﷺ أنه لا عدوى، حيث كان العرب يبتعدون عن المريض خشية من إعدائه بمرضه، كجربٍ أو جُدَرَيٍّ أو غيره، فرد هذا الاعتقاد كما رد الطيرة، وهو التشاؤم بالطيور وأصواتها وممرها والظباء وصياح البومة في الليل على البيوت، والأمراض الأخرى التي تصيب الدواب فيعتقدون أنها تنقل بنفسها، أو تنعي الشخص إلى نفسه، كصياح الطير بالليل أو أحد من أهل البيت، فهذا أبطله الشارع، وكذا أبطل الاعتقاد أن بعض الأزمنة مشؤومة كشهر صفر، فكانوا لا يتزوجون ولا يزوجون فيه إلى غير ذلك مما ينافي التوحيد أو كماله، ولَمَّا كان المقدر والمدبر هو الله، والناقل للمرض هو الله، ومن توكل عليه كفاه، نهي عن التشاؤم والتطير بهذا، وقد أكل مع مجذوم وقال: (**كل بسم الله توكلاً على الله**)(1)، وأرشد أن الطيرة لا خير فيها، ولكن الفأل هو أحسنها؛ لأن فيه زيادة تعلق القلب بالله ورجائه، بخلاف الطيرة وكان يعجبه اسم الرجل الحسن، إذا أراد أن يبعثه ويتفاءل بالاسم الحسن، ولكن لا يرده عن عمل أراده.

الجمع بين حديث: نفي العدوى، وحديث: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»:

ما الجمع بين قوله ﷺ: (**لا عدوى ولا طيرة... إلى آخره**)(2)، وقوله: (**لا يورد**

(1) وثبت عنه ﷺ أنه أكل مع مجزوم، وقال: (كل بسم الله ثقة بالله) أخرجه الترمذي في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل مع المجذوم، برقم (١٧٣٩)، وأبو داود في كتاب الطب، باب في الطيرة، برقم (٣٤٢٤)، وابن ماجه في كتاب الطب، باب الجذام، برقم (٣٥٣٢).

(2) رواه البخاري: كتاب (٥٧٧٦) باب لا عدوى، ومسلم: كتاب السلام (٢٢٢٤) (١١٢) (باب الطِّيَرَةِ وَالْفَأْلِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ الشُّؤْمُ) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ورواه البخاري أيضاً في كتاب الطب برقم (٥٧٥٥) باب الفأل، ومسلم أيضاً كتاب السلام (٢٢٢٣) (١١٠): باب =

ممرض على مصح)[١]، وبين قوله: (**فر من المجذوم فرارك من الأسد**)[٢]، وقوله: (**الشؤم في ثلاث في: المرأة والدابة والدار**)[٣] أما نفي العدوى فهو اعتقاد أن المرض يتعدى بنفسه وطبعه كما تعتقده الجاهلية، فنفى ذلك وهو معنى: «لا عدوى ولا طيرة»، ولا مانع أن الله ينقله إذا أراد، من المريض إلى الصحيح، كما في قوله: «لا يورد ممرض على مصح» والحديث الآخر: «فرَّ من المجذوم فرارك من الأسد» وكما يجعل في بعض الأشخاص شؤم كالمرأة والدابة والدار فيكون شؤماً على من قاربها، وقد يجعل في بعضها بركةً على من قاربها، فلا منافاة فالطيرة والعدوى هو اعتقاد جاهلي، يعتقدون أن هذه الأمراض تنتقل بطبعها، بخلاف اعتقاد المسلمين أن الله قادر على نقله إلى الصحيح، وجعله بعض الأحيان شؤماً وبعضها بركة، كما يجعل ذلك على من قاربها والله أعلم.

= الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب لا هامة، برقم (٥٣٢٨)، ومسلم في كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء، برقم (٤١١٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في باب مسند المكثرين برقم (٩٣٤٥).

(٣) ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (الشؤم في ثلاث: في المرأة والبيت والدابة) وفي لفظ (الفرس)، صحيح البخاري الجهاد والسير (٢٨٥٨)، صحيح مسلم، السلام (٢٢٢٥)، سنن الترمذي، الأدب (٢٨٢٤)، سنن النسائي، الخيل (٣٥٦٩)، سنن أبي داود، الطب (٣٩٢٢)، سنن ابن ماجه، الطب (٣٥٤٠)، موطأ مالك، الجامع (١٨١٧)، وفي لفظ آخر: (إن كان الشؤم ففي ثلاث ثم ذكرها...) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما يذكر من شؤم الفرس، برقم (٢٨٥٨).

ما يستفاد من الأحاديث:

١- لا يجوز اعتقاد أن العدوى تنتقل بنفسها.

٢- أصوات الظباء والطيور لا يجوز أن ترد عن حاجةٍ، أو تمضي لها، لأن في ذلك اعتماد القلب على غير الله وإنجذابه إليها، فهو منافٍ لكمال التوحيد.

٣- اعتقاد أن الله قادر على نقل المرض إلى الصحيح بقدرته وتدبيره.

٤- اعتقاد البركة أو الشؤم في بعض الأحيان لا ينافي التوحيد والتوكل، لقدرته سبحانه في جعل الشؤم والبركة فيها ومن قاربها.

شرح أحاديث الطيرة شرك وكفارتها

المفردات:

قوله في الحديث: «ذكرت الطيرة عند رسول الله، فقال: أحسنها الفأل... الحديث».

(**فإذا رأى أحدكم ما يكره**): أي: من الطيور وأصواتها المتقدم.

(**فليقل**): أي: فليدع بالدعاء الآتي.

قوله: (**اللَّهم**): منادى حذفت منه ياء النداء، والميم عوض عن يا، والتقدير ياء اللهم[1].

قوله: (**لا يأتي بالحسنات**): وهي الخير والسعادة.

(**إلا أنت**): فالذي يأتي بها هو الله.

(**ولا يدفع السيئات**): وهي المصائب لا يدفعها قبل نزولها أو يرفعها بعد نزولها

---

(١) لعل صوابه: والتقدير (يا الله) لأن الميم عوض الياء فكيف يجمع بينهما.

أحد إلا الله.

وقوله: «لا حول»: أي: لا تحول من حال إلى حال.

(ولا قوة إلا بك) أي: ولا قوة عليه إلا بالله ولا قدرة لي على ذلك إلا بإعانتك وتوفيقك.

وقوله: «الطيرة شرك»: أي: هي من الشرك الذى لا يخرج من الملة والتكرار للتأكيد.

(وما منا): إلا التقدير إلا ويقع في قلبه شيء.

(ولكن الله يذهبه بالتوكل): أي: عليه والتفويض والاعتماد.

ومعنى قوله: «ما أمضاك أو ردك»: أي: الطيرة المحرمة، التي تمضيك لحاجتك أو تردك عنها.

المعنى الإجمالي:

في الأحاديث زجر عن الطيرة وارتكابها، وأن الإنسان إذا كان لا بدَّ فاعلاً فأحسنها الفأل، وهو الكلام الطيب الباعث على تعلق القلب على ربه؛ أما من وقع في قلبه شيء من الطيرة المذمومة فعليه بما أرشد إليه الرسول ﷺ من الأدعية المذكورة في الأحاديث المتقدمة، ولا ينبغي أن تصرفه الطيرة عن حاجته ولا تمضيه لها، لأن هذا شرك كما قال الرسول ﷺ: (الطيرة شرك)، وإذا وقع في القلب شيء منها فعليه باللجوء إلى الله، والمضي في حاجته والدعاء بما علمه أصحابه، فإن ذلك لا يضر بمجرد خطوره بقلبه، وإنما الشرك هو ميل القلب عن الله إلى هذه الأصوات، والخوف منها والفزع والذعر والارتباك فيما عزم عليه، فهذا المذموم المحرم المنهي عنه، فتنبه لذلك.. والله الموفق.

ما يستفاد من الأحاديث:

١- أن الفأل من الطيرة ولكنه أحسنها.

٢- إذا وقع في قلب العبد شيء، ينبغي أن يدعو بما أرشد إليه الرسول ﷺ في الحديث.

٣- لا يضر إذا وقع في القلب شيء من الطيرة، ولم يرده عن حاجته ولم يمضه لها.

٤- التوكل مطلوب مرغوب فيه، وهو من العبادة وضده بضده.



أسئلة

١- بيِّن مناسبة باب ما جاء في التطير هنا، ثم عرِّف الطيرة لغةً واصطلاحاً؟ عرف السانح والبارح والقاعد والقعيد والناطح والنطيح؟ ثم اشرح الآية الكريمة: «ألا إنما طائرهم عند الله» والآية **الثانية**: «قالوا طائركم معكم»؟ بيِّن معنى: «طائركم معكم»؟ ومعنى: «ولكن أكثرهم يجهلون»؟ ومعنى: «ائن ذكرتم»؟ ومعنى: «بل أنتم قوم مسرفون»؟ ثم اشرح الآيتين شرحاً مجملاً، وبيِّن ما فيهما من أحكام؟

٢- الحديث: «لا عدوى ولا طيرة» إلى آخره. بيِّن معنى: «لا عدوى؟» واجمع بينه وبين حديث: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»، «ولا يورد ممرض على مصح» وكذا قوله: «الشؤم في ثلاث» مع بيان معنى: لا طيرة؟ ومعنى: «لا هامة»؟ «ولا صفر»؟ «ولا غول»؟ وما هو الفأل؟ وماذا يستعمل له غالباً؟ ثم اشرح الحديثين شرحاً مجملاً، وبين ما فيهما من أحكام.

٣- ما أحسن الطيرة؟ وهل ينسب الفعل للطيرة؟ وماذا يقول من رأى ما يكره؟ ومعنى: اللَّهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت؟ مع بيان الحسنات والسيئات في الحديث، مع بيان معنى «لا حول ولا قوة إلا بك» وما معنى الطيرة شرك؟ ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً، وبين ما فيه من أحكام؟



باب ما جاء في التنجيم

(م) باب ما جاء في التنجيم:

قال البخاري في صحيحه قال قتادة: (خلق الله هذه النجوم لثلاثٍ: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غيَّر ذلك فقد أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به) انتهى[١]، وكره قتادة: تعلُّم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، ومصدق بالسحر، وقاطع الرحم)** رواه أحمد وابن حبان في صحيحه[٢].

---

(١) رواه البخاري معلقاً: (باب في النجوم).

(٢) قال الإمام الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (صحيح لغيره) وقال في الضعيفة: أخرجه ابن حبان (١٣٨٠ و١٣٨١) والحاكم (٤/ ١٤٦) وأحمد (٤/ ٣٩٩) وأبو نعيم في «أحاديث مشايخ أبي القاسم الأصم» (ق ٣١/ ١) عن الفضيل بن ميسرة عن أبي حريز أن أبا بردة حدثه عن أبي موسى، أن النبي ﷺ قال.. فذكره. وقال الحاكم: «صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي، وقال الأرناؤوط في تعليقه على المسند على هذه الفقرة فقط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف، وقد ضعف الألباني تمام هذا الحديث في السلسلة الضعيفة حيث قال: (ضعيف) وقال بعد قوله ووافقه الذهبي: وفيه نظر، فإن أبا حريز هذا واسمه عبد الله بن الحسين، قال الذهبي نفسه في «الميزان»: «فيه شيء». ولذلك أورده في «الضعفاء» وقال: «قال أبو داود: ليس حديثه بشيء، وقال جماعة: ضعيف، ووثقه أبو زرعة».وفي «التقريب»: «صدوق يخطىء».

- الخلاصة أن الفقرة التي ذكرها الشيخ الجطيلي فقط (صحيحة لغيره عند الألباني) وحسنة لغيره عند الأرناؤوط كما في تعليقه على المسند.

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الردُّ على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد في من صدَّق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.

(**ش**) المناسبة: **لَّما كان علم التنجيم فيه إخبار بالمغيبات التي لا يطلع عليها غالباً إلا الله، وهذا محرم تعاطيه والتصديق به، وهو نوع شركٍ ناسب أن يذكره الشيخ هنا، لأن هذا كله وما قبله يوقع العبد في عدم إكمال التوحيد.**

تعريف التنجيم

علم التنجيم علم يبحث فيه عن أحوال الشمس والقمر، وغيرهما من الكواكب، وموضوعه النجوم من حيث يمكن أن تعرف بها أحوال العالم، وعرف بأنه هو: الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، وهو ما يستدل به أهل التنجيم، من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في المستقبل، كهبوب الرياح ونزول المطر(١).

---

(١) قد جاء في فتاوي اللجنة الدائمة: معرفة الطقس، أو توقع هبوب رياح أو عواصف، أو توقع نشوء سحاب، أو نزول مطر في جهة مبني على معرفة سنن الله الكونية، فقد يحصل ظن لا علم لمن كان لديه خبرة بهذه السنن عن طريق نظريات علمية أو تجارب عادية عامة، فيتوقع ذلك ويخبر به عن ظن لا علم فيصيب تارة ويخطئ أخرى.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: وليس من الكهانة في شيء من يخبر عن أمور تدرك بالحساب؛ فإن الأمور التي تدرك بالحساب ليست من الكهانة في شيء، كما لو أخبر عن كسوف الشمس أو خسوف القمر؛ فهذا ليس من الكهانة، لأنه يدرك بالحساب، وكما لو أخبر أن الشمس تغرب في عشرين من برج الميزان مثلًا في الساعة كذا وكذا؛ فهذا ليس من علم الغيب؛ لأنه من الأمور=

المفردات:

قوله: (**خلق الله هذه النجوم**): النجوم خلق من خلق الله.

(**مدبرة**): أي: مسخرة.

= التي تدرك بالحساب؛ فكل شيء يدرك بالحساب، فإن الإخبار عنه ولو كان مستقبلًا لا يعتبر من علم الغيب، ولا من الكهانة، وهل من الكهانة ما يخبر به الآن من أحوال الطقس في خلال أربع وعشرين ساعة أو ما أشبه ذلك؟ الجواب: لا؛ لأنه أيضًا يستند إلى أمور حسية، وهي تكيف الجو؛ لأن الجو يتكيف على صفة معينة تعرف بالموازين الدقيقة عندهم؛ فيكون صالحًا لأن يمطر، أو لا يمطر، ونظير ذلك في العلم البدائي إذا رأينا تجمع الغيوم والرعد والبرق وثقل السحاب، نقول: يوشك أن ينزل المطر، فالمهم أن ما استند إلى شيء محسوس؛ فليس من علم الغيب، وإن كان بعض العامة يظنون أن هذه الأمور من علم الغيب، ويقولون: إن التصديق بها تصديق بالكهانة. انتهى.

وجاء في بحث حول الغيب كتبه الدكتور عبد الشكور بن محمد أمان العروسي الأستاذ بقسم العقيدة -كلية الدعوة وأصول الدين- جامعة أم القرى قال فيه: فإن قيل: إذا كان الخلق لا يعلمون ما يستقبل من الحوادث، فكيف استطاع الفلكيون معرفة تواريخ الكسوف وساعاته، واستطاع مراقبو أحوال الطقس عن طريق المراصد الجوية الإخبار بأخباره قبل حدوثه، قيل: إن ذلك من التجارب البشرية المتكررة التي مكنت العلماء الذين يقومون بالرصد المتواصل من توقع تلك الحوادث على سبيل التوقع والظن، لا على سبيل العلم واليقين، فكما يستنتج أحدنا تقابل قطارين في نقطة معينة إذا كان انطلاقها في وقت واحد وسرعة واحدة سائرًا كلًّا منهما في الاتجاه المواجه للآخر، فكذلك توقع الفلكيين مرور القمر بين الأرض والشمس في موضع معين في ساعة معينة لا يدل على علم الغيب، وإنما هو توقع مبني على التجارب والملاحظات المتواصلة والاختبارات المتكررة. وهذا مما لا يجزم بحدوثه ووقوعه، والعلم بالشيء هو الجزم بما هو عليه، أو بما سيقع لا محالة، فليتأمل.

وضائف النجوم:

قوله: (**لثلاث**): هذه هي التي ذكرها الله في كتابه، أن هذه هي وظائفها زينةً للسماء، أي: جمالاً وبهاء لها:

الأول: الزينة، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾[1].

والثاني: رجوماً للشياطين، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾[2].

والثالث: الاهتداء والاستدلال في البرِّ والبحر، لقوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦)﴾[3].

فمن تأول فيها غير ذلك من سائر الاستدلالات على حدوث حادث أو نزول أمر أو ولادة أو موت فقد أخطأ في تأويله، وأضاع نصيبه من العلم والتأويل الصحيح، وتكلف ما لا علم له به لأن الله ما كلفنا بذلك.

قوله: (**كره قتادة...إلى آخره**): الكراهة تطلق في عرف السلف على: كراهة التحريم، ولا يعرفون كراهة التنزيه.

أما «المنازل»: فهي الثمان والعشرون منزلة التي كل ليلة يحل القمر في منزلةٍ منها، مسامياً لها أو قريباً منها، فقتادة يكره تعلم المنازل مطلقاً، وأما أحمد فإنه رخَّص في تعلم المنازل، والمراد به علم التسيير لا علم التأثير.

---

(١) سورة الملك (من الآية: ٥).

(٢) سورة الملك (من الآية: ٥).

(٣) سورة النحل: (١٦).

وكذا إسحاق[(١)] بن راهويه وقتادة[(٢)] وهو ابن دعامة، وسفيان[(٣)] هو ابن عيينة، وحرب[(٤)] هو الكرماني من كبار أصحاب أحمد بن حنبل.

---

(١) **إسحاق بن راهويه الحنظلي التميمي** (١٦١هـ -٢٣٨هـ / ٧٧٨-٨٥٣م)، الإمام الكبير، شيخ المشرق، سيد الحفاظ، أحد أئمة المسلمين وعلماء الدين، اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد.

(٢) **قتادة بن دعامة** (٦١-١١٨هـ / ٦٨٠-٧٣٦م). قتادة بن دعامة السَّدوسي، أبو الخطاب. علم في العربية واللغة وأيام العرب والنسب، محدث، مفسر، حافظ، علامة. كان ضريرًا أكمه. وكان يقول: «ما قلت لمحدث قط أعد عليَّ، وما سمعت أذناي قط شيئاً إلا وعاه قلبي» قال أحمد بن حنبل: «كان قتادة أحفظ أهل البصرة لا يسمع شيئاً إلا حفظه؛ قرئت عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها»..

(٣) **سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون** مولى محمد بن مزاحم الهلالي إمام ومحدث شهير وعرف بالزهد والورع. وقد ولد في الكوفة سنة ١٠٧ هـ وتوفي ١٩٨ هـ. أجمع الناس على صحة حديثه وروايته. طلب العلم وهو غلام وروى الحديث عن الكبار، ومنهم: الزهري وأبي إسحاق السبيعي وعمرو بن دينار ومحمد بن المكندر وأبي الزناد وعاصم بن أبي النجود المقري والأعمش وعبد الملك بن عمير وغيرهم، وروى عنه عدد كبير من العلماء الأجلاء والأئمة الكبار. منهم: الأعمش، وابن جريج، وشعبة بن الحجاج - وهؤلاء من شيوخه - وهمام بن يحيى، والحسن بن حي، وزهير بن معاوية، وحماد بن زيد، وإبراهيم بن سعد، وأبو إسحاق الفزاري، ومعتمر بن سليمان، وعبد الله بن المبارك، وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى القطان، والشافعي، وعبد الرزاق، والحميدي، وسعيد بن منصور، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وإبراهيم بن بشار الرمادي، وأحمد بن حنبل، وأبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير، وإسحاق بن راهويه وغيرهم خلق كثير.

(٤) **حرب بن إسماعيل الكرماني** هو أبو محمد حرب بن إسماعيل الكرماني الحنظلي، الحافظ الفقيه =

شرح حديث: «ثلاثة لا يدخلون الجنة ...»

وقوله: «ثلاثة لا يدخلون الجنة... إلى آخر الحديث»، هذا من أحاديث الوعيد تجري على ظاهرها أبلغ في الزجر ولا تؤول، أما قطع الرحم فالمراد بهم القرابة، فمن قطع رحمه فعليه وعيد شديد ومدمن الخمر، أي: المداوم على شربها، والمصدق بالسحر هو الثالث، لأن التصديق به كفر، ويدخل فيه علم التنجيم، وهو الشاهد من الحديث للباب.

المعنى الإجمالي للباب:

في الأثر المروي عن قتادة، أن وظائف النجوم ثلاث: وهي ما جاء في كتاب الله، وتقدم ذكره والسلف يتوقفون على حدود الكتاب والسنة، ولا يتجاوزون ذلك، لا في علم النجوم والأنواء، ولا في غير ذلك، لأن البحث في تلك الأشياء لا يترتب عليها أمر شرعي، إلا ما ذكر من تزيين السماء بها واكتسابها بذلك رونقاً وجمالاً وبهاء، فإذا كسا الليل الكون بظلامه أضاءت تلك الكواكب على اختلاف أشكالها من كبرٍ وصغرٍ، وقوة ضوء وضعف ضوء، وأعدادٍ متقاربة وأفراد متباعدة، فسبحان من خلق كل شيء فقدره تقديراً، ثم الوظيفة الثانية لهذه النجوم: رجمها للشياطين، التي تسترق السمع في السماء، وقد كثر الرمي بها بعد مبعث الرسول ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾[1]. ثم الوظيفة الثالثة وهي: كونها دلالة وعلامة يستدل بها على جهة القبلة، وعلى الطريق في ظلمات البرِّ والبحر، ومن أعظم ما يستدل به النجم القطبي، لأنه أكثر من غيره ثباتاً، تدور حوله فراشته وهو

= تلميذ أحمد بن حنبل.

(١) سورة الجن الآية (رقم: ٩).

نجم خفي، لا يكاد يبصره إلا دقيق البصر، ولذا رخَّص أحمد في تعليم المنازل لهذه الأغراض، لأن المنازل من أعظم ما يستدل بها على جهة القبلة، والطريق ويقسمونها إلى شاميات أربعة عشر وأربعة عشر يمانيات، فكل مكان تحت السماء الأعزل إلى جهة الشام فهو شامي، وما كان لجهة اليمن فهو يماني، وأما المانعون من تعلمها، فإنهم يرون أنه يدرك معرفة القبلة وغيرها بدون تعلم المنازل، بل يكفي معرفة بعض النجوم، ولربما دخل في علم التنجيم المذموم والله أعلم.

كما أخبر في الحديث الآخر: «أن ثلاثةً لا يدخلون الجنة» وهذا تهديد ووعيد شديد على مرتكب تلك المحرمات، وهو إدمان الخمر على اختلاف أسمائه، وكل ما أسكر فهو خمر، فإذا عاود شربه ولو في السنة مرةً فهو مدمن ما لم يتب، وكذا قاطع رحمه بعدم صلتهم، والتسبب في قطيعتهم، قد قال الله تعالى: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

فهذه الآية الكريمة من أبلغ الزواجر عن قطيعة الرحم، وأما المصدق بالسحر ويدخل فيه التنجيم فهو شاهد الحديث للباب فهؤلاء عليهم الوعيد الشديد، إذا لم يتوبوا إلى ربهم وينيبوا فلا شك أن عليهم هذا الإمكان من الله من تعذيبهم بالنار، ولكن لا يقال إنه كفر مخرج من الملة، بل يجري على ظاهره أبلغ والله أعلم.

ما يؤخذ من الباب من أحكام:

١- وظائف النجوم ثلاث: زينةً للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها.

٢- لا يجوز تعلم النجوم للاعتقاد أن لها تأثيراً في الكائنات، من نزول مطرٍ أو

---

(١) سورة محمد الآيات: (٢٢- ٢٣).

هبوب ريح أو موت وحياة.

٣- أن من تأوّل بها شيئاً من ذلك فقد خالف سلف الأمة، وارتكب محرماً.

٤- ذكر اختلاف العلماء في جواز تعلم المنازل وعدمها.

(أ) أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية يجيزانه، لأنه من أدلة القبلة ومعرفة الطريق ويستدلون بالآيات.

(ب) قتادة وسفيان بن عيينة يمنعان من ذلك سداً للذريعة، ويقولان: من الممكن إدراك معرفة القبلة بدون ذلك، ويمكن أن يكون وسيلةً لتعلم المحرم، والذي يظهر لي أن مذهب أحمد أقرب للصواب، ولأن ابن حبان وغيره من كبار العلماء كان لهم يد طولى في هذا الفن، ويرى بعضهم أن من شرط الفقيه معرفة علامات القبلة بالنجوم، والله أعلم بالصواب.

٥- تحريم دخول الجنة على مدمن الخمر، ومصدق بالسحر، وقاطع الرحم كما جاء في الحديث.

٦- لا يجوز تأويل الحديث بتخليد من فعل شيئاً من هذه الثلاث في النار، لأن هذا مذهب المعتزلة والخوارج وبعض فرق الشيعة الذين يكفرون بالذنوب، ويجري الحديث على ظاهره أبلغ في زجر السامع.



أسئلة

١- ما مناسبة باب التنجيم في كتاب التوحيد؟ وعرف التنجيم وما هي وظائف النجوم؟ مع ذكر الدليل.

٢- عرف مدمن الخمر، ومعرفة مصدق بالسحر وما يدخل فيه، وما هي الرحم؟ ثم اذكر مذاهب العلماء في جواز تعلم المنازل والمنع، وما فائدة ذلك وهل للمانعين دليل.

٣- اشرح أحاديث الباب على ما مر بك من مفردات، ثم اشرح الأحاديث شرحاً مجملاً مع بيان أحكامها.



باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

(م) وقوله: باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء:

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾[١]. وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة، وعليها سربال من قطران ودرع من جرب) رواه مسلم[٢].

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: (صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، على إثر سماءٍ كانت من الليل، فلمَّا انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب)[٣].

ولهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما معناه، وفيه: قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾

---

(١) سورة الواقعة: (٨٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنائز (٩٣٤)، (٢٩) (باب التَّشْدِيدِ في النِّيَاحَةِ).

(٣) رواه البخاري، كتاب الاستسقاء (١٠٣٨) باب قول الله تعالى: «ويجعلون رزقكم أنكم تكذبون»، ومسلم، كتاب الإيمان (٧١)، (١٢٥)، (باب بَيَانِ كُفْرِ مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ).

تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[1][2].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر في بعضها.

الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة.

الخامسة: قوله: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر»، بسبب نزول النعمة.

السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع.

السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع.

الثامنة: التفطن لقول: «لقد صدق نوء كذا وكذا».

التاسعة: إخراج العالم للتعليم للمسألة بالاستفهام عنها، لقوله: «أتدرون ماذا قال ربكم؟».

العاشرة: وعيد النائحة.

تعريف الأنواء

(ش) المناسبة: لَمَّا ذكر المصنف حكم التنجيم وتعلم المنازل المباح، ناسب أن يذكر بعده الاستسقاء بالنجوم الذي هو جزء من التنجيم؛ لأنه نسبة المطر إلى غير الله، لأنه

---

(١) سورة الواقعة (الآيات من: ٧٥ – ٨٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان (٧٣)، (١٢٧) (باب بيان كفر من قال: مطرنا بنوء كذا).

نسب السقيا ومجيء المطر ونزوله إلى الأنواء. والأنواء: جمع نوء وهي منازل القمر المتقدم بيانها، وسميت أنواء، لأنه كلما سقط الغارب ناء الطالع، فناسب ذكره هنا.

شرح قوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾

المفردات:

قوله: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾: أي: حظكم من الشكر بنزول المطر.

﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾: فتنسبون المطر إليها، أي: النجوم.

معنى الآية الكريمة الإجمالي:

يقول الله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾[1]: أي: ما نزل من المطر بقدرته وقضائه، وتدبير الله فتنسبون ذلك إلى الأنواء والنجوم، وتعتقدون أن لها تأثيراً، فتقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وهذا غاية الجهل بل كفر النعمة، لأن المنعم المنزل للمطر هو الله، فيستحق الشكر على ذلك بالثناء والابتهال وصرف النعم في طاعته، ومع هذا أضفتم ذلك إلى النجوم المخلوقة المدبرة، ولو كان نزول المطر بسببها لما تقدم عن وقته من نزوله في تلك الأنواء التي جرت العادة بنزوله فيها، بينما الواقع خلاف ذلك من تقدم المطر تارةً وتأخره أخرى، والتي ينسب بعض الناس المطر إليها في تلك الأنواء، فيغير الله ذلك بالتقديم والتأخير، ليدل على التقدير والتدبير، والحكم الإلهية من إنزاله - تبارك وتعالى- المطر في أوقات مختلفة ليتذكر أهل العلم والمعرفة والعقول وما يتذكر إلا من ينيب.

---

(١) سورة الواقعة (من الآية: ٨٢).

ما تفيده الآية:

١- أن المطر ينزل بأمر الله وقضائه وتدبيره.

٢- أن الذي ينسب المطر إلى الأنواء، أنه مكذب كافر بنعمة الله، قال المصنف: وفيه: «التفطن للكفر في هذا الموضوع».

٣- أنه إذا نزل المطر ينبغي للعبد أن يشكر الله، ويحمده على ذلك ولا يقابل ذلك بالكفران.

شرح الأحاديث الواردة في الباب

المفردات:

قوله: عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أربع أمتي إلى آخر الحديث).

قوله: (**أربع في أمتي**): أي: خصال أو خلال من أمر الجاهلية.

(**الجاهلية**): ما قبل الإسلام، وكل ما خالف الإسلام من أمر الجاهلية.

«لا يتركونهن»: أخبر أن هذه الأمة لا تتركها، مع العلم بتحريمها أو عدمها، وهو كما قال ﷺ.

(**الفخر بالأحساب**): الحسب هو جاه الآباء ومآثرهم وكرمهم، ونحو ذلك.

(**والطعن في الأنساب**): هو عيبها والتنقص لبعضها.

(**والاستسقاء بالنجوم**): نسبة نزول المطر إلى النجوم، وتقدم وهو الشاهد.

(**والنياحة**): هي رفع الصوت بتعداد محاسن الميت.

قوله: (**إذا لم تتب قبل موتها**): التوبة هي الرجوع إلى الله والإقلاع عن الذنب،

والندم على ما فات، والعزم على أن لا يعود، فمن تاب قبل موته قبلت توبته.

قوله: (**سربال**): السربال: أي: الثياب والقميص ودرع من جرب.

(**الدرع**): أي: القميص، ولكنه من حديد إذا أطلق، فإذا كان كذلك كان أسرع لتأججهن بالنار.

قوله: (**صلى لنا**): أي: صلى بنا، وفيه إطلاق المجاز على مثل ذلك، وإلا الصلاة لله.

قوله: (**الحديبية**): موضع معروف جرى به الصلح بين المسلمين وكفار قريش.

قوله: (**على إثر سماءٍ كانت من الليل**): السماء كل ما ارتفع، والمعنى: أنه بعد نزول مطرٍ كان في الليل، لأن الماء ينزل من السحاب.

(**فلما انصرف التفت للناس بعد الصلاة، ثم قال: هل تدرون؟**): استفهام معناه التنبيه.

(**قالوا: الله ورسوله أعلم**): فيه حسن الأدب إذا سئل المرء عمَّا لا يعلم، أن يقول: الله ورسوله أعلم، في حياة الرسول ﷺ، وأما بعد مماته، فيقال: الله أعلم.

قوله: (**أصبح من عبادي**): الإصباح إذا دخل في الصباح.

قوله: (**فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته**): أي: أضاف المطر إلى المنِّزل وهو الله، فهذا هو المؤمن والفضل والرحمة صفتان من صفاته، وهو مذهب أهل السنة من اعتقاد كل ما جاء في القرآن من صفاته، على ما يليق بجلاله وعظمته، بخلاف أهل البدع.

قوله: (**وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا**): فهذا هو الكافر، لأنه نسب المطر إلى

الكواكب، والله هو الذي ينزله كيف يشاء.

المعنى الإجمالي:

أخبر ﷺ أن هذه الأمة قد ارتكبت أربع خلالٍ من أعمال الجاهلية، **الأولى**: المخالفة لتعاليم الدين الإسلامي، وأنها لا تزال ترتكب هذه الأعمال المنافية لكمال التوحيد الواجب، وهو فخرها بآبائهم وأحسابهم وأفعالهم ومكارمهم وكرمهم، وما شاكل ذلك، وقد حذر الرسول ﷺ أمته من هذه الأعمال من ذلك، قوله: (**إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية كفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس بنو آدم، وآدم خلق من ترابٍ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان**)[(١)] كما أن هذه الأمة لا تترك الطعن في أنساب بعضهم وتنقصهم وعيبهم بها، ولا تزال تنوح على موتاها لما يخالف البكاء، أما البكاء بدون ضرب الخدود وشق الجيوب فلا بأس به؛ لما روي أن النبي ﷺ بكى[(٢)].

---

(١) **نص الحديث**: أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرها بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب، ج ٤ ص٣٣١ رقم ٥١١٦، وذكره الألباني ثم قال: حسن، وعزاه إلى مسند أحمد، وأبي داود صحيح الجامع رقم ١٧٨٣.

(٢) رواه ابن ماجه عن أسماء بنت زيد رضي الله عنها قالت: لما توفي ابن رسول الله ﷺ إبراهيم بكى رسول الله ﷺ. وحسنه الألباني، وقد ورد عند البخاري (١٣٠٣) ومسلم (باب رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ) وعن أنس رضي الله عنه قال: (فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله. فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ! إِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا =

والممنوع هو النياحة، وأما الاستسقاء بالنجوم ونسبة نزول المطر إليها، فهذا من أعمال الجاهلية أيضاً، وهو شاهد الحديث للباب. وهو موجود في هذه الأمة في كل زمانٍ ومكان، وأخبر أن ذلك كفر به، بنسبة ما هو من تدبيره وتقديره إليها، فلا يجوز نسبتها إلى غيره، فإنه كفر ولو عن طريق المجاز، مع اعتقاد أن المنـزِّل الحقيقي هو الله، فالواجب إذاً نسبتها إليه تعالى، وقول الإنسان: مطرنا بفضل الله ورحمته كما أرشد إليه ﷺ.

ما يستفاد من الحديثين:

١- تحريم التفاخر والتعاظم والتطاول على الناس، بسبب مآثر الآباء وهو عمل جاهلي.

٢- أن الطعن بالنسب والتنقص لأخيك المسلم من أعمال الجاهلية.

٣- أن النياحة مع وجود ضرب الخدود وشق الجيوب وذكر تعداد محاسن الميت من أعمال الجاهلية، وأن البكاء وحزن القلب ليس من ذلك، وهو رحمة يجعلها الله في قلب من يشاء.

٤- أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وأن توبة النائحة وغيرها مقبولة.

٥- أن من مات وعليه ذنوب فهو تحت مشيئة الله، إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له، ما عدا الشرك.

٦- لا يجوز نسبة نزول المطر إلى الكواكب، فمن نسبها إليه فقد كفر كفراً دون كفر، ولو عن طريق المجاز(١).

= بِأُخْرَى. فَقَالَ ﷺ: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ..) واللفظ للبخاري، والله أعلم.

(١) مراده كفراً أصغر غير مخرج من الملة، لأن الكفر كفران: أصغر مخرج من الملة، وأكبر لا يخرج من =

٧- أن الواجب نسبة ذلك إلى الله، لأنه هو المنزل الحقيقي.

٨- إثبات صفاته كالرحمة والغضب والرضا، فهذه صفات أثبتها له أهل السنة، فيقولون: إن الله يغضب ويرضى، لا كأحدٍ من الورى، خلافاً لمنكرى ذلك.

شرح حديث: «لقد صدق نوء كذا وكذا»

المفردات:

قوله في حديث ابن عباس: (لقد صدق...إلى آخره):

قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾: هذا قسم من الله ومواقع النجوم، نزول القرآن منجماً، وقال مجاهد: مطالعها ومشارقها.

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾: أي: هذا القسم الذي أقسمت به عظيم، لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به.

﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾: هذا هو المقسم عليه، وهو القرآن.

﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ۝٧٨﴾: وهو اللوح المحفوظ، معظم محفوظ.

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾: قيل: الملائكة، وقيل: إنه لا يجوز أن يمسَّ القرآن محدث.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾: فيه أن القرآن منزل من عند الله.

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ۝٨١﴾: ممالئون.

﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾: تنسبون المطر إلى غير الله، وهذا هو الشاهد.

= الملة ككفر النعم.

المعنى الإجمالي للآيات:

أقسم الله تبارك وتعالى بمواقع النجوم وهو منازل القمر، أو وقت تنزيل القرآن منجماً، على حسب الوقائع، وأخبر تبارك وتعالى أن هذا القسم الذي أقسمه عظيم، ليدل على عظم المقسم به، وهو القرآن، وأن هذا القرآن مكرم مطهر، محفوظ عن زيادة أو نقصان، وأن القرآن لا يمسه إلا مطَّهر، إن كان المراد به الملائكة فهم مطهرون، كما في قوله: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾[1]، فالملائكة مطهرة عن الدنس، والعيب والذنب، وكذلك لا ينبغي أن يمس القرآن إلا متوضئ من بني آدم، فالمحدث والجنب لا ينبغي أن يمس القرآن، كما أن الجنب لا ينبغي له أن يقرأه بمسٍّ أو غير مسٍّ، والمحدث يقرأ القرآن بدون مسٍّ كعن ظهر قلب أو يمس القرآن من وراء حائل على قول[2]، فالقرآن منزل من عند الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، فالآية ترد

---

(١) سورة عبس، الآيات: (١٣-١٥).

(٢) يقول الشيخ ابن باز في فتاوى نور على الدرب: لا يجوز للمسلم مس المصحف وهو على غير وضوء عند جمهور أهل العلم وهو الذي عليه الأئمة الأربعة رضي الله عنهم وهو الذي كان يفتي به أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، قد ورد في ذلك حديث صحيح لا بأس به من حديث عمرو بن حزم رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كتب إلى أهل اليمن: (أن لا يمس القرآن إلا طاهر) وهو حديث جيد له طرق يشد بعضها بعضاً، وبذلك يعلم أنه لا يجوز مس المصحف للمسلم إلا على طهارة من الحدثين: الأكبر والأصغر، وهكذا نقله من مكان إلى مكان إذا كان الناقل على غير طهارة، لكن إذا كان مسه أو نقله بواسطة كأن يأخذه في لفافة أو في جرابة أو بعلاقته، فلا بأس، أما أن يمسه مباشرة وهو على غير طهارة، فلا يجوز على الصحيح الذي عليه جمهور أهل العلم؛ لما تقدم. وأما القراءة فلا بأس أن يقرأ وهو محدث عن ظهر قلب أو يقرأ ويمسك له القرآن من يرد عليه ويفتح عليه، فلا بأس بذلك، لكن الجنب صاحب الحدث الأكبر لا يقرأ. =

على القائلين بخلق القرآن، وقد أوردت نبذة صالحة في الأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية[١]، فيه شبه القائلين بخلق القرآن، والرد لتلك الشبه إلى النصوص من الكتاب والسنة وكلام السلف ولغة العرب، ثم أخبر -سبحانه- أن البعض يداهن

=

لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه كان لا يحجبه شيء عن القراءة إلا الجنابة، وروى أحمد بإسناد جيد عن علي رضي الله عنه : أن النبي ﷺ خرج من الغائط وقرأ شيئاً من القرآن وقال: هذا لمن ليس بجنب، أما الجنب فلا ولا آية. والمقصود أن صاحب الجنابة لا يقرأ لا من المصحف ولا عن ظهر قلب حتى يغتسل، وأما المحدث حدثاً أصغر وليس بجنب فله أن يقرأ عن ظهر قلب ولا يمس المصحف، وهنا مسألة تتعلق بهذا الأمر وهي مسألة الحائض والنفساء هل تقرآن أم لا تقرآن، في ذلك خلاف بين أهل العلم، منهم من قال: لا تقرآن وألحقهما بالجنب، والقول الثاني: أنهما تقرآن عن ظهر قلب دون مس المصحف. لأن مدة الحيض والنفاس تطول وليستا كالجنب؛ لأن الجنب يستطيع أن يغتسل في الحال ويقرأ، أما الحائض والنفساء فلا تستطيعان ذلك إلا بعد طهرهما، فلا يصح قياسهما على الجنب لما تقدم. فالصواب: أنه لا مانع من قراءتهما عن ظهر قلب، هذا هو الأرجح؛ لأنه ليس في الأدلة ما يمنع ذلك بل فيها ما يدل على ذلك، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال لعائشة لما حاضت في الحج: (افعلي ما يفعل الحاج غير ألا تطوفي بالبيت حتى تطهري) والحاج يقرأ القرآن ولم يستثنه النبي ﷺ، فدل ذلك على جواز القراءة لها، وهكذا قال لأسماء بنت عميس لما ولدت محمد بن أبي بكر في الميقات في حجة الوداع، فهذا يدل على أن الحائض والنفساء لهما قراءة القرآن لكن من غير مس المصحف، وأما حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن، فهو حديث ضعيف، في إسناده إسماعيل بن عياش عن موسى بن عقبة، وأهل العلم بالحديث يضعفون رواية إسماعيل عن الحجازيين ويقولون: إنه جيد في روايته عن أهل الشام أهل بلادة، لكنه ضعيف في روايته عن أهل الحجاز، وهذا الحديث من روايته عن أهل الحجاز، فهو ضعيف.

(١) هذا أحد كتب الشيخ عبد الرحمن الجطيلي رحمه الله، وسماه الأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة.

بالقرآن ويمالئ أعداء الله، فأنكر عليهم ذلك وأخبر أن الواجب الصدع، وعدم المداهنة، وتقدم الكلام على آخر الآية في أول الباب.

ما تفيده الآيات:

١- أقسم الله بمواقع النجوم، على القول بأنها المنازل، فيدل على أن الله يقسم بما شاء من خلقه، أما ابن آدم فلا يقسم إلا بالله كما يأتي.

٢- إخباره بعظم القسم، ليدل على عظم المقسم به وهو القرآن.

٣- إخباره بأن القرآن محفوظ باللوح، مع أن الله حفظ القرآن بعد إنزاله عن زيادة أو نقصان.

٤- لا يجوز أن يمسَّ القرآن جنب أو محدث.

٥- طهارة الملائكة عن الأنجاس والذنوب والدرن وغير ذلك.

٦- إخباره -تبارك وتعالى- بأن القرآن منزل غير مخلوق.

٧- تحذيره من المداهنة والأمر بالصدع.



أسئلة

١- ما مناسبة باب ما جاء في الاستسقاء بالنجوم لما قبله؟ ولماذا سميت أنواء؟ واشرح آية: «وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون» شرحاً مجملاً وبين ما فيها من أحكام؟

٢- اذكر الأربع التي في هذه الأمة من أمر الجاهلية، وأن هذه الأمة لا تتركها؟ بين معنى كلاً من: الفخر بالأحساب؟ والطعن بالأنساب؟ والنياحة؟ واذكر شروط التوبة، ما هو السربال والدرع؟ ولماذا خصت بذلك النائحة؟ واشرح الحديث شرحاً مجملاً، وما يدل عليه من أحكام.

٣- اذكر حديث زيد بن خالد رضي الله عنه، وما هو صلح الحديبية؟ واشرح الحديث ومفرداته ومعناه الإجمالي؟ وبين ما يؤخذ منه من أحكام على ما مر بك؟

٤- الآية الكريمة: «فلا أقسم بمواقع النجوم» اشرح مفردات الآية؟ ثم بين المعنى الإجمالي للآية؟ ثم اذكر الدليل على إنزال القرآن؟ وبين معنى: «لا يمسَّه إلا المطهرون»؟ وما تدل عليه من أحكام.



باب قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ... ﴾

(م) قال: باب قول الله تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) أخرجاه[3].

ولهما عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن**

---

(١) سورة البقرة: (١٦٥).

(٢) سورة التوبة (الآية: ٢٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان: (١٥)، باب حب الرسول من الإيمان، ومسلم، كتاب الإيمان (٤٤) (باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين) من حديث أنس رضي الله عنه، وأخرجه أيضاً البخاري، كتاب الإيمان (١٤) باب حب الرسول من الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)[١] وفي رواية: **(لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى...إلخ)**[٢].

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: (من أحبَّ في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مواخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً) رواه ابن جرير[٣].

وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾[٤] قال: «المودة»[٥].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان (١٦): باب حلاوة الإيمان، ومسلم، كتاب الإيمان (٤٣) (٦٧) (باب بَيَانِ خِصَالٍ مَنِ اتَّصَفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب (٦٤٠١)، باب: الحب في الله.

(٣) لم أجده عند ابن جرير!! وبنحوه رواه ابن أبي شيبة في مصنفه والبيهقي في شعب الإيمان إلى قوله: حتى يكون كذلك، وذكره السيوطي في الدر المنثور (سورة المجادلة عند آية ١٩) حيث قال: وأخرج ابن أبي شيبة والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أحب في الله وأبغض في الله وعاد في الله ووال في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ثم قرأ (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون) الآية ذكره إلى هنا فقط، قلت: وتمام هذا اللفظ لم أجده من قول ابن عباس وإنما وجدته من قول ابن عمر عند الطبراني في الكبير موقوفاً عليه وعند أبي نعيم في الحلية مرفوعاً! وفي إسناده ليث ابن أبي سليم. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وضعفه الأكثر، قال الألباني: ليث وهو ابن أبي سليم ضعيف لاختلاطه، قلت: الأمر كما قال الألباني لاختلاطه، حيث عند الطبراني يرويه ليث عن مجاهد عن ابن عمر موقوفاً وعند أبي نُعيم مرفوعاً! وعند ابن أبي شيبة والبيهقي يرويه عن ابن عباس موقوفاً.

(٤) سورة البقرة، (الآية: ١٦٦).

(٥) هذا الأثر رواه عبد بن حميد، وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: وجوب محبته ﷺ أكثر من النفس والأهل والمال.

الرابعة: نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

الخامسة: أن للإيمان حلاوةً قد يجدها الإنسان، وقد لا يجدها.

السادسة: أعمال القلب التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها.

السابعة: فهم الصحابة للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾.

التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً.

العاشرة: الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه من دينه.

الحادية عشرة: أن من اتخذ نداً تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر.

شرح الآيات الواردة في الباب

«ش» المناسبة: **لَمَّا ذكر المصنف أن الاستسقاء بالنجوم منافٍ لكمال التوحيد أو للتوحيد، ناسب أن يذكر بعده ما ينافي التوحيد بالكلية وهو محبة غير الله، واتخاذه لله نداً في المحبة، لأن المحبة أصل دين الإسلام، فبكمالها يكمل وبنقصها ينقص.**

المفردات:

﴿أَندَادًا﴾: الأنداد: جمع ندٍّ وهو الشبيه والنظير والمثيل.

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾: أي: كما يحب المؤمنون ربهم، وكما يحب أهل الأصنام أصنامهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾: أي: أشد محبةً لله من أهل الأصنام لأصنامهم.

﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾: أي: يرون العذاب يوم القيامة، يعاينونه معاينة.

قوله: ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾: العشيرة: جمعها عشائر، أي: قرابة الرجل وعصبته.

﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: الاقتراف: الاكتساب والإصابة.

﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾: التجارة هي الأمتعة والأموال، والكساد عدم النفاق والرواج وتقل المضاربة بها بسبب الكساد.

﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾: أي: انتظروا ما يحل بكم.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾: أي: وعده وما أعد لمن عصاه.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾: أي: أن الله لا يوفق للخير الخارجين عن طاعته وفي معصيته.

المعنى الإجمالي للآيات:

أخبر الله -سبحانه- بأن هناك طائفةً من الناس يتخذون لله شركاء في المحبة، سواء كانت هذه المحبة محبةً مماثلة لمحبة الله، أو أنها محبة خاصة للأصنام، كمحبة المؤمنين ربهم، مع الفارق العظيم بين من يحب الله ويحب أعداء الله، فمن جمع بين محبة الله ومحبة أعدائه فقد جمع بين النقيضين والضدين[1].

---

(١) أي: فهو إذن كاذب في ادعائه لمحبة الله، فإن من يحب الله محبة صادقة لا يحب أعداء الله من =

أتحب أعداء الحبيب وتدعى حباً له ما ذاك بالإمكان[(١)]

ولذا قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) ﴾[(٢)].

فأخبر أن الله يحب عباده المؤمنين، كما أنهم يحبون ربهم، وهم مع ذلك أعزة أقوياء على الكفر، ذوو رأفةٍ ورحمة على المؤمنين، أهل مجاهدة لأعدائهم لا تأخذهم في الله لومة لائم، فمحبة الله عبادة ومحبة غيره شرك، كما أخبر -سبحانه- أن محبة الآباء والأبناء والتجارة والمساكن إذا قدمت على محبة الله وآثر البقاء فيها، والرفاهية والتنعم على ما يحب الله ورسوله والجهاد في سبيله، فأعلمهم الله أنهم يتربصون وينتظرون ما يحل بهم من العقوبة، بسبب ذلك.

ما تفيده الآيات الكريمة:

١- أن محبة الله عبادة ومحبة غيره شرك.

٢- أن محبة غير الله مع الله شرك في المحبة، إذا ساوت محبة الله وهي اتخاذه لله نداً في المحبة، بخلاف محبة الولد والمال الطبيعية، إذا لم يقدم ذلك على مرضاة الله، وما يجب فإنه لا بأس بها.

٣- إثبات محبة الله لعباده المؤمنين، وإثبات محبتهم له.

= الكفرة والمنافقين.

(١) البيت لابن القيم: أتحب أعداء الحبيب وتدعي حبّاً له ما ذاك في إمكان، (انظر: متن القصيدة النونية، للمؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية).

(٢) سورة المائدة (الآية رقم: ٥٤).

٤- تبرؤ الأتباع من أتباعهم يوم القيامة، عند معاينة العذاب، وهم أصحاب الأنداد الذين يحبون أندادهم كمحبة الله.

٥- أن من آثر البقاء في أولاده وعند أبويه وأزواجه وماله، وقدَّم ذلك على محبة الله ومرضاته فإنه متربص بذنبه وعليه وعيد شديد من الله.

شرح الأحاديث الواردة في محبة الله ورسوله

المفردات:

قوله: (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده...إلخ الحديث**):

(**لا يؤمن أحدكم**): أي: الإيمان الكامل الذي يذم تاركه.

(**حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**): فلو قدم محبة واحدةٍ من هؤلاءٍ على محبة رسول الله لنقص إيمانه، كما في حديث عمر رضي الله عنه قال: (**يا رسول الله! لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال: لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك**)[1].

قوله: (**ثلاث**): أي: خلال أو خصال.

(**من كن فيه**): أي: وجدت تامة.

(**وجد بهن حلاوة الإيمان**): المراد به ذوق الإيمان وهو اشتغاله بالطاعة، وتحمل المشاق وإيثار ذلك على أعراض الدنيا.

---

(١) كما في الحديث: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: (يا رسول الله! لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال: والذي نفسي بيده، حتى أكون إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنك الآن أحب إلي من نفسي، فقال: الآن يا عمر) رواه البخاري، كتاب الإيمان والنذور، رقم (٦٦٣٢)، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله: «وأن يحب المرء ما يحبه إلا لله»: فهذه المحبة تابعة لمحبة الله، فإن المحب يحب محبوب حبيبه.

قوله: (**وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**): أي: يستوي عنده الأمران الرجوع في الكفر ودخول النار، وإن قدَّم دخول النار فهو أفضل، كما جرى للخليل، وأبي إدريس الخولاني من هذه الأمة.

المعنى الإجمالي للأحاديث:

أخبر الشارع ﷺ أنه لا يكمل إيمان عبدٍ ولو كثرت صلاته وصومه حتى يقدم محبة رسول الله ﷺ على محبة أهله وولده وماله ونفسه والناس أجمعين؛ لما تقدم من قول عمر رضي الله عنه أنه قال للرسول ﷺ: (**لأنت أحب إليَّ من كل شيء حتى من نفسي، قال: الآن يا عمر**)(١)، كما أخبره أن من اجتمعت فيه ثلاث خلالٍ وجد لذَّة الإيمان وطعمه، أن يقدم محبة الله تعالى ورسوله ﷺ على غيرهما مما تقدم، وأن يحب أولياء الله لأجل الله، ولأجل ما قاموا به من مراضاته وطاعته فمحبتهم خاضعة لمحبة الله، لأنها لله ولأجل الله، وأن يستوي عنده الإلقاء في النار والعودة إلى الكفر، فإن فضَّل الإلقاء في النار أكمل وأفضل، ويقتدي بالخليل عليه السلام.

ما يستفاد من الأحاديث:

١- نفي الإيمان عمَّن لم يقدم محبة الله تعالى ورسوله ﷺ على غير ذلك، من أهل ومالٍ وولدٍ حتى من نفسه.

٢- أن من قدَّم شيئاً مما تقدم محبة الله تعالى ورسوله ﷺ فإنه ناقص الإيمان.

٣- أن من اجتمع فيه ثلاث خلالٍ وجد لذَّة الإيمان، وهي محبة الله تعالى ورسوله

---

(١) انظر: التخريج السابق.

ﷺ، ومحبة عباده المؤمنين الذين يحبهم لأجل الله وطاعته.

٤- استواء إلقائه في النار والعودة في الكفر عند المؤمن، وأن يقذف في النار أفضل عنده من العودة للكفر.

٥- أن من أحب أن يلقى في النار ولا يعود في الكفر أفضل وأكمل إيماناً.

شرح أحاديث التحابب والتباغض في الله تعالى

المفردات:

قوله: في حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «من أحبَّ في الله»: أي أهل طاعته لأجل ما قاموا به.

(**وأبغض في الله**): أي: من أجله وأبغض أعداءه من الكفرة.

(**ووالى في الله**): أي: والى أولياء الله.

(**وعادى في الله**): أي: أعداءه من المشركين، فإنَّما تنال ولاية الله بذلك.

(**تنال**): أي: تدرك.

(**وَلاَية**): بالفتح، أي: المحبة، أي: بخلاف الوِلاية بالكسر التي هي: الإمارة، وقد صارت عامة.

(**مؤاخاة**): أي: الأُخَّوة والمحبة أكثرها.

(**على أمر الدنيا**): أي: فيحبون لها ويعادون لها ويوالون.

(**وذلك لا يجدي على أهله شيئاً**): أي: لا يجر لهم نفعاً بل ضرر محض.

﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾: قال: «المودة».

(**الأسباب**): جمع سبب وهو ما يتوصل به إلى غيره، وسمي الحبل سبباً وأسباب

السماء مراقيها وأبوابها، والأسباب هنا هي المحبة بينهم والمودة.

المعنى الإجمالي:

تكلَّم ابن عباس رضي الله عنهما عن الوَلاَية والمحبة التي تكون لله تعالى، ولأجله أخذ من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، فأخبر أن المحبة تكون لله تعالى، ولأحبابه من أجله ومن يتولاه، وأهل طاعته فهي محبة منبعثة من محبته تبارك وتعالى ولأجله، كما أن العداوة إذا كانت لله وفي الله فإنها من محبته، كما في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾(١)، فتراحموا وتحابوا في الله ولأجل الله وقاتلوا أعداءه بنضالهم لما ارتكبوا من المحارم والمآثم، ولما كانت المحبة والبغض المطلوب هو لله ولأجل الله، أخبر أن الأمر انعكس وصارت عامة ذلك لأجل الدنيا وفي الدنيا، وهذا في زمنه في القرون المفضلة، مع توافر الصحابة فكيف بمن بعدهم؟ وكيف بعصرنا الحاضر؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله، فأخبرنا الله عز وجل أن تلك المحبة والمودة التي لأجل الدنيا، أنها ستنقطع ولا تدوم.

ما يستفاد من الآثار من الأحكام:

١ – أن محبة أولياء الله وأهل طاعته تابعة لمحبته وولايته.

٢ – أن محبة العمل الذي لله من صلاةٍ وسائر العبادة، وكذا محبة الأنبياء والملائكة داخلة في محبة الله تعالى.

٣– أن بغض أعدائه وعداوتهم أنها من البغض في الله.

٤– وجود وَلاَية وعداوة في الشخص الواحد، فيحب على ما قدر ما فيه من

---

(١) سورة الفتح (من الآية: ٢٩).

الطاعة، ويبغض على قدر ما فيه من المعصية، فأيهما غَلَبَ يكون هو الراجح في الشخص.



أسئلة

١- (أ) ما مناسبة باب قول الله تعالى: (ومن الناس) الآية لما قبلها؟

(ب) بيِّن معنى: «الأنداد»؟ وما هي المحبة المذكورة في الآية؟ ما هي العشيرة؟ وما معنى اقترفتموها والكساد؟ وما معنى فتربصوا؟

(ج) اشرح الآيتين شرحاً مجملاً وبين ما فيهما من أحكام.

٢- (أ) ما معنى: لا يؤمن أحدكم؟ وما معنى: حتى أكون أحبَّ إليه إلخ؟ ما معنى ثلاث؟ وما معنى حلاوة الإيمان؟ ما هي الثلاث الخلال التي يجد بها حلاوة الإيمان؟

(ب) اشرح الحديث شرحاً مجملاً، وبين ما فيه من أحكام.

٣- اشرح الحديث الآتي: من أحبَّ في الله وأبغض في الله، وعادى في الله؟ ثم بيِّن الوَلاية؟ وما معنى وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا؟ وما هي الأسباب؟ بيِّن معاني المفردات المتقدمة، والمعنى الإجمالي وما يدلان عليه من أحكام؟



باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ....﴾

(م) قوله: باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[1].

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾[2].

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

وعن أبي سعيدٍ رضي الله عنه مرفوعاً: **(إن من ضعف اليقين: أن تُرضِيَ الناس بسخط الله، وأن تحمَدهم على رزق الله، وأن تذُمَّهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجُرُّه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره)**[4].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: **(من التمس رِضا الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سَخِطَ الله عليه وأسخط عليه الناس)**[5] رواه ابن حبّان في صحيحه.

---

(١) سورة آل عمران: (١٧٥).

(٢) سورة التوبة: (١٨).

(٣) سورة العنكبوت (الآية: ١٠).

(٤) الحديث ضعيف: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٦)، (١٠/ ٤١)، والبيهقي في الشعب (١/ ١٥١، ١٥٢) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع: (٢٠٠٧).

(٥) حديث صحيح: رواه ابن حبان (١٥٤٤ - موارد)، والترمذي: كتاب الزهد (٢٤١٤) باب =

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.

الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث.

السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

شرح الآيات الواردة في الباب

(**ش**) المناسبة: **لَمَّا ذكر المصنف في الباب السابق المحبة وأنواع المحبة التي هي نوع من العبادة، فصرفها لله عبادة، وصرفها لغيره شرك؛ ناسب أن يذكر بعد ذلك الخوف والخشية، التي هي نوع آخر من أنواع العبادة، فإذا أحبه خافه وخشيه.**

المفردات:

قوله: ﴿**يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ**﴾: خاف يخاف وخيف ومخافة وتخويف الشيطان لأوليائه، وهم: من يتولونه بالطاعة له يخافونه بالإرجاف عليهم.

وقوله: ﴿**فَلَا تَخَافُوهُمۡ**﴾: أي: لا تحذروهم، فتتركوا الجهاد خوفاً من إرجاف الشيطان.

= (٦٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٧٣).

﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾: لأن مخافته لا تصدر إلا عن إيمان.

وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾: أي بالذكر والدعاء والصلاة وهم المؤمنون، فقاموا بأمره وعبدوه حق عبادته وآمنوا به.

﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾: الذي يحشر الناس فيه جميعاً إلى ربهم، لمجازاتهم بما عملوا.

﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾: التي أمر بها وبها تعمر المساجد.

﴿ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾: المفروضة في ماله ربع العشر في الذهب والفضة، إذا كان لديه نصاب، أو من عروض التجارة والماشية حسب ما هي مذكورة في كتب الفقه.

﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾: الخشية: الخوف والاتقاء، وهي أشد من الخوف؛ لأنها مأخوذة من قولهم: شجرة خاشية، والخشية لله من خوفه وتعظيمه.

﴿ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾: أي هم المهتدون، لأن عسى في القرآن واجبة.

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾: أي: آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه.

﴿ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ ﴾: أي: في ذاته نسب الأذى إليه، وربما ارتد عن دينه.

وقوله: ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ ﴾: أي: أذيتهم فإن المؤمن يمتحن في دينه، فمنهم من يصبر ومنهم من يرتد، ويجعل الفتنة التي تصيبهم من الناس كعذاب الله.

المعنى الإجمالي للآيات:

أخبر سبحانه وتعالى أن الشيطان يخوِّف أولياءه، فيرجف عليهم الأراجيف وينزل في قلوبهم الرعب، ويشيع الإشاعات لتخويف أوليائه والتخويف بهم، فلا ينبغي للعبد المؤمن أن ينصرف عن دينه وعن الجهاد في سبيله بسبب الرعب الذي يلقيه أولياء الشيطان، كما

قال أبو سفيان بعد منصرفه من أحد: لنرجعن فلنستأصلن محمداً وأصحابه، فلم يخف الرسول ﷺ ولا أصحابه ﵃ من ذلك؛ بل خافوا ربهم: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾(١) وهذه سنة الله في كل من توكل عليه، ثم أخبر -سبحانه- في الآية أن عمارة المساجد ليست بالماء والطين، وإنما هي بالإيمان بالله ورسوله ﷺ واليوم الآخر والجهاد في سبيله وإقام الصلاة في المساجد، وهؤلاءِ هُم عمَّار المساجد بالذكر والعبادة، وهؤلاءِ هم المهتدون، لخشيتهم لربهم وحده دون من سواه.

ثم أخبر -تبارك وتعالى- عن طائفةٍ من الناس، الذين يؤمنون إيماناً ضعيفاً، أو لم يستقر الإيمان في قلوبهم، فيبتليهم الله ببعض الفتن، فإن صبروا عند أول محنةٍ كانت العاقبة لهم النصر والظفر، وإن ارتدوا عن دينه بسبب ذلك رجعوا بالخيبة والخسران، وهذه حال كثيرٍ من الناس، يؤمن بلسانه ولم يستقر الإيمان في قلبه، لأنه لو استقر وآمن بالله وخشيه وخافه وتوكل عليه دون من سواه لما ارتد عن دينه، أو عن بعضه بالفتنة والمحنة.

ما يستفاد من الآيات:

١ - أن الخوف عبادة فلا يجوز أن تصرف لغير الله.

٢ - أن الشيطان يرجف ويخوف المسلمين من جنده وأعوانه، فلا يجوز أن يخاف إلا من الله تبارك وتعالى.

٣ - للخوف أقسام هي: (أ) خوف عبادة وهو: الخوف فيما لا يقدر عليه إلا الله

---

(١) سورة آل عمران: (١٧٣، ١٧٤).

تعالى من إنزال ضرر أو دفعه، وهذا ما تخافه أهل الأصنام من أصنامهم، وهو المعني بالآية، وهشذا ينافي التوحيد.

(ب) خوف طبيعي وهو: الخوف من عدوٍ كسبعٍ، أو عدوٍ مسلحٍ يستطيع الوصول إليك فهذا لا يضر، كخوف موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾[1].

٤- عمارة المساجد بالذكر والصلاة، وعمَّارها هم المؤمنون بالله واليوم الآخر كما في الآية الكريمة، وهؤلاء هم المؤمنون حقاً.

٥- أن العبد إذا آمن ربمّا امتحن في دينه، فإن صبر فإن العاقبة له، وإن لم يصبر عوقب عاجلاً.

شرح الأحاديث الواردة في الباب

المفردات:

قوله عن أبي سعيدٍ مرفوعاً: (أن من ضَعف اليقين...إلخ الحديث).

قوله: (**إن من ضعف اليقين**): الضعف يضم ويحرك، ضد القوة، ضعف ككرم ونصر، ضعفًا وضعفة وضعافية فهو ضعيف وضعوف وضعفان، والجمع: ضعاف وضعفاء وضعفة وضعفى، أو الضعف بالفتح في الرأي وبالضم في البدن، فهي ضعيفة وضعوف، واليقين كمال الإيمان.

قوله: (**أن ترضي الناس بسخط الله**): أي: تؤثر رضاهم على رضى الله.

قوله: (**وأن تحمدهم على رزق الله**): أي: على ما وصل إليك من أيديهم، بأن تضيفه

---

(١) سورة القصص، (الآية: ٢١).

إليهم وتحمدهم عليه، فإن المتفضل في الحقيقة هو الله وحده الذي قدره لك وأوصله إليك، وإذا أراد أمرًا قيض له أسبابًا، ولا ينافي هذا حديث: (**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**)(١) لأن شكرهم إنما هو بالدعاء لهم لكون الله ساقه على أيديهم فتدعو لهم أو تكافئهم، لحديث: (**ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**)(٢) فإضافة الصنيعة إليهم لكونهم صاروا سببًا في إيصال المعروف إليك، والذي قدره وساقه هو الله وحده.

قوله: (**وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله**): لأنه لم يقدر لك ما طلبته على أيديهم فلو قدره لك لساقته المقادير إليك؛ فمن علم أن المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده وأنه هو الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب، ومن حيث لا يحتسب، لم يمدح مخلوقًا على رزق ولم يذمه على منع، ويفوض أمره إلى الله، ويعتمد عليه في أمر دينه ودنياه، وقد قرر النبي

---

(١) حديث صحيح: رواه أبو داود: كتاب الأدب (٤٨١١): باب في شكر المعروف، والترمذي: كتاب البر والصلة (١٩٥٤): باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٥)، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٨٨) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال المنذري في الترغيب (٢/ ٧٧): رواته ثقات، وقال الأرناؤوط في شرح السنة: (٣٦١٠): وإسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٧).

(٢) حديث صحيح، وهو جزء من حديث ابن عمر ﷺ أوله: (من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)، رواه أبو داود: كتاب الزكاة(١٦٧٢): باب عطية من سأل بالله، والنسائي: كتاب الزكاة (٥/ ٨٢): باب من سأل بالله ﷻ، وقال الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (١١/ ٦٩٢): وإسناده صحيح ا.هـ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٤).

ﷺ هذا المعنى بقوله في الحديث: (**إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره**)[١].

المعنى الإجمالي للأحاديث:

الحديث الأول: بيان لحال كثير من ضعيفي الإيمان، والذين يطلبون رضا المخلوق ولو بمعصية الخالق -تبارك وتعالى- أو يحمدهم على نعمة، ويضيفها إليهم والمحمود عليها هو الله المنعم الحقيقي، وهذا لا ينافي حديث: (**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**)[٢].

وحديث: (**من صنع إليكم معروفاً**)[٣] فإن حمد الناس على نعم الله إضافة النعم إلى

---

(١) الحديث ضعيف: رواه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٦)، (١٠/ ٤١)، والبيهقي في الشعب (١/ ١٥١، ١٥٢) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٠٧).

(٢) حديث صحيح: رواه أبو داود: كتاب الأدب (٤٨١١): باب في شكر المعروف، والترمذي: كتاب البر والصلة (١٩٥٤): باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٥)، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال المنذري في الترغيب (٢/ ٧٧): رواته ثقات، وقال الأرناؤوط في شرح السنة (٣٦١٠): وإسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٧).

(٣) حديث صحيح، وهو جزء من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أوله: (من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)، رواه أبو داود: كتاب الزكاة (١٦٧٢): باب عطية من سأل بالله، والنسائي: كتاب الزكاة (٥/ ٨٢): باب من سأل بالله عز وجل، وقال الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (١١/ ٦٩٢): وإسناده صحيح ا.هـ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٤).

غير المنعم، أو يذم الناس على رزقٍ قد طلبه فلم يتيسر له على أيديهم، فالميسر لك هو الله، والجالب للأرزاق هو الباري والحرص لا يجر رزقاً، كما أن الكراهية لا تمنع منه ولا ترده، كما ذمَّ في الحديث الثاني: (**أن من التمس رضا الناس بسخط الله فإن الله يسخط عليه، ويسخط عليه الناس**)(١).

ومن التمس رضاه وطاعته وقدمها على رضا المخلوق فإن الله يكفيه مؤنتهم، ويحفظه منهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾(٢)، لأن الباعث على رضاه هو طاعته، والتوكل عليه دون خلقه والاعتماد على الخالق دون المخلوق، وقد ورد في أثر: (ما اعتمد عليَّ عبد من عبيدي دون خلقي علمت ذلك من نيته)، إلى قوله: (**فكادته السموات والأرض إلا جعلت له من بينها فرجاً ومخرجاً**)(٣).

---

(١) **نص الحديث**: عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: (من التمس رِضا الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سَخِطَ الله عليه وأسخط عليه الناس) حديث صحيح: رواه ابن حبان (١٥٤٤ – موارد)، والترمذي: كتاب الزهد(٢٤١٤) باب (٦٤)، وصحح الألباني في صحيح الجامع (٥٩٧٣).

(٢) سورة الطلاق، (الآيات: ٢-٣).

(٣) نص الأثر: قال أحمد: وحدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا أبو سعيد المؤدِّب، حدثنا من سمع عطاء الخراساني قال: لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت، فقلت له: حدثني حديثاً أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجِز، قال: نعم، أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام: يا داود، أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي عبد من عبيدي دون خلقي، أعرف ذلك من نيته، فتكيده السموات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن؛ إلا جعلت له من بينهن مخرجاً، أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني، أعرف ذلك من نيته؛ إلا قطعت أسباب =

ما يستفاد من الأحاديث والأثر:

١- أن الواجب على العبد تقديم محبة الله ومرضاته على محبة ما سواه، وإن سخط منه الناس.

٢- إن ذلك دليل ضعف إيمان الإنسان.

٣- أن حمد الناس أو ذمهم على رزقٍ من ضعف الإيمان.

٤- رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يمنعه كراهية كاره.

٥- أن طلب رضا الله بسخط الناس هو الواجب على العبد، إذا كان في ذلك سخطهم.



= السماء من يده، وأسخت الأرض من تحت قدميه، ثم لا أبالي بأي واد هلك. (انظر إغاثة اللهفان ص ٨٢-٨٣، الناشر دار ابن الجوزي).

وقال الألباني عن هذا الأثر في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٢/ ١٣٢): موضوع. أخرجه تمام الرازي في «الفوائد» (٥/ ٥٨/ ٢) من طريق يوسف بن السفر عن الأوزاعي عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه مرفوعاً. قلت: وهذا موضوع، المتهم به ابن السفر، فإنه ممن يضع الحديث كما تقدم، ولعله من الإسرائيليات التي تلقاها كعب بن مالك عن بعض مسلمة أهل الكتاب، ثم نسبه هذا الكذاب إلى رسول الله ﷺ. والحديث عزاه السيوطي في «الجامع» لابن عساكر وحده. وهذا قصور واضح، ولم يتكلم عليه شارحه المناوي بشيء.

أسئلة

١- ما هي مناسبة باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ لما قبله؟ اشرح الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾؟ وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾؟ ما هو تخويف الشيطان لأولياء الله؟ وما المراد بعمارة المساجد في قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾؟ وما المراد بقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾؟ ثم عرف الخشية؟ ولأي شيء كانت ﴿عَسَى﴾ في القرآن واجبة؟

٢- اشرح الآية الكريمة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾؟ اشرح المفردات والمعاني الإجمالية وما تفيده من أحكام؟

٣- ما هو ضعف اليقين؟ وما معنى أن ترضي الناس بسخط الله؟ ومعنى أن تحمدهم على رزق الله؟ وما معنى: وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله؟ ثم اشرح قوله: «إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره»، واشرح حديث عائشة رضي الله عنها، مع حديث أبي سعيد رضي الله عنه شرحاً مجملاً، مع بيان ما فيهما من أحكام؟



باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾

(م) باب: قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٣﴾[(١)].

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾[(٢)].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٤﴾[(٣)].

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾[(٤)].

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ۝١٧٣﴾[(٥)] رواه البخاري والنسائي[(٦)].

فيه مسائل:

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

---

(١) سورة المائدة (الآية رقم: ٢٣).

(٢) سورة الأنفال (الآية رقم: ٢).

(٣) سورة الأنفال (الآية رقم: ٦٤).

(٤) سورة الطلاق (الآية رقم: ٣).

(٥) سورة آل عمران: (١٧٣).

(٦) رواه البخاري، كتاب التفسير (٤٥٦٣): باب ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾، والنسائي في التفسير من الكبرى (كما في تحفة الأشراف (٥/ ٢٣٨).

الثالثة: تفسير آية الأنفال.

الرابعة: تفسير الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

السادسة: عِظم شأن هذه الكلمة، وأنها قول إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ في الشدائد.

معنى التوكل

(**ش**) المناسبة: **التوكل من أعظم واجبات التوحيد، وبثبوته يقوى التوحيد، وبضعفه يضعف، فناسب ذكره هنا، ولأن التوكل من العبادة التي صرفها لله فرض وصرفها لغيره شرك، ومعنى التوكل لغة توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكَّلت أمري إلى فلان، إذا اعتمدت عليه، ووكل فلان فلاناً إذا استكفاه أمره ثقةً بكفايته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه. انتهى من الشرح والتوكل شرعاً هو الاعتماد[1] على الله في كل الأمور، والتفويض إليه فهو من أجلِّ العبادات وأعظم الطاعات.**

شرح الآيات الواردة في الباب

المفردات:

قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩١﴾: من توكل عليه فهو مؤمن يكفيه كل شيء.

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: الإيمان[2] لغةً: التصديق، وهو شرعاً: قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي: عند ذكره خافت فامتنعت عن فعل

---

(١) والمراد: اعتماد القلب على الله والثقة به وحده؛ لأن التوكل من عمل القلب.

(٢) سبق تعريفه في (ص ٥١).

المعاصي، والوجل هو: الخوف منه.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: أي: قرئت آيات القرآن.

﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: فالإيمان يزيد وينقص زيادته بالطاعة ونقصه بالمعصية، فالذكر والقرآن يزيد في قلب المؤمن إيماناً.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾: أي يفوضون ويعتمدون عليه من دون سواه.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾: أي: كافيك.

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾: أي: كافي اتباعك.

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾: أي: كافي من توكل عليه فلا مطمع فيه لأحد.

المعنى الإجمالي:

أخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمات أن المتوكل على الله هو المؤمن الصادق، والتوكل: نوع من العبادة التي أمر الله بها فصرفها لغيره شرك في العبادة، فتفويض العبد لربه عمله دنياه ودينه وحاضره وغائبه من الأمور الدينية التي يكفي من توكل عليه، وقام بها من الشرور المحيطة به، كما كفى عبده ورسوله وخليله محمداً ﷺ وصاحبه وهما في الغار، وكما كفى موسى عليه السلام كليمه من فرعون، وكما كفى عبده وخليله إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار فمن توكَّل عليه كفاه، وأخبر أن الإيمان في قلوب المؤمنين يزيدُ بفعل الطاعات واجتناب المحرمات، وينقص بقدر ما ارتكب من الإثم وما ترك من الطاعة، وأن من علامات إيمان العبد خوفه ووجله عند سماع ذكر الله تعالى.

وأما من لم يجل قلبه، ويَخَفْ عند سماع ذكر الله فهو ناقص الإيمان، كما بينته الآية

الكريمة، ومن لوازم ذلك القيام بأمر الله، واجتناب نهيه وأن هذه من ثمرات الإيمان.

ما يستفاد من الآيات:

١- أن الله أمر بالتوكل، وأنه من العبادة، وصرفها لغيره شرك.

٢- أن التوكل هو تفويض الإنسان لربه، والاعتماد عليه دون من سواه.

٣- أن التوكل من علامة إيمان العبد وصحته، وضده بضده.

٤- أن من توكل على الله كفاه، كما كفى رسوله ﷺ وإبراهيم خليله.

٥- أن الإيمان يزيد وينقص، زيادته بالطاعة ونقصه بالمعصية، ففيه الرد على من قال: إن الإيمان مجرد المعرفة، أو قال: هو التصديق.

٦- أن من علامات الإيمان الخوف، ووجل القلب عند سماع القرآن أو الذكر.

شرح الأثر الوارد في قول: (حسبنا الله ونعم الوكيل)

المفردات:

قوله عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل...إلخ الحديث):

قوله: (**حسبنا الله**): الحسب الكافي؛ الله كافٍ من توكل عليه.

(**ونعم الوكيل**): أي: ونعم المولى لمن وليَه وكفَله.

المعنى الإجمالي:

في الحديث هذا عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أن قول الله عز وجل حسبنا الله قد تضلَّع به إبراهيم الخليل حين ألقاه نمرود في النار، وقد قصد تحريقه في ذات الله عندما كسر أصنامهم وآلهتهم، وعابهم وأمرهم بعبادة ربهم، ونهاهم عن عبادة ما سواه، عند ذلك حرقَّوه وأججوا النار ورموه فيها بالمنجنيق، ولم يلجأ الخليل عليه السلام إلى أحدٍ يستعين به وينتصر به من دون الله حتى أن جبريل عليه السلام اعترض له، وقال: ألك حاجة؟ فقال: لا حسبي الله ونعم الوكيل، قال الله عز وجل عند ذلك: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ

﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾[١].

وقصة إبراهيم عليه السلام معروفة[٢]، وقال ذلك محمد ﷺ عندما قال أبو سفيان عند

---

(١) سورة الأنبياء، (الآيات: ٦٩-٧٠).

(٢) قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ (قال ابن عباس: لو لم يقل: سلاماً لمات إبراهيم من بردها، ومن المعروف في الآثار أنه لم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت، فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم، ولو لم يقل: وسلاماً على إبراهيم بقيت ذات برد أبداً، قال السدي : أخذت الملائكة بضبعي إبراهيم فأقعدوه على الأرض، فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس، قال كعب: ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه قالوا: وكان إبراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام، قال المنهال بن عمرو: قال إبراهيم ما كنت أياما قط أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار، قال ابن يسار: وبعث الله عز وجل ملك الظل في صورة إبراهيم فقعد فيها إلى جنب إبراهيم يؤنسه، قالوا: وبعث الله جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه، وقال جبريل: يا إبراهيم! إن ربك يقول: أما علمت أن النار لا تضر أحبائي، ثم نظر نمرود وأشرف على إبراهيم من صرح له فرآه جالساً في روضة والملك قاعد إلى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب، فناداه: يا إبراهيم كبير إلهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين ما أرى، يا إبراهيم! هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم، قال: هل تخشى إن أقمت فيها أن تضرك؟ قال: لا قال: فقم فاخرج منها، فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج منها، فلما خرج إليه قال له: يا إبراهيم من الرجل الذي رأيته معك في صورتك قاعداً إلى جنبك؟ قال: ذاك ملك الظل أرسله إلي ربي ليؤنسني فيها، فقال نمرود: يا إبراهيم! إني مقرب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت إلا عبادته وتوحيده إني ذابح له أربعة آلاف بقرة، فقال له إبراهيم: إذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه إلى ديني، فقال: لا أستطيع ترك ملكي. ولكن سوف أذبحها له فذبحها له نمرود ثم كف عن إبراهيم، ومنعه الله منه. قال شعيب الجبائي: ألقي إبراهيم في النار وهو ابن ست عشرة =

منصرفه من وقعة أحد للركب الذين مروا به أنا سنستأصل محمداً وأصحابه، فقال الله تعالى حكايةً عن نبيه ﷺ: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾[(١)]، فلم يلجئوا إلى قوةٍ ولا إلى أحدٍ، إلا إلى قوة الله -سبحانه- ولم يهرعوا إلى مُعينٍ، إلا طلب الإعانة من الله فرجعوا بالأجر والنصر، في كل الوقائع، وهذه سنة الله فيمن توكل عليه، واعتمد في جميع أموره عليه.

ما يستفاد من كلام ابن عباس رضي الله عنهما:

١- أن قول الله عز وجل حسبنا الله ونعم الوكيل، من قول الخليلين محمد وإبراهيم عليهما السلام في أشد الحالات.

٢- أن الله نصرهما وحفظهما وأيدهما وأتباعهما بسبب التوكل والتفويض إليه.

٣- الواجب على الأمة الاقتداء بالأنبياء والمرسلين، فأول من يقتدى به محمد وأبوه إبراهيم عليهما السلام.



=

سنة)، «انظر: تفسير البغوي، سورة الأنبياء، الآية رقم ٦٩، تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾».

(١) سورة آل عمران: (١٧٣،١٧٤).

أسئلة

١- ما هي مناسبة باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ لما قبله؟ عرّف التوكل لغة وشرعاً؟ مع تعريف الإيمان لغة وشرعاً؟ وهل يزيد وينقص أم لا؟ وضّح ذلك.

٢- اشرح قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ شرحاً مجملاً وبيان ما فيهما من أحكام؟

٣- ماذا قال محمد ﷺ حين قالوا له: إن الناس قد جمعوا لكم؟ وما هي النتيجة؟ وماذا قال إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار؟ مع شرحٍ للحديث المرويِّ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما وبيان أحكامه.



باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ...﴾

(م) قوله باب: قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾[(١)]. وقوله: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (**أن رسول الله ﷺ سُئِل عن الكبائر؟ فقال: الشرك بالله، واليأسُ من رَوْحِ الله، والأمنُ من مَكْرِ الله**)[(٣)].

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: (**أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله**)[(٤)] رواه عبد الرزاق.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الحجر.

الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله.

---

(١) سورة الأعراف (الآية رقم: ٩٩).

(٢) سورة الحجر (الآية رقم: ٥٦).

(٣) حديث حسن: رواه البزار (١٠٦ - كشف الأستار)، وابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٥)، وحسنه العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ١٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٧٩).

(٤) حديث صحيح: رواه عبد الرزاق (١٠/ ٤٥٩، ٤٦٠)، وابن جرير (٥/ ٢٦)، وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٨٤): «وهو صحيح إليه بلا شك» ا.هـ، وقال الهيثمي: (١/ ١٠٤): وإسناده صحيح. ا.هـ.

الرابعة: شدة الوعيد في القنوط من رحمة الله.

شرح الآياتين الواردتين في الباب

(ش) المناسبة: لَمَّا كان الأمن من مكر الله، منافياً للخوف من الله واستحضار عظمته، وكذا عدم القنوط من رحمته هما من أكبر واجبات التوحيد فمن يأس من روح الله وقنط من رحمته، وبلغت به الحال إلى هذه الدرجة فقد ضيَّع واجب الخوف والرجاء، اللذين هما من أكبر واجبات التوحيد فناسب المصنف أن يبوب لهما هنا.

المفردات:

قوله: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾: مكر الله لأعدائه هو أخذهم بمخالفتهم أمر الله ورسوله ﷺ، وقد تكون بعض النعم استدراجاً من الله لبعض العصاة.

وقوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ﴾: القنوط هو استبطاء الفرج وهو أشد من اليأس.

المعنى الإجمالي للآيتين:

يخبر -سبحانه- أنه لا يأمن مكر الله، وهو أخذه وسطوته بأعدائه ومرتكبي الجرائم والآثام، والمتنكب عن طريق الهُدى والرشاد ومن أخذه الله فقد خسر الصفقة وندم البيعة، فكثيراً ما يعطي الله العباد العطايا ويستدرجهم بالنعم وهم مقيمون على معصيته، ولذا قال بعض السلف: «بغت القوم أمر الله وما أخذ الله قوماً قَطْ إلا عند سلوتهم ونعمتهم وغِرتهم، فلا تغتروا بالله»[1] فمن وسَّع الله عليه وأصح جسمه وولده

---

(١) هذا القول عن قتادة، ونصه: وعن قتادة قوله: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٩٥﴾ قال: بغت القوم أمر اللهّ وما أخذ اللهّ قومًا قطّ إلا عند سلوتهم وغرّتهم ونعمتهم فلا تغترّوا باللهّ إنّه لا يغترّ باللهّ إلا القوم الفاسقون.

فليخشَ ربه، وليحاسب نفسه لئلا تكون من استدراجه، وليقم بأمر الله فمن قام بشكر النعم أُثيب عليها، ومن الكبائر أيضاً المنافية لكمال التوحيد القنوط، واستبعاد الفرج من ضر نزل بالعبد، أو فقرٍ أو مرض أو عدوٍ أو غير ذلك فكان السلف يترقبون الفرج مما نزل بهم، أخذاً من قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝﴾[1].

ما يستفاد من الآيتين:

١- الأمن من مكر الله كبيرة من كبائر الذنوب، يجب للعبد أن يتوب منها.

٢- القنوط من رحمة الله واستبعاد الفرج كبيرة كذلك.

٣- الواجب على العبد أن يكون خائفاً من ذنوبه راجياً رحمة ربه.

٤- لا يجوز تسمية الله سبحانه وتعالى بالماكر والمخادع ونحو ذلك، مع جواز وصفه بالمكر والخديعة لأعدائه.

شرح الحديثين الواردين في الباب

المفردات:

قوله في حديث: ابن عباس رضي الله عنهما: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن الكبائر...إلخ):

قوله: (**أكبر الكبائر الإشراك بالله**): لا شك أن الإشراك بالله هو أكبر الكبائر، وهو أن تجعل لله نداً وهو خلقك.

قوله: (**اليأس من روح الله**): هو قطع الرجاء والرغبة فيما عند الله فيما يخالف ويرجو.

(١) سورة الشرح: (٥، ٦).

المعنى الإجمالي:

دلت السنة المطهرة كما دل القرآن على أن هذه الأشياء المذكورة في الحديثين من الكبائر وأكبرها الإشراك بالله؛ لأن فيه تنقصاً لألوهيته وهضماً لربوبيته، وسوء ظن برب العالمين، كما قاله ابن القيم[١]، وإن من الكبائر القنوط من رحمة الله، فمن يأس من رحمته واستبطأ فرجه فهو مرتكب لتلكما الكبيرتين اللتين يجب أن يتوب منهما، لنقص إيمانه وشوبة توحيده لما ينقصه، وارتكاب ما يغضب رب العالمين، فيجب على العبد الإقلاع والتوبة والاستغفار من ذلك، ويرجع إلى ربه ولا يأمن مكره، ولا يقنط من رحمته وروحه وفرجه.

ما يستفاد من الحديثين:

١- أن أكبر الكبائر الإشراك بالله وتقدم.

٢- عدم اليأس من رحمة الله وروحه وعدم الأمن من مكره كبيرة.

٣- لا يستدل بالحديث على حصر الكبائر في هذه الأشياء، بل إنها من الكبائر.

٤- الميزان للعبد أن يكون غير قانط من الرحمة، ولا آمن من المكر.



---

(١) قال ابن القيم: (الشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن بالله تعالى.. لأن الشرك هضم لحق الربوبية، وتنقيص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين)، «انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ١٦٠/١-٦٢».

أسئلة

١ - (أ) ما هي مناسبة باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ﴾ لما قبله؟

(ب) المفردات: عرف مكر الله؟ والقنوط؟ ثم اشرح الآيتين شرحاً مجملاً، مع بيان الأحكام.

٢ - (أ) عرف أكبر الكبائر؟ عرف اليأس؟

(ب) اشرح الحديثين شرحاً مجملاً، مع بيان ما فيهما من أحكام.



باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

(م) قوله: باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله:

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾(١).

قال عَلْقمة: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم»(٢).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(اثنتان في الناس هُمَا بهم في كفر: الطعنُ في النَّسَب، والنيَاّحة على الميت)**(٣).

ولهما عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه مرفوعاً: **(ليس مِنَّا من ضرب الخدود وشَقَّ الجيوب، ودعا بدَعْوَى الجاهلية)**(٤).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة)**(٥).

---

(١) سورة التغابن: (من الآية: ١١).

(٢) رواه البيهقي في الكبرى وشعب الإيمان، وقال: وروي هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان (٦٧)، (١٢١) (باب إِطْلاَقِ اسْمِ الْكُفْرِ عَلَى الطَّعْنِ في النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةِ عَلَى المَيِّتِ).

(٤) رواه البخاري، كتاب الجنائز (١٢٩٤) باب: ليس منا من شق الجيوب، ومسلم: كتاب الإيمان (١٠٣) (١٦٦) (باب تَحْرِيمِ ضربِ الْخُدُودِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ وَالدُّعَاءِ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ).

(٥) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٢٢٠): رواه الترمذي (٢/ ٦٤) وابن عدي (١،٢/ ١٧٤) والبيهقي في «الأسماء» (ص: ١٥٤) عن سنان بن سعد، أو سعيد بن سنان عن أنس مرفوعاً، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب»، قلت: وسعد هذا اختلف فيه الرواة، فبعضهم يقول: سعد بن سنان، وبعضهم على القلب: سنان بن سعد. وهذا هو الصواب عند =

وقال النبي ﷺ: **(إن أعظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط)**(١) حسَّنه الترمذي.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية التغابن.

الثانية: أن هذا من الإيمان بالله.

الثالثة: عدم جواز الطعن في النسب.

الرابعة: شِدَّة الوعيد فيمن ضرب الخدود، وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة: إرادة الله به الشر.

السابعة: علامة حب الله للعبد.

الثامنة: تحريم السخط.

= البخاري. قال الحافظ في «التقريب»: «صدوق له أفراد». وله شاهد من حديث الحسن عن عبدالله بن مغفل مرفوعاً به. أخرجه ابن حبان (٢٤٥٥) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٧٤)، والبيهقي (ص ١٥٣ - ١٥٤). ورجاله ثقات، لكن الحسن وهو البصري مدلس وقد عنعنه. ولشطره الأول شاهد من حديث ابن عباس مرفوعاً. أخرجه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ١٢٦)، وقال في صحيح الجامع: (صحيح) انظر حديث رقم: ٣٠٨ في صحيح الجامع.

(١) حديث حسن: رواه الترمذي: كتاب الزهد (٢٣٩٦)، باب ما جاء في الصبر على البلاء، وابن ماجه: كتاب الفتن (٤٠٣١)، باب الصبر على البلاء من حديث أنس رضي الله عنه، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٤٦) وحسنه الأرناؤوط في تخريج شرح السنة (٥/ ٢٤٥).

التاسعة: ثواب الرضا بالبلاء.

تعريف الصبر وأقسامه

(**المناسبة**) لَمَّا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وأن ضدَّ الصبر الجزع، فهو ينافي كمال الإيمان، ناسب أن يذكره المصنف في كتاب التوحيد، لأنه لا إيمان لمن لا صبر له.

الصبر لغةً: مشتق من الحبس والمنع، واصطلاحاً: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، والجوارح عن لطم الخدود، وشق الجيوب وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- صبر على طاعة الله، من صومٍ وحجٍ وصلاةٍ وإسباغ وضوء وغيرها.

٢- صبر عن معاصي الله، كالصبر عن المحرمات، كالزنى وشرب الخمر وغيرها من المحرمات.

٣- صبر على أقدار الله المؤلمة، كالمصائب في الأهل والمال وسائر الأمراض.

شرح قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾

المفردات:

قوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: أي: يسلِّم لقضاء الله وقدره ويعتقد أنها مقدرة بإذن الله.

﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾: عوَّضه عما فاته من الدنيا، نوراً في قلبه وهدى في بصيرته.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾: أي هو صادر عن علم الله وحكمته وإرادته.

قوله: (**قال علقمه**): علقمة[1] هو تابعي جليل من أصحاب عبد الله بن مسعود.

(١) **علقمة بن قيس فقيه الكوفة** وعالمها ومقرئها الإمام الحافظ الموجود المجتهد الكبير أبو شبل =

قوله: (**هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضي ويسلم**): وهذا تفسير من علقمة للآية، وهو أحد أفراد الصبر من القسم الثالث.

المعنى الإجمالي:

أن الله سبحانه ذكر أنه ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في السماء إلا بإذنه وقضائه وقدره، فمن سلم أمره لله هداه، ووفقه وأنار له بصيرته وعوضه خيراً في العاجل والآجل، لأن الصبر ثوابه الجنة وحثَّ على الصبر القرآن والسنة والعلماء الأعلام، قال الإمام أحمد رحمه الله: عددت آيات الصبر فوجدتها في تسعين موضعاً من القرآن، وقال عمر رضي الله عنه: (**وجدنا خير عيشنا بالصبر**)[1]، فإذا كان هذا منزلة الصبر في الإسلام ومكانته من الإيمان فهو منه، ونقصه نقص في الإيمان، ونقص في التوحيد، فكلَّما قوي صبر العبد قوي إيمانه وقوي توكله، وكلَّما ضعف ضعف إيمانه، بقدر ضعفه والله الموفق.

= علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان ابن كهل وقيل ابن كهيل بن بكر بن عوف، ويقال: ابن المنتشر بن النخع النخعي الكوفي الفقيه عم الأسود بن يزيد وأخيه عبد الرحمن وخال فقيه العراق إبراهيم النخعي، ولد في حياة النبي ﷺ، وسمع من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وابن مسعود وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم، وهو من كبار التابعين وأجلائهم وعلمائهم وثقاتهم، مات بعد الستين، قال الهيثم بن عدي: مات علقمة في خلافة يزيد، وقال أبو نعيم وقعنب بن محرر: سنة إحدى وستين، وقال المدائني ويحيى بن بكير وأبو عبيد وابن معين وابن سعد وعدة: مات سنة اثنتين وستين ويقال: توفي سنة خمس وستين.

(١) رواه البخاري معلقاً (١١/ ٣٠٣) كتاب الرقاق. وقال الحافظ في الفتح (١١/ ٣٠٣): وقد وصله أحمد في كتاب الزهد بسند صحيح عن مجاهد قال: قال عمر... ا.هـ.

ما تفيد الآيات:

١- الصبر من الإيمان، فمن نقص صبره نقص إيمانه.

٢- أمرنا الله تعالى ورسوله ﷺ بالصبر، وحثَّ عليه السلف، من الصحابة والعلماء.

٣- الصبر على المصائب وغيرها دليل على هداية القلوب.

٤- الصبر مراتبه ثلاث، وقد ذكرناها، وقد يعده بعضهم إلى أكثر من ذلك.

٥- الصبر ثوابه الجنة.

شرح حديث: «اثنتان في الناس هما بهما كفر ...» وحديث: «ليس منا من ضرب الخدود ...»

المفردات:

قوله في صحيح مسلم: (اثنتان في الناس هما بهم كفر...إلخ الحديث):

(**خصلتان أو خُلَّتان هما بهم كفر**): أي: كفر دون كفر، وليس المراد المخرج من الملة.

وقوله: «الطعن في النسب»: السب والعيب، كقولهم: فلان ليس من بني فلان.

قوله: (**النياحة على الميِّت**): هي الندب بذكر تعداد محاسن الميت.

وقوله: «ليس منَّا من ضرب الخدود»: فيه زجر عن ارتكاب مثل هذا العمل، من ضرب الخد أو نتف الشعر.

(**شق الجيوب**): وهو ما يدخل الرأس، وهو شقه عند المصيبة.

(**ودعا بدعاء الجاهلية**): كقولهم: واعضداه واناصراه، وما أشبه ذلك.

المعنى الإجمالي:

غلَّظ الشارع في أمر هذه الخصال التي يرتكبها كثير من الجهال، وهو الصراخ والعويل بذكر تعداد محاسن الميت، كقولهم: واهدم بيتاه واسيداه وما شاكل ذلك، مما يخرج الإنسان عن الصبر واحتساب ميته عند ربه، ليدخر له ثواب الصابرين عند الصدمة الأولى، وهو أول ما يصاب العبد به وليس من ذلك البكاء ولا الحزن، لأنه (**روي أن النبي ﷺ مات ولده إبراهيم، فبكى عليه وقال: العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي الربَّ، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون**)[1]، كما أخبر ﷺ أن من طعن في نسب غيره وتنقصه أو قال هذا ليس من بني فلان أنه من الكبائر، ومن ضرب خده وشق جيبه على ميته فهو عمل جاهلي مذموم، حذَّر منه ﷺ وزجر على ذلك أعظم الزجر، بقوله: (**ليس منا من ضرب الخدود... إلخ الحديث**)[2].

ما يستفاد من الحديثين:

١- أن الطعن في نسب الرجل وعيبه من الكفر، الذي لا ينقل عن الملة فدلَّ على ضعفٍ ونقص إيمانه.

٢- النياحة وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور من أعمال الجاهلية المذمومة.

---

(١) رواه البخاري (١٣٠٣) واللفظ له، وعنده بلفظ: (بفراقك) ومسلم (باب رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز (١٢٩٤) باب: ليس منا من شق الجيوب، ومسلم: كتاب الإيمان (١٠٣) (١٦٦) (باب تَحْرِيمِ ضربِ الْخُدُودِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ وَالدُّعَاءِ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ).

شرح حديث: «إذا أراد الله بعبده الخير ...» وحديث: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ...»

المفردات:

قوله في الحديث: (إذا أراد الله بعبد الخير...إلخ).

قوله: (**إذا أراد الله بعبده الخير**): الخير ضدُّ الشر والمراد به الابتلاء والامتحان، ليثاب على ذلك أعظم الثواب.

(**وإذا أراد بعبده الشر**): أي في الآخرة أمسك عنه بذنبه، فلا تصيبه مصيبة يثاب عليها ثواب الصابرين.

(**حتى يوافي به يوم القيامة**): أي فتكون ذنوبه وافرة فيعذب عليها.

(**إن عِظم الجزاء**): بالكسر والفتح أعظم ثواباً عند الله مع عِظم البلاء، فكلَّما كثرت المحن والمصائب ازداد بذلك ثواباً.

المعنى الإجمالي:

في هذه الأحاديث والآثار والأخبار المروية عن النبي ﷺ تنبيه للإنسان على أن ما يصيبه في هذه الدار من ابتلاء الله وامتحانه لعباده، فمن صبر واحتسب وجد الثواب أوفر ما كان، بخلاف من ينعم في هذه الحياة، ولا يصاب بمصيبةٍ، وإن أصابته محنة أو فتنة جزع، وربَّما جرَّت إلى معصيةٍ، فهذا في حقه المصيبة نقمة، وأما الصابر المحتسب فهي بحقه نعمة، لأنه يصبر فيثاب، وربَّما شكر وربما كان سبباً لأعمالٍ صالحةٍ أخرى، فيحصل له أجور متعددة جعلنا الله من المعافين من الابتلاء، المغفور لنا ما عملنا من الاجتراء، وأثابنا ثواب الشاكرين ووفقنا لعمل عباد الله الصالحين.

ما يستفاد من هذه الأحاديث والآثار:

١ - أن الله يصيب العبد بمصيبة تكون سبباً للثواب وغفران الذنوب.

٢- أن الله ينعم ببعض النعم على عبده فيشكر الله فيثاب عليه.

٣- أن الله ينعم ببعض النعم على عبده فيكفر، فتكون نقمةً عليه.

٤- يرتكب العبد الذنب فلا يصاب بمصيبةٍ، ويمهل فيغلَّظ له العقاب في الآخرة.

٥- كلَّما عَظُم الابتلاء للعبد عظم الجزاء، والحسنات في الآخرة.

٦- إثبات صفة المحبة لله، خلافاً لمن أنكرها أو أوَّلها.



أسئلة

١- ما مناسبة باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله لكتاب التوحيد؟ ثم عَرِّف الصبر وقسِّمه واشرح الآية: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ ثم بين المفردات والشرح الإجمالي والاستنباطات لآيات الصبر من القرآن مع ذكر ما تفيده الآية من أحكام؟

٢- بيِّن معاني المفردات الآتية: «اثنتان هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة على الميت» مع شرحها شرحاً إجمالياً وما تفيده من أحكام، ثم اشرح حديث أنس رضي الله عنه: «إذا أراد الله بعبده الخير...إلخ»، والحديث الذي بعده وما يفيدان من أحكام؟



باب ما جاء في الرياء

(م) باب ما جاء في الرياء وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: **(قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)**(٢) رواه مسلم.

وعن أبي سعيدٍ رضي الله عنه مرفوعاً: **(ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلِّي فُيزين صلاته؛ لما يرى من نظرِ رجلٍ)**(٣) رواه أحمد.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم في ردِّ العمل الصالح، إذا دخله شيء لغير الله.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى.

---

(١) سورة الكهف (الآية رقم: ١١٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب الزهد (٢٩٨٥) (٤٦) (باب مَنْ أَشركَ في عَمَلِهِ غَيْرَ الله).

(٣) بهذا اللفظ أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٠٦، رقم ٤٢٠٤). قال البوصيرى (٤/ ٢٣٧): هذا إسناد حسن (انظر: جامع الأحاديث) وقال الإمام الألباني في صحيح الجامع: (حسن)، انظر: حديث رقم: ٢٦٠٧ في صحيح الجامع، أما أحمد وغيره فقد رواه بلفظ: (الشركُ الْخَفِيُّ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يَعْمَلُ لِمَكَانِ رَجُلٍ) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠، رقم ١١٢٧٠)، والحكيم (٢/ ٢٢٨)، والحاكم (٤/ ٣٦٥ رقم ٧٩٣٦) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى في شعب الإيمان (٥/ ٣٣٤، رقم ٦٨٣٢).(انظر: جامع الأحاديث).

الرابعة: أن من الأسباب: أنه تعالى خير الشركاء.

الخامسة: خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فسر ذلك أن المرء يصلي لله، لكن يزينها لِما يرى من نظر رجلٍ.

معنى الرياء

(ش) المناسبة: لَمَّا كان الرياء يُعمَل لأجل الناس، ومراءاتهم ومدحهم وثنائهم، والله لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه، وكل عملٍ لا يخلص لله فيه فهو نوع شرك، ولذا ناسب المصنف أن يذكر الرياء في كتاب التوحيد؛ لأنه عمل لغير الله فهو ضد التوحيد.

المفردات:

(الرياء): مشتق من الرؤية، والمراد به إظهار العبادة بقصد رؤية الناس، والفرق بين الرياء والسمعة، فالرياء: لما يرى كالصلاة، والسمعة لما يسمع كالقراءة والتذكير والوعظ وما شابه ذلك.

شرح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ...﴾

المفردات:

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠﴾: أي: قل يا محمد، وإنَّما أداة حصر.

﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: أي من جنس البشر.

﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾: فُضِّل بالوحي والرسالة على سائر البشر.

﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: فهو واحد في ذاته وفي صفاته وأسمائه، فلا يجوز أن يشرك معه في العبادة أحد لا رياء ولا سمعة.

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾: أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾: أي: خالصاً لله، لا رياء فيه ولا سمعة، صواباً على سنة رسول الله ﷺ.

المعنى الإجمالي:

أمر الله رسوله ﷺ أن يخبر الناس، ويعلِّمهم أنه بشر من جنس البشر يأكل ويشرب وينكح، ويجوز عليه ما يجوز عليهم من المباحات والشرائع، وإنما فضل بالرسالة والوحي، وقد هذَّبه ربه جلَّ وعلا وميَّزه عن سائر البشر لكنَّه يصيبه ما يصيب البشر من الآفات والأمراض، وعدم عِلم الغيب، فلا يستحق أن يشرك مع الله في العبادة، وغيره من باب أولى، سواء كانوا صالحين أو غير صالحين، بل طاعة الرسول ﷺ في العمل بما جاء به، وينبغي للعبد أن يخلص عمله لله تعالى، فلا يرائي المخلوقين، ولا يسمِّع في عبادة رب العالمين، بل مجرد العمل لله، وعلى شريعة رسول الله ﷺ.

ما يستفاد من الآية الكريمة:

١- الإخبار بأن محمداً ﷺ من جملة البشر، وأنه يصيبه ما يصيب البشر.

٢- تفضيل الرسول ﷺ بالرسالة والوحي، وطاعته باتباع شريعته.

٣- أن الله واحد أحد فرد صمد.

٤- الأمر بإخلاص العمل لله، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ.

٥- الفرق بين الرياء والسمعة، فالرياء لِما يُرى كالصلاة، والسمعة لما يسمع كالقراءة.

شرح الحديثين الواردين في الباب

المفردات:

قوله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك...إلخ الحديث):

(**الشركاء**): جمع شريك، فالشريك مأخوذ من شرك وأشرك ومشارك فالله غني عن المشارك في العبادة.

(**من عمل عملاً**): ولو كان ظاهره لله.

(**وأشرك معي فيه غيري**): أي: من المخلوقين، كالرياء وهو من الشرك الأصغر، أو دعا الأصنام وهو من الشرك الأكبر.

قوله: (**تركته وشركه**)لأنه لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه.

قوله: (**ألا أخبركم**): أي: أنبئكم وأحدثكم.

(**بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجَّال**): أي: أنه يخاف فتنة المسيح على أمته.

(**والمسيح الدجَّال**): سمي مسيحاً؛ لأنه يمسح الأرض، أو لأن عينه اليمنى ممسوحة.

(**قالوا: بلى**): جواب، أي: بل أخبرنا.

(**قال: الشرك الخفي**): سمَّاه خفياً لأنه يخفى على الناس فلا تظهر حقيقته إلا الله.

(**يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجلٍ**): أي يحسِّنها ويأتي بها تامةً في الظاهر، وليس له قصد إلا رياء الناس.

المعنى الإجمالي:

الحديث الأول: حديث قدسي عن الله -سبحانه- أنه غني عن الأعمال التي داخلها الرياء والسمعة، فالله لا ينظر إليه بل يقول: اذهبوا إلى ما كنتم تراءون في الدنيا، فاطلبوا ثواب أعمالكم منهم، فإذا عمل إنسان عملاً وراءى فيه أو سمَّع فهو لا يثاب عليه، وثوابه هو المراءات ومدح الناس وثناؤهم عليه، والله غنيٌّ عنه، وقد لا يحصل لهم المديح ولا الثواب، فما تخوَّف ﷺ على أمته إلا من فتنة الأعمال الشركية في السر، ومراءات الناس بها جهراً، وهي أخوف من فتنة المسيح الدجال، الذي يفتن الناس عن دينهم، إلا لأن فتنة الشرك الخفي أعظم خطراً على الأمة، لإبطالها للأعمال مع تعب العبد، ولا جزاء له سوى مدحه من نظر إليه، ونشر ذلك بين الناس، وهذا ما يقصده العامل، سلَّمنا الله من الرياء قليله وكثيره.

ما يستفاد من الحديثين:

١- العمل إذا كان قد دخله الرياء لا ينظر الله إليه، ولا ثواب لذلك إلا ما قيل عنه، ثم الرياء على أحوال:

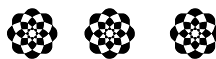
(أ) أن يكون الباعث للعمل هو الرياء والسمعة، فهذا باطل من أصله.

(ب) أن يطرأ عليه الرياء ثم يدفعه، فهذا لا يضره إن شاء الله.

(ج) أن يطرأ الرياء ثم يسترسل معه، فهذا يبطل العمل كالأول.

٢- أن الدجَّال ذو فتنةٍ عمياء يفتن الناس عن دينهم.

٣- خاف الرسول ﷺ على أمته من فتنة الشرك الخفيِ -الرياء- أعظم من خوفه على أمته من فتنة المسح الدجال.



أسئلة

١- ما مناسبة الباب لما قبله؟ ثم فرق بين الرياء والسمعة؟ بيِّن معاني المفردات الآتية: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ثم اشرح الآية شرحاً مجملاً وبيِّن أحكامها؟

٢- اشرح الحديث: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك...إلخ»؟، وحديث: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم...إلخ»، ثم بيِّن ما يفيدان من أحكام.



باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

(م) قوله: باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[1].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أُعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبدٍ آخذٍ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفَّع)**[2].

فيه مسائل:

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

الثالثة: تسمية الإنسان والمسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة.

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إذا أعطي رضي، وإن لم يعطْ سخط.

الخامسة: قوله: وإذا شيك فلا انتقش.

السادسة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

---

(١) سورة هود الآيات: (١٥، ١٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد (٢٨٨٧) باب: الحراسة في الغزو في سبيل الله.

شرح قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ... ﴾

(ش) **المناسبة:** لَمَّا ذكر المصنِّف الرياء الذي هو من الشرك ناسب أن يُذْكر بعده ما يقصد به الدنيا خالصة، ولَمَّا كان الجامع بينهما أنه يقصد بهما غير الله، والعمل ظاهره لله من الأعمال الصالحة، ناسب أن يذكر بعده، وإن كان بينهما فرق، والفرق بين الرياء وإرادة الدنيا أن المرائي لا يقصد إلا الثناء وتسميع الناس ومدحهم، ومريد الدنيا يخطب المناصب والوظائف والعطاء بسبب هذا العمل، من تعليمٍ العلم والجهاد وغيرهما.

المفردات:

قوله: ﴿يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾: أي: يقصد بعمله ما ينال منها من المأكل والمشرب والمناصب.

قوله: ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ ﴾: أي: نعطيهم بسبب عملهم الذي عملوه ما نالوه فيه، أي: في الدنيا.

﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾: أي: لا ينقصون.

﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ ﴾: أي: من الأعمال فليس له ثواب.

﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾: بطلانه عند الله عدم إثابة الله لهم.

المعنى الإجمالي:

أخبر -سبحانه- أن هناك قسماً من الناس يعملون الأعمال التي ظاهرها لله، من تعلم علمٍ وجهادٍ في سبيله وتدريس وما شابه ذلك، ولم يقصدوا بذلك إلا ما ينالون من أجورٍ ومرتباتٍ ومناصب وجاهٍ في الدنيا وأعطية في الدواوين وما شابه ذلك، ومثَّل الشارح رحمه الله بمثل من تعلم العلم ليكون إماماً لمسجده، أو مدرساً لأهل قريته، أنه

داخل في ذلك، ومثَّل الشيخ رحمه الله بأنَّ الإنسان يؤدي زكاة ماله أو يحج أو يصلي بقصد تنمية المال وحفظه، وحفظ الأهل أو الولد وليس له قصد ونية في تأدية ما وجب عليه بأصل الشرع، أي: أنه ليس له إلا ما نوى من هذه الأشياء، هذا معنى ما ذكره شيخ الإسلام -ابن تيمية- وأن عمله حابط، كما في هذه الآية: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[1].

ما يستفاد من هذه الآية:

١- أن من قصد بعملٍ صالحٍ كطلب العلم مثلاً والجهاد قصد ما ينال من الوظيفة وما يعطى لأجل الجهاد أو الحج أو التعليم، فليس له من عمله إلا ما تحصل عليه.

٢- أن كل ما كان ظاهره عمل صالح، وقُصد به شيء من الأمور الدنيوية أنه حابط.

٣- أن أهل هذه الأعمال مآلهم النار.

شرح حديث: «تعس عبد الدينار...»

المفردات:

(**تَعِس عبد الدينار**): بكسر العين، أي: سقط، وهو بمعنى هلك وبمعني شقي.

(**الدينار**): وهو المعروف من الذهب كالمثقال في الوزن.

(**الدرهم**): وهو من الفضة، وقدره الفقهاء بالشعير وزناً، وعندنا منه درهم من بني أمية وهو زنة خمسين حبة شعير وخُمسا حبة.

(**الخميصة**): كساء خزٍّ وصوف معلم.

---

(١) سورة هود الآية: (١٦).

(**والخميلة**): ثوب له خَمَل.

«إن أعطي رضي»: لا يهمه إلا طلب العطاء.

(**وإن لم يعط سخط**): لأنه ليس له رغبة فيما عند الله، فيطلب الثواب منه.

(**تعس وانتكس**): أي: انقلب على أم رأسه.

(**وإذا شيك فلا انتقش**): أي: إن أصابته شوكة لم يستطع نقشها، وهو دعاء عليه بتعسر أموره.

قوله: (**طوبى**): قيل: اسم الجنة، وقيل: اسم شجرةٍ في الجنة، يسير الراكب في ظلِّها مائة عامٍ آخذٌ بعنان فرسه في سبيل الله.

(**فالعنان**): اسم لجام الفرس.

(**في سبيل الله**): أي: الجهاد والقتال.

(**أشعث رأسه**): طائر شعر الرأس، فلا يستطيع دهنه وتسريحه.

(**مغبرة قدماه**): أي: أصابهما الغبار من كثرة التقلب في مصالح الجيش.

(**إن كان في الحراسة**): أي: حراسة الجيش لئلا يهجم عليهم أحد.

(**كان في الحراسة**): فهو ملازم لعمله، ذلك لا يفارقه.

(**وإن كان في الساقة**): أي: آخر الجيش، وهذا أشق عمل المجاهد.

(**إن استأذن**): عن الأمراء والقادة والملوك.

(**لا يؤذن له**): لأنه خامل الذكر فلا يؤبه له.

(**وإن شفع**): في أحدٍ من القوم.

(**لا يشفع**): لا تقبل شفاعته.

المعنى الإجمالي للحديث:

الحديث فيه ضرب مثلٍ لمن أراد بعمله الدنيا، بأخذ الدنانير والدراهم والثياب والفرش والمراتب، وتجده يحرص على الأعمال وإن كانت أعمالاً دينية يتوصل بها إلى مقصوده ومطلبه من أمور الدنيا، والوظائف والأعطية وغيرها، وليس له همٌّ إلا ذلك، فإن أعطي شيئاً منها رضي، وسارع في عمله وسابق فيه، وإن لم يعط ويفرض له شيء تسخَّط على القادة والرؤساء في تلك الأعمال، فسماه الرسول ﷺ بهذا عبد الدينار والدرهم والخميلة والخميصة، وأما المثل الثاني: فضربه الرسول ﷺ لمن قصد في عمله نيه صالحة وعزيمة صادقة فدعا له بالجنة، والاستظلال بشجرة طوبى التي مسيرتها مائة عامٍ، لأنه جاهد في الله ولأجل الله وإظهاراً لدينه، ولذا قال الرسول ﷺ في غير هذا الحديث لمَّا سُئل عن المجاهد الرجل يقاتل حميةً ويقاتل شجاعةً أي ذلك في سبيل الله؟ قال: (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**)[1] وأخبر هنا أن من صفات المقاتل الصادق أنه أشعث أغبر، لا يفرغ لإصلاح نفسه ولا دهن بشرته، ولا نظافة جسمه، ولا يرفع به القادة والأمراء والكِبار رأساً لخمالة ذكره، فهو من عباد الله الذين لو أقسم أحدهم على الله لأبّر الله قسمه، وكما في قول الرسول ﷺ: (**رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبَّر الله قسمه**)[2].

---

(١) **نص الحديث:** عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه قال: (سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)، صحيح البخاري، التوحيد (٧٤٥٨)، صحيح مسلم، الإمارة (١٩٠٤)، سنن الترمذي، فضائل الجهاد (١٦٤٦)، سنن النسائي، الجهاد (٣١٣٦)، سنن ابن ماجه، الجهاد (٢٧٨٣)، مسند أحمد (٤/ ٤١٧).

(٢) رواه مسلم وأحمد بلفظ: (رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) صحيح مسلم، =

ما يستفاد من الحديث:

١- من عمل عملاً صالحاً في الظاهر ولكن لينال مرتبة أو ليوظف فهو يحبط عمله.

٢- الجهاد في سبيل الله وطلب العلم والحج كلها من أفضل وأجل الأعمال، لكن إن قصد بها غرضاً دنيوياً أحبط عمله، وليس له إلا ما نوى.

٣- أن من قصد من عمله الصالح في الظاهر الدنيا قد دعا عليه النبي -عليه الصلاة والسلام- بانتكاس أموره ومقاصده، فلا يطلب عملاً لذلك إلا ارتد خائباً، لا يستطيع أخذ الشوكة من جسمه تعساً.

٤- من أخذ جعلاً ليحج أو رزقاً ليجاهد، أو ليستعين به على طلب العلم أو التعليم وليس قصده المال، فلا يضره ذلك إن شاء الله.

٥- المجاهد في سبيل الله هو من أخلص عمله لله تعالى، فلا يبالي بما أصابه في سبيل ذلك من تعب ونصب وشعث، ولو لم يلتفت إليه الأمراء والقادة والملوك والرؤساء.

= كتاب البر والصلة (٢٦٢٢) (١٣٨)، باب فضل الضعفاء والخاملين، وأيضاً في كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢٨٥٤) (٤٨)، باب النار يدخلها الجبارون من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه أحمد (٣/ ١٢٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ورواه الترمذي في مسنده بلفظ: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك، قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح حسن من هذا الوجه، قال: الشيخ الألباني: صحيح، قال المباركفوري في تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي: ذي طمرين بكسر فسكون، أي: صاحب ثوبين خلقين، لا يُوْبَهُ به، بضم الياء وسكون واو، وقد يهمز، وفتح موحدة وبهاء، أي: لا يُبالَى به، ولا يُلتفت إليه. انتهى.

٦- أن طوبى جعلها الله للمجاهدين في سبيله المخلصين المتقدمة صفتهم.



أسئلة

١- ما هي مناسبة الباب لما قبله؟ ما هو الفرق بين عمل المرائي وطالب الدنيا بعمله؟ اشرح معاني المفردات الآتية: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾؟ ثم اشرح الآية شرحاً إجمالياً وبيان أحكامها؟

٢- اشرح معاني المفردات الآتية: «تَعِس عبد الدينار»، «الدرهم»، «الخميلة»، «الخميصة»، «تَعِسَ وانتكس»؟ وما معنى: وإذا شيك فلا انتقش؟ وما هي طوبى؟ ولمن أعدَّها الله؟ وعرف الحراسة والساقة في الجيش؟ وبيِّن معنى: إن استأذن لم يؤذن له؟ وإن شفع لم يشفَّع؟ ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً، وبيِّن ما يؤخذ منه من فوائد؟



باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه الله فقد اتخذهم أرباباً

(م) قوله: باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه الله فقد اتخذهم أرباباً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: **(يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء. أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكرٍ وعمر؟)**[(١)].

وقال أحمد بن حنبل: عجبت لقومٍ عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٣٧)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٤٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢٣٩ - ٢٤٠)، وهو صحيح. انظر: الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد (ص: ١٢٩)، وهذا الأثر ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢١٥) و(٢٠/ ٢٥١) و(٢٦/ ٥٠) و(٢٦/ ٢٨١) وكذا في الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ١٢٦) وفي كتابه القيم: رفع الملام عن الأئمة الأعلام (ص: ٣٧)، وكذا ذكره تلميذه ابن القيم في الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/ ١٠٦٣) وفي إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ١٦٨) والطرق الحكمية (ص: ١٩) وزاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ١٨٢)، وذكره كذلك شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله في كتابه القيم كتاب التوحيد، وكذا ذكره جماعة من أهل العلم المعاصرين في كتبهم وفي محاضراتهم، وغالب من حقق كتاب التوحيد لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي يحيل إلى مسند الإمام أحمد رحمه الله، رقم (٣١٢١).

﴿أَلِيمٌ ۝٦٣﴾[1]، أتدري ما الفتنة؟ لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣١﴾[2].

فقلت له: إنَّا لسنا نعبدهم قال: أليس يحرمون ما أحلَّ الله فتحرمونه، ويحلون ما حرَّم الله فتحلونه، فقلت: بلى قال: فتلك عبادتهم)[3] (رواه أحمد والترمذي وحسنه).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي.

الرابعة: تمثيل ابن عبَّاسٍ بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغير الأحوال إلى هذه الغاية، حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى الوَلَاية، وعبادة الأحبار: هي العلم والفقه، ثم تغيرت

---

(١) سورة النور: (من الآية: ٦٣).

(٢) سورة التوبة (من الآية: ٣١).

(٣) حديث حسن: رواه الترمذي: كتاب التفسير (٣٠٩٥) باب ومن سورة التوبة، والبيهقي (١٠/ ١٦٦)، وعزو الحديث لأحمد وهم كما أفاده الدوسري، والحديث حسنه الألباني في غاية المرام ص: (٢٠).

الأحوال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعُبِدَ بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

شرح الآثار الواردة في الباب

(ش) المناسبة: لَمَّا كانت طاعة العلماء والعبَّاد والملوك وغيرهم في غير شرع الله شرك، لأن الله ذكر أن طاعتهم بمنزلة اتخاذهم أرباباً من دون الله؛ ناسب أن يبوب له المصنف في كتاب التوحيد، لمنافاته للتوحيد.

المفردات:

قوله: (**يوشك**): أي يقرب ويسرع.

(**أن تنزل عليكم حجارة من السماء**): فيها عذاب بسبب ترككم قول الرسول ﷺ إلى غيره.

قوله: (**عجبت لقومٍ عرفوا الإسناد**): أي: سند الحديث إلى النبي ﷺ، والمراد صحة إسناده.

(**يذهبون إلى رأي سفيان**): أي: مذهبه وما اختاره، وهو سفيان الثوري[1] له مذهب، وهو من أزهد أهل زمانه وأورعهم وأعلمهم، ويتركون قول النبي ﷺ إلى قول سفيان.

(**أتدري ما الفتنة**): وفسر الإمام أحمد الفتنة بأنها الشرك.

---

(١) **هو سفيان بن سعيد بن مسروق**، أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي، سيِّد أهل زمانه علماً وعملاً، من كبار أتباع التابعين، (ت: ١٦١). قال شعبة وابن معين وجماعة: سفيان أمير المؤمنين في الحديث. وقال ابن المبارك: لا أعلمُ عَلَى وجه الأرض أعلمَ منه. وقال ابن مهدي: ما رأيت أحفظ للحديث من الثوري. قال ابن حجر: ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة.

(**وأما العذاب الأليم**): فالمراد به الموجع.

المعنى الإجمالي:

لَمَّا كان أبو بكر رضي الله عنه وكذا عمر رضي الله عنه يذهبان إلى القول بأن إفراد الحج أفضل، مع أن الرسول عليه السلام أمر أصحابه أن يحلوا من عمرتهم إلا من كان معه الهدي، وابن عباس رضي الله عنهما يرى أن المحرم بالعمرة يحل إذا طاف وسعى، شاء أم أبى، فشدَّد ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك، لأنه يقول: هذا قول الرسول ﷺ، وقوله هو الحق الذي يجب المصير إليه، فلا يلتفت إلى قول أحدٍ أياً كان، ومن ترك قول رسول الله ﷺ إلى قول الرجال فقد دخل تحت طاعة العلماء والأحبار الذين طاعتهم شرك بالله، ومن أطاعهم فقد اتخذهم أرباباً، كما شدَّد أحمد في ذلك وأنكر على من أخذ بمذهب سفيان وترك الحديث الصحيح المنقول عن النبي ﷺ، وأخبر أنه يخاف عليهم الزيغ والفتنة، فيهلكون لأنهم يختارون قول هؤلاء مع المعرفة بصحة الحديث، فهم تركوه إلى غيره رغبةً عنه، وكان الإمام أحمد يرى أن من لا يعرف الإسناد لا بأس أن يقلِّد الرجال العلماء، وهذا ما اختاره أصحابه، وقد كان السلف الصالح من الأئمة وغيرهم -رحمهم الله- يبالغون في ردِّ أقوالهم، وعدم الأخذ بها مع وجود حديثٍ صحيحٍ عن النبي ﷺ كما ورد عن الإمام الشافعي وغيره من الأئمة، من عدم الأخذ بالأقوال مع وجود النص.

ما يستفاد مما تقدم:

١- تحريم طاعة العلماء والعباد والرهبان بما يخالف نصاً من الكتاب والسنة، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله من فعل.

٢- وجوب العمل بحديث الرسول ﷺ وتقديمه على كل قول.

٣- أن من عمل بأقوال الرجال بل بمذهب العلماء مع وجود الحديث الصحيح

أنه على خوفٍ من الزيغ، كما قال أحمد مع التغليظ في الإنكار عليه.

حكم التقليد:

٤- اختلاف العلماء في التقليد.

(أ) أحمد يرى وجوب العمل بأحاديث الرسول ﷺ الثابتة لمن له ملكة ومعرفة بالصحيح والسقيم، والقوي والضعيف والناسخ والمنسوخ واستنباط الأحكام، ويرى جواز التقليد لمن لا يستطيع استخراج الأدلة، كالعاميِّ وكذا عند عامة العلماء.

(ب) لا يجوز التقليد في أصول الدين عند جماهير العلماء، مما تواتر عن النبي ﷺ أو كان منصوصاً عليه في الكتاب العزيز.

شرح قوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

المفردات:

قوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ ﴾: الحَبْر بالفتح هو العالم من علماء اليهود.

﴿ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ ﴾: الرهبان هو العابد من عباد النصارى.

﴿ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: أي: بسبب طاعتهم لهم لتحليلهم وتحريمهم بغير ما أنزل الله.

قوله: ﴿ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾: فيه الرد عليهم، لأنهم زعموا أنه هو الله، أو ثالث ثلاثة، أو ابن الله، وهذا معنى: (لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ).

﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾: نزَّه نفسه ﷻ عن الشرك وما وصفه به أعداؤه.

المعنى الإجمالي:

هذه الآيات الكريمة دلَّت على أن طاعة بعض العلماء والعباد والأمراء وغيرهم في التحليل والتحريم أنها جعلتهم كالآلهة، حيث قدَّموا العمل بما قالوا، مع أنهم لم يصلُّوا لهم ولم يذبحوا ولم يدعوهم من دون الله، بل مجرد طاعتهم صيرتهم أرباباً من دون الله، وقد أمر -تبارك وتعالى- أن يُعبد وحده دون من سواه، فلا يشرك في تحليلٍ ولا تحريمٍ، ولا في قليل ولا في كثير، مما هو من خصائص الألوهية.

ما يستفاد مما تقدم:

١- تحريم طاعة العلماء والعبَّاد والأمراء في غير طاعة الله، ووجوب إخلاص العمل لله والعمل بشريعته.

٢- أن من أطاعهم في التحليل والتحريم، أنه اتخذهم أرباباً من دون الله.



باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا...﴾

(م) باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾[1].

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾[2].

وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[3].

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[4].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) قال النووي: حديثٌ صحيحٌ رويناه في كتاب الحجة، في إسنادٍ صحيحٍ[5].

---

(١) سورة النساء: (الآيات: ٦٠- ٦٢).

(٢) سورة البقرة (الآية رقم: ١١).

(٣) سورة الأعراف: (٥٦).

(٤) سورة المائدة: (٥٠).

(٥) حديث ضعيف: أخرجه البغوي في شرح السنة (١/ ٢١٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٢) وعزاه الألباني في تخريج المشكاة (١/ ٥٩) إلى الحسن بن سفيان في الأربعين (ق ٩٥/ ١)، =

وقال الشعبي: كان بين رجلٍ من المنافقين ورجلٍ من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمدٍ، عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جُهينة فيتحاكما إليه فنزلت، ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ﴾...الآية[1][2].

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله[3].

= والقاسم بن عساكر في أربعينه، وقال: حديث غريب، وأعله الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٣٦٤) بثلاث علل، وضعفه الألباني في تخريج المشكاة (١/ ٥٩).

(١) سورة النساء: (٦٠).

(٢) ضعيف بهذا اللفظ: رواه ابن جرير (٥/ ٩٧) مرسلاً، وأما السبب الذي ذكره المصنف بقوله: «وقيل: نزلت في رجلين.. فموضوع فقد علقه الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٠٧، ١٠٨)، والبغوي في تفسيره (١/ ٥٥٢) وفي إسناده كذاب، وقد صح في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه الطبراني (١٢٠٤٥) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان أبو بردة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه، فتنافر إليه الناس من المسلمين، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ﴾... الآية، قال الهيثمي (٧/ ٦): رجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ في الإصابة (٤/ ١٩): وسنده جيد»، أفاده الدوسري في النهج السديد (٤٤٩).

(٣) أخرجه الثعلبي كما في الدر المنثور (٢/ ٥٨٢) والكلبي كما في فتح الباري (٥/ ٣٧) عن ابن عباس قال ابن حجر: «وهذا الإسناد وإن كان ضعيفاً لكن تقوى بطريق مجاهد أخرجه الطبري في التفسير رقم (٩٩٠١) بإسناد صحيح» اهـ.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء، وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾...الآية.

الثالثة: تفسير آية الأعراف: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾...الآية.

الرابعة: تفسير ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾.

الخامسة: ما قاله الشعبي بسبب نزول الآية الأولى.

السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

السابعة: قصة عمر رضي الله عنه مع المنافق.

الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحدٍ حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به النبي ﷺ.

شرح الآيات الواردة في الباب

(ش) المناسبة: لمَّا كان التحاكم إلى الطاغوت من الكفر بالله، وكذا الحكم بغير ما أنزل الله، ناسب أن يذكره المصنِّف في كتاب التوحيد مع كفر من حكم بغير ما أنزل الله على التفصيل الآتي:

المفردات:

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾: زعم الرجل زعماً، أي: قال قولاً كذباً وباطلاً، وهذا ذمٌّ منه -تبارك وتعالى-.

﴿ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾: وهو القرآن.

﴿ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾: المراد به: التوراة.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ﴾: أي: يترافعوا لطلب الحكم بينهم.

﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾: ومعنى الطاغوت: كل ما عبد من دون الله، والطاغوت فسره بعضهم في هذه الآية أنه: كعب بن الأشرف.

قوله: ﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾: لأن الكفر بالطاغوت أحد أركان التوحيد.

﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: أي: ارتكاب حكم الطاغوت من إرادة الشيطان ومراد الشيطان تزيينه.

قوله: ﴿أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠﴾: الضلال ضد الهدى وأكد بالمصدر ووصف بالبعد.

وقوله: ﴿تَعَالَوۡاْ﴾: هلموا وأقبلوا.

﴿إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: الذي هو القرآن والسنة.

﴿رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾: لعدم رغبتهم فيه.

﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١﴾: يبتعدون عمّا جئت به من الهدى والنور.

وقوله: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: الفساد ضد الصلاح فيدخل في حكم الطاغوت وجميع المعاصي؛ لأن المعاصي سبب الفساد وطاعة الله سبب الصلاح.

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾: الجاهلية ما قبل الإسلام، وكل ما خالف تعاليم الدين فهو من حكم الجاهلية.

وقوله: ﴿يَبۡغُونَ﴾: أي: يطلبون.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾: أي: لا أعدل من الله.

﴿ حَكَمًا ﴾ أي: قضاءً.

المعنى الإجمالي:

أخبر -تبارك وتعالى- في الآية الأولى أن هناك طائفةً من الناس آمنوا بالله إيماناً غير مستقرٍ في قلوبهم لضعفه، لأنه لو كان مستقراً وثابتاً لَمَا عدلوا عن حكم الله إلى حكم الطاغوت، ولكنهم آمنوا زعماً وليس عن حقيقة، وأن المؤمن يعرف أن حكم الشريعة الإسلامية سمح عدل، ضمن المصالح للمجتمع، ولكن آمنوا بالطاغوت وحكمه، وهو على ما قيل رغبة بعض المنافقين بحكم كعب بن الأشرف[1] عن حكم رسول الله

(١) **كعب بن الأشرف**، رجل من طيء وأمه من يهود بني النضير ذكر في سيرة النبي محمد بأنه أمر بقتله ونفذ ذلك الأمر جماعة من الأوس.

قصة مقتله: قال ابن إسحاق: وكان من حديث كعب بن الأشرف: أنه لما أصيب أصحاب بدر، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بشيرين بعثهما رسول الله ﷺ إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله ﷻ عليه وقتل من قتل من المشركين كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة الظفري وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعاصم بن عمر بن قتادة، وصالح بن أبي أمامة بن سهل كل قد حدثني بعض حديثه، قالوا: قال كعب بن الأشرف وكان رجلاً من طيء، ثم أحد بني نبهان، وكانت أمه من بني النضير، حين بلغه الخبر: أحق هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان يعني: زيداً وعبد الله بن رواحة، فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها، وقد ألف قصيدة شعرية في التحريض على رسول الله ﷺ، وقد رد عليه شعراء المسلمين منهم حسان بن ثابت رضي الله عنه، وميمونة بنت عبد الله.

ﷺ، على ما يأتي، فأخبر - تبارك وتعالى- أن هؤلاء هم من جملة المنافقين، لأن المنافقين أضر من غيرهم على المسلمين، لمعرفتهم بأحوال المسلمين فهم موجودون في كل زمانٍ ومكان يتربصون بالمسلمين الدوائر، عليهم دائرة السوء، كما نَوَّه عن طائفةٍ أخرى من هؤلاء أنهم يفسدون في الأرض بالمعاصي والرغبة عن الإسلام، وعن حكم الإسلام إلى غيره، ومع ذلك إذا قيل لهم: لا تفسدوا في الأرض؛ لأن المعاصي سبب للفساد والدمار والخراب كما هو معروف ومشاهد، وإن تعاليم الشريعة والقضاء بها سبب لصلاح المجتمع ورقيه واستقامته، ومع هذا يقولون: نحن مصلحون مجرد دعوى، فما أكثر من يدعي، كما أخبر أن من دعاه رغبة ورهبة كان ذلك سبباً لرحمته التي وعدها عباده الصالحين المصلحين، وهي قريبة منهم وهم أحق بها وأهلها.

ما يؤخذ من الآيات:

١- أن من رغب عن حكم الإسلام إلى حكم الطاغوت ليس بمؤمنٍ.

٢- إن ادّعاء الإيمان بالكتاب وما جاء به رسوله ﷺ لا تنفع قائلها إلا بالعمل بشريعته.

٣- أن التحاكم إلى غير الله ورسوله ﷺ تحاكم إلى الطاغوت.

٤- أن من فعل ذلك فقد أطاع الشيطان، وقد أضله وأبعده عن الحق بالتزيين.

٥- أن فعل المعاصي سبب للفساد في الأرض، وأعظم ذلك التحاكم إلى غير الله.

٦- أن الدعاء سبب لرفع بعض النقم، أو ردها قبل أن تنزل، وموجب للرحمة إذا كان خالصاً لله.

٧- أن كل من رضي بغير حكم الله فقد رضي بحكم الجاهلية.

٨- أنه لا أحسن ولا أعدل من حكم الله.

شرح الأحاديث والآثار الواردة في الباب

المفردات:

(لا يؤمن أحدكم): الإيمان الكامل.

(حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به): أي ما يهواه وتميل إليه نفسه.

(تبعاً): موافقاً لما جاء به الرسول ﷺ من الشريعة والدين.

وقوله: «فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة»: الرشوة هي: ما يأخذه الحاكم من أحد الخصمين إما لظلم الآخر، أو لاستخراج حقٍّ له بذلك، وقد لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي والوسيط بينهما على حدٍّ سواء[(١)][(٢)].

المعنى الإجمالي:

أورد الشيخ رحمه الله هذه الآثار في بيان سبب نزول الآية، وأن سببها هذان الرجلان: المنافق واليهودي، وأن المنافق رغب عن شريعته إلى شريعة اليهود، مع زعمه الإيمان بالقرآن، ورغبة اليهودي في أحكام الإسلام هي شهادة أعدائه بعدالته وسماحته، وأنه ليس فيه جور كما في الأديان الأخرى المحرفة، أما المنافق فلمّا كان ضعيف الإيمان، وكان قصده الدنيا فإنه لم يرض بعدالة الإسلام، وصدَّ إلى اليهودية والنصرانية، فهو لم يكن

---

(١) الوسيط بين الراشي والمرتشي يسمى: الرائش.

(٢) **نص الحديث**: (لعن الله الراشي والمرتشي والرائش الذي يمشي بينهما) رواه بهذا اللفظ أو نحوه من حديث ثوبان رضي الله عنه: الطحاوي في (شرح مشكل الآثار) (١٤/ ٣٣٣) برقم (٥٦٥٦)، والحاكم (٤/ ١٠٣). ورواه بلفظ: (لعن رسول الله ﷺ..) أو نحوه من حديث ثوبان أيضاً: أحمد (٥/ ٢٧٩)، وابن أبي شيبة (٦/ ٥٤٩، ٥٨٧)، والطبراني (٢/ ٩٤) برقم (١٤١٥)، والبزار (كشف الأستار ٢/ ١٢٤ برقم (١٣٥٣).

اتبع ما جاء به الرسول ﷺ بل تشعبت به الأهواء، فانتفي عنه الإيمان، لأن الرسول ﷺ أخبر أنه لا يؤمن حتى يكون هواه تابعاً لما جاء به الرسول ﷺ، أما إن كان تابعاً هواه متبعاً غير سنة المصطفى ﷺ يميل مع الدنيا حيث مالت، فهو غير مؤمنٍ، ولَّما وصل الخصمان إلى عمر قتل هذا المنافق المظهر لنفاقه، ولم يمنع الرسول ﷺ من قتل أمثال هؤلاءِ إلا لئلا يتحدث الناس أن محمداً ﷺ يقتل أصحابه.

ما يستفاد مما تقدم:

١- أن الذي لا يتابع الرسول ﷺ، ويهوى ما جاء به أو يخالفه فليس بمؤمنٍ كامل الإيمان، وأما إن أبغض ما جاء به الرسول ﷺ، فهو لا شك منافق أشر من الكافر.

٢- أن الرشوة معروفة في دين اليهود، ويقبلونها في قضائهم.

حكم الرشوة:

٣- أن الرشوة أخذاً وإعطاءً ووساطة على التفصيل الآتي حرام:

(أ) من دفعها ليدفع عنه حقاً وليحصل على باطل فهو حرام لا شك فيه، لعنه رسول الله ﷺ.

(ب) اختلفوا فيما إذا كان لاستخراج حقٍّ له، أو دفع ظلمٍ عنه، فيرى شيخ الإسلام جواز فعل ذلك في حقِّ الدافع دون الآخذ والوسيط، وبعض العلماء يمنع من ذلك مطلقاً، لأن الرسول ﷺ لعن الراشي والمرتشي والرائش على حدٍّ سواء، ولأدلةٍ أخرى مثل قوله: (**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**)[1].

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٧٠٨): أخرجه أبو داود (٢/ ١٠٨) والترمذي (١/ ٢٣٨) والدارمي (٢/ ٢٦٤)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٣٠) والدارقطني (٣٠٣) والحاكم (٢/ ٤٦) من طريق طلق بن غنام عن شريك وقيس عن أبي حصين عن أبي صالح عن =

٤- أن من أظهر نِفاقاً وتظاهر فيه يجوز قتله، كما فعل عمر رضي الله عنه وكما قتل كعب بن الأشراف.

٥- أن بعض المنافقين شر على المسلمين من اليهود والنصارى.



= أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب». والحاكم: «حديث شريك عن أبي حصين صحيح على شرط مسلم». ووافقه الذهبي. قلت: وفيه نظر فإن شريكاً إنما أخرج له مسلم متابعة كما قال الذهبي نفسه في «الميزان» وهو سيىء الحفظ، ومثله متابعة قيس وهو ابن الربيع، لكن الحديث حسن باقترانهما معاً، وهو صحيح لغيره لوروده من طرق أخرى. فقد أخرجه أبو داود من طريق يوسف بن ماهك المكي قال: كنت أكتب لفلان نفقة أيتام كان وليهم، فغالطوه بألف درهم، فأداها إليهم، فأدركت لهم من مالهم مثليها، قال: قلت: اقبض الألف الذي ذهبوا به منك؟ قال: لا، حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: فذكره. ورجاله ثقات رجال مسلم غير ابن صحابيه، فإنه لم يسم. وأخرجه بنحوه أحمد (٣/ ٤١٤)، وأخرج المرفوع منه فقط الدارقطني. وقال عن رجل من قريش عن أبي بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ، فذكره وقد صححه ابن السكن كما في «الفيض». وأخرجه الطبراني في «الصغير» (٩٦) وكذا الحاكم من طريق أيوب بن سويد حدثنا ابن شوذب عن أبي التياح عن أنس مرفوعاً به. وأيوب هذا ضعيف. قال المناوي: «ورواه البيهقي عن أبي أمامة بسند ضعيف، وقال ابن الجوزي: لا يصح من جميع طرقه». قلت: وهذا من مبالغاته، فالحديث من الطريق الأولى حسن، وهذه الشواهد والطرق ترقيه إلى درجة الصحة لاختلاف مخارجها، ولخلوها عن متهم، والله أعلم. وقال الألباني في صحيح الجامع: (صحيح) انظر: حديث رقم: ٢٤٠ في صحيح الجامع.

أسئلة

١- ما مناسبة قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية في كتاب التوحيد؟

٢- بين معاني المفردات الآتية: ما هو قول الزعم؟ وما هو الذي أنزل على الرسول ﷺ؟ وما هو الذي أنزل من قبل؟ ما هو الطاغوت؟ لماذا أمر الناس بالكفر بالطاغوت؟ ما هو الضلال البعيد؟ ما معنى: تعالوا؟ ما الذي أنزل الله؟ وما معنى يَصدُّون عنك صدوداً؟ ما هو الفساد في الأرض؟ وما معنى أفحكم الجاهلية؟ ثم اشرح الآيات شرحاً مجملاً، وما فيهما من أحكام؟

٣- ما معنى لا يؤمن أحدكم؟ هواه تبعاً لما جئت به؟ وعرف الرشوة وبيِّن اختلاف العلماء فيها؟ ثم اشرح الأثرين شرحاً مجملاً، وبيِّن ما فيهما من أحكام؟



باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

(م) قوله: باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات:

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾[١].

وفي صحيح البخاري: قال عليٌّ رضي الله عنه: **(حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله)**[٢].

وروى عبد الرزَّاق عن معمر عن ابن طاوس، عن أبيه عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «أنه رأى رجلاً انتفض لمَّا سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات، استنكاراً لذلك، فقال: ما فرق هؤلاءِ؟ يجدون رقةً عند محكمه ويهلكون عند متشابهه»، انتهى[٣].

ولمَّا سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾[٤].

---

(١) سورة الرعد الآية (رقم: ٣٠).

(٢) رواه البخاري: كتاب العلم (١٢٧)، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا، معلقاً عن علي موقوفاً، وعنده بلفظ: أتحبون أن يكذب الله ورسوله، وضعفه الألباني انظر: حديث رقم: ٢٧٠١ في ضعيف الجامع.

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٨٩٥)، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٤٨٥)، وقال الألباني في تخريج السنة: «إسناده صحيح رجاله ثقات على شرط مسلم غير ابن ثور واسمه محمد وهو ثقة اتفاقاً» ا.هـ.

(٤) سورة الرعد (الآية رقم: ٣٠).

فيه مسائل:

الأولى: عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات.

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة: ذكر العلة أنه يقضي إلى تكذيب الله ورسله، ولو لم يتعمد المنكر.

الخامسة: كلام ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما لمن استنكر شيئاً من ذلك وأنه أهلكه.

مذاهب الفرق في الأسماء والصفات

(ش) المناسبة: لَمَّا كان إنكار الصفات وجحدها كفراً بالله، ومن أنكر بعضها فهو مبتدع، ناسب أن يُبَوب المصنِّف لها باباً في كتاب التوحيد لمنافاتها للتوحيد، أما حكم الذي يجحد شيئاً من الأسماء والصفات فهم على أضرب، منهم من ينكر الأسماء والصفات كالجهمية، فإنهم يعطلونه عن الأسماء والصفات، فلذا كفرهم كثير من أئمة السلف

وقال ابن القيم في ذلك[1]:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني

أي: كفَّرهم خمسمائة عالمٍ من علماء المسلمين، وأصل هذا المذهب - كما ذكر شيخ الإسلام- مأخوذ عن اليهود، وأن الجهم بن صفوان أخذه عن الجعد بن درهم، الذي

(١) انظر: كتاب متن القصيدة النونية، للمؤلف محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن شمس الدين ابن قيم الجوزية، فصل في مذاهب القائلين بأنه متعلق بالمشيئة والإرادة.

قتله خالد بن عبد الله القسري في عيد الأضحى، وقد أخذ هذا المذهب الجعد عن لبيد بن الأعصم، الذي سحر النبي ﷺ، وقد قتله خالد بفتوى من علماء زمانه، فإنه قال: ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، ثم نزل فقتله، أما المعتزلة فقد أثبتوا لله الأسماء وأنكروا الصفات، وبدَّعهم أهل السنة في ذلك، والأشاعرة أثبتوا لله سبع صفات فقط، وهي:

١- القدرة. ٢- الإرادة.

٣- العلم. ٤- الحياة.

٥- السمع. ٦- البصر.

٧- الكلام.

فكل صفةٍ من هذه الصفات يستدلون عليها بدليل العقل، وأما غيرها فينفونها، وأهل السنة يقولون: يمكن الاستدلال عليها بدليل العقل والنقل كما أن مذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بجميع ما جاء في الكتاب والسنة، من ذكر الأسماء والصفات، فلله -سبحانه- ذات وصفات وأسماء، لا تشبه أحداً من خلقه. فلا تشبيه ولا تمثيل بل على حدِّ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1].

(١) سورة الشورى: (١١).

شرح النصوص الواردة في الباب

المفردات:

قوله: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾: سبب نزولها أن الرسول ﷺ في صلح الحديبية كتب: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾ فقالوا: ما نعرف الرحمن، فقال: اكتب باسمك اللَّهم، فنزلت: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ فالرحمن اسمه وصفته.

قوله: (**حدِّثوا الناس بما يعرفون**): أي: من الأمور الواضحة للعامة من أمر الصفات.

قوله: (**انتفض**): أي: أصابته رعشة ورعدة، مأخوذ من نفضته الحمى.

قوله: (**في الصفات**)هي: صفات الباري.

قوله: (**استنكاراً لذلك**): أي: أنه استنكر الحديث لما سمعه.

قوله: (**ما فَرَقُ هؤلاء؟**): فرق الرجل فرقاً، أي: فزع.

(**يجدون رقة**) أي: تلين القلوب بالخوف والوجل.

قوله: (**محكمه**): أي: محكم القرآن مأخوذ من الإحكام، وهو ظاهر الحلال والحرام.

(**ويهلكون**): هلك الرجل هلاكاً، والمراد به ميتة السوء.

(**المتشابه**): خلاف الظاهر، والذي لا يعرفه إلا الربَّانيون أو استأثر الله بعلمه.

المعنى الإجمالي:

في هذه الترجمة بيان لجحد كفار قريش اسم الرحمن، وكأنه يظهر منها أن الشيخ يستدل على أن من جحد الصفات والأسماء كفر كالجهمية، كما ذهب إليه كثير من علماء السنة، والرحمن اسم للربِّ سبحانه وصفة وكذلك الرحيم، وأهل السنة يعتقدون هذه

الصفات وما دلَّت عليه، بدون تأويلٍ لمعناها ولا تكييف، بل كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾[(١)]، وجميع ما وصف الله به نفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال، كما أن الصحابة ومن بعدهم من علماء السلف ينكرون على القصاص الذين يأتون بغرائبَ من الآثار الواردة في الصفات وغيرها التي يستغربها سامعها وينتفض عند سماعها، فأمر عليٌّ بأن يحدث الناس عن الله ورسوله ﷺ بما يعرفونه، لئلا تئول الحال إلى الإنكار أو التشكيك، فيحصل بذلك الهلاك، لأن الربانيين في العلم يقولون: (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا): أي المحكم والمتشابه. وهو المذكور في قوله:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ٧﴾[(٢)].

ما يستفاد من الباب:

١ - مذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ، من صفات الكمال ونعوت الجلال.

٢ - ذهبت الجهمية إلى إنكار الأسماء والصفات، فِراراً من التشبيه، فكفرهم كثير من علماء السنة، وأما المعتزلة فأقرت بالأسماء وأنكرت الصفات، فصاروا بذلك أهل بدعة، الأشاعرة أثبتوا لله الأسماء وسبع صفات فقط، وتقدم الجواب عن شبهتهم.

٣- ينبغي أن لا يُقَصَّ على الناس في المساجد وفي المجتمعات العامة إلا بما يعرفون

(١) سورة الشورى: (١١).

(٢) سورة آل عمران (الآية رقم: ٧).

من أمورٍ، ويوجهون إليه مما يلزمهم معرفته ويبتعد بهم عن الإغراب في الأقاصيص وإيراد بعض الآثار التي تشكل عليهم في الصفات.

٤- اشتمال القرآن على محكم ومتشابه.

٥- إنكار قريش اسم الرحمن، واعتقاد أهل السنة بذلك الاسم وغيره من الأسماء والصفات، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[1].



أسئلة

١- ما هي مناسبة باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات للكتاب؟ اذكر مذهب الجهمية ورأي أهل السنة فيهم؟ ثم اذكر مذهب المعتزلة؟ وحكم أهل السنة فيهم؟ وبين مذهب الأشاعرة وما يثبتون من الصفات وفيما يتفقون؟ وما رأى أهل السنة وإجابتهم عن ذلك؟

٢- ما هو سبب نزول: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾؟ هل يدل الرحمن على صفةٍ، ومن أي صفات الله؟

٣- ما معنى: حدِّثوا الناس بما يعرفون؟ وما معنى: انتفض؟ ما هي الصفات التي انتفض لَمَّا سمعها؟ ما معنى: فَرَقَ الرجلُ؟ ما هي الرِقة عند المحكم؟ وبيِّن المحكم والمتشابه؟ واشرح الآيات شرحاً مجملاً؟ واذكر الأحكام التي في الباب.



(١) سورة الأعراف: (١٨٠).

باب قول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾

(م) قوله: باب قول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1].

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي.

وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

وقال قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

وقال أبو العباس: بعد حديث زيدٍ بن خالد الذي فيه: (أن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر...الحديث) وقد تقدم، وهكذا كثير في الكتاب والسنة، يذم -سبحانه- من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبةً، والملاح حاذقاً ونحو ذلك، مما هو جارٍ على ألسنة كثيرٍ.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية: معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة.

الرابعة: اجتماع الضدين في القلب.

(١) سورة النحل (الآية رقم: ٨٣).

شرح النصوص الواردة في الباب

(ش) المناسبة: لَمَّا كان كفر النعمة منافياً لكمال التوحيد الواجب لرب العالمين، لأنك تنسب النعمة إلى غير المنعم الذي هو الله، فهو كفر دون كفر؛ ناسب ذكره هنا في كتاب التوحيد.

المفردات:

﴿نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾: قيل: الإسلام وقيل محمد ﷺ.

﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾: بالكفر به، وعدم اتباعه، وجملة ما فسرت به النعمة عند العلماء أنهم نسبوها إلى آبائهم أو آلهتهم أو مقدرتهم على المضاربة.

﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣﴾ فهم كفروا النعمة، ولم يشكروها كما تقدَّم، أما من اعتقد أن الآلهة ترزق أو تنفع أو تضر، فهو شرك أكبر، كما تقدم في أول الكتاب.

المعنى الإجمالي:

ذكر الله سبحانه وتعالى أن هناك طائفةً من الناس يعرفون أن المنعم الحقيقي هو الله، لكن يضيفون تلك النعم إلى آبائهم أو آلهتهم، أو مقدرتهم على أنواع المضاربة، أو يضيفون التجارة إلى بحّارة السفن أو الطيران أو هدوء الجو وسكون الأمواج وحسن قيادة الملاحين وما شاكل ذلك، مما يجدر أن يشكر الله وحده على توفيقه وتيسير الأمور، بأنواع الأرزاق والوصول إلى الأماكن، ولو شاء الله لما وصلوا إليها، ولما تيسرت لهم النعم ولا الشفاء والصحة وزوال المرض، كمن يضيف الشفاء إلى حذاقة الطبيب ومهاراته، ولو علم أن الله هو النافع الشافي، لما أضافها إلى الطبيب، ولشكر الله على ذلك، وهو لا ينافي من لا يشكر الناس لا يشكر الله، وسيأتي في باب المكافأة.

ما يستفاد من الباب:

١- أن من أضاف النعم إلى غير الله وشكره، فهذا من كفر النعمة.

٢- أن هذا الكفر لا يخرج من الملة، مع اعتقاد أن المنعم هو الله.

٣- أن ذلك جارٍ على ألسن كثيرٍ من الناس، لإضافة النعم إلى غير ذلك.

٤- أن لا فرق بين إضافة شكر النعمة إلى الآباء أو الصحة أو المقدرة إلى الطبيب ومهارته أو سلامة الوصول إلى قائد الطائرة أو قائد السفينة، هذا كله من كفر دون كفر.

٥- اعتقاد أن الآلهة ترزق أو تنفع أو تضر، كفر مخرج من الملة.



أسئلة

١- عرِّف شكر النعمة، وما هي النعمة؟ كيف يضيفونها إلى غير الله وما هو الكفر المنسوب إلى من لا يشكر الله؟ اشرح الآيات التي مرَّت بك شرحاً إجمالياً، مع الاستشهاد بكلام السلف، وبيِّن ما فيها من أحكام.



باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

(م) باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[(١)].

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما في الآية: الأنداد هو: الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاةٍ سوداء، في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كُليبه هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك) رواه ابن أبي حاتم[(٢)].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) رواه الترمذي وحسنَّه وصححه الحاكم[(٣)].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (**لأن أحلف بالله كاذباً، أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً**)[(٤)].

---

(١) سورة البقرة (الآية رقم: ٢٢).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم «القسم المطبوع: (١/ ٨١)، و«تفسير الطبري»: (١/ ١/ ١٦٣)، و«تفسير ابن كثير»: (١/ ٦١)، وأحاله علي ابن أبي حاتم. وانظر: «تفسير السيوطي»: (١/ ٨٧)، و«تفسير الشوكاني»: (١/ ٥٢)، وأحاله علي ابن أبي حاتم.

(٣) صحيح: رواه الترمذي، كتاب الأيمان والنذور (١٥٣٥): باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، وقال: حديث حسن، وأبو داود وليس عنده لفظ: (كفر) كتاب الأيمان والنذور (٣٢٥١) باب كراهية الحلف بالآباء، والحاكم (١/ ١٨)، (٤/ ٢٩٧) وصححه ووافقه الذهبي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٨٠).

(٤) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (٨٩٠٢) بإسناد صحيح، وقال المنذري في الترغيب =

وعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**)(رواه أبو مسعود[1] بسند صحيح)[2].

وجاء عن إبراهيم: (**أنه يكره أعوذ بالله وبك، ويجّوز أن يقول: بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان**)[3].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية: أن الصحابة يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر.

الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقاً، فهو أكبر من اليمن الغموس.

الخامسة: الفرق بين الواو وثم في اللفظ.

= (٣/ ٦٠٧)، وكذا الهيثمي في المجمع (٤/ ١٧٧): ورواته رواة الصحيح. ا.هـ، وعبد الرزاق وابن أبي شيبة في مصنفيهما، وصححه الألباني (انظر: صحيح الترغيب والترهيب).

(١) قوله: (رواه أبو مسعود) وهكذا وقع في الأصل المطبوع، وهو خطأ ظاهر، وصوابه: رواه أبو داود وتم تصحيحه اعتماداً على نسخة الشرح في فتح المجيد.

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢١٤): رواه أبو داود (٤٩٨٠) والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٩٠) والبيهقي (٣/ ٢١٦) وأحمد (٥/ ٣٨٤ و٣٩٤ و٣٩٨) من طرق عن شعبة عن منصور بن المعتمر سمعت عبد الله بن يسار عن حذيفة به. قلت: وهذا سند صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن يسار وهو الجهني الكوفي وهو ثقة، وثقه النسائي وابن حبان. وقال الذهبي في «مختصر البيهقي» (١/ ١٤٠/ ٢): «وإسناده صالح».

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٩٨١١) عن إبراهيم بلفظ: (أنه كان يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك حتى يقول: ثم بك). والله أعلم.

شرح قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

(ش) **المناسبة**: مناسبة الآية في الباب هنا وقد قدمها في أول الكتاب؛ ليبين الصلة بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر، ولما كان الشرك الأصغر منافياً لكمال التوحيد، وكالعطف والمساواة بين مشيئة الله ومشيئة المخلوق، وكذا الحلف بالله كل هذا منافٍ لكمال التوحيد، ناسب ذكر الآية هنا، لأنهم يستدلون فيما نزل في الشرك الأكبر على الشرك.

المفردات:

﴿أَندَادًا﴾: الأنداد جمع ند، وهو أن يتخذ لله نداً في الدعاء أو الرجاء.

وقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾: أن الله هو الإله المعبود على الحقيقة، ويدخل في ذلك الشرك الخفيُّ والأصغر.

قال ابن عبَّاس في تفسير الآية: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبه هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك. رواه ابن أبي حاتم.

المعنى الإجمالي:

لَمَّا تقدم في هذه الترجمة بيان أن السلف يستدلون على الشرك الأصغر فيما نزل في الشرك الأكبر، وأن ابن عباس رضي الله عنهما استدل على الشرك الخفي والأصغر في هذه الآية، لأنه معلوم أن قول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي ليس من الشرك الأكبر بل من الأصغر، ومع هذا استدلّ بالآية عليه، وأن قوله: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص،

ولولا الله وفلان وما شاء الله وشئت من الأصغر المغلظ فيه، والذي يجب إنكاره وأن الشرك الأصغر قد يتحول إلى أكبر، ولذا حذَّروا منه وخافوه على الأمة.

شرح الأحاديث والآثار الواردة في الباب

المفردات:

(**الحلف**) حلف حلفاً، أي: أقسم به، فالحلف بالله عبادة والحلف بغيره شرك.

قوله: (**فقد كفر أو أشرك**): يحتمل أن أو بمعنى الواو، والمعنى: فقد كفر وأشرك.

قوله: (**لأن أحلف بالله كاذباً**): فالحلف بالله كاذباً كبيرة من الكبائر؛ لأنه أخف من الحلف بغيره، لأنه شرك ولو كان صادقاً.

قوله: (**ما شاء الله وشاء فلان**): الواو تقتضي مطلق الجمع، والمعنى أنه ساوى بين مشيئة الله ومشيئة فلان.

قوله: (**ما شاء الله ثم شاء فلان**): ثم تأتي للترتيب والتراخي، فلذا جاز ما شاء الله ثم شاء فلان، خلافاً للعطف بالواو.

قوله: (**يكره أعوذ بالله وبك**): أي: يجوز قول: أعوذ بالله ثم بك، وذلك لعلة العطف المتقدم، والفرق بين الواو وثم، والكراهة هنا للتحريم.

المعنى الإجمالي للآثار:

في هذه الآثار: التنبيه على أن الحلف بالله عبادة، والحلف بغيره شرك، وهو من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، كما أن الحلف بالله مع الكذب كبيرة فهي مغلظ فيها.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟

بَيْنَ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾[١]، فالحلف به مع الكذب أخف من الحلف بغيره مع الصدق، لأنَّ ذلك -أي: الحلف بغيره- شرك، والشرك أكبر من الكبيرة، ولهذا غلَّظ الشارع في ذلك، ونهى عنه وزجر، كما أن التشريك بين مشيئتك ومشيئة الله، أو أعوذ بالله وبفلان، أو أنا بالله وبك وما شابه ذلك نوع من الشرك، لأنك ساويت بين مشيئة المخلوق ومشيئة الخالق، والمخرج من ذلك أن تأتي بدل الواو بثم، فتقول: أعوذ بالله ثم بك، وهذا في الحي القادر الحاضر، أما الأموات والغائبون فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو شرك أكبر، أما الأول فهو من الشرك الأصغر، لا يخرج من الملة إلا أنه ينبغي التغليظ فيه، والإنكار على من فعله.

ما يؤخذ من الأحكام مما تقدم:

١- استدلال السلف فيما نزل في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر.

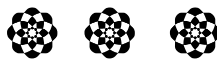
٢- أن الشرك ينقسم إلى أقسام: أكبر وأصغر وخفي.

٣- أن الحلف بالله مع الكذب أخفُّ من الحلف بغيره مع الصدق لأنه شرك.

٤- أن الشرك الأصغر أكبر من الكبيرة.

٥- أن المستعيذ بالله إذا عطف بالواو؛ فإنه يستوي بينه وبين غيره، كقوله: أعوذ بالله وبك، وجواز أعوذ بالله ثم بك.

٦- أن المستعيذ إذا استعاذ بمخلوقٍ غائبٍ غير قادرٍ على إعانة المستعين، فإنه شرك أكبر فتنبه للفرق.



(١) سورة البقرة (الآية رقم: ٢٢٤).

أسئلة

١- بيِّن المناسبة في الآية الكريمة: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ بكتاب التوحيد، واذكر ما شرح ابن عباس الآية به؟ ثم اذكر الفرق بين الواو وثم في العطف في قولك: ما شاء الله وشئت، أو قولك: ما شاء الله ثم شئت ولأي شيء تأتي الواو؟ ثم اذكر استدلال السلف فيما نزل في الشرك الأكبر على الأصغر؟ ثم اذكر الفرق بين الحلف بالله مع الكذب، والحلف بغيره مع الصدق؟



باب ما جاء في من لم يقنع بالحلف بالله

(م) قوله: باب ما جاء في من لم يقنع بالحلف بالله.

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حُلِفَ له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله) **(رواه ابن ماجه في سندٍ حسن)**(١).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

الثالثة: وعيد من لم يرض.

(ش) المناسبة:

لمَّا كان الحلف بالله يجب أن يحترم ويعظم من الحالف والمحلوف له، وأن الاستهانة بذلك منافٍ لكمال التوحيد، ناسب أن يبوب المصنف لذلك، كما أن الحلف بالله عبادة.

المعنى الإجمالي:

الحلف بالله عبادة له -سبحانه- فينبغي أن يعظم، ولا يستهان بالحلف به ويجعل عرضةً لمن أراد أن يتكلم، فلا يتكلم إلا بالحلف بالله، وقد تقدَّم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه: كتاب الكفارات (٢١٠١): باب من حلف له بالله فليرض، والبيهقي في الكبرى وصححه الألباني في الإرواء (٢٧٦٥)، وصحيح الجامع (٧١٢٤).

عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ ﴾[1] ومن أعظم البرِّ عدم الحلف كاذباً، فإنه اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في النار، إذا حلف على اقتطاع مال امرئ مسلم، وكما أنه من الثلاثة الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، الذي جعل الله بضاعته لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه، وأما الحلف بالآباء والأمهات والذمة أو الصلاة أو غيرها فهو نوع شركٍ، وتقدم في الباب قبله، فعلى المسلم أن يصدق ويجب على المستحلف أن يرضى، ويطلب لأخيه المعاذير، وأن يحسن الظن به كما جاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال: (**ولا تظنن بكلمةٍ خرجت من مسلم شراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً**)[2]، كما أخبر الرسول ﷺ أنه من لم يرض بالحلف ليس من الله، وهذا في الخصومات وغيرها، لكن في الخصومات إذا لم يكن للمدعي بينة على ما ادعاه حلف المدعى عليه، وترك بعد استحلافه، وهذا لا يبيح له أن يأكل مال أخيه.

ما يؤخذ من الباب من أحكام:

١- تحريم الحلف بالآباء ومثله الأمهات، والديانة على الصحيح، ومثله الأمانة والصلاة وغيرها.

٢- يجب على الحالف أن لا يكثر الحلف ولو كان صادقاً.

٣- وجوب الصدق في اليمين.

٤- إذا ادّعى دعوى وليس له بينة ليس له إلا اليمين.

٥- الحذر من اليمين الغموس، وهي الكاذبة لاقتطاع مال امرئٍ مسلمٍ، فتغمس صاحبها في النار.

---

(١) سورة البقرة (الآية رقم: ٢٢٤).

(٢) رواه الخطيب في المتفق والمفترق، وابن عساكر، وابن النجار انظر: كنز العمال (٤٤٣٧٢) وقال في جامع الأحاديث: أخرجه ابن عساكر (٤٤/ ٣٦٠).

أسئلة

١- ما مناسبة ذكر الباب هنا في التوحيد؟ هل يجوز أن يحلف بأبيه وأمه؟ واذكر التغليظ في الذي يكثر الحلف بالله؟ ماذا ينبغي للإنسان أن يحمل أخاه عليه من المعاذير؟

٢- اشرح الحديث شرحاً مجملاً، وبيّن ما فيه من أحكام؟



باب قول: ما شاء الله وشئت

(م) باب قول: ما شاء الله وشئت:

عن قتيلة: «أن يهودياً أتي النبي ﷺ، فقال: إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت» رواه النسائي وصححه[(١)].

وله أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: أجعلتني لله نداً؟ ما شاء الله وحده»[(٢)].

---

(١) رواه النسائي (٣٧٧٣) وصححه الألباني، وأخرجه الطحاوي في «المشكل» (١/ ٣٥٧) والحاكم (٤/ ٢٩٧) والبيهقي (٣/ ٢١٦) وأحمد (٦/ ٣٧١ - ٣٧٢) من طريق المسعودي عن سعيد بن خالد عن عبد الله بن يسار عن قتيلة بنت صيفي امرأة من جهينة قالت: «إن حبراً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: إنكم تشركون! تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فقال رسول الله ﷺ» فذكره. وقال الحاكم: «صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي. قلت: المسعودي كان اختلط، لكن تابعه مسعر عن معبد بن خالد به. أخرجه النسائي (٢/ ١٤٠) بإسناد صحيح، ولعبد الله بن يسار حديث آخر نحو هذا. وهو: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٢١٣).

(٢) رواه النسائي في الكبرى وأحمد وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره، وعندهم بلفظ: عدلاً بدلاً من ندا. قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢١٦): (عن ابن عباس): أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٧) وابن ماجه (٢١١٧) والطحاوي في «المشكل» (١/ ٩٠) والبيهقي (٣/ ٢١٧) وأحمد (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧) والطبراني في «الكبير» (٣/ ١٨٦/ ١) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٩٩) والخطيب في «التاريخ» (٨/ ١٠٥) وابن عساكر (١٢/ ٧/ ٢) من طرق عن الأجلح عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس. إلا أن ابن عساكر قال: «الأعمش» بدل =

ولابن ماجه عن الطفيل -أخي عائشة لأمها- قال: «رأيت كأني أتيت على نفرٍ من اليهود. قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، ثم مررت بنفرٍ من النصارى، فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلمَّا أصبحتُ أخبرتُ بها من أخبرت، ثم أتيتُ النبي ﷺ فأخبرته، قال: هل أخبرت بها أحداً؟ قلت: نعم، قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده»(١).

= «الأجلح». قلت: والأجلح هذا هو ابن عبد الله أبو حجية الكندي وهو صدوق كما في «التقريب» وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين، فالإسناد حسن.

(١) انظر: الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (١٥٥) (١٥٦) وبنحوه رواه ابن ماجه وأحمد وصححه الألباني، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه، فمن رجال ابن ماجه، وقال الألباني في الصحيحة: قال شعبة عنه: عن ربعي عن الطفيل أخي عائشة قال: «قال رجل من المشركين لرجل من المسلمين: نعم القوم....» الحديث. أخرجه الدارمي (٢/ ٢٩٥). وتابعه أبو عوانة عن عبد الملك به. أخرجه ابن ماجه (٢١١٨/ ٢). وتابعه حماد بن سلمة عنه به عن الطفيل ابن سخبرة أخي عائشة لأمها: «أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود؟ قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن عزيراً ابن الله، فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد! ثم مر برهط من النصارى، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارى، فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وما شاء محمد! فلما أصبح أخبر بها من أخبر، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: هل أخبرت بها أحداً؟ قال: نعم، =

فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الثالثة: قوله ﷺ: «أجعلتني لله نداً؟» فكيف بمن قال: «ما لي من ألوذ به سواك»، والبيتين بعده؟

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر، لقوله: «يمنعني كذا وكذا».

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة: أنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام.

حكم الحلف بغير الله تعالى

(ش) المناسبة:

لَمَّا كان قول: ما شاء الله وشئت فيه نوع مشاركة بالمشيئة بين الخالق والمخلوق، وفيه عدم إفراد الله بالمشيئة، وفيه من عدم التحقيق للتوحيد ما لا يخفى، ناسب ذكره في كتاب التوحيد.

المفردات:

(قتيلة)[١]: بنت صيفي الأنصارية.

= فلما صلوا خطبهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال..»، فذكر الحديث بلفظ: «إن طفيلاً رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها، قال: لا تقولوا ما شاء الله، وما شاء محمد». والله أعلم، قلت: ويظهر أن الشيخ أخذه بهذا التمام من الأحاديث المختارة للضياء المقدسي وهو ما أشرنا إليه في أول التخريج. والله أعلم.

(١) **قتيلة**: بمثناة مصغرة بنت صيفي الأنصارية، صحابية مهاجرة، لها حديث في «سنن النسائي» =

قوله: **(ما شاء وشئت)**: فيه إثبات مشيئة الله، وأن العبد له مشيئة وقدرة تابعة لمشيئة الله، لقوله في الحديث: «ما شاء الله ثم شئت».

قوله: **(والكعبة)** فيه تحريم الحلف بالكعبة، وجواز برب الكعبة.

قوله: **(نفر من اليهود)**: النفر الجماعة، واليهود هم أتباع موسى عليه السلام، وهم أهل التوراة.

(ونفر من النصاري): النصارى أتباع عيسى عليه السلام وهم أهل الإنجيل، وهاتان الطائفتان قد غيرتا وبدلتا.

قوله: **(فحمد الله وأثنى عليه)** كما هي عادته في خطبه فإنه يبدأها بحمد الله ويثني على ربه بما هو له أهل.

(أما بعد): كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى أسلوب، وقيل: إنها فصل الخطاب الذي أوتيه داود عليه السلام، وقيل: إن أول من تكلم بها محمد ﷺ، وقيل: سحبان وائل، وقيل: غير ذلك.

قوله: **(رؤيا)**: الرؤيا هو ما يراه الإنسان في النوم، وهو جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، بخلاف الحلم.

قوله: **(وإنكم قلتم كلمة)**: هو قول الإنسان: ما شاء الله وشاء محمد.

قوله: **(يمنعنى)**: أي: من الإنكار عليكم.

(كذا وكذا): قيل إنه قال: الحياء.

(بل قولوا: ما شاء الله وحده): فالمشيئة لله دون ما سواه.

= وهو المذكور في الباب، ورواه عنها عبد الله بن يسار الجعفي.

المعنى الإجمالي:

هذا الباب عقده المصنف ليبين أن مجرد القول والعطف بالواو وقولك: ما شاء الله وشئت أنك ساويت بين مشيئة الله ومشيئة المخلوق، فلذا منع من ذلك، وكذا الحلف بغير الله، وأن في هذا تشريكاً بين الله وبين خلقه بالمشيئة، أو الحلف، وأن اليهود والنصارى تعرف هذا، وأن كثيراً ممن يعرف الحق لا يعمل به، وأن الرسول ﷺ قبل ذلك، وأخبر أنه حق وأنه قَبِلَ الحق من اليهود، وأن اليهود تعرف مثل ذلك، وترتكب أبشع منه وهو ادعاؤها أن عزيراً ابن الله، وكذا ادعاء النصارى أن المسيح ابن الله، والحلف بغير الله داخل في الشرك منافٍ لكمال التوحيد، فيجب الإنكار والتغليظ على من فعله، فقال: لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده، لأنه هو الذي يستحق أن يعبد ويوحد، وتخلص له العبادة دون ما سواه، فنبَّه المصنف رحمه الله على ذلك.

ما يستفاد من الباب:

١- تحريم قول: ما شاء الله وشاء فلان، ومثله ما شاء الله وشاء محمد.

٢- تحريم الحلف بالكعبة، وجواز الحلف برب الكعبة.

٣- أن اليهود والنصارى تعرف الحق وتخالفه، وترتكب أبشع منه.

٤- قبول الحق ممن جاء به.

٥- أن الرؤيا الصالحة جزء من النبوة.

٦- لا يجوز العمل بالرؤيا في تحليلٍ وتحريمٍ بعد موت الرسول ﷺ.

٧- أن الرسول ﷺ جعل هذه الرؤيا شرعاً وكررها.

٨- أن الرسول ﷺ يتحين أصحابه بالموعظة والنصيحة، ولربما أخرهما إلى وقت مناسبتهما، كما في حديث طفيل.

أسئلة

١- اذكر مناسبة الباب هنا؟ هل قول: ما شاء الله وشئت من الشرك؟ ومن أي أنواعه؟

٢- اذكر حديث الطفيل، هل يقبل الحقُّ من كل أحد؟ اشرح الحديثين شرحاً مجملاً، وبيّن ما فيهما من الفوائد؟



باب من سبَّ الدهر فقد آذى اللّه

(م) قوله: باب من سبَّ الدهر فقد آذى الله.

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار)**[2] وفي رواية: **(لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر)**[3].

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الدهر.

الثانية: تسميته أذى لله.

الثالثة: التأمل في قوله: «فإن الله هو الدهر».

الرابعة: أنه قد يكون ساباً، ولو لم يقصد بقلبه.

---

(١) سورة الجاثية: (٢٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير رقم (٤٨٢٦) باب سورة الجاثية، ومسلم، كتاب الألفاظ من الأدب(٢٢٤٦) (١) باب النهي عن سب الدهر، سنن أبي داود، الأدب (٥٢٧٤)، مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٢٣٨).

(٣) رواه مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب (٢٢٤٦) (٥)، باب النهي عن سب الدهر، سنن أبي داود، الأدب (٥٢٧٤)، مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٤٩٦)، موطأ مالك الجامع (١٨٤٦)، سنن الدارمي، الاستئذان (٢٧٠٠).

(ش) **المناسبة: لَمَّا كان سبُّ الدهر منافياً للتوحيد، لأنه مسبة لله ومن سبَّه فقد آذى الله، ناسب أن يذكره المصنف هنا.**

المفردات:

قوله: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾: الحياة ضد الموت.

قوله: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾: فيقولون: ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويحيا آخرون، ولا ثم معاد ولا قيامة ولا حشر ولا نشر ولا حساب ولا عقاب.

﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾: أي: ما هو إلا مجرد ظنٍّ وتخرص.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾: أي: يتخرصون.

قوله: (**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر**): وجه أذيته لله في مسبَّة الدهر لأن المتصرف هو الله -سبحانه- لهذا الدهر.

ومعنى: «أنا الدهر»: أي: أقلبه بذهاب هذا ومجيء هذا، والتدبير الذي يقع فيهما.

المعنى الإجمالي:

أخبر الله -سبحانه- أن هناك طائفةً من الناس يسبُّون الدهر ويضيفون القوارع إليه والنكبات إلى الدهر، قالوا: أصابتهم قوارع الدهر، فبين -سبحانه- أن المتصرف في الدهر هو الله سبحانه، وأن هؤلاءِ دهرية لأنهم يعتقدون أن الدهر هو الذي يصرف الأمور، وأنه لا بعث ولا حياة أخرى ولا جزاء ولا ثواب ولا عقاب، وأن هذا الكون يجري بحكم الطبيعة كما يقوله بعض المعاصرين، ويقول الآخر من المتفلسفة: إن الحوادث تنبعث من الأطلس التاسع، وهذا مخالف للقول الأول، وقد أحسن أبو حنيفة رحمه الله لما ناظر أمثال هؤلاء، قال: هناك سفينة واحدة تستطيع أن تحمل بنفسها

وتسير في البحر بنفسها، وترسو على الساحل الآخر، وتفرغ حمولتها بنفسها ظن فقالوا: لا يمكن هذا، وهل يقول هذا عاقل؟ فقال: وهل يمكن للكون العظيم الضخم المترامي الأطراف أن يسير بنفسه؟ مع أن سفينةً واحدةً لا تستطيع ذلك؟ عند ذلك بهتوا، وهذا معنى ما ذكر عنه ونسب إلى غيره أيضاً، ولو تأمل الطبيعيون والمنكرون للميعاد والإحكام الدقيق ومجرى الأمور بحكمةٍ دقيقةٍ وتدبير محكم لعلموا أن للأمور مدبراً قاهراً، يدير الأمور حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، بيده القسط يخفض ويرفع ويعز ويذل، وقد اعترف بعض المفكرين من المنكرين للربِّ بوجود قوة مهيمنة فوق هذا الكون عندما ارتفعوا في الفضاء، وهذا بعد وجود المخترعات الحديثة، ونظرهم إلى بعض سعة هذا الكون، فعلموا أن له مدبراً، وأن هذه الحياة لا تجري إلا بقدرة مقدر محكم، وليس الغرض إلا الاستشهاد بكلامهم، فقد نقله بعض الكُتَّاب عنهم، فمدبِّر الدهر وما فيه من رزقٍ وفقرٍ وحياةٍ وموتٍ وعزٍ وذلٍ وخصب وجدب هو رب الدهر، ورب العالمين لا إله غيره ولا رب سواه.

ما يستفاد من الباب:

١ – أن مسبَّة الدهر أذيَّة لله ومسبَّة.

٢ – أن وجه تسمية أن الله هو الدهر لتصريفه الأمور.

٣ – لا يجوز أن يسمى الله باسم الدهر.

مذهب الفلاسفة الدهريين:

٤ – مذهب الدهريين الفلاسفة هو الآتي:

(أ) الإِلهيّون ينكرون المبدأ والرجعة.

(ب) الفلاسفة الدهرية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستةٍ وثلاثين ألف

سنةٍ يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا تكرر مراتٍ وإلى ما لا نهاية، وكلا القولين معلوم الفساد، بدليل العقل والنقل والفطرة السليمة.



أسئلة

١- ما مناسبة باب من سب الدهر فقد آذى الله هنا؟

٢- لماذا كان مسبَّة الدهر مسَبّةً لله مع شرح الآية الكريمة؟

٣- اشرح حديث الباب: «لا تسبوا الدهر» إلى آخر الحديث، ثم اذكر إجابة أبي حنيفة للدهرية؟ وتكلم عمَّا تعرفه عن إحكام الله لهذا الكون، ثم قسِّم الدهرية، واذكر الأحكام التي في الباب.



باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

(م) قوله: باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه:

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(إن أخنع اسم عند الله رجلاً تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله)**(١) قال سفيان(٢): مثل شاهان شاه، وفي رواية: «أغيظ رجلٍ على الله يوم القيامة وأخبثه»(٣)، قوله: «أخنع» يعنى: أوضع.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن التسمي بملك الأملاك.

الثانية: أن ما في معناه مثله، كما قال سفيان.

الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا لأجل الله سبحانه.

حكم التسمي بالأسماء والألقاب التي يستحقها رب العالمين

(ش) المناسبة: لمَّا كان الذي يستحق هذا الاسم على الحقيقة هو الله، وكان التسمي به ينافي كمال التوحيد، وفيه عدم التأدب مع جانب الربوبية، ناسب أن يعقد له باباً.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب (٦٢٠٦) باب أبغض الأسماء إلى الله، ومسلم كتاب الأدب (٢١٤٣) (٢٠)، باب تَحْرِيمِ التَّسَمِّى بِمَلِكِ الأَمْلاَكِ وَبِمَلِكِ الْمُلُوكِ، سنن الترمذي، الأدب (٢٨٣٧)، سنن أبي داود، الأدب (٤٩٦١)، مسند أحمد (٢/ ٢٤٤).

(٢) **سفيان**: هو سفيان ابن عيينة، وقوله: «مثل شاهنشاه» عند العجم عبارة عن ملك الأملاك، ولهذا مثل به سفيان لأنه عبارة عنه بلغة العجم.

(٣) رواه مسلم، كتاب الأدب (٢١٤٣) باب تَحْرِيمِ التَّسَمِّي بِمَلِكِ الأَمْلاَكِ وَبِمَلِكِ الْمُلُوكِ، مسند أحمد (٢/ ٣١٥).

المفردات:

قوله: (**أخنع**): بمعنى وضيع حقير.

(**أغيظ**): من الغيظ وهو مثل الغضب والبغض.

المعنى الإجمالي:

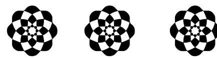
بيَّن الشيخ رحمه الله في هذا الباب أن التسمي بالأسماء والألقاب التي يستحقها رب العالمين منهي عنه ومحرم لمنازعة الربِّ شيئاً مما اختص به، فناسب أن يترجم لها بقاضي القضاة قياساً على ملك الأملاك وسلطان السلاطين، وألحق بعضهم صاحب الجلالة وما شابه ذلك مما يجري على الألسنة من الألقاب التي فيها نوع من عدم التأدب مع جانب الربوبية، فالمعنى: أنها تنافي إخلاص التوحيد وتصفيته من شوائب الشرك المنهي عنه الذي يجب إنكاره، تأدباً مع جانب الربوبية، ولذا يروى عن بعض العلماء منعهم من تلقيبهم ببعض الألقاب، مثل: محيي السنة، ولذا يروى عن النووي أنه يحِّرج على من لقبَّه بهذا اللقب.

ما يؤخذ من الباب:

١- النهي عن منازعة الله في أسمائه أو صفاته أو سلطانه.

٢- أن الله يبغض ويمقت يوم القيامة من تسمى بمثل: قاضي القضاة، ملك الأملاك، سلطان السلاطين، وما شابه ذلك.

٣- إثبات البغض ومثله الغضب والرضا لله، على ما يليق بجلاله وكبريائه.



أسئلة

لماذا بوَّب الشيخ لهذا الباب في كتاب التوحيد؟ وهو التسمي بقاضي القضاة؟ ثم اشرح معاني المفردات الآتية: (أخنع - أغيظ)؟ واشرح الحديث مجملاً، وبيِّن ما فيه من أحكام، واذكر أمثلةً مما هو داخل في المنع مما تقدم؟



باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

(م) قوله: باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك:

عن أبي شريح أنه كان يكنَّى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: (إن الله هو الحكم، وإليه الحكم، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيءٍ أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين، فقال: ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟ قال: شريح، ومسلم، وعبد الله، قال: فمن أكبرهم؟ قلت: شريح، قال: فأنت أبو شريح) رواه أبو داود وغيره(١).

فيه مسائل:

الأولى: احترام أسماء الله وصفاته، ولو لم يقصد معناه.

الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للْكُنْيَة.

(ش) المناسبة: لَمَّا ذكر الشيخ أن التسمِّي «بقاضي القضاة» أنه منازعة للربِّ فيما هو من خصائصه بالأسماء، ناسب أن يذكر بعده أن التسمي بمثل أبي الحكم منازعة لله في أسمائه، وناسب أن يذكره هنا.

المفردات:

(**عن أبي شريح أنه يكنى**): الكنية ما صُدِّر بأبٍ وأمٍ، واللقب ما أشعر بمدحٍ أو ذمٍّ كزين العابدين للمدح، والذم كأنف الناقة.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، كتاب الأدب (٤٩٥٥)، باب في تغيير الاسم القبيح، والنسائي، كتاب أدب القضاء (٨/ ٢٢٦): باب إذا حكموا رجلاً فقضي بينهم، وصححه الألباني في الإرواء (٢٦١٥)، وصحيح الجامع (٨١٤١).

قوله: (**إن الله هو الحكم وإليه الحكم**): الله هو الحكم في الدنيا ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾[1] أي: إلى شريعته، وإليه الحكم في الآخرة، فيقضي بين عباده.

فقال النبي ﷺ: «ما أحسن هذا»: أي: الإصلاح بين الناس ما لم يخالف شرعاً.

(**قال: فما لك من الولد؟**): ينبغي الاستفصال عن الأولاد وأسمائهم واسم الأكبر فيلقب فيه، كقول النبي ﷺ: أنت أبو شريح.

المعنى الإجمالي:

الحديث الذي ذكره الشيخ أن التسمي بأسماء الله وكذلك صفاته منازعة للرب في أسمائه، وعدم احترام أسمائه، فلذا أنكر الرسول ﷺ على أبي الحكم التسمي بهذا الاسم، فسماه بأكبر أولاده وهو شريح، فيشرع التكني بأكبر الأولاد ولا بأس بالتكني بالبنت، كما أن الله سبحانه حكم عدل في الدنيا، فله الحكم والأمر وله المرجع في الآخرة، فيحكم بين العباد بأعمالهم، كما في قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾[2].

حكم الصلح بين المسلمين

والإصلاح بين الناس من خير الأعمال، إذا لم يكن داخلاً في حكم الطاغوت المنهي عنه أو مخالفاً للشرع، عن غير قصدٍ من تحليل الحرام أو تحريم الحلال، فالصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً، أو حرم حلالاً، وكما في قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴾[3].

(١) سورة الشورى: (١٠).

(٢) سورة الأنعام: (٦٢).

(٣) سورة النساء (الآية رقم: ١١٤).

مع اشتراط رضا المتخاصمين، فإنه ذكر للرسول ﷺ أنه يرضي كلا الفريقين، فاستحسنه النبي ﷺ وأقرَّهُ على ذلك.

ما يؤخذ من الباب من أحكام:

١- لا يجوز منازعة الرب في أسمائه أو صفاته والتسمي بها.

٢- من تسمى بشيء من ذلك يجب تغييره.

٣- أن الحكَم من أسمائه تعالى.

٤- أن الله هو الحاكم في الدنيا، بما جاء في شريعته التي جاء بها رسوله ﷺ وإليه ترجع الخلائق يوم القيامة، فيحكم بينها بما قدمت من خيرٍ أو شر.



أسئلة

١- اذكر معنى: الإصلاح بين الناس متكلماً عليه على ما مر بك في حديث أبي شريح، لماذا أنكر عليه النبي ﷺ التسمي بأبي الحكم؟ عرف اللقب والكنية والاسم، وهل يجوز التكني بالبنت؟ ومن الأولى بالتكني به من الأولاد؟ ثم اشرح ما مَّر بك من الباب وبيان أحكامه؟



باب من هَزَلَ بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

(م) قوله: باب من هَزَلَ بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول، وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾[1].

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة- دخل حديث بعضهم في بعض- أنه قال رجل في غزوة تبوك: «ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاءِ، أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء، يعني: رسول الله ﷺ وأصحابه القراء، فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنَّا الطريق، قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنَّا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله: ﷺ ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[2] ما يلتفت إليه وما يزيده عليه[3].

---

(١) سورة التوبة (الآية رقم: ٦٥).

(٢) سورة التوبة (الآيات رقم: ٦٥، ٦٦).

(٣) حديث حسن: رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١١٩)، وابن أبي حاتم (٤/ ٦٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما وإسناد ابن أبي حاتم حسن، كما قال الشيخ مقبل في صحيح المسند (ص: ٧١)، قال الدوسري: وأما روايات محمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة فهي مرسلة وقد أخرجها ابن جرير (١٠/ ١١٩، ١٢٠) وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٤/ ٢٣٠). (انظر: =

فيه مسائل:

الأولى: وهي العظيمة أن من هزل بهذا فهو كافر.

الثانية: أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان.

الثالثة: الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ورسوله ﷺ.

الرابعة: الفرق بين العفو الذي يحبه الله، وبين الغلظة على أعداء الله.

الخامسة: أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يقبل.

(ش) المناسبة: لَمَّا كان منازعة الأسماء لله والتسمي بها لا يجوز؛ كان من استهان بهذه الأسماء واستهزأ بها يكفر، إلا أن الأول أخف من الثاني، وذكرها المصنف؛ لأنها داخلة في الكفر.

المفردات:

قوله: عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة...إلخ الحديث».

قوله: ﴿نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾: الخوض واللعب في الحديث بقصد قطع الطريق، ويزيد اللعب بالمزاح.

قوله: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾: أي: قصدكم السخرية والتهكم.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾: بمقالتكم هذه.

﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾: دل على أنهم قبل ذلك كانوا مؤمنين.

قوله: (**دخل حديث بعضهم ببعض**): أي: أن الحديث مجموع من رواياتهم.

= موسوعة توحيد رب العبيد).

قوله: (**قرائنا**): جمع قارئ، وهم عند السلف من يقرأ القرآن ويعرف معانيه، ويعمل أيضاً، وأما بدون ذلك فلا يسمى قارئاً.

قوله: (**أرغب بطوناً**): أي: أوسع، والرغبة والراغب الواسع يقال: رغب جوف فلان، فهم يصفونهم بسعة البطون.

(**وأجبن عند اللقاء**): أي: لقاء العدو، فيصيبهم الخوف والجبن والذعر.

قوله: (**كذبت ولكنك منافق**): فيه دليل الإنكار.

(**والمنافق**): هو الزنديق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

قوله: (**فوجد القرآن قد سبقه**): أي: بالنزول على النبي ﷺ والإخبار بأحوالهم.

(**الركب**): كصحب جمعه.

(**ركبان الإبل**): اسم جمع على خلاف الأصل، وقد يكون للخيل.

قوله: (**متعلقاً بنسعة**): النِسعة بكسر النون وسكون المهملة سير مظفور.

(**تنكب رجليه**): بمعنى تضرب رجليه وتلطمها.

(**ما يلتلفت إليه**): أي: إلى ذلك الرجل المنافق المتعلق.

(**ولا يزيده عليه**): أي قول: أبالله وآياته.

قوله: ﴿إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ﴾: قيل: إنه وحشي بن حمير سمَّاه الله طائفة لتوبته الصادقة.

﴿نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ﴾: أي: باقي المنافقين.

المعنى الإجمالي:

في سياق هذه الآية الكريمة بيان لحال المنافقين الذين على عهد رسول الله ﷺ

يقاتلون معه، ويخرجون لمحاربة المشركين، وهم مع ذلك منافقون، يتفوهون بهذه المقالة مع بشاعتها، واعتقادهم صدق النبي ﷺ ويرمونه بالجبن والخور تارةً لكثرة الأكل وسعة البطن وأخرى إعلاناً لما تنطوي عليه قلوبهم الخبيثة، المملوءة بالضغائن لرسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، مع أن بعضهم لم يكونوا كفاراً قبل ذلك، ولمَّا تكلموا بهذه المقالة سمَّاهم الله كافرين، وقد كان كثير من المنافقين يخرج مع الرسول ﷺ، وهو يتربص الدوائر برسول الله ﷺ وأصحابه، وربَّما تواطئوا على الفتك برسول الله ﷺ وتثبيط المسلمين، وبثوا في قلوبهم الخور والجبن، كما في قوله تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾(١) أي: مطيعون، فإذا كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ، فما بعده أعظم وكان القرآن ينزل ويخبر بأخبارهم، وقد تاب الله على طائفةٍ منهم وهو «وحشي بن حمير» الذي قال: وددت أن أقاضي على أن يضرب كل رجلٍ منَّا مائة جلدةٍ، وأنا نفلت ولم ينزل فينا قرآن، لمقالتهم هذه، فتاب فقبل الله توبته، ودعا الله أن يُقتل شهيداً، ولا يشهد أحد على جنازته، وقتل يوم اليمامة ولم يشهد له على جنازة، وقد قال: يا رسول الله! قعد بي اسمي واسم أبي، ويعلم منه أن من استهزأ بالكتاب أو السنة، أو الرسول أو الصحابة أو حملة الشريعة استخفافاً أنه يكفر، بهذه الآية ولأن العلماء ورثة الأنبياء.

ما يستفاد من الباب:

١- غِلظ ذنب من استخفَّ بكلام الله أو القرآن أو الرسول ﷺ.

٢- أن الاستهزاء والسخرية بالقرآن أو الرسول ﷺ أو الصحابة ولو عن غير قصدٍ، إما لتضحيك القوم أو شبه ذلك أنه يكفر.

---

(١) سورة التوبة (الآية رقم: ٤٧).

٣- عِظم ذنب من استخفَّ واستهزأ بحملة الشريعة، من العلماء والمصلحين الذين ينيرون للناس طريق الهدى والخير.

٤- أنهم قبل هذه المقالة كانوا مؤمنين، لقوله: ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ ﴾.

٥- إن الله تاب على طائفةٍ منهم، قيل: إنه رجل واحد المتقدم اسمه.

٦- إن الاعتذار بعد قول هذه المقالة لا ينفع، ولذا قال العلماء: من سبَّ الله أو رسوله ﷺ لا تقبل توبته ظاهراً، ويقتل بكل حال.

٧- خوف الصحابة رضي الله عنهم من النفاق، وكذا سادة القوم.



أسئلة

١- ما مناسبة ذكر المصنف للباب: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٥﴾؟ بيِّن معاني المفردات الآتية: «نخوض، نلعب، كنتم تستهزئون»؟ معنى قرائنا؟ وما معنى: أرغب بطوناً وأجبن عند اللقاء؟ ما معنى قوله: «كذبت ولكنك منافق»؟ ومعنى الركب؟ وما معنى متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله؟ ما معنى قوله: «تنكب رجليه»؟ وما معنى قوله: «إن نعفُ عن طائفةٍ»؟ من هي الطائفة؟ وما معنى قوله: «نعذب طائفة»؟

٢- اشرح ما تقدم معاني وإجمالاً ثم اشرح الحديث وبيّن أحكامه؟



باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ... ﴾

(م) باب قول الله تعالى:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾[1].

قال مجاهد: «هذا بعملي وأنا محقوق به».

وقال ابن عباس: «يريد من عندي».

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ ﴾[2]، قال قتادة: «على علمٍ منِّي بوجود المكاسب».

وقال آخرون: «على علمٍ من الله أني له أهل»، وهذا معنى قول مجاهد: «أوتيته على شرف».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (**إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحبُّ إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به، قال: فمسحه فذهب عنه قذره فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر -شكَّ إسحاق- فأعطي ناقةً عشراء، وقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن،**

---

(١) سورة فصلت (الآية رقم: ٥٠).

(٢) سورة القصص (الآية رقم: ٧٨).

ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به، فمسحه، فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً، فقال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل، فأعطي بقرةً حاملاً، قال: بارك الله لك فيها، فأتى الأعمى، فقال: أي شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: أن يردَّ الله بصري، فأبصر به الناس فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: أي المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والداً، فأنتج هذان، وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن والمال، بعيراً أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله ﷻ المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل ما ردَّ عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فردَّ الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فو الله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك)[(١)] أخرجاه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٦٤) باب حديث أبرص وأعمى وأقرع بني إسرائيل، ومسلم: كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٤) (١٠).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما معنى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾.

الثالثة: ما معنى قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾.

الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.

شرح قوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ ...﴾

(ش) المناسبة: لَّما كان كفران النعمة منافياً لكمال التوحيد، ناسب أن يذكره المصنف، لأن الشكر من العبادة وكفران ذلك ضدها.

المفردات:

قوله: ﴿أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ﴾: أي: ألبسناه عافية وصحة ورزقاً.

﴿هَٰذَا لِي﴾: كما جاء في تفسير السلف: هذا بعملي وأنا حقيق بذلك، ولم يضف النعم إلى المنعم وهو الله، فكفر ولم يشكر، وعبارات السلف تدور على معنى كفران النعمة وعدم شكر المنعم.

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾: هذا في سياق قصة قارون.

المعنى الإجمالي:

أخبر الباري -تبارك وتعالى- أنه إذا أنعم على عبدٍ بأنواع الصحة والأرزاق والنعم المختلفة أنكر نسبتها إلى ربه، ولم يعد بالشكر لله، بل نسبها إلى نفسه، إما بإحسانه البيع والشراء، والأخذ والإعطاء ووجوه المضاربة، ولو كان شاكراً لأضاف النعم إلى المنعم الحقيقي وشكره على ذلك، وكثيراً ما يختال العبد ويتكبر ويتجبر، وينسب النعمة إما

لنفسه أو لطبيبٍ أو قائد مما يجري الله على يده بعض النعم، أو يضيفها إلى الوزير أو الأمير أو السلطان، مع أن هذا الوزير أو الطبيب أو الأمير والسلطان سبب من أسباب النعم يجري الله على يد بعضهم شيئاً منها، ولا ينافي إذا شكرت ربك ونسبت النعمة إليه أن تشكر هذا المخلوق، الذي هو سبب بالدعاء، لكن يجب أن تضاف النعمة إلى المنعم الحقيقي، الذي هو الله ولا تصرف إلى غيره بالشكر أو غير ذلك.

ما يستفاد من الآية:

١- أن قارون لَمَّا أنعم الله عليه، كفرها ولو يؤد زكاة ماله.

٢- أن بعض النعم تكون استدراجاً وسبباً لهلاك صاحبها، كما جرى للأقرع والأبرص.

٣- أن الذي يقول: هذا مالي ورثته عن آبائي لم يشكر النعمة.

٤- أن الله يبتلي بالنعم، ليختبر حاله أيشكر أم يكفر.

شرح حديث الأبرص والأقرع والأعمى

المفردات:

(**العشراء**): الناقة الحامل.

(**أنتج**): بمعنى: تولى نتاجها.

(**والناتج للناقة**): بمعنى القابلة للمرأة.

(**ولد هذا**): بالتشديد هو تولي ولادتها، والناتج والتوليد بمعني واحد وكذا القابلة ولكن الأولى الناتج للحيوان والقابلة للمرأة.

(**لا أجهدك**): أي: لا أشق عليك في ردِّ شيء تأخذه.

قوله: (**قد قذرني الناس به**): باستكراه منظره وقربه منهم.

(**انقطعت بي الحبال**): أي: الأسباب.

المعنى الإجمالي:

الحديث يفيد الخوف والحذر من مغبة كفران النعمة، وقد امتحن الله هؤلاء الثلاثة بالنعم، فكفر اثنان: الأقرع والأبرص وأنكروا نعمة الله، وشكرها الأعمى، فبعض النعم تكون استدراجاً وابتلاءً في حال عدم الشكر وكفران النعمة، لأن أصل الشكر الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل له والمحبة، فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلاً بها لم يشكرها ومن عرفها وعرف المنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر للنعمة المنعم بها فقد كفر، ومن عرف النعمة والمنعم بها وأقر بها ولم يجحدها ولكن لم يخضع له ولم يحبه ويرضى عنه ولم يشكره، وأما الشاكر فهو الذي عرف النعم وعرف المنعم بها وأقر بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي عنه واستعملها في محابه وطاعته، فهذا هو الشاكر لها، فالشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع، انتهى من كلام ابن القيم نقلاً من الشرح.

ما يستفاد مما تقدم:

١- أن الإنسان يكفر إذا أضاف النعم إلى غير الله من صحة ورزق.

٢- إنكار بعض الناس للنعم، وتمنيه على الله الأماني من الجنة والثواب.

٣- أن الله توعدهم وأغلظ لهم القول بالعذاب الغليظ.

٤- أن الله إذا أنعم على العبد يجب أن يضيف النعمة إلى الله.

٥- أن الذي يقول: هذا المال ورثته كابراً عن كابر، ومثله جداً عن جد وتجارة عن

تجارة فهو كافر[١].

٦- أن من شكر النعمة يتحدث بها ظاهراً ويعتقدها باطناً ويصرفها في طاعة الله.

٧- أن من شكر النعمة وقام بحقها فهي بحقه نعمة؛ خلافاً لمن كفرها.



أسئلة

١- اذكر مناسبة الباب في كتاب التوحيد، وعرف كفران النعمة في سياق أمثلةٍ من كلام السلف، ثم اشرح الآية شرحاً مجملاً، واذكر أحكامها؟

٢- حديث الثلاثة: الأبرص. الأقرع. الأعمى، بين مفرداته الآتية:

العشراء؟ أنتج؟ فرِّق بين الناتج والقابلة والولادة؟ ولمن يكون كل واحدٍ؟ ثم عرِّف الشكر عند السلف، والكفر بالنعمة، واشرح الحديث شرحاً مجملاً، وبيِّن ما فيه من أحكام، مع بيان معاني ما يأتي: لا أجهدك؟ قذرني الناس؟



(١) مراده: كفراً أصغر وهو ضد الشكر وهو كفر النعمة، وبه ورد الحديث الصحيح في النساء يكفرن الإحسان، ويكفرن العشير.

باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ ...﴾

(م) قوله: باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾(١).

قال ابن حزمٍ: «اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله، كعبد عمرو وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك. حاشا عبد المطلب».

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في الآية، قال: «لما تغشاها آدم حملت ظن فأتاهما إبليس، فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتُطيعُنني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن، يخوفهما، سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً، ثم حملت فأتاهما، فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾» رواه بن أبي حاتمٍ وله بسندٍ صحيحٍ عن قتادة قال: «شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته»، وله بسندٍ صحيحٍ عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ قال: «أشفقا أن لا يكون إنساناً» وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما(٢).

فيه مسائل:

الأولى: تحريم كل اسمٍ معبد لغير الله.

الثانية: أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها.

الثالثة: أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم.

---

(١) سورة الأعراف (الآية رقم: ١٩٠).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩٤٢١) (٩٤١٥) وانظر: الدر المنثور عند الآية.

الرابعة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة، والشرك في العبادة.

(ش) المناسبة: مناسبة الباب لما قبله، لأن كفران النعمة من الشرك، فتارةً يكون شركاً أكبر، وتارة يكون شركاً دون شرك، ناسب أن يذكر بعده أن التسمية والتعبيد بغير أسماء الله نوع شرك في التسمية، ينافي كمال التوحيد، فلذا ناسب ذكره هنا في كتاب التوحيد لمنافاته لكماله.

المفردات:

﴿ ءَاتَىٰهُمَا ﴾: أي: آدم وحواء.

﴿ صَٰلِحًا ﴾: أي: إنساناً سوياً.

﴿ **جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ** ﴾: أي: في التسمية، وهذا على القول بأنَّ المقصود آدم وحواء، واختيار ابن كثيرٍ خلاف ذلك، ويرى أن المراد بهم بنو آدم لا آدم، وإنما ذكر آدم للتوطئة.

﴿ **فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠** ﴾: أي: تنزيهاً لله.

قوله: (**اتفقوا**): أي: العلماء.

«على تحريم كل اسمٍ معبد لغير الله»: ولو بمجرد التسمية؛ لأنه شرك في الربوبية.

(**كعبد عمرو وعبد الكعبة حاشا عبد المطلب**): لأن هذه الأسماء مأخوذة من عبودية الرق، لأنه قدَّم به أبوه وهو متغير اللون، فقالوا: هذا عبد المطلب[1] لأنه ليس من التعبيد لغير الله.

---

(١) هناك قول عند أهل العلم، حتى عبد المطلب لا يجوز التسمي به، والنبي ﷺ حينما قال: (أنا ابن عبد المطلب) هو للتعريف لا للإقرار بالاسم، والله أعلم.

المعنى الإجمالي:

ذكر الله ﷻ أن هناك طائفةً من الناس قد هودت أبناءها ونصرتها أو مجّستها وصرفتها عن التوحيد إلى مللٍ شتى، على اختيار ابن جرير رحمه الله وقال ابن كثير: أنا أذهب إلى ما ذهب إليه الحسن، من حمله على أنه من تفسير الصحابي، ولعله منقول عن بعض أهل الكتاب، ثم قال: إن طائفةً من بني آدم أشركت مع الله غيره، مع أن الله خلق الخلق حنفاء على الفطرة والملة الإسلامية، فعبدوا الأصنام ودعوها من دون الله وأشركوا معه في عباداتهم، كما فعلت قريش في اللات والعزى، وسائر أهل الملل مع معبوديهم من دون الله، ولذا اختتم الله ذلك بلفظ الجمع، فقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾ وذهب آخرون: أن المعنىَّ بذلك آدم وحواء، وأنهما أطاعا الشيطان في مجرد تسمية ابنهما بعبد الحارث، فعلى هذا أن معنى قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ فشركهما في الطاعة والتسمية، وهو الذي يحمل عليه تبويب الشيخ هنا رحمه الله.

ما يستفاد من الباب:

١- التعبيد لغير الله - كعبد العزى وعبد الكعبة أو عبد النبي - هذا شرك في التسمية، لا يجوز.

بيان الخلاف في معنى الآية:

٢- الناس كلهم عبيد الله، وهذه هي العبودية العامة. اختلاف العلماء في المقصود في الآية.

(أ) ذهب بعض أهل العلم إلى أن المقصود بذلك آدم وحواء، وإن اشراكهما تسمية ابنهما عبد الحارث، وأن هذا هو الشرك المقصود، وهذا الذي اختاره الشيخ «محمد» مما يظهر من سياقه.

(ب) اختار ابن جرير أن المقصود بذلك: اليهود والنصارى.

(ج) اختار ابن كثير أن المقصود بذلك بنو آدم، وإنما ذكر آدم وحواء للتوطئة والله أعلم.

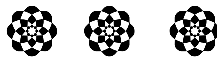


أسئلة

١- ما مناسبة باب قول الله تعالى: «فلمّا آتاهما صالحاً» الآية، لماذا ذكره الشيخ هنا اشرح؟

٢- بيِّن معاني المفردات الآتية: آتاهما؟ صالحاً؟ جعلا له شركاء فيما آتاهما؟ ثم بين معنى قول ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسمٍ معبَّد لغير الله؟ ولماذا استثني عبد المطلب؟

٣- اشرح ما تقدم شرحاً مجملاً، ثم اذكر ما فيه من أحكامٍ، واذكر خلاف العلماء في معنى قوله: «جعلا له شركاء فيما آتاهما»؟



باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ...﴾

(م) قوله: باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾[١].

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾: يشركون[٢].

وعنه: «سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز»[٣].

وعن الأعمش: «يدخلون فيها ما ليس منها».

فيه مسائل:

الأولى: إثبات الأسماء.

الثانية: كونها حسنى.

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الرابعة: ترك من عارض من الجاهلين المُلحدين.

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها.

السادسة: وعيد من ألحد.

---

(١) سورة الأعراف (الآية رقم: ١٨٠).

(٢) انظر: الدر المنثور، وانظر: تفسير الطبري (١٥٤٥٤) أما قول: «يشركون» فلم أجدها لابن عباس، وإنما من قول قتادة كما في الدر المنثور (نفس المصدر) وتفسير الطبري (١٥٤٥٦)، والذي ورد عن ابن عباس هو قوله (الإلحاد: التكذيب) انظر: تفسير الطبري (١٥٤٥٥).

(٣) انظر: الدر المنثور، وانظر: تفسير الطبري (١٥٤٥٤).

معنى الإلحاد في الأسماء الحسنى

(ش) المناسبة: لما كان الإلحاد في أسمائه نوع شركٍ، كما اشتقوا لمعبوديهم أسماء: كاللات والعزى، من أسمائه -تعالى- فهو إشراك في التسمية وإلحاد فيها، ناسب أن يبينه المصنف رحمه الله.

المفردات:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: كلها أسماء حسنى، بمعنى حسن، وقد بلغت الغاية في الحسن.

﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾: أي: توسلوا إليه بدعائه بها.

﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾: أي: اتركوا الإلحاد والميل في أسمائه، وهو العدول بها وبحقائقها عن معاني الحق، ولذا جاء عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في ذلك: «اشتقوا اللات من الإله»، فأدخلوا الأصنام وسائر معبوداتهم بأسمائه، وهي بمعنى الإشراك.

المعنى الإجمالي:

هذه الآية الكريمة ردتَّ على عباد الأصنام، وتوسلهم بها واشتقاقهم لها أسماء من عندهم، فأخبر -سبحانه- أن له الأسماء الحسنى فيجب على العبد أن يعبده -سبحانه- دون من سواه، ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته ويترك هذه المعبودات مهما اشتقوا لها من أسماءٍ، فهي جمادات لا تنفع وتضر في الدين، وضررها في ذلك كبير ومن دعاها وعبدها أو ذبح لها فقد ألحد وأشرك، كما أن الإلحاد في الأسماء وكذلك في الصفات وتسمية الأصنام بها كما فعلت قريش من هذا القبيل ومثله، من دعا الصالحين وتوسل بهم دون الله أو مع الله، والله لا يقبل أن يشرك معه في عبادته، لا نبي ولا ملك ولا غيره.

فائدة في عدد الأسماء الحسنى:

(لله سبحانه تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة)[١]، وقد سردها في الشرح، ولا يفيد ذلك حصرها في تلك الأسماء، بل لله أكثر من ذلك، كما في الآية الكريمة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وكما في الدعاء المعروف، وفيه: (**اللهم إني عبدك وابن عبدك،...إلى قوله: أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**)[٢] فمن أسمائه ما أنزل في كتابه، ومنها ما علمه رسوله ﷺ، وما شاء من خلقه دون بعضهم، ومنها ما استأثر الله بعلمه، وذكر الشارح ﵀ أن له أسماء متعددة من شأنها أن من: (**أحصاها دخل الجنة**)[٣].

فائدة: أسماء الله عز وجل توقيفية وما يلزم من هذا:

أسماء الرب سبحانه توقيفية، فلا يجوز أن يسمى بها إلا هو دون غيره إلا مقيداً

(١) **نص الحديث**: عن النبي ﷺ قال: (إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، برقم (٢٧٣٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها برقم (٢٦٧٧)، وفي لفظ آخر: (**من حفظها دخل الجنة**) متفق على صحته.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١/ ٣٩١)، وابن حبان (٢٣٧٢- موارد)، وصححه ابن القيم في بدائع الفوائد (١/ ١٦٦) وفي شفاء العليل (٢٧٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٩).

(٣) **نص الحديث**: عن النبي ﷺ قال: (إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، برقم (٢٧٣٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها برقم (٢٦٧٧)، وفي لفظ آخر: (**من حفظها دخل الجنة**) متفق على صحته.

كلفظ الصانع[١] ولم يجئ المريد ولا الآمر ولا الناهي لانقسام مسمى هذه الأسماء بل وصف نفسه بها[٢] لكمالاتها وشرف أنواعها. قال الشارح: ومن هنا يعلم غلط بعض المتأخرين وزلته الفاحشة في اشتقاقه له سبحانه من كلٍ فعل أخبر به عن نفسه، إلى أن قال: فاشتق منها اسم الماكر والمخادع والفاتن والمضل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. انتهى ملخصاً من كلام ابن القيم عن الشرح.

ما يؤخذ من الباب:

١ - أن لله الأسماء الحسنى يجب أن يدعى بها ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله.

٢ - أن لله تسعةً وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة.

٣ - أن أسماء الله لا تنحصر في تلك الأسماء.

٤ - إن الإلحاد في أسمائه وصفاته بعبادة غيره معه، أو إدخال فيها ما ليس منه، كاشتقاق اللات من الإله والعزى من العزيز.

٥ - الردُّ على من دعا غير الله وتوسل بالصالحين.



(١) مراده والله أعلم: أن هذا الاسم لا يجوز أن يسمى الله به؛ لعدم وروده، وكذلك اسم المريد وما بعده.

(٢) قوله: (بها) الضمير يعود على الأسماء الحسنى المتقدم ذكرها التي سمى الله تعالى بها نفسه.

أسئلة

١- ما هي مناسبة تبويب المصنف ولله الأسماء الحسنى هنا؟ ما معنى ولله الأسماء الحسنى؟ وما معنى فادعوه بها؟ وما معنى: وذروا الذين يلحدون؟ وكيف اشتقت قريش اسم اللات وكذا العزى؟ ثم اشرح الآثار شرحاً موجزاً وبيِّن أحكامها؟

٢- اذكر الفائدة في أسماء الله وما يتعلق بذلك، وما هي الفائدة الثانية؟ وهل أسماء الله توقيفية؟ واذكر الأحكام المتعلقة بذلك؟



باب لا يقال: السلام على الله

(م) قوله: باب لا يقال: السلام على الله:

في الصحيح عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: (**كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة، قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ: لا تقولوا: السلام على الله؛ فإن الله هو السلام**)[١].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير السلام.

الثانية: أنه تحية.

الثالثة: أنها لا تصلح لله.

الرابعة: العلة في ذلك.

الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله.

(ش) المناسبة: لَمَّا كان السلام هو طلب السلامة، فهو مطلوب ندعو به والله غني عن أن يدعى له، والمخلوق هو المحتاج لهذا الدعاء، وفيه عدم تعظيم الله عز وجل والله يمجد ويعظم ويدعى، ناسب أن ينبه على هذا المصنف.

---

(١) رواه البخاري: كتاب صفة الصلاة (٨٣٥): باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب، ومسلم: كتاب الصلاة (٤٠٢) (٥٨): باب التشهد في الصلاة، وأبو داود: كتاب الصلاة (٩٦٨): باب التشهد، والنسائي: في كتاب السهو (٣/ ٥٠، ٥١): باب تخيير الدعاء بعد الصلاة على النبي من حديث شفيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

المفردات:

قوله: (**في الصلاة**): أي: في التشهد من الصلاة.

قوله: (**السلام**): مصدر بمعنى السلامة، وهو المطلوب المدعو به عند التحية، ومثله: السلام عليكم، المعنى: اسم السلام عليكم، أي: نزلت عليكم بركته.

ومعنى الحديث: أن الرسول ﷺ نهى أن يقال: السلام على الله من عباده، لأنه سبحانه من أسمائه تبارك وتعالى، والله غني عن أن يدعى له بالسلام والبركة، وإنما يدعى ويرجى ويطلب منه ذلك، ومن أحق الناس بالدعاء: الصالحون وعباد الله المؤمنون في السماء والأرض من ملائكة وأنبياء وأولياء، وقد أمر الرسول عليه السلام بأن يقال: التحيات لله والصلوات والطيبات، أي: هذا التمجيد لله والتضرع والخضوع لله، ثم دعا للرسول بالرحمة والبركة، ثم سلَّم فيما بعد ذلك على الصالحين كما تقدم.

ما يؤخذ من الباب:

١- النهي عن قول: السلام على الله من عباده.

٢- معرفة أن السلام من أسمائه تبارك وتعالى.

٣- أن المقصود من الدعاء في السلام هو نزول بركته وسلامه على عباده، والله غني أن يدعى له، وإنما يدعى ويطلب منه الحوائج.

٤- أن هذا الدعاء في التشهد قبل أن يفرض قول: التحيات.

٥- أن قراءة التحيات في التشهد الأخير ركن مفروض.



أسئلة

١- ما مناسبة باب قول: السلام على الله من عباده هنا؟ وبيّن معاني المفردات المذكورة؟

٢- ما معنى الصلاة؟ وما معنى السلام؟ اشرح الحديث شرحاً مجملاً ثم بيّن ما يؤخذ منه من أحكام؟



باب قولهم: اللهم اغفر لي إن شئت

(م) باب قولهم: اللهم اغفر لي إن شئت:

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال: (**لا يقل أحدكم: اللهَّم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمنى إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإن الله لا مكره له**)[١]، ولمسلم: (**وليعظم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**)[٢].

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء.

الثانية: بيان العلة في ذلك.

الثالثة: قوله: «ليعزم المسألة».

الرابعة: إعظام الرغبة.

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

«**ش**» **المناسبة: الاستثناء على الله في طلب المغفرة أو أية حاجةٍ من أمور الدنيا والآخرة ينافي كمال التوحيد، فناسب أن يذكره المصنف لهذا في كتاب التوحيد وأن يفرد له باباً.**

المفردات:

قوله: (**اللهَّم**): منادى حذفت منه ياء النداء والميم عوض الياء، والتقدير: يا الله.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات (٦٣٣٩): باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء (٢٦٧٩) (٩): باب العزم بالدعاء ولا يقل: إن شئت.

(٢) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء (٢٦٧٨) (٧): باب العزم بالدعاء ولا يقل: إن شئت.

وقوله: «اغفر لي»: الغفر هو الستر، وغفر الله ذنبه غفراً ومغفرة، أي: عفا عنه.

قوله: (**إن شئت**): استثناء لا يجوز على الله.

وقوله: «اللهَّم ارحمني»: أي: برحمتك الواسعة التي وسعت كل شيء.

وقوله: «إن شئت»: هذا استثناء لا يجوز على الله.

قوله: (**ليعزم المسألة**): أي: يسأل الله بعزم وصدق وإلحاحٍ، فإن الله لا مكره له، لا أحد يكرهه على العطاء يعطي ويمنع.

المعنى الإجمالي:

في هذا الباب تحذير الأمة من أن تسأل ربها وهي غير عازمة في دعائها وتضرعها، وغير صادقة في طلبها، وأن الرب عظيم أعظم من كل شيء فلا يتعاظمه شيء أعطاه، فمقاليد السموات والأرض بيده يعطي ويمنع ويخفض ويرفع، وكما جاء في الحديث: (**كف الله ملأى لا يغيظها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغظ ما في يمينه**)[١]، فعطاؤه كلام ومنعه كلام، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾، فيمنع لحكمةٍ ويعطي لحكمةٍ، ويمرض لحكمة، ويصح لحكمة، ويسعد لحكمه، ويشقي لحكمة.

---

(١) نص الحديث: (**يَمينُ الله ملأى، لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار؛ أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يمينه، وفي يده الأخرى القسط يخفضه ويرفعه**) رواه البخاري: كتاب التوحيد (٧٤١١): باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾، ومسلم: كتاب الزكاة (٩٩٣) (٣٧): باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كما في الأثر: «إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، فلو أغنيته لأفسده ذلك...» إلخ الاثر(١).

---

(١) هذا الأثر قد أسنده ابن الجوزي في (العلل المتناهية) من حديث عمر مرفوعاً: أتاني جبريل. فقال: يا محمد! ربك يقرأ عليك السلام ويقول: إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى، ولو أفقرته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالقلة، ولو أغنيته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالسقم، ولو أصححته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالصحة، ولو أسقمته لكفر، ثم من حديث أنس بأطول منه، وفيه: إن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، فلو بسطت له لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا السقم، ولو أصححته لأفسده ذلك، إني أدبر عبادي بقلوبهم، إني عليم خبير. ثم قال: هذا حديث لا يصح. اهـ، وضعفه كذلك ابن رجب في (جامع العلوم والحكم) والألباني في (السلسلة الضعيفة)، وحديث عمر عزاه السيوطي للخطيب البغدادي، وعزا حديث أنس لابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء، والحكيم، وابن مردويه، وأبي نعيم في الحلية، والبيهقي في الأسماء، وابن عساكر. وأورد رواية أخرى بمعناها من حديث ابن عباس مرفوعاً، بلفظ: ربما سألني وليي المؤمن الغنى، فأصرفه إلى الفقر، ولو صرفته إلى الغنى لكان شراً له، وربما سألني وليي المؤمن الفقر، فأصرفه إلى الغنى، ولو صرفته إلى الفقر لكان شراً له. وعزاه للطبراني، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد): فيه جماعة لم أعرفهم. اهـ، وهذا المعنى ذكره غير واحد من أهل العلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى): قد يكون الفقر لبعض الناس أنفع من الغنى، والغنى أنفع لآخرين، كما تكون الصحة لبعضهم أنفع كما في الحديث الذي رواه البغوي وغيره... اهـ. وذكر حديث أنس السابق. وقد رواه البغوي في شرح السنة من نفس=

ما يؤخذ من الباب من الفوائد:

١- النهي عن قول: اللهَّم اغفر لي إن شئت، اللهَّم ارحمني إن شئت؛ لأن الاستثناء في الدعاء لا يجوز.

٢- ينبغي للداعي أن يُلحَّ في الدعاء، ويدعو بعزيمةٍ وصدق ونية.

٣- على العبد أن يدعو وألا يستبطئ الإجابة، ولا يقول: قد دعوت ودعوت فلم يجب لي.

٤- أن الداعي لا بدَّ له من ثلاثة أمورٍ، هي: أن يستجاب له أو يدخر له في الآخرة، أو يدفع عنه من البلاء أكثر مما طلب.

٥- أن عطاء الله كلام ومنعه كلام.

٦- أن جميع من في السموات والأرض منذ خلقها الله من إنفاقه وعطائه.



=

الطريق التي أعلها ابن الجوزي وضعفها ابن رجب والألباني، وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧]: أي، ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم، وهو أعلم بذلك، فيغني من يستحق الغنى، ويفقر من يستحق الفقر. كما جاء في الحديث المروي: (**إن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه، وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه**). اهـ.

أسئلة

١- ما مناسبة باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت؟ وما معنى الغفر؟ وما معنى الاستثناء في قوله: «إن شئت ارحمني ليعزم المسألة...إلخ»؟.

٢- اشرح الحديث شرحاً موجزاً، ثم بيّن ما يستفاد منه من أحكام.



باب لا يقل: عبدي وأمتي

(م) قوله: باب لا يقل: عبدي وأمتي:

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وَضِّئْ ربك، وليقلْ: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي**)[١].

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن قول: عبدي وأمتي.

الثانية: لا يقل العبد: ربي، ولا يقال له: أطعم ربك.

الثالثة: تعليم الأول قول: فتاي وفتاتي وغلامي.

الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي.

الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

(ش) المناسبة: لما كان العبيد عبيد الله، والإماء إماء الله، كان جديراً أن لا ينسبوا إلا إليه، فنهى عن ذلك، فإذا نسبوا إلى غيره ففيه نفي لكمال التوحيد.

المفردات:

(الرب): هو المالك المعبود المتصرف، مربي جميع الخلق بالنعم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب العتق (٢٥٥٢): باب كراهية التطاول على الرقيق، ومسلم: كتاب الألفاظ من الأدب (٢٢٤٩) (١٥): باب حُكْمِ إِطْلَاقِ لَفْظَةِ الْعَبْدِ وَالأَمَةِ وَالمَوْلَى وَالسَّيِّدِ.

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث يبين أنه يجب احترام إطلاق اسم العبد والأمة، والتعبيد لغير الله ولو كان عن طريق المجاز، لأن العبيد عبيد الله، والإماء إماء الله، لأن فيه مشاركةً له تحقيقاً للتوحيد وسداً لذرائع الشرك، لأن الله هو رب الجميع وسيدهم ومولاهم: (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السموات وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا)[1] وهو من باب سدِّ الذرائع ووسائل الشرك، لأنه سدٌّ لطرق الشرك وسد لكل طريق يوصل إلى الشرك حماية للتوحيد وبياناً لما يفيد الأمة وينفعها في دينها، والله أعلم.

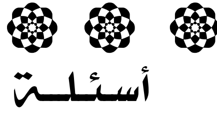
ما يفيد الباب من أحكام:

١- لا يجوز نسبة العبيد إلى غير الله.

٢- لا يجوز أن يقول المولى لسيده: ربي؛ لأن الرب هو الله المالك المتصرف.

٣- سد طرق الشرك وكل طريق يوصل إلى الشرك.

٤- الأولى للسيد أن يقول: فتاي وفتاتي، وهذا واجب، ويقول المولى: مولاي لأن العبيد عبيد الله، والإماء إماء الله.



أسئلة

١- ما مناسبة ذكر باب: لا يقل أحدكم: عبدي وأمتي؟ وما معنى الرب؟

٢- اشرح الحديث شرحاً موجزاً، وبيِّن ما يؤخذ من الحديث من أحكام.



(١) سورة مريم: (٩٣).

باب لا يرد من سأل بالله

(م) قوله: باب لا يرد من سأل بالله:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)**[1] رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

فيه مسائل:

الأولى: إعاذة من استعاذ بالله.

الثانية: إعطاء من سأل بالله.

الثالثة: إجابة الدعوة.

الرابعة: المكافأة على الصنيعة.

الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لا يقدر إلا عليه.

السادسة: قوله: «حتى تروا أنكم قد كافأتموه».

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (رقم ٢١٦)، رواه أبو داود: كتاب الزكاة (١٦٧٢): باب عطية من سأل بالله، والنسائي: كتاب الزكاة (٥/ ٨٢): باب من سأل بالله عز وجل، وابن حبان في «صحيحه» (رقم ٢٠٧١) والحاكم (١/ ٤١٢) والبيهقي (٤/ ١٩٩) وأحمد (٢/ ٦٨، ٩٩) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٥٦) من طرق عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعاً، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، وقال الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (١١/ ٦٩٢): «وإسناده صحيح» ا.هـ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٤).

(ش) **المناسبة:** لَمَّا كان السؤال بالله عظيماً، والسائل قد سأل بالله ينبغي بل يجب أن تُعظّم ربك وتجيبه إلى سؤاله، ما لم يكن محرماً والسائل لا يجوز له أن يسأل بالله شيئاً من أمور الدنيا، تعظيماً لله واحتراماً لجانب الربوبية؛ ناسب أن يذكره المصنف هنا.

المفردات:

(**من سأل بالله**): سأل سؤالاً ومسألة طلب واستدعي، الطالب سائل والمطلوب منه مسؤول، فإذا سألت الله بمعنى دعوته، ومن غيره طلبت منه.

قوله: (**فأعطوه**): إذا كان في استطاعتكم، فيجب إعطاؤه.

(**ومن استعاذ بالله فأعيذوه**): الاستعاذة بالله والعوذ به الالتجاء والاعتصام، فأعيذوه بالتجائه إلى ربه.

(**ومن صنع إليكم معروفاً**): المعروف والعُرف بالضم الجود، اسم لما تبذله وتعطيه، والمعروف ضد المنكر وهو كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه، وتقول أولاه معروفاً فكافأه.

(**المكافأة**): هي مقابلة المعروف بمثله، أو بالدعاء.

(**حتى تروا أنكم قد كافأتموه**): أي: قابلتم ذلك بمثله أو دعاء له.

المعنى الإجمالي:

في هذا الحديث أمر ﷺ أن من سأل بالله أنه يجب إجابته، ما لم يكن بإثمٍ أو قطيعة رحم، وإذا كان لا يملك سواء ما سأل هل يتعين عليه أم لا؟ وكذلك إذا كان ينقص قوت من يمون، أما إذا كان لديه قوة إيمان فالأفضل الإيثار، مع الصبر، لقوله تعالى:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[(١)].

وكذا من يمون إذا كان لديهم مثل إيمانه وصبروا وهم مرشدون ورغبوا الإيثار، كما جرى لبعض الأنصار، وأما إذا لم يرغبوا الإيثار فلا يجوز أن يضيعهم؛ لقوله ﷺ: **(كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت)**[(٢)]، وأما إذا كان فاضلاً عن قوته وقوت من يمون فيجب دفعه، كما أمر في الحديث، أما من استعاذ بالله فيجب عليه الدفع عنه، ونصره إذا كان مظلوماً أو الامتناع عن ظلمه، كما إذا قال: أعوذ بالله منك، أو من هذا الظالم.

وفي الحديث: إجابة الدعوة مطلقاً إذا انتفت الموانع من وجود محرمات ومعاص، وفي وليمة العرس أكّد لأول يوم، كما حثَّ على المكافأة على المعروف، بمثله أو أجود إذا كان قادراً، أو قد يقصد بإهداء الهدية المكافأة، وهذا من مكارم الأخلاق المهاداة والمكافأة، بخلاف اللئام الذين يسيئون إلى من يحسنون إليهم، فإذا لم يستطع المكافأة عليه بالدعاء له فإنه مكافأة: لقوله: من قال: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء، والاعتراف بالجميل محمود، لأنه ورد: **(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)**[(٣)].

---

(١) سورة الحشر: (من الآية: ٩).

(٢) رواه أبو داود وابن حبان وأحمد وغيرهم، وقال الأرناؤوط في تعليقه على المسند: (صحيح) وحسنه الألباني انظر حديث رقم: (٤٤٨١) في صحيح الجامع. إلا عندهم بلفظ: (يضيع من يقوت).

(٣) حديث صحيح: رواه أبو داود: كتاب الأدب (٤٨١١): باب في شكر المعروف، والترمذي: كتاب البر والصلة (١٩٥٤): باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٥)، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال المنذري في الترغيب (٢/ ٧٧): رواته ثقات، وقال الأرناؤوط في شرح السنة (٣٦١٠): وإسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٧).

ما يستفاد من الباب:

١- وجوب إجابة من سأل بالله، ما لم يسأل إثماً أو قطيعة رحم.

٢- وجوب إجابة دعوة الداع، إذا انتفت الموانع من الحرمان.

٣- المكافأة على المعروف من حسن العشرة، وطلب الألفة ودليل مكارم الأخلاق.

٤- من لم يقدر على مكافأة صانع المعروف عليه بالدعاء له.

٥- الاعتراف بالجميل مطلوب، وشكر المحسن على إحسانه، وإن المعطي والمانع هو الله، فلا ينافي شكر صانع المعروف بقولك: جزاك الله خيراً.



أسئلة

١- مناسبة باب: من سأل الله هنا؟

٢- بيِّن معاني المفردات الآتية: من سأل بالله؟ معنى فأعطوه؟ معنى من استعاذ بالله فأعيذوه؟ ما معنى: من صنع إليكم معروفاً، المكافأة؟ اشرح الحديث شرحاً موجزاً، ثم بيّن ما فيه من أحكام؟



باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

(م) قوله: باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة:

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يسأل بوجه الله إلا الجنة) رواه أبو داود[1].

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.

الثانية: إثبات الوجه لله.

(ش) المناسبة: لَمَّا كان السؤال بوجه الله شأنه عظيم، لا ينبغي أن يبذل في سؤال الدنيا وأمرها، ناسب أن يعظِّم ذلك، فلا يبذل حياءه ويحترم الوجه عن أمور دنيوية، لأن فيه عدم احترام السؤال بوجه الله، فلا يسأل إلا غاية المطالب التي هي الجنة.

المعنى الإجمالي:

أخبر النبي ﷺ أنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، **تعظيماً لله - سبحانه - فلا ينبغي أن** يُسأل به شيء من أمور الدنيا، لأن الدنيا أقل من أن تسأل بوجهه، ووجهه لا يسأل به إلا شيء يليق بعظمته وجلاله وعظيم عطائه، التي هي الجنة غاية كل مطلوب، وراحة كل مكروه.

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود: كتاب الزكاة (١٦٧١): باب كراهية المسألة بوجه الله عز وجل، وضعفه ابن القطان وغيره كما في فيض القدير (٢/ ٢٢٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع. انظر: حديث رقم: (٦٣٦٦).

الجمع بين حديث الباب وحديث: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت ...»

ما هو الجمع بين هذا الحديث وهو قوله: (لا يسأل بوجه الله إلا الجنة)(١)، وما ورد في دعائه عند منصرفه من الطائف لما ردته ثقيف، وهو قوله في الحديث المعروف: (**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات...إلخ الحديث**)(٢) وما شابهه؟ فالجواب: أنه لم يسأل إلا الجنة، أو ما قرَّب منها من الأعمال، وأنه يحفظه من الأعمال التي تحول بينه وبين الجنة، فهذا هو الجمع بين هذين الحديثين.

ما يؤخذ من الباب من فوائد:

١- لا يجوز أن يسأل بوجه الله إلا الجنة.

٢- الواجب أن يعظم وجهه، فلا يبذل في سؤال الدنيا وحطامها.

٣- إذا كان السؤال مما يقرب إلى الجنة ونعيمها، فلا بأس بالسؤال بوجهه.

٤- إثبات الوجه لله، وهو وجه يليق بجلاله وعظمته، كسائر الصفات التي تثبت ويؤمن بها، ولا تمثل ولا تشبه ولا تُأول.



---

(١) ضعيف: رواه أبو داود: كتاب الزكاة (١٦٧١): باب كراهية المسألة بوجه الله عز وجل، وضعفه ابن القطان وغيره، كما في فيض القدير (٢/ ٢٢٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع انظر حديث رقم: (٦٣٦٦).

(٢) ضعيف: رواه الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر، وقال الهيثمي (٦/ ٣٥) بعد أن عزاه للطبراني: «وفيه إسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات»، والحديث ضعفه الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد، وضعفه الألباني في تخريج فقه السيرة لمحمد الغزالي (ص: ١٣٥، ١٣٦).

أسئلة

١- ما مناسبة باب: لا يسأل بوجه الله إلا الجنة؟ ولماذا منع السؤال بوجه الله غير الجنة؟

٢- اشرح الحديث شرحاً موجزاً، وبيّن ما فيه من أحكام.



باب ما جاء في اللَّوّ

(م) قوله: باب ما جاء في اللَّوِّ:

وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾[٢].

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **(احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان)**[٣].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران.

الثانية: النهي الصريح عن قول: «لو» إذا أصابك شيء.

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.

الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع، مع الاستعانة بالله.

السادسة: النهي عن ضد ذلك، وهو العجز.

(ش) المناسبة: لَمَّا كان قول: «لو» ينافي التوكل، وفيه الاعتراض على القدر، فيكون فيه شائبة من شوائب الشرك، ناسب أن ينهى عن ذلك ويبِّوب له هنا.

---

(١) سورة آل عمران: (الآية: ١٥٤).

(٢) سورة آل عمران (الآية رقم: ١٦٨).

(٣) رواه مسلم: كتاب القدر (٢٦٦٤) (٣٤) باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله).

شرح الآيتين الواردتين في الباب

المفردات:

﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾: أي: من التدبير لما خرجنا.

﴿مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾: أي: في مكاننا.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾: من المنافقين.

﴿وَقَعَدُوا۟﴾: عن الخروج، كعبد الله بن أبي وأتباعه.

﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾: أي: أطاعوا مشورتنا.

﴿مَا قُتِلُوا۟﴾: أي: في مخرجهم ذلك.

المعنى الإجمالي:

أخبر ﷻ عن وقعة أُحُد، وأن هناك طائفةً من المنافقين لَّما أصاب المسلمين ما أصابهم، واستشهد من استشهد منهم وجرح من جرح وشج النبي ﷺ وقُتِل عمه في هذه المعركة الدامية بين المسلمين وأعدائهم؛ أظهر كثيراً من المنافقين، وقالوا ما حكى الله عنهم: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ فرد الله مقالتهم تلك لقوله: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾(١) وأخبر سبحانه أن ما أصابهم ابتلاء وتمحيصٍ ليعلم الصادق من الكاذب، وأصاب المسلمين نعاس وأصاب المنافقين رعب ووجل، وفاهوا بمقالتهم هذه، وقالوا: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ في هذه المعركة، والتدبير فيها شيء من الرأي والمشورة، كما قال عبد الله بن أبيٍّ رأس المنافقين: ﴿مَّا قُتِلْنَا

---

(١) سورة آل عمران (الآية رقم: ١٦٨).

هَـٰهُنَا﴾ في هذه الوقعة، فقال لهم تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾(١) لأنه لا ينفع حذر من قدر، والله متمُ أمره ومظهر رسوله ولو كره من كره، فأتم الله أمر رسوله ونصره وأظهره على أعدائه، وفتح له مكة، بل فتحت المشارق والمغارب، ككسرى وقصر قيصر على يد أصحابه.

ما يستفاد من الآيتين:

١- وقعة أُحُد جعل الله بها امتحاناً وتمحيصاً واستشهاداً لبعض المسلمين.

٢- إن كثيراً من المنافقين اعتقدوا أن الله لا يؤيد رسوله ﷺ ولا ينصره، وقد رد الله مقالتهم وأيده ونصره.

٣- أصيب المسلمون بنعاسٍ أَمنة لهم من الله، وأصيب المنافقون برعدةٍ وشدةٍ وخوفٍ.

٤- انتقادهم الرسول ﷺ وتدبيره ولومهم أصحابه، وهذه عادة المنافقين.

٥- سنة الله أنه لا نصر إلا بعد الابتلاء والامتحان، كما جرى لسيد المرسلين.

شرح حديث: «احرص على ما ينفعك ...»

المفردات:

(**احرص على ما ينفعك**): الحرص المراد به بذل الأسباب فيما ينفع العبد في الدنيا والآخرة، لأن فعل الأسباب مأمور به، والاعتماد على الله في ذلك، أما الاعتماد عليها فهذا شرك، وترك الأسباب قدح في الشرع، وهذه فائدة مهمة.

قوله: (**واستعن بالله**): أي: مع حرصك اطلبها بإعانة الله.

---

(١) سورة آل عمران: (الآية: ١٥٤).

وقوله: «ولا تعجزن»: العجز ضد الكيس، والمراد به الكسل والخمول.

قوله: (**والكيِّس من دان نفسه**): أي: هذبها وأدبها، وحملها على الخير لما بعد الموت.

قوله: (**والعاجز**) هو ضد الحزم والعمل والحرص، «وأتبع نفسه هواها» أي: كل ما تطلب وتميل إليه.

قوله: (**وإن أصابك شيء**): من المقادير المقدَّرة، «لو» حرف امتناع وهي تفتح عمل الشيطان بالتأسف والجزع، ولكن ينبغي أن يقول: قدَّر الله وما شاء فعل، أي: ما أصابني بقضاء وقدر.

المعنى الإجمالي:

الحديث فيه الأمر والحثُّ والحرص على طلب ما ينفع العبد في أمور دينه ودنياه من العاجل والآجل، وبذل الأسباب في ذلك النافعة والاستعانة بالله على تحصيله، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[1] فالاستعانة مطلوبة من الله في كل شيءٍ. اللهَّم أعني على ذكرك وعلى شكرك. فالرسول عليه الصلاة والسلام يلجأ إلى ربه في المهمات والملمات فيجب على الأمة الاقتداء بنبيها، ثم بذل الأسباب وعدم العجز والكسل. فإذا أصبت بشيءٍ فسلم لقضاء الله وقدره بعد بذل الأسباب، ولا يلوم القدر أو التدبير، أو يقول كما قال المنافقون: لو أطاعونا ما قتلوا. بل يقول: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدَّم، ويفتح عليه باب التسويف، والاعتراض على القدر، واللوم لنفسه والله أعلم.

---

(١) سورة الفاتحة: (٥).

ما يستفاد من الباب:

١- بذل الأسباب مطلوب شرعاً وعقلاً.

٢- الاعتماد والتوكل على الله، بعد بذل الأسباب.

٣- لا يجوز لوم النفس أو القدر إذ لم يحصل له المقصود، كفعل المنافقين.

٤- الكيسِّ ضد العجز، والعجز مذموم وهو الكسل والخور والآمال الكاذبة.

٥- أن طلب الأشياء لا ينافي قوله ﷺ: (**لو تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً**)[١] فهي تذهب لطلب الرزق، وهذه من الأسباب.



(١) صحيح: قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٥٥٧): أخرجه أحمد (١/ ٣٠) والترمذي (٢/ ٥٥ - بولاق) والحاكم (٤/ ٣١٨) عن حيوة بن شريح: أخبرني بكر بن عمرو أنه سمع عبد الله بن هبيرة يقول: إنه سمع أبا تميم الجيشاني يقول سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أنه سمع نبي الله ﷺ يقول: فذكره، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد، وأقره الذهبي، وأقول: بل هو صحيح على شرط مسلم، فإن رجاله رجال الشيخين غير ابن هبيرة، وأبي تميم فمن رجال مسلم وحده. وقد تابعه ابن لهيعة عن ابن هبيرة به. أخرجه أحمد (١/ ٥٢) وابن ماجه (٤١٦٤) وهو عنده من رواية عبد الله ابن وهب عنه. فالسند صحيح أيضاً. انظر حديث رقم: (٥٢٥٤) في صحيح الجامع.

أسئلة

١- ما مناسبة ما جاء في اللوم هنا؟ وما معنى قوله: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾؟ ما معنى: ما قتلنا ها هنا؟ وما معنى: (الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا)؟ ثم اشرح الحديث موجزاً، ثم بين ما يؤخذ منه من الأحكام؟

٢- حديث: احرص على ما ينفعك. اشرح الجملة السابقة؟ وما معنى: استعن بالله؟ وما معنى: ولا تعجزن؟ وما معنى قوله: «فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت»؟ وما معنى: قدر الله؟ ثم اشرح الحديث شرحاً موجزاً، وبيِّن ما فيه من أحكام.



باب النهي عن سب الريح

(م) قوله: باب النهي عن سب الريح:

عن أُبيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لا تَسبُّوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنّا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمِرتْ به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمِرَت به) صححه الترمذي[1].

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الريح.

الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع، إذا رأى الإنسان ما يكره.

الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة.

الرابعة: أنها قد تؤمر بخير وتؤمر بشر.

(ش) المناسبة: لَمَّا كانت الريح مدبرةً مأمورةً وكان المدبِّر لها هو الله، نهي عن سبِّها؛ لأنه في الحقيقة مسبة للمدبِّر.

المفردات:

قوله: (**لا تسبوا الريح**): الريح تأتي بلفظ الجمع، التي تأتي بالرحمة، كما في قوله:

---

(١) صحيح: رواه الترمذي: كتاب الفتن (٢٢٥٢): باب ما جاء في النهي عن سب الرياح، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني لشواهده وطرقه في صحيح الجامع (٧١٩٢).

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾[(١)] وتأتي بلفظ المفرد، وهي التي تأتي بالعذاب، كما في قوله: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ ﴾[(٢)].

المعنى الإجمالي:

في الحديث نهي عن سبِّ الريح، لأن الريح خلق من خلق الله، مدبَّرة مسخَّرة بإذن الله، فتارةً تأتي بالخير من اللقاح للسحب وسوقه وجمعه وغير ذلك، ومن فوائدها: إصلاح الثمار والنبات وغير ذلك، وتأتي بالشر والعذاب والدمار، فسلطها الله على قوم عادٍ فأهلكتهم عن آخرهم

كما في قوله تعالى: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾[(٣)]، وكان ﷺ يسأل الله من خيرها وخير ما أمرت به، ويستعيذ بالله من شرها وشر ما أمرت به، فيلوذ بجانب الربوبية، ويجرد التوحيد لرب العالمين ويخلصه، ويلتجئ إليه في كل حال من أحواله، خلافاً لمن يستعيذ بالطاغوت أو الأولياء، ويطلب تفريج الكرب منهم وإزالة ما نزل به منهم.

ما يستفاد من الباب:

١- النهي عن سبِّ الريح.

٢- إذا هبَّت الريح فينبغي للعبد أن يسأل الله من خيرها، ويستعيذ به من شرها.

٣- إذا سأل الله ودعاه عند هبوب الريح يكون فيه إخلاص العبادة لله.

---

(١) سورة الحجر: (٢٢).

(٢) سورة الذاريات: (٤١).

(٣) سورة الذاريات (الآيات رقم: ٤١، ٤٢).

٤- إذا لجأ إلى غير الله في حال هبوب الريح ودعاه فإن هذا شرك.

٥- الريح ترسل عذاباً إذا كانت بلفظ المفرد، وتأتي في القرآن على هذا النمط، وتأتي رحمةً إذا كانت بلفظ الجمع، وكل هذا في القرآن.

٦- من هدى الرسول ﷺ أنه إذا هبَّت الريح دعا بهذا الدعاء، فينبغي التأسي به.



أسئلة

١- ما هي مناسبة باب النهي عن سبِّ الريح؟ بين معنى ما يأتي: لا تسبوا الريح؟ ما الفرق بين لفظ الجمع للريح والإفراد الذي جاء في القرآن؟

٢- اشرح الحديث شرحاً موجزاً مبيناً ما فيه من فوائد.



باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ...﴾

(م) قوله: باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾[2].

قال ابن القيم في الآية **الأولى**: فُسر هذا الظن بأنه - سبحانه - لا ينصر رسوله ﷺ، وأن أمره سيضمحل، وفُسر بأن ما أصابه لم يكن بقَدَر الله وحكمته، ففُسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله ﷺ، وأن يظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنَّما كان هذا ظنٌّ سوءٍ؛ لأنه ظن لا يليق به سبحانه، ولا يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظنَّ أنه يديل الباطل على الحق إدالةً مستقرةً يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمةٍ بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردةٍ ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾[3] وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا

---

(١) سورة آل عمران: (من الآية: ١٥٤).

(٢) سورة الفتح: (من الآية ٦).

(٣) سورة ص (من الآية: ٢٧).

يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده، فليعتن اللبيب الناصح بنفسه، وبهذا وليتب إلى الله وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر، وملامةً له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟[١].

فإن تَنْجُ منها تَنْجُ من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجياً

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية الفتح.

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصى.

الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه، وعرف نفسه.

(ش) المناسبة: لَمَّا كان ظن السوء فيه عدم الثقة بالله، الذي وعد رسوله ﷺ بالنصر، واعتراض على قدر الله وتدبيره وتصريفه الأمور، ففيه عدم تحقيق الإيمان بالله، والتسليم لقضائه وقدره، فهو منافٍ للتوحيد من هذه الناحية، فلهذا ناسب أن يذكره هنا.

المفردات:

قوله: (**يظُنُّونَ بِاللهِّ غَيْرَ الْحقِّ**): أي: يظنون به غير الحق الذي يجب أن يظن به، والذي يجب أن يظن به هو نصرة رسوله وتأييده.

قوله: ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: بدلاً منه، وهو الظن المختص بأهل الجاهلية أو ظن أهل

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٢٠٦).

الجاهلية وهو ظنهم أن أمر النبي ﷺ باطل، وأنه لا ينصر ولا يتم ما دعا إليه من دين الحق.

﴿يَقُولُونَ﴾: أي: المنافقون لرسول الله ﷺ.

﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ﴾: أي: من أمر الله نصيب.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾: أي: ليس لكم ولا لعدوكم منه شيء وإنما النصر بيد الله والظفر منه.

﴿يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم﴾: أي: يظهرون في قلوبهم النفاق، ولا يبدونه لك.

﴿يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾: هذه الآية على تقدير سؤال، كأنه قيل: فما هو الأمر الذي يخفون؟ فقيل: يقولون في أنفسهم أو فيما بينهم.

﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ﴾: أي: قاعدين فيها.

﴿لَبَرَزَ﴾ أي: لخرج.

﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾: أي: قضى وقدر إلى مضاجعهم مصارعهم، فإن قضاء الله لا مفَر منه ولا يرد.

﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾: أي: ابتلاء من الله أصابكم ما أصابكم، ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ﴾: من وساوس الشيطان.

المعنى الإجمالي للآيات:

أخبر الله ﷻ في هذه الآيات الكريمة قصة ما جرى في وقعة أحد، وأنها أظهرت ما تكنّ صدور المنافقين، فظنوا بالله الظنون الفاجرة. واعتقدوا أن الله لا ينصر رسوله ﷺ، وأن هذه الوقعة قد تستأصل المسلمين، وأرجفوا في ذلك حتى تكلَّم عبد الله بن

أُبي رأس المنافقين، لأنه لو كان لهم شيء من الأمر ما قتل من قتل، لَّما قيل له: قتل بنو الخزرج وكان حليفاً لهم، ثم قال: ليخرجن الأعزُ منها الأذل، فأخبر الله أن ما وقع من القتل مفروغ منه بقضاء الله وقدره، ولا بدَّ من وقوع ما وقع، من القتل وقد ابتلى الله في هذه الوقعة المؤمنين، ومحَّص قلوبهم، وقد نزل النعاس على المؤمنين أمنةً من الله لهم، كما أخبر جلَّ وعلا، بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، والطائفة الأخرى وهم المنافقون اشتغلت بنفسها، وظَّنت بالله الظنون الباطلة، كما ظنوا به ظن السوء، لأنه لا ينصر رسوله ﷺ، كما جاء في كلام ابن القيم، فبيَّن لهم أن الأمر كله بيد الله، يعز من يشاء ويذل من يشاء، ويخفض ويرفع ويديل هذا على هذا.

ما يستفاد من الآيات:

١ – أن المنافقين ظنّوا بالله الظنون الفاجرة، أن الله لا ينصر رسوله ولا يظهره على أعدائه.

٢ – طلبهم بأن يكون لهم من الأمر شيء، وإخباره بأن الأمر كله لله.

٣ – إن قضاء الله نافذ لا محالة: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾.

٤ – أن ما أصاب المسلمين في تلك الوقعة ابتلاء من الله وامتحان وتمحيص للقلوب وتطهير لها.

٥ – اطلاع الله على السرائر، وما انطوت عليه الضمائر، حيث نزل بذلك قرآن يتلى.

٦ – أن دائرة السوء على المنافقين والكافرين، لأنه يسوؤهم نصر الله لرسله.

فوائد من كلام ابن القيم على قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ...﴾

أقول: ما نقله الشيخ رحمه الله من كلام ابن القيِّم هو كالشرح للآية مع شرح مفردات الآيات المتقدم والمعاني الإجمالية والأحكام، مع ما ذكر هنا زيادة إيضاح، وتبيين للحق الذي أورده هنا واضحاً بيناً لا غبار عليه، ولا يحتاج إلى زيادة تعليق، ونستنتج منه الفوائد والأحكام الآتية:

١- يجب الإيمان بأن ما أصاب الرسول ﷺ والمؤمنين بقضاء الله وقدره، وأنه مقدر لحكمةٍ بالغة.

٢- إن من ظنِّ السوء بالله أنه لا ينصر رسوله ﷺ، ولا يظهره على أعدائه، ويعلي دينه على سائر الأديان.

٣- كان ظنُّ سوءٍ؛ لأنه لا يليق بجلاله وحكمته، وحمده ووعده بالنصر.

٤- من اعتقد أنه ليس لحكمةٍ ما أصابه، بل لمشيئةٍ مجرَّدةٍ فهو ظنُّ سوء.

٥- أن هذا الظن المتقدم اشترك فيه المشركون والمنافقون.

٧- كثير من الناس لا يسلِّم من الاعتراض على قدر الله ومشيئته فيما يصيبهم ويصيب غيرهم.

٨- أن السلامة من ذلك عزيزة إلا من مؤمنٍ قد عرف ربه وأسماءه وصفاته وحكمته، وأنه لا قليل ولا كثير ولا صغير ولا كبير إلا بقدره وإرادته ومشيئته.

٩- أن الواجب على المرء العاقل الناصح لنفسه التوبة والاستغفار.

١٠- أن كثيراً من الناس يعترض على القدر، بقوله: لو كان كذا لكان كذا، ولو جعل فلان في كذا لكان أحسن وأجدر وأقدر، ولو زيد في كذا لكان أحسن، ولو نقص

في كذا لكان يستحسن، كل هذا اعتراض.

١١- أن السالم من هذه الاعتراضات قليل، لكن منهم المُقِل ومنهم المكثر.

١٢- يجب على الإنسان أن يفتش نفسه، ويتوب إلى ربه منها، لأنها عظيمة والسلامة منها قليلة.



أسئلة

١- ما هي مناسبة ذكر باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ وبيِّن معاني المفردات الآتية: (يظُنُّونَ بِالله غَيْرَ الحَقِّ)؟ وما معنى ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾؟ وما معنى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾؟

وما معنى ﴿مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾؟ وما معنى ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾؟ وما مضاجعهم؟ وبين معنى قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾، وما هو التمحيص؟

٢- اشرح ما تقدم من الآيات شرحاً مجملاً، وبيّن ما فيها من أحكام، ثم استنتج الأحكام من كلام ابن القيم على الآيتين، ولأي شيءٍ أورده المصنف؟



باب ما جاء في منكري القدر

(م) قوله: باب ما جاء في منكري القدر:

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: **(والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أُحدٍ ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله، ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم استدل بقول النبي ﷺ: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)**[١] رواه مسلم.

وعن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: **(يا بُنيَّ، إنك لن تَجِد طَعْمَ الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رَبِّ، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، يا بني! سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات على غير هذا فليس مني)**[٢].

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان (٨)(١): (باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان)، وأبو داود: كتاب السنة (٤٦٩٥): باب في القدر، والترمذي: كتاب الإيمان (٢٦١٠): باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ والإسلام، والنسائي: كتاب الإيمان (٨/ ٩٧): باب نعت الإسلام، وابن ماجه في المقدمة (٦٣): باب في الإيمان.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٣١٧)، ورواه أبو داود: كتاب السنة (٤٧٠٠): باب في القدر، وأما رواية الترمذي فهي عنده في موضعين: كتاب القدر (٢١٥٥): باب (١٧) وقال: حديث غريب، وكتاب التفسير (٣٣١٩): باب ومن سورة: (ن) وقال: حديث حسن غريب وفي الباب عن ابن عباس، وصححه الألباني لطرقه وشواهده في السنة لابن أبي عاصم (١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥) وانظر: صحيح الطحاوية (٢٣٢)،(٢٧١)، المشكاة (٩٤)، الظلال (١٠٢ - ١٠٧) للألباني.

وفي رواية لأحمد: (**إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**)(١).

وفي روايةٍ لابن وهب: قال: قال رسول الله ﷺ: (**فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار**)(٢).

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: (أتيت أُبيَّ بن كعبٍ، فقلت له: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيءٍ لعلَّ الله يذهبه من قلبي، فقال: لو أنفقت مثل أُحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مُتَّ على غير هذا لكنت من أهل النار، قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ) حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه(٣).

فيه مسائل:

الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان كيفية الإيمان.

---

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣١٧)، وقال الأرناؤوط في تعليقه على المسند: حديث صحيح.

(٢) (القدر) لابن وهب (ص: ١٢١) حديث رقم (٢٦) من طريق عمر بن محمد أن سليمان بن مهران حدثه قال: قال عبادة بن الصامت.. الحديث. وإسناده منقطع بين (سليمان بن مهران) وهو الأعمش، وكان مولده أول إحدى وستين. (تهذيب التهذيب) (٤/ ٢٢٣) وبين (عبادة بن الصامت) وقد توفي سنة أربع وثلاثين (التقريب) (ص: ٢٩٢).

(٣) صحيح: أحمد (٥/ ١٨٢) من حديث زيد بن ثابت، ورواه أبو داود: كتاب السنة (٤٦٩٩): باب في القدر، وابن ماجه في المقدمة (٧٧): باب في القدر من حديث أبي بن كعب، وصححه الألباني في السنة لابن أبي عاصم (٢٤٥)، وانظر: مشكاة المصابيح (١١٥) تحقيق الألباني.

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به.

الرابعة: الإخبار أن أحداً لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به.

الخامسة: ذكر أول ما خلق الله، وهو القلم.

السادسة: أن القلم جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة.

السابعة: براءته ﷺ ممن لم يؤمن بالقدر.

الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

التاسعة: إن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ.

(ش) المناسبة: لَمَّا كان التشكيك في نصره لعباده ورسوله ﷺ، وهل ذلك مقضيٌّ مقدر؟ أم هو لحكمةٍ أم لا؟ وما يدور حول ذلك مما يخالف تحقيق التوحيد، ناسب أن يذكر بعده القدر ومكانته من الإيمان، أنه لا يجري مثقال ذرة فما فوقها إلا وهو في علم الله وقدره، وأن من شكَّ في ذلك أو أنكر القدر، فهو منافٍ للتوحيد أصلاً، فعقد هذا الباب بهذه المناسبة؛ لأن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان.

تعريف القدر

هو قضاء الله وما حكم به من الأمور، ويدخل في ذلك علمه القديم الأزلي، وتقديره للأشياء وعلمه بها، ما كان منها وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون؟ وهو اعتقاد أن الله تعالى قدَّر الخير والشر والشقاء والسعادة قبل خلق الخلق بكتاب مسطور عنده، وأن جميع الكائنات بقضاءِ الله تعالى، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه كما يأتي.

المفردات:

قوله: (**والذي نفسي بيده**): قسم منه ﷺ وهو البار الصادق، أقسم بالذي يملك نفسه وهو الله.

قوله: (**مثل أحد**): وهو جبل معروف قرب المدينة.

(**ثم أنفقه في سبيل الله**): أي: لو كان له هذا المقدار من المال، وهو لم يؤمن بالقدر ما قبل منه، لأن الله لا يقبل إلا من المتقين المخلصين.

المعنى الإجمالي:

أقسم ابن عمر رضي الله عنهما لما وصل يحيى بن يعمر وحميد ابن عبد الرحمن، فأخبراه بخروج طائفة القدرية، وأن أول من تكلم به مَعْبَد الجُهني[1]، أقسم أن من أنكر القدر وجحده أنها لن تقبل منه تلك الصدقة مهما بلغت في الكثرة والعظم، لأنه تارك لأصلٍ من أصول الإيمان الستة، التي لا يصح إيمان عبدٍ إلا بها، والتي أجاب بها رسول الله ﷺ جبريل حين سأله عن الإيمان، وهذا إيمان ببعض ما جاء به الرسول ﷺ، فلما احتجَّ رجل على عمر بأنه سرق بقضاء الله وقدره أجابه عمر بأنه يقطع يده بقضاء الله وقدره، فالله قدَّر الأشياء، ولكن الإنسان يأتيها طوعاً مختاراً، لأنه أمره بالخير ونهاه عن الشر

---

(١) **معبد بن عبد الله**: ابن عويمر -وقيل: ابن عبد الله- ابن عُكيم الجهني، نزيل البصرة، وأول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة، حدث عن عمران بن حصين، ومعاوية، وابن عباس، وابن عمر، وحمران بن أبان، وطائفة، وكان من علماء الوقت على بدعته، حدث عنه: معاوية بن قرة، وزيد بن رفيع، وقتادة، ومالك بن دينار، وعوف الأعرابي، وسعد بن إبراهيم، وآخرون، وقد وثقه يحيى بن معين. وقال أبو حاتم: صدوق في الحديث، وقيل: هو وَلَدُ صاحب حديث: (لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب) وقيل: هو معبد بن خالد.

خلافاً للقدرية الذين ينكرون القدر، والجبرية الذين يقولون: إن الإنسان مجبور على فعل نفسه، فهو كالعروق النابضة وكحركات المرتعش، ويقولون: كل ما يفعله محبوب مرضي؛ لأنه إن خالف أمره فقد وافق قدره، وكلا القولين مردود بالكتاب والسنة، وأن الله أثبت للعبد قدرة ومشيئة، لكن لا كما تقوله القدرية: إنه يخلق فعل نفسه، ولا كما تقوله الجبرية: إنه مجبور، بل مشيئته وقدرته تابعة لقدرة الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1]، وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[2]، فمذهب الجبرية مأخوذ عن الجهم بن صفوان، والقدر مأخوذ عن معبد الجهني كما تقدم.

ما يستفاد من الأحكام:

١- أن الإيمان بالقدر أحد أصول الإيمان الستة، التي أجاب بها جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ.

٢- أن نفقة القدرية وصدقاتهم غير مقبولة، ما لم يؤمنوا بالقدر خيره وشره.

٣- يجب على العبد أن يؤمن بأن ما أصابه مقدر مقضي، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا مذهب أهل السنة، اعتقاد أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، كما في الحديث.

٤- أن النفقة في سبيل الله من أفضل الصدقات.

٥- إنقسام القدرية إلى:

(أ) القدرية النفاة الذين ينكرون علم الله القديم، فهؤلاء كفار عند أئمة أهل السنة، ويسمون الغلاة: غلاة القدرية.

---

(١) سورة الانسان: (من الآية ٣٠).

(٢) سورة القمر (الآية: ٤٩).

(ب) قدرية يقرون بالعلم الثابت القديم، وينكرون خلق أفعال العباد، فهؤلاء: أهل بدعة كأهل الكبائر.

شرح حديث ابن عمر في أركان الإيمان

معاني المفردات:

قوله: (**لن تجد طعم الإيمان**): المراد بطعم الإيمان لذَّته وسروره التي تحصل بفعل الطاعة.

قوله: (**حتى تعلم**): أي: تتيقن.

(**أن ما أصابك لم يكن ليخطئك**): أي: فيتعداك إلى غيرك.

(**وما أخطأك**): أي: تخطاك إلى غيرك.

(**لم يكن ليصيبك**): لأنه مقدر مدبر واقع.

قوله: (**أول ما خلق الله القلم**): أي: من هذا العالم سوى العرش كما سيأتي.

(**فقال له: اكتب**): أي: أمره الله بالكتابة.

(**فجرى في تلك الساعة**): أي: بعد أمر الله له.

(**بما هو كائن إلى يوم القيامة**): فالأمور كلها مقدرة، ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

قوله: (**فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار**): دلَّ على أنه كبيرة من كبائر الذنوب، وأنه يعذب في النار ولا يعذب الله في النار إلا على ترك واجبٍ أو ارتكاب كبيرة وسائر المعاصي.

قوله: (**في نفسي شيء من القدر**): أي: شك وتردد.

(**فحدثني**): أي: بحديثٍ سمعته من النبي ﷺ.

(**لعل الله يذهبه من قلبي**): أي: بما أسمع منك من أحاديث الرسول ﷺ.

شرح حديثي عبادة بن الصامت وأبي بن كعب في القدر

فائدة: في معرفة أول ما خلق الله هل هو القلم أو العرش؟

أنقل لك ما كتبته على العقيدة الواسطية[1]:

جاء في حديث: (**أن أول ما خلق الله القلم، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**)[2].

وجاء في حديثٍ آخر: (**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**)[3] فدل على أن خلق القلم وقع بعد خلق العرش، لكنه عند أول خلقه أمره بالكتابة، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة، وأنه -أي: القلم- أول المخلوقات من هذا العالم، أي: بعد العرش، فيتفق الحديثان، ويمكن الجمع بينهما بهذا؛ إذْ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير: مقارن لخلق القلم.

---

(١) هذا أحد كتب الشيخ عبد الرحمن الجطيلي رحمه الله، وسماه: الأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة.

(٢) أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب... الخ. بهذا اللفظ رواه أحمد والترمذي إلا أنه عنده إلى الأبد بدلاً من يوم القيامة، ورواه أبو داود بنحوه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وقال الأرناؤوط في تعليقه على المسند: حديث صحيح، وصححه الألباني. انظر حديث رقم: ٢٠١٧ في صحيح الجامع. وانظر أيضاً حديث رقم: ٢٠١٨ في صحيح الجامع.

(٣) صحيح مسلم، القدر (٢٦٥٣)، سنن الترمذي، القدر (٢١٥٦)، مسند أحمد بن حنبل(٢/ ١٦٩)، الحديث رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

قال ابن القيم(١):

والناس مختلفون في القلم الذي … كتب القضاء به من الديانِ
هل كان قبل العرش أو هو بعده … قولان عند أبي العلا الهمداني
والحق أن العرش قبلُ لأنه … قبل الكتابة كان ذا أركانِ
وكتابة القلم الشريف تعقبت … إيجاده من غير فصلٍ ثانِ

الأقلام التي كتبت بها المقادير:

وأما الأقلام التي كتب بها مقادير الأشياء، فهي كالآتي:

القلم الأول: وهو ما كتب به جميع المقادير في اللوح المحفوظ كما في الحديث، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة.

القلم الثاني: ما كتب به التقدير العمري، وهو ما يقدَّر على الجنين في بطن أمه حين يأتي إليه الملك، ويؤمر بأربع كلماتٍ.

القلم الثالث: تقدير حوليٌّ، وهو ما يكتب به من السنة إلى مثلها، وهو ما يقدر في ليلة القدر.

القلم الرابع: الذي يكتب به على ابن آدم حين يكلف.

وزاد بعضهم: القلم الخامس: وهو التقدير اليومي، ويستدل له بقوله تعالى:

---

(١) انظر كتاب: «متن القصيدة النونية»، للمؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، فصل: في اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب تعالى وكلامه والانفصال عنه.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩)﴾[(١)].

فهذه الأقلام التي يكتب بها المقادير، وهناك قول للباطنية وبعض الرافضة بأن أول ما خلق الله العقل، ويستدلون بحديثٍ ضعيف، بل موضوع، والصحيح ما تقدم أن العرش أول المخلوقات.

المعنى الإجمالي:

جاء في هذه الآثار أنه لن يجد عبد لذة الإيمان وسروراً وذوقاً وطعماً للطاعة حتى يؤمن بالقدر ويسلِّم لأمر الله، ويعتقد أن كل شيءٍ مقدَّر مقضي في كتاب عند الله، وما أصاب العبد لا يمكن أن يتعداه إلى غيره، وما تعداه لم يكن ليصيبه، والإيمان بهذا أحد أركان الإيمان الستة، وقد توعَّد من لم يؤمن بالقدر خيره وشره أن يكبه الله في النار، ويحرقه فيها والله لا يعذب في النار إلا على من فعل محرماً ينافي التوحيد أو كماله.

ومن أعظم التغليظ ما ورد في ذمِّهم على لسان رسول الله ﷺ بقوله: (**القدرية مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشيعوهم**)[(٢)] أو كما جاء.

---

(١) سورة الرحمن: (من الآية٢٩).

(٢) رواه أبو داود والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين: إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر ولم يخرجاه وشاهده وقال الذهبي في التلخيص: على شرطهما إن صح لأبي حازم سماع عن ابن عمر رضي الله عنهما. وحسنه الألباني. انظر: حديث رقم: (٤٤٤٢) في صحيح الجامع. وقال في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية: صحيح لغيره، ورواه الطبراني في مسند الشاميين وابن أبي عاصم في السنة وصححه الألباني انظر: (ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم) للألباني وقال الشيخ يوسف الغفيص في شرح الإيمان: (بعض من يذكر باب ذم أهل البدع يذكر أحاديث عن النبي ﷺ في ذم أهل البدع وتسمية الطوائف مثل حديث: «القدرية مجوس هذه الأمة» ولكن لم يصح عن النبي ﷺ تسمية فرقة إلا الخوارج، فهو مشهور =

وجه المشابهة بين القدرية والمجوس:

أما وجه المشابهة فإن المجوس يدَّعون خالقين اثنين: النور والظلمة، فالخير في زعم المجوس يصدر عن النور، والشر يصدر عن الظلمة، والقدرية زعموا أن العبد يخلق فعل نفسه فشابهوا المجوس، بادعائهم خالقاً مع الله، والله هو الخالق خلق العباد وخلق أفعالهم، والقدرية زعمت أنك خلقت فعل نفسك، والله المقدر المدبر ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

لا يجري مثقال ذرة ولا زنة خردلة إلا بعلمه وقدرته ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[2].

فجميع الأشياء لا تجري إلا بحكمة وقدرة إلهية محكمة، فتبارك الله أحكم الحاكمين، وقد جرى بين عبد الجبَّار القاضي من المعتزلة[3]، وبعض أهل السنة مناظرة،

= ولكن ثبت عن بعض الصحابة كابن عمر رضي الله عنهما في القدرية، ولذا لم يذكر هذه الأحاديث الأئمة المعتمدين كأحمد.

(١) سورة الأنبياء: (٢٣).

(٢) سورة الأنعام: (٥٩).

(٣) **القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد المعتزلي الرازي** الهمداني الأسد أبادي (٣٥٩ - ٤١٥هـ، ٩٦٩ - ١٠٢٥م) وهو الذي تلقبه المعتزلة بقاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على سواه، ولا يعنون به غيره إذا أطلقوه، سمع الحديث من أبي الحسن بن سلمة القطان، وعبد الرحمن بن حمدان الجلاب، وعبدا بن جعفر بن فارس، والزبير بن عبد الواحد الأسد أبادي وغيرهم، وروى عنه القاضي أبو يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف القزويني المفسر المعتزلي، وأبو عبد الله الحسن بن علي الصَّيْمَرِي، وأبو القاسم علي بن =

فقال عبد الجبار: سبحان من تنزَّه عن الفحشاء؛ فأجابه بقوله: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، قال عبد الجبار: أيعصى ربنا فيرضى؟ فقال له السني: أيقع في ملكه ما لا يشاء؟ فقال عبد الجبار: أرأيت إن منعني الهدى وأوردني الردى؟ أحسن لي أم أساء؟ فقال له السني: إن منعك ما هو حق لك فقد أساء، وإن منعك حقاً له فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فانتهت المناظرة على ذلك.

ما يستفاد من الأحاديث:

١ - أن الإيمان له لذَّة وسرور وطعم، ولا يذاق طعمه إلا بالإيمان بالقدر.

٢ - أن الإيمان بالقدر أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

٣- أن القدرية مجوس هذه الأمة، ومعرفة المناسبة بين القدرية والمجوس تقدم قريباً.

= المحسن التنوخي، أما أستاذه في الاعتزال فهو أبو إسحاق بن عياش إبراهيم بن عياش البصري، قال عنه القاضي عبد الجبار: «وهو الذي درسنا عليه أولاً»، وهو من الورع والزهد والعلم على قدر عظيم. وقد رحل إليه من بغداد قوم يجمعون مجلسه إلى مجلس أبي عبدا. استدعاه الصاحب بن عباد إلى الري، واشتغل بالتدريس والقضاء، وقد عينه الصاحب في منصب قاضي القضاة في الري. وتوفي بها، وقف عمره على التدريس والإملاء، وإليه انتهت رئاسة المعتزلة حتى صار شيخها وعالمها غير مُدافَع. قال عنه ابن المرتضى: «نسخت كتبه كتب من تقدمه من المشايخ»، ومن أشهر كتبه في الكلام الدواعي والصواري؛ الخلاف والوفاق؛ الخاطر؛ الاعتماد. ومن أماليه المغني؛ الفعل؛ الفاعل؛ المحيط؛ وكتابه المشهور في مبادئ الاعتزال شرح الأصول الخمسة، وله مصنفات في الشروح مثل شرح الجامعين؛ شرح الأصول؛ ومن كتبه في أصول الفقه: النهاية؛ وكتب في النقض مثل نقض اللمع؛ نقض الإمامة، ومنها ردود على مسائل وردت عليه من الآفاق. مثل: الرازيات؛ العسكريات؛ الخوارزميات؛ النيسابوريات. وقد كان القاضي عبد الجبار من أكثر شيوخ المعتزلة إملاء وتدريساً.

٤- أن القلم أول المخلوقات من هذا العالم بعد العرش.

٥- أن العرش مخلوق قبل العالم، بل قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وأن الله مستو عليه.

٦- أن القلم لم يكتب إلا بأمر الله وتدبيره، وقد جرى بما في اللوح المحفوظ.

٧- معرفة أنواع الأقلام التي كتبت القضاء، وأنها صادرة عمَّا كُتِبَ في اللوح المحفوظ.

٨- إحراق من مات من القدرية في النار، إذا مات على ذلك.

٩- انقسام القدرية إلى نفاة تسمى الغلاة، وقدرية مبتدعة.

١٠- اتفاق ابن مسعودٍ وحذيفة وكعب على وجوب الإيمان بالقدر.

أسئلة

١- ما مناسبة ذكر باب ما جاء في منكر القدر؟ مع تعريف القدر؟ واشرح قول ابن عمر: والذي نفسي بيده، من أول من تكلَّم بالقدر؟ قسِّم القدرية؟ اشرح حديث ابن عمر شرحاً مجملاً، ثم بين ما فيه من أحكام؟

٢- بين معاني المفردات الآتية في حديث عُبادة: «لن تجد طعم الإيمان»؟ وما معنى قوله: «حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك»؟ وما أخطأك لم يكن ليصيبك؟ وماذا يدل عليه قوله: «من لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار؟ ما هو أول المخلوقات؟ واذكر الخلاف في ذلك وبيِّن الصحيح منها. اذكر الأقلام التي كتبت المقادير.

٣- اشرح الأحاديث شرحاً مجملاً، واذكر الأحكام التي فيها؟



باب ما جاء في المصورين

(م) قوله: باب ما جاء في المصورين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: (**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرةً، أو ليخلقوا حبةً، أو ليخلقوا شعيرة**)[١] أخرجاه.

ولهما عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: (**أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله**)[٢].

ولهما عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**كلُ مصورٍ في النار، يجعل له بكل صورةٍ صوَّرها نفس يعذب بها في جهنم**)[٣].

ولهما عنه مرفوعاً: (**من صور صورةً في الدنيا كُلِّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ**)[٤].

ولمسلمٍ عن أبي الهياج قال: (**قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله**

---

(١) رواه البخاري: كتاب اللباس (٥٩٥٣): باب نقض الصور، ومسلم: كتاب اللباس والزينة (٢١١١) (١٠١): باب تحريم صورة الحيوان.

(٢) رواه البخاري: كتاب اللباس (٥٩٥٤): باب ما وطئ من التصاوير، ومسلم: كتاب اللباس والزينة (٢١٠٦) (٩٢): باب تحريم تصوير صورة الحيوان.

(٣) أخرجه البخاري بنحوه: كتاب البيوع (٢٢٢٥): باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح، ومسلم: كتاب اللباس والزينة (٢١١٠) (٩٩): باب تحريم تصوير صورة الحيوان، واللفظ له.

(٤) رواه البخاري: كتاب اللباس (٥٩٦٣): باب من صور صورة كلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ، ومسلم: كتاب اللباس والزينة (٢١١٠) (١٠٠): باب تحريم تصوير صورة الحيوان.

ﷺ ؟ ألا تدع صورةً إلا طمستها، ولا قبراً مُشرفاً إلا سويته)[١].

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ الشديد في المصورين.

الثانية: التنبيه على العلَّة، وهو ترك الأدب مع الله، لقوله: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي».

الثالثة: التنبيه على قدرته وعجزهم؛ لقوله: «فليخلقوا ذرةً أو شعَيرة».

الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذاباً.

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورةٍ نفساً، يعذب بها المصور في جهنم.

السادسة: أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت.

(ش) المناسبة: لَّما كان التصوير مضاهاةً لخلق الله، كان فيه معنى عدم تحقيق التوحيد لعدم التأدب مع الله، فكان مُنقصاً لثوابه، ناسب أن يذكر هذا الباب.

شرح حديث: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ...» وحديث المضاهئين لخلق الله

المفردات:

قوله: (**من أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**)، أي: لا أحد أظلم منه لمضاهاته لخلق الله، أو قوله: «فليخلقوا ذرة» مع ضعفها وأنها أضعف مخلوقات الله، ولكنهم لا يستطيعون ذلك، فهذا تحدٍ لهم.

قوله: (**أشدُّ الناس عذاباً**) أي: أنهم من أبلغ الناس عذاباً، وأوجع الذين يضاهئون

(١) رواه مسلم: كتاب الجنائز (٩٦٩) (٩٣): باب الأمر بتسوية القبر.

بخلق الله، أي: يماثلون بزعمهم ما خلقه الله.

المعنى الإجمالي:

أخبر ﷺ في هذا الحديث القدسي عن الله أنه لا أحد أظلم ممن يخلق كخلق الله مشابهة ومنازعة لله فيما يخلق، فلذا حُرِّمت الصور التي فيها روح عند جمهور الأمة، ولا فرق عند الأكثرين بما له ظل وما ليس له ظل، لأن الجميع مضاهاة لله فيما يخلق، وقد تحدى الله عز وجل من صور تلك الصور بأن يخلقوا ذرةً أو شعيرة على صفته وصورته، وعلى شكل خلق الله لها، مع أن تلك من أضعف ما خلق الله، فمن خالف ما نهى الله عنه فهو من أشد الناس عذاباً وأغلظهم.

كما في حديث عائشة رضي الله عنها ولأنه أول شركٍ حدث على وجه الأرض بسبب الغلو في صور الصالحين(١)، نسأل الله العفو والعافية.

(١) **لا بد نفرق بين أمرين في موضوع التصوير: الأمر الأول**: حكم التصوير، ونعني به هنا تصوير ذوات الأرواح، فهذا هو محل البحث والنظر، ونعني به أيضاً الصور غير المجسمة، وقد دلت السنة الصحيحة على تحريم هذا النوع من الصور، سواء كان في لوحة، أو ورقة، أو ثوب، أو حائط، لما فيه من مضاهاة خلق الله.

قال النووي رحمه الله: «قَالَ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ: تَصْوِيرُ صُورَةِ الْحَيَوَانِ حَرَامٌ شَدِيدُ التَّحْرِيمِ وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ؛ لِأَنَّهُ مُتَوَعَّدٌ عَلَيْهِ بِهَذَا الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ الْمَذْكُورِ فِي الْأَحَادِيثِ، وَسَوَاءٌ صَنَعَهُ بِمَا يُمْتَهَنُ أَوْ بِغَيْرِهِ: فَصَنْعَتُهُ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ، لِأَنَّ فِيهِ مُضَاهَاةً لِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَسَوَاءٌ مَا كَانَ فِي ثوب أو بساط أو درهم أَوْ دِينَارٍ أَوْ فَلْسٍ أَوْ إِنَاءٍ أَوْ حَائِطٍ أَوْ غَيْرِهَا، وَأَمَّا تَصْوِيرُ صُورَةِ الشَّجَرِ وَرِحَالِ الْإِبِلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ فِيهِ صُورَةُ حَيَوَانٍ فَلَيْسَ بِحَرَامٍ، هَذَا حُكْمُ نَفْسِ التَّصْوِيرِ، ولا فرق في هذا كله بين ماله ظل وما لا ظل لَهُ.

هَذَا تَلْخِيصُ مَذْهَبِنَا فِي الْمَسْأَلَةِ، وَبِمَعْنَاهُ قَالَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، =

ما يستفاد مما تقدم:

١- أن الذي يصور الصور ذوات الأرواح من أغلظ الناس وأشدهم عذاباً يوم القيامة.

٢- أن المصور ظلوم من أظلم الناس.

٣- العلة في التحريم أن التصوير مضاهاة لخلق الله ومنازعة له.

= وَهُوَ مَذْهَبُ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِمْ. وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنَّمَا يَنْهَى عَمَّا كَانَ له ظل، ولا بأس بِالصُّوَرِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا ظِلٌّ. وَهَذَا مَذْهَبٌ بَاطِلٌ فَإِنَّ السِّتْرَ الَّذِي أَنْكَرَ النَّبِيُّ ﷺ الصُّورَةَ فِيهِ لَا يَشُكُّ أَحَدٌ أَنَّهُ مَذْمُومٌ، وَلَيْسَ لِصُورَتِهِ ظِلٌّ مَعَ بَاقِي الْأَحَادِيثِ الْمُطْلَقَةِ فِي كُلِّ صُورَةٍ. وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: النَّهْيُ فِي الصُّورَةِ عَلَى الْعُمُومِ...» انتهى من «شرح مسلم» للنووي (١٤/ ٨١).

الأمر الثاني: هل ينطبق حكم التصوير على أنواع معينة من الصور؛ كالصورة الفوتوغرافية، مثلاً؟ وإذا كان يشملها: فهل هذا التحريم خاص بالصورة الكاملة، أو يشمل الصورة النصفية أيضاً، ونحو ذلك من المسائل التي محل نظر الفقيه والمفتي فيها هو النظر في انطباق الحكم السابق، على النازلة المعينة.

وهذا هو الذي اختلف أهل العلم فيه اختلافاً معتبراً مشهوراً؛ فذهب بعضهم إلى أن التصوير الفوتوغرافي يدخل في التصوير المحرم، لأنه تصوير، ولأن ما ينتجه هو (صورة)، فتدخل في حكم الصور التي ورد فيها النص.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن علة تحريم التصوير: هي مضاهاة خلق الله، وهذا غير موجود في التصوير الفوتوغرافي؛ إذ هو مجرد حبس ظل الشخص، فأبيح، كما لو كان ينظر في مرآة أو نحوها.

شرح حديثي ابن عباس وعلي في الصور

المفردات:

قوله: (**كل مصور**): المصوِّر هو من حرفته التصوير.

قوله: (**صورة**): كل ما يصور مشبهاً بخلق الله، من ذوات الأرواح وغيرها، وجمعه صور.

قوله: (**أن ينفخ فيها الروح**): وهي إعادة الحياة والنفس إليها.

قوله: (**إلا طمستها**): هو محو الشيء وإهلاكه.

(**ولا قبراً مشرفاً**): المشرف هو المرتفع.

(**إلا سويته**): أي: أنزلت المرتفع حتى تسويه بالأرض، إلا أنه يباح رفع القبر شبراً.

المعنى الإجمالي:

جاءت هذه الأحاديث في التغليظ فيمن صور الصور التي فيها روح أنه يعذب بها في النار، وأنه يكلف أن ينفخ بتلك الصور الروح، مع أنه لا يستطيع ذلك، وإنما هذا من باب التغليظ في العذاب، وأن الذي يشتغل في التصوير متعرض لعذاب الله وأليم نكاله في نار جهنم، وأنه يطالب بإحياء كل صورة صورها، وليس بشرط أن يكون حرفته التصوير، بل إذا صوَّر فهو مصور من المصورين، ووصية علي وأمره لأبي الهياج مأخوذ عن النبي ﷺ أن تسوى القبور المرتفعة، وأن تمحى الصور وتطمس، وهو الشاهد من الحديث للباب، وقد فعله عليه السلام حين دخل مكة، وكان على البيت صور أخذ يكسرها ويزيلها، كما وجد صوراً داخل البيت لإبراهيم وغيره، فأخذ الماء وأخذ يغسلها ويزيلها، وهو في حال كسرها يتلو الآية الكريمة: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ

ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾[1] لأن تلك التماثيل منصوبة لتعظيمها وعبادتها، فيجب إزالة الصور والتماثيل، ولو كانت على الجدار، أو في الستور لأمر النبي ﷺ عائشة بإزالة القرام، فقطع ذلك وسائد ومخدات، وأما ما يباح فسيأتي في الاستنباط للأحكام.

ما يستفاد مما تقدم:

١- أن من صور صورة يعذب بها نفس في نار جهنم.

٢- تكليف المصورين بنفخ الروح فيما صوروا، وهم لا يستطيعون.

٣- أن المصور في الدنيا يكلف أن يحيي ما صور وليس بفاعل.

٤- وصية علي بإزالة الصور، وأن ذلك من أمر النبي ﷺ.

٥- تحريم البناء على القبور، وتقدم وجوب تسويتها بالأرض.

٦- إباحة رفع القبر مقدار شبر فقط.

٧- أن الجمهور على تحريم تصوير كل ذي روح، وأما إذا امتهنت وديست انتفى التحريم.

٨- أنه يجوز تصوير الشجر والجبال والنخل والبيت وما شابه ذلك.

٩- الصحيح من كلام العلماء أن لا فرق فيما له ظل وما ليس له ظل والمجسم وغير المجسم، ولو كان بالفوتوغرافي أو غيره؛ لظاهر الأدلة وعمومها.



(١) سورة الإسراء: (٨١).

أسئلة

١- ما هي مناسبة تبويب المصنف ما جاء في المصورين؟ وما معنى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟ وما معنى: فليخلقوا ذرة؟ اشرح الحديثين شرحاً مجملاً، ثم بيّن ما فيهما من أحكام.

٢- بيِّن معاني المفردات التالية: «كل مُصِّور» من هو المصور؟ وما معنى: كُلفِّ أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ؟ ثم اشرح الحديث شرحاً موجزاً، وبيّن ما يدل عليه من أحكام؟



ما جاء في كثرة الحلف

(م) باب: ما جاء في كثرة الحلف، وقول الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾[(١)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الحلف منفقةٌ للسلعة، ممحقة للكسب) أخرجاه[(٢)].

وعن سلمان رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زانٍ، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه) رواه الطبراني بسند صحيح[(٣)].

---

(١) سورة المائدة: (من الآية: ٨٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب البيوع (٢٠٨٧): باب يمحق الله الربا ويربي الصدقات، ومسلم: كتاب المساقاة (١٦٠٦) (١٣١): باب النهي عن الحلف في البيع، وعند البخاري بلفظ: (ممحقة للبركة) وعند مسلم بلفظ: (ممحقة للربح)، وأبو داود: كتاب البيوع (٣٣٣٥): باب كراهية اليمين في البيع، والنسائي: كتاب البيوع (٧/ ٢٤٦): باب المنفق سلعته بالحلف الكاذب، والله أعلم.

(٣) أخرجه الطبراني (٦/ ٢٤٦، رقم ٦١١١)، قال المنذري (٢/ ٣٦٧): رواه الطبراني في الكبير وفي الصغير والأوسط إلا أنه قال فيهما: ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، فذكره ورواته محتج بهم في الصحيح. قال الهيثمي (٤/ ٧٨): رواه الطبراني في الثلاثة إلا أنه قال في الصغير والأوسط: ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم فذكره، ورجاله رجال الصحيح. والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٢٠، رقم ٤٨٥٢). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٦٧، رقم ٥٥٧٧)، وفي الصغير (٢/ ٨٢، رقم ٨٢١). (انظر: جامع الأحاديث)، وصححه الألباني: انظر حديث رقم: ٣٠٧٢ في صحيح الجامع.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **(خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري: أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً؟ ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن)**[(١)].

وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال: **(خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)**[(٢)].

وقال إبراهيم[(٣)]: «كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار».

---

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٥٠): باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة (٢٥٣٥) (٢١٤): باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وأبو داود: كتاب السنة (٤٦٥٧): باب في فضل أصحاب رسول الله ﷺ، والترمذي: كتاب الفتن (٢٢٢٢): باب ما جاء في القرن الثالث.

(٢) رواه البخاري (٣٦٥١) ومسلم (باب فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) وليس عند مسلم: وقال إبراهيم.

(٣) قوله: «قال إبراهيم: يقصد به النخعي، كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار» وذلك لكثرة علم التابعين، وقوة إيمانهم ومعرفتهم بربهم، وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه من أفضل الجهاد، ولا يقوم الدين إلا به، وفي هذا الرغبة في تمرين الصغار على طاعة ربهم، ونهيهم عما يضرهم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. (انظر: كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد) للمؤلف الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

فيه مسائل:

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان.

الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي.

الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون.

السادسة: ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة، وذكر ما يحدث.

السابعة: ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون.

الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

(ش) المناسبة: لما كان الحلف وكثرته سبباً للحلف والإكثار من الحلف استخفافاً بجانب الربوبية، وعدم التعظيم الكامل للربِّ، ناسب أن يذكر هنا بياناً، لأنَّ من كثر حلفه فقد ضعف جانب التوحيد عنده.

شرح قوله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾

معاني المفردات:

قوله: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾: الأمر يقتضي الوجوب، وهو صيانتها وعدم ابتذالها، واشتقاق اليمين لغةً القوة، وفي الشرع تقوية أحد طرفي الخبر بذكر الله تعالى أو التعليق.

أقسام اليمين:

اليمين أربعة أقسام:

الأول: اليمين الغموس وهي الحلف على فعلٍ أو تركٍ كاذب، سميت غموساً لغمسها صاحبها في النار.

الثاني: اليمين المنعقدة: أي يحلف على فعل أو ترك.

الثالث: اليمين اللغو: أن يحلف ظاناً أنه كذا وهو خلافه.

الرابع: اليمين الصبر، وهي: التي يكون الرجل متعمداً الكذب، قاصداً لإذهاب ما لامرئ مسلم، سميت به لصبر صاحبها على الإقدام عليها مع وجود الزواجر من قبله.

ومعنى الآية الكريمة:

أن الله تبارك وتعالى أمر بحفظ اليمين وعدم ابتذالها، فإذا حدث ووقعت فلا يجوز أن تترك بدون تكفير، والكفارة في ذلك إطعام عشرة مساكين، لكل مسكين بر، أو نصف صاع من غيره أو كسوتهم، وهو ما يكفي للصلاة وما يستر. وما يكفي للصلاة لا يسمى كسوة بل لا بد من ثوبٍ ساترٍ، أو عتق رقبةٍ مؤمنة، فإن لم يجد صام ثلاثة أيام للآية الكريمة: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾[1].

(١) سورة المائدة (الآية رقم: ٨٩).

ما يؤخذ مما تقدم:

١- معرفة اليمين بالله وانقسامها إلى أربعة أقسام، وتقدمت قريباً فراجعها.

٢- الأمر بحفظ اليمين وعدم ابتذالها، فإذا وقعت كفَّر، وهذا هو الحفظ.

٣- الكفارة بما يأتي بالإطعام أو الكسوة أو تحرير رقبة، فإن لم يجد صام، وتقدم في شرح الآية فراجعه لمعرفة التفصيل.

شرح الأحاديث الواردة في الباب

المفردات:

قوله: (**ثلاثة**): نفر أو أشخاص.

(**لا يكلمهم الله**): أي: كلام رضا.

(**ولا يزكيهم**): زكي من الزكاء والزكوة صفوة الشيء وما أخرجته من مالك لتطهره به، والمراد -والله أعلم- أنه لا يطهرهم من الذنوب.

(**ولهم عذاب أليم**): أي: شديد الوجع.

قوله: (**أشيمط زانٍ**): تصغير أشمط وهو الشيخ، لأنه أبعد عن داعي الزنى، ولكن أتى ذلك رغبةً في الزنى.

(**وعائل مستكبر**): هو العالة على غيره، وهو الفقير المستكبر، أي: المتكبر.

(**ورجل جعل الله بضاعته**): هو الشاهد؛ لأنه جعل الله واليمين به كالبضاعة.

(**لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه**): فيقول: والله لا أبيع إلا بكذا، والله لا أشتري إلا بكذا.

قوله: (**خير الناس قرني**) أي: قرنه الذي بعث فيه وهو من مبعثه إلى رأس مائة سنة، وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين.

(**ثم الذين يلونهم**): أي: القرن الذين يلون قرنه، فالثلاثة لا شكَّ فيها والرابع مختلف فيه، والذي يظهر إلحاقه بتلك القرون لوجود علماء السلف ورد البدع.

قوله: (**ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون**): أي: يأتون لأدائها قبل طلبهم.

(**ويخونون ولا يؤتمنون**): الخيانة ضد الأمانة، فيخونون بأسرارهم والأمانات الأخرى من صلاة ومال وغير ذلك، خلافاً للأمناء الذين يؤدونها. «وينذرون ولا يوفون» النذر تقدم في أول الكتاب.

قوله: (**ويظهر فيهم السمن**): ذم لحالهم لكثرة مآكلهم وترفههم.

قوله: (**تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**): ذم لهم على التسرع باليمين والشهادة، وعدم التورع والتثبت.

قوله: (**يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار**): أي: أن السلف يهتمون بأمر الشهادة وتهذيب الأطفال على أدائها.

المعنى الإجمالي:

في الأحاديث ذم للفقير الذي يتكبر على الناس، وإن كان الكبر مذموماً لكل أحد سواء كان غنياً أو فقيراً، ولكن في حق الفقير أعظم وأبلغ، لأنه ليس لديه شيء يستوجب كبره وتعاظمه، كما أن الزنى مذموم لكل أحد وكبيرة من كبائر الذنوب توعد الله عليها، وحرمها على المؤمنين، وقرنه لشناعته مع أعمال الكفر، كما في قوله: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾[1].

(١) سورة النور الآية رقم: ٣).

لكن لما كان الشيخ الكبير ومن دخل في سن الكبر داعي الشهوة عنده أقل من الشاب ندَّد الرسول ﷺ به وبعمله، وتوعد الله مرتكب ذلك بالعذاب الأليم إن لم يتب، كما أرشد الرسول عليه الصلاة والسلام إلى تحريم كثرة الحلف، وإن الذي يكثر اليمين بالله ويؤدي الشهادة قبل استشهاده أنه لا يكلمه الله ولا يرضى عنه، ومن تكون يمينه كالبضاعة لا يبيع إلا بها ولا يشتري إلا بها فهو كذلك، كما حذَّر الذي يتسرع بأداء الشهادة قبل التثبت وقبل طلبها، فمن كان على هذا الوصف فإنه مستخف بيمينه وشهادته، وأخبر أن الشهادة على مثل الشمس، وخطب مرةً أصحابه فقال في تحذيره من هذا الداء العضال: (**ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قال الصحابة: ليته سكت**)[1] وكان السلف يرعون الشهادة وكثرة الأيمان والعهود ويتورعون من التهاون بها، حتى إنهم يربون الأطفال على احترامها، لأن من شبَّ على شيء شاب عليه، فهم يغرسون مكارم الأخلاق في نفوسهم، وأنه يأتي في آخر الزمان أناس يستخفون بالشهادة، وتضعف عندهم الأمانة، فلا تأمنهم لا على مال ولا على سر، فهم أصدقاء العلانية أعداء السريرة، لقلة الوازع الديني الذي يردعهم، وكثرة نذورهم وقلة الوفاء بها، وعدم إخلاص التوحيد الذي يحجزهم عن ارتكاب مثل هذه الجرائم، كما نوهت هذه الأحاديث بفضل أصحاب محمد -عليه الصلاة والسلام- وأنهم أفضل القرون، وأفضل هذه الأمة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ثم بقية

---

(١) **نص الحديث**: وفي الصحيحين: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلت: لا يسكت) صحيح البخاري، كتاب الأدب. باب عقوق الوالدين من الكبائر. فتح الباري جـ ١٠ص ٤٠٥، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها - صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٨١-٨٢).

العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، وهم السابقون الأولون، مع السكوت عمَّا شجر بين الصحابة، ومن ضلَّل واحداً منهم فهو أضل من حمار أهله. وقد نقلتُ نبذةً صالحةً في التعريف على العقيدة، وشيئاً من فضائلهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

ما يستفاد من الأحاديث:

١- التغليظ في عقوبة الله للأشيمط الزاني، مع أن الله لا يكلمه مع تحريم الزنى على الشاب والشيخ، لكن الشيخ أغلظ.

٢- أن الفقير إذا تكبَّر أغلظ في العذاب من الغني، وإن كان الكبر محرماً على الجميع.

٣- أن الذي يكثر من الأيمان ويجعلها كالبضاعة، فإن له عذاباً مؤلماً عند الله.

٤- أن أفضل القرون الصحابة، مع اختلاف درجاتهم في التفضيل المعروفة، بل أفضل الأمم ما عدا الأنبياء والمرسلين.

٥- أن القرون المفضلة أربعة على الصحيح؛ لوجود أفضل العلماء ورد ما ظهر من البدع في القرن الثالث.

٦- ذم الذي يشهد قبل استشهاده، وهو دليل استخفافه بها، وهذا إذا كنت تعلم بشهادته لك، أما إذا كنت لا تعلم بشهادته وليس عندك شاهد سواه وفيه استخراج حق، فإنه يتعين عليه إخباره، مع أن الله أثنى عليه على لسان رسوله ﷺ.

٧- ذم الذي يتسرع في الشهادة واليمين.

٨- ذم الذي ينذر ولا يفي، لأن الله مدح الموفين بالنذور.

٩- بعد ذهاب القرون المفضلة تكثر الخيانة وتقل الأمانة.

١٠- كثرة شهادة الزور في آخر الزمان، ويظهر السمن فيهم.

١١- حرص السلف على غرس روح الفضائل بأبنائهم، بضربهم على الشهادة والعهد وهم صغار.



أسئلة

١- ما مناسبة باب ما جاء في كثرة الحلف هنا؟ واشرح الآية الكريمة شرحاً موجزاً، مع بيان أحكامها، وبيّن معنى اليمين، وقَسم اليمين الذي مرَّ بك؟

٢- اشرح معاني المفردات الآتية: ثلاثة لا يكلِّمهم الله؟ ولا ينظر إليهم؟ ولا يزكيهم؟ ولهم عذاب أليم؟ مع تعريف الأشيمط والعائل والمستكبر؟ وبيان معنى جعل الله بضاعته؟

٣- اذكر القرون المفضلة على الصحيح؟ وما هو أفضلها؟ واذكر درجات الصحابة بالفضل مختصراً؟ وما هي الشهادة المذمومة والشهادة الممدوحة؟ وما هي الخيانة؟ لماذا ذمَّ من نذر ولم يفِ؟ ولماذا صار ظهور السمن في آخر الزمان؟ صف حال السلف في تعليم أبنائهم؟ ولماذا ذم التسرع في الشهادة واليمين؟ ثم اشرح الحديثين شرحاً مجملاً، وبيّن ما فيهما من أحكام؟



باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

(م) قوله: باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه:

قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[1].

وعن بريدة رضي الله عنه قال: (**كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سريَّة، أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، فقال: اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصنٍ فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم، أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله،**

---

(١) سورة النحل (الآية رقم: ٩١).

ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري: أتصيب فيهم حكم الله أم لا؟)[١] رواه مسلم.

فيه مسائل:

الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين.

الثانية: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً.

الثالثة: قوله: «واغزوا بسم الله في سبيل الله».

الرابعة: قوله: «قاتلوا من كفر بالله».

الخامسة: قوله: «استعن بالله وقاتلهم».

السادسة: الفرق بين حكم الله وحكم العلماء.

السابعة: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا؟

(ش) المناسبة: لما كان إخفار ذمة الله وذمة نبيه فيه عدم التأدب مع جانب الربوبية واستخفافاً بها، وعدم تعظيم لله، فيكون لم يكمل توحيده، ناسب أن يذكره المصنف في كتاب التوحيد.

شرح قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ...﴾

المفردات:

قوله: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾: هذا أمر من الله لعباده أن يوفوا بعهده، والمراد بعهد الله: العهود والمواثيق المبرمة بين فئتين.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجهاد والسير (١٧٣١)(٢): باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها.

﴿إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾: أي: فإذا عاهدتم وأبرمتم العهد والميثاق فيجب الوفاء به.

قوله: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾: النقض هو ضد الإبرام، معناه: أفسده بعد إحكامه و«توكيدها» أي: بعد إبرامها بالإيمان.

قوله: ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾: أي: جعلتم الحلف واليمين به كفيلاً بأن لا يتعدى ولا يخون يمينه، ويقال: كفلاً وكفولاً، أي: ضامناً وعائلاً ومنفقاً وقائماً عليكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١﴾: أي: مطلع على جميع أعمالكم سرها وعلانيتها، فعليكم ألا تخونوا في شيء من العهود والمواثيق.

المعنى الإجمالي:

أمر الله -سبحانه- عباده بأن يوفوا بالعهود ولا ينقضوها بعد أن أبرمت، ولذا قال الرسول ﷺ: **(لا حلف في الإسلام، وأيما حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا الشدة)**[1]، وهذه ليست اليمين التي للحثِّ على فعل أو تركه، فإن تلك فيها الكفارة، وإنما هذا فيما يجري بين العشائر والقبائل من عهودٍ ومواثيق بعدم الاعتداء وغيره، فلا يجوز بحالٍ نقضه والخيانة فيه بما فيه من الوعيد الشديد، حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَا

(١) **نص الحديث:** حدثنا أحمد بن شعيب قال: أنبأنا عبد الرحمن بن محمد قال: حدثنا إسحاق الأزرق عن زكريا بن أبي زائدة عن سعيد بن إبراهيم عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: (لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة) صحيح مسلم، فضائل الصحابة (٢٥٣٠)، سنن أبي داود، الفرائض (٢٩٢٥)، مسند أحمد بن حنبل (٤/ ٨٣).

تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾[١] وهـذا إذا لم يكـن حلـف عـلى باطـلٍ وزور، وأمـا التحالف على القطيعة أو الظلم فالحلف من أساسه حرام.

ما يستفاد من الآيات:

١- الأمر بالوفاء بالعهد والميثاق.

٢- الله ضامن وكافل لمن حلف به وصدق.

٣- الجمع بـين الآيـة في البـاب وبـين الآيـة الأخـرى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾[٣].

٤- أن الآية في العهود والمواثيق والآيتين المشار إليهما في الإيمان المكفرة.

شرح حديث وصية الرسول لمن يؤمره على الجيش

المفردات:

قوله: (**إذا أمَّر أميراً**): الأمير هو رئيس القـوم، وكـان يـؤِّمر الأمـراء عـلى ثلاثـة فـما فوق.

قوله: (**على جيشٍ**): إذا زاد على أربعمائة يقال له: جيش، والسرية هي: أربعمائة فـما دونه لكن تقاربها.

قوله: (**أوصاه بتقـوى الله**): يـشرع وصـية رئـيس الجـيش والقائـد والأمـير، باتبـاع أوامر الله والانتهاء عن نواهيه ومن معه من المسلمين خيراً أن يفعلـوا خـيراً مـن الرفـق

---

(٢) سورة النحل (الآية رقم: ٩١).

(١) سورة البقرة (الآية رقم: ٢٢٤).

(١) سورة المائدة: (٨٩).

وعدم التشطيط.

(فقال: اغزوا بسم الله): غزاه يغزوه وغزا العدو، أي: سار إلى قتالهم، وانتهى بهم في ديارهم، والمعنى: اشرعوا في الغزو مستعينين بالله.

(قاتلوا من كفر بالله): هذا كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[١].

قوله: **(اغزوا ولا تغلوا)**: أمر بالغزو ونهى عن الغلول، وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها وتخميسها.

(ولا تغدروا): الغدر هو نقض العهد والخيانة وهو من شواهد الترجمة.

(ولا تمثّلوا): التمثيل هو: قطع الأطراف وقطع الآذان في القتلى.

قوله: **(ولا تقتلوا وليداً)**: الوليد: هو الصبي، فالصبيان والنساء والمقعد والأعمى لا يجوز قتلهم، إلا إذا ظهر أنه يعين، ولو في الرأي والتوجيه، فيجوز القتل حينئذ.

قوله: **(فادعهم إلى ثلاث خصالٍ أو خلال)**: المشرك يدعى قبل البدء بالقتال، والخلة والخصلة جمع خلال أو خصال وكذا الطائفة.

قوله: فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم: فيجب الإجابة إلى واحدةٍ من هذه الخصال الثلاث ويكف عن قتالهم وهن على الترتيب:

أولاً: الدعوة إلى الإسلام، فإن أجابوا فكف عنهم.

ثانياً: فإن أبوا فالجزية، فإذا بذلوها كفَّ عنهم.

---

(١) سورة التوبة: (من الآية: ١٢٣).

ثالثاً: فإن أبوا فالقتال مع طلب العون من الله.

قوله: (**وإذا حاصرت أهل حصنٍ**) الحصار هو الإحاطة بالعدو من كل جانب، ويراد به المنع والحبس، والحصن كل مكان محمي محرز لا يوصل إلى جوفه.

قوله: (**ذمة الله**) الذمة هي: العهد.

(**وذمة نبيه**): أي: عهد الله وعهد نبيه.

قوله: (**اجعل لهم ذمتك**): أي: عهدك.

(**وذمة أصحابك**): أي: عهد أصحابك.

قوله: (**تخفروا**): أي: تنقضوا.

(**ذممكم وذمة أصحابكم**): أي: عهدكم.

قوله: (**فأرادوه أن تنزلهم على حكم الله**): أي كتاب الله وشرعه.

قوله: (**على حكمك**): أي: اجتهادك.

المعنى الإجمالي:

في الحديث توجيه من الرسول ﷺ إلى الأمراء والقادة الذين يرسلهم إلى القتال، وفتح البلاد المجاورة وبث روح تعاليم الدين فيها، فكان يوصيه بفعل الأوامر التي أمر الله بها، وينهى عن فعل الزواجر وهي المحرمات وهذا معنى تقوى الله وطاعته، كما يوصيه بالرفق بالجيوش التي أمَّره عليهم أن يرفق بهم ولا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يشق عليهم، كما أنه يجب طاعته إلا في المعصية، وأرشدهم -عليه الصلاة والسلام- عند ملاقاة الأعداء بالاستعانة بالله وطلب النصر منه، ونهاهم عن غدر العهد ونكثه وعن التمثيل بالقتلى، وعن أخذ شيءٍ من الغنيمة خلسة قبل القسمة، وهذا كما في قوله

تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾(١) كما نهى عن قتل الصبيان والشيوخ والنساء والمقعدين والزمنى والعميان، ما لم يعينوا بالقتال ولو بالتدبير، فإن أعانوا جاز قتلهم، ثم وجَّه إلى الطريقة المثلى التي يجب أن تعمل قبل القتال، فأمر بالدعوة إلى الإسلام وما يجب من حقوقه عليهم، وما لهم من الذود عن الإسلام، والانتقال إلى بلاد المهاجر، وأنه إذا هاجر فله ما للمهاجرين، وأما إذا أسلم وبقي في بلاده فإنه ليس كالمهاجرين ليس له في الغنيمة والعطاء شيء، بل تجري عليهم أحكام الإسلام الظاهرة، كأعراب المسلمين، ثم إذا لم يسلموا ولم يؤدوا الجزية عند ذلك يستعان بالله -تعالى- على قتالهم وحصارهم في الحصون، فإن من أخلص لله التوحيد واعتمد عليه في جميع الأمور لا بّد أن ينصره لا محالة، ثم إذا أرادوا النزول على حكم الله ورسوله ﷺ لا ينزلون على حكم الله ورسوله ﷺ، بل على حكم رئيس الجيش أو أمير الجيش، وعلى الأمير أن ينظر الأصلح للمسلمين، على حسب ما يعود نفعه عليهم، فإن كان الأصلح القتل عند إنزالهم فيُقتل الرجال البالغون دون الأطفال والنساء والمقعدين المتقدم بيانهم، أو أن يأخذ الفداء، أو ما يراه من المصلحة للمسلمين لا لشهوته، والسبب لعدم إنزالهم على حكم الله ورسوله ﷺ، أنه لا يدري هل يصيب حكم الله ورسوله ﷺ أم لا يصيب، بل يجتهد هو وأصحابه وينزلونهم على حكمهم، وهذا من أدلة القائلين على أن المصيب في المسائل الاجتهادية واحد.

ما يستفاد من الحديث:

١- أن تأمير الأمراء وإرسال السرايا والجيوش لنشر الإسلام من الأمور الشرعية، كما أن القتال شرع للدفاع عن الدعوة ونشرها.

---

(١) سورة آل عمران (من الآية: ١٦١).

٢- وجوب الدعوة قبل القتال، فإذا بلغتهم الدعوة فلا بأس بإتيانهم على غِرةٍ، كما في قصة بني المصطلق.

٣- الوصية بتقوى الله في الجيش، وأمير الجيش بذلك ووصيته بالإحسان بمن معه وفعل الأرفق بهم.

٤- طلب الاستعانة بالله عز وجل عند ابتداء القتال والتقاء الأقران.

٥- القتال مشروع وخاصةً في نشر الدعوة الإسلامية في أنحاء المعمورة.

٦- تحريم الغلول من الغنيمة والتمثيل بالقتلى وتحريم نكث العهد والغدر.

٧- تحريم قتل الصبيان ومثلهم النساء والعميان والمرضى والزمنى إذا لم يعينوا.

٨- وجوب إجراء الأحكام والعطاء من الغنيمة والفيء إذا أسلم وهاجر، أما إذا أسلم ولم يهاجر فتجري عليه أحكام الإسلام، وليس لهم في الغنيمة شيء.

٩- إذا لم يسلموا طلبت منهم الجزية على الدرجات التالية[1]:

الغنى: «ثمانية وأربعون درهماً».

والوسط: «أربعة وعشرون درهماً».

والفقير: «اثنا عشر درهماً» وهي على الرجال البالغين، أما العاجز فتسقط عنه.

١٠- إذا لم يسلموا ولم يؤدوا الجزية يقاتلون إذا وجد قوة في المسلمين، ويضيق

---

(١) اختلف الفقهاء في القدر المفروض من الجزية: فقال مالك رحمه الله: أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهماً على أهل الورق، وقال الشافعي رحمه الله: فيه دينار على الغني والفقير، وقال أبو حنيفة رحمه الله والكوفيون: على الغني ثمانية وأربعون درهماً، والوسط أربعة عشرون درهماً، والفقير اثنا عشر درهماً، وهو قول أحمد بن حنبل رحمه الله.

عليهم.

١١- لا يجوز الإنزال على حكم الله وحكم رسوله، ولا ذمة الله وذمة رسوله خوفاً من عدم الإصابة.

١٢- تسويغ الاجتهاد لمن هو له أهل.

١٣- المصيب في المسائل الاجتهادية واحد على الصحيح.

أسئلة

١- ما هي مناسبة باب ما جاء في ذمة الله هنا؟ بين معاني المفردات الآتية: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ﴾؟ ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾؟ ما هو النقض؟ وما هو التوكيد؟ وما معنى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾...إلخ الاية؟ ثم اشرح الآية شرحاً مجملاً، وبيِّن ما فيها من أحكام؟ واجمع بين الآية وبين قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ ونظيرتها؟

٢- بين معاني المفردات الآتية: إذا أمَّر أميراً؟ ما مقدار الجيش؟ وما مقدار السرية؟ عرِّف تقوى الله هنا؟ وماذا ينبغي أن يوصي الخليفة أُمراءه؟ وما معنى اغزوا بسم الله؟ وما هو الغلول؟ وبيِّن معنى الغدر؟ وما هو التمثيل؟ وما هو الوليد؟ من يلحق بالصبي في عدم القتل؟ اذكر الخصال الثلاث التي دعا إليها الكفار؟ وما هو الحصن؟ وما المراد بالحصار؟ لماذا نهى عن جعل ذمة الله وذمة نبيه لا يجوز النزول عليها؟ متى يسوغ الاجتهاد؟ وهل كل مجتهد مصيب؟

٣- اشرح الحديث المتقدم شرحاً مجملاً، وبيّن الأحكام التي وردت فيه، وبيّن تفصيل مقدار الجزية، وهل تؤخذ من النساء والصبيان؟ بين القول في ذلك.

باب ما جاء في الإقسام على الله

(م) قوله: باب ما جاء في الإقسام على الله:

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من الذي يتألَّى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطتُ عملك) رواه مسلم[(١)].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (**أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة رضي الله عنه: تكلم بكلمةٍ أوبقت دنياه وآخرته**)[(٢)].

فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التألي على الله.

الثانية: «كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله»[(٣)].

الثالثة: «أن الجنة مثل ذلك»[(٤)].

الرابعة: فيه شاهد لقوله «أن الرجل ليتكلم بالكلمة...إلخ»[(٥)].

---

(١) روه مسلم: كتاب البر والصلة (٢٦٢١) (١٣٧): باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى.

(٢) رواه أبو داود، وصححه الألباني صحيح، انظر: المشكاة (٢٣٤٧/ التحقيق الثاني)، الطحاوية (٢٩٦)، (٣٦٤)، انظر أيضاً: الجواب الكافي لابن القيم الجوزية (ص: ٣٨١).

(٣) صحيح البخاري: الرقاق (٦٤٨٨)، مسند أحمد (١/ ٣٨٧).

(٤) انظر: التخريج السابق.

(٥) **نص الحديث**: عن بلال بن الحارثة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من الخير ما يعلم مبلغها يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من=

الخامسة: أن الرجل قد يغفر له بسببٍ هو من أكره الأمور إليه.

(ش) المناسبة: لما كان التألي على الله والحلف بأنه لا يغفر لفلان فيه عدم التأدب، بل فيه التعدي عليه -تعالى- وعلى سعة رحمته، فكان منافياً للتوحيد الواجب لربِّ العالمين، ناسب أن يذكره في كتاب التوحيد والإقسام على الله معناه، هي: الأيمان والحلف بالله.

المفردات:

قوله: (**والله لا يغفر لفلان**): هذا قسم على الله بدون استثناء.

(**لفلان**): ويرد في بعض ألفاظ الحديث أنهما: (**رجلان متحابان أحدهما عابد والآخر كأنه مذنب، قال: والله لا يغفر الله لك، لَّما رآه مرتكباً ذنباً**)[1].

ومعنى: «يتألى علي»: أن يحلف عليَّ، والأليَّة الحلف إذا شددت الياء.

= الشر ما يعلم مبلغها يكتب الله بها عليه سخطه إلى يوم يلقاه) صحيح البخاري: الرقاق (٦٤٧٠)، صحيح مسلم: الزهد والرقائق (٢٩٨٨)، سنن الترمذي: الزهد (٢٣١٩)، سنن ابن ماجه: الفتن (٣٩٦٩)، مسند أحمد بن حنبل (٣/ ٤٦٩)، موطأ مالك الجامع (١٨٤٨).

(١) **نص الحديث**: عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: (كان رجلان في بني إسرائيل متآخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: اقصر، فوجده يوماً على ذنب، فقال له: اقصر، فقال: خلني وربي، أبعثت علي رقيباً؟ قال: والله لا يغفر الله لك، ولا يدخلك الجنة، فقبضت أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً، أو كنت على ما في يدي قادراً؟ فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة، وقال للآخر: «اذهبوا به إلى النار» حديث حسن: رواه البغوي في شرح السنة (٤١٨٧) من طريق عكرمة بن عمار بن ضمضم بن جوس عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسن إسناده الأرناؤوط في تخريجه لشرح السنة هناك، ورواه أبو داود: كتاب الأدب (٤٩٠١): باب في النهي عن البغي وأخرجه أيضاً أحمد (٢/ ٣٢٣، ٢٦٣).

قوله: (**أحبطت عملك**): الحابط هو الباطل الذي لا يرفع ولا يقبل.

المعنى الإجمالي:

أخبر الرسول ﷺ بل حذَّر من ارتكاب مثل هذه الأيمان التي فيها يتألى على الله، والإقسام عليه مع سعة مغفرته ورحمته، فإن الله يغفر للعبد بقوله: اللهَم اغفر لي، فينبغي للعبد أن يحذر كل الحذر من المجازفة والتعدي عليه بلا علم، بل ينبغي للعبد أن يكون خائفاً من عقاب الله، راضياً بمغفرته ولا يقنط المسلمين من رحمته، لأن القنوط من الرحمة سبب لإحباط العمل، ويحذر من الكلام الساخط، الذي يوقع في المهالك، وأنت لا تشعر أو أن يتكل على عمله إذا كان له، والإعجاب به، لأن هذا الإسرائيلي كان عابداً وحملته الشفقة والمناصحة على أن يتكلم بما تكلم به فيحبط عمله، لأنه يروى أنه ناصحه قبل ذلك، فقال: خلني وربي. والحديث دليل فضل التوحيد المتقدم في أول الكتاب فراجعه؛ لأن العاصي كان موحداً واللسان من أخطر ما يكون على العبد في العاجل والآجل، وأنه يقول الكلمة فتوقعه في المهالك، وتنقل وتزرع الأحقاد والأضغان.

وفي الآجل، حيث قال الرسول ﷺ : (**إن الإنسان ليتكلم بالكلمة من سخط الله، فتهوي به في النار كذا وكذا**)[١].

وقال لمعاذٍ: (**كفَّ عليك هذا، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟**)[٢] والله أعلم.

---

(١) بنحو هذا اللفظ رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الألباني وهو عند البخاري (٦٤٧٨) ومسلم بألفاظ: (باب التكلم بالكلمة يهوى بها في النار).

(٢) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

ما يستفاد من الباب:

١ - أنه لا يجوز الحلف بالله على عدم المغفرة لأي أحد كان ولو كان فاسقاً.

٢ - لا يجوز أن يقطع لأحدٍ بجنةٍ أو نار، إلا من شهد له النبي ﷺ وهذا هو المختار.

٣- القطع بدخول الموحدين الجنة، ولو كان لهم ذنوب تحت مشيئة الله[(١)].

٤ - لا ينبغي للعبد أن يغتر بكثرة عمله، بل يسأل الله الثبات لقصة العابد المذكور.

٥ - أن الإنسان قد يتكلم بكلام يحبط العمل، فله مضرة على العبد وخطر.



أسئلة

١ - ما هي مناسبة ما جاء في باب الإقسام على الله؟ وما معنى قوله: «والله لا يغفر الله لفلان»؟ اذكر الرواية الأخرى للحديث؟ وما معنى التألي على الله؟ وما هي الأليّة وما هو الحابط؟

٢ - اشرح الحديث شرحاً موجزاً وبين ما فيه من أحكام؟



(١) مراده بذلك: أن مصيرهم إلى الجنة، وإن كان لهم بعض الذنوب فلا تمنع من كون مصيرهم إليها، وأما الفائدة التى قبلها فتحمل على المعين فلا يقال: فلان من أهل الجنة.

باب لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه

(م) قوله: باب لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه:

عن جُبير بن مطعم ﷺ قال: (جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي ﷺ: سبحان الله! فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يُستشفع بالله على أحد) وذكر الحديث رواه أبو داود[1].

فيه مسائل:

الأولى: إنكاره على من قال: «نستشفع بالله عليك».

الثانية: تغيره تغيراً عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: «نستشفع بك على الله».

الرابعة: التنبيه على تفسير سبحان الله.

الخامسة: أن المسلمين يسألونه ﷺ الاستسقاء.

(ش) المناسبة: لمَّا كان الله عظيماً فوق كل عظيم، قريباً مجيباً والاستشفاع به على المخلوقين فيه عدم الإجلال والتعظيم لله، وعدم تعظيمه وإجلاله منافٍ للتوحيد

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود: كتاب السنة (٤/ ٢٣٢، رقم ٤٧٢٦): باب في الجهمية، وإسناده ضعيف، والدارقطني في الصفات (١/ ٣١، رقم ٣٨)، والطبراني (٢/ ١٢٨ رقم ١٥٤٧)، (انظر: جامع الأحاديث) وضعفه الألباني. انظر: حديث رقم: ٦١٣٧ في ضعيف الجامع، وضعفه الأرناؤوط في تخريج شرح السنة (١/ ١٧٥، ١٧٦).

الواجب له، ناسب أن ينبه عليه الشيخ هنا.

المفردات:

(**الأعراب**): هم سكان البادية، والعرب: سكان المدن والقرى، ولذا قسموا إلى أعراب وعرب.

قوله: (**جاع العيال**): الجوع ضد الشبع، وهو الاضطرار إلى الأكل، وهو شدة المجاعة.

قوله: (**استسق لنا ربك**): أي: اطلب لنا السقيا، فيزول بسبب دعائك.

(**فإنا نستشفع بالله عليك**): أي: أن نطلب شفاعة الله عليك، وهذا هو المحرم الممنوع، وقال هذه المقالة لجهله وضعف إيمانه وتوحيده، وكونه حديث عهدٍ بكفرٍ.

قوله: (**وبالله عليك**): أي: نطلب دعاءك، وهذا جائز، إذا كان المطلوب منه وهو حي حاضر فيدعو الله له.

قوله: (**سبحان الله**) أي: أنزهه عن هذه المقالة، وهي: الاستشفاع بالله على النبي ﷺ، وتكرير التسبيح كعادته؛ ليدل على شدة الإنكار.

قوله: (**ويحك**): بمعنى: ويل. بهذا المقال، وهي: كلمة ترحم وتوجع، وتأتي بمعنى المدح والتعجب.

(**إن شأن الله عظيم**): فالله عز وجل له مقام عظيم وشأن عظيم.

(**ثم قال: إن عرشه لعلى سمواته لها كذا مثل القبة**): فالرب يدعى ويطلب منه ويتشفع في دعاء الصالحين.

(**ولا يستشفع به على أحد من خلقه**): لعظمته وجلاله وغناه عنهم وفقرهم إليه.

المعنى الإجمالي:

في هذا الحديث قصة هذا الأعرابي الذي طلب من الرسول -عليه الصلاة والسلام- أن يستسقي لهم الربَّ ﷻ ويفرج عنهم ما أصابهم، من ذهاب الأموال وإنهاك الأنفس وضعفها وهزال الحلال وجوع العيال، لأن الله ﷻ أخبره أن الرزق في السماء، وذلك بنزول المطر، فبنزوله تنمو الإبل والغنم ويكثر الدر، وتخرج الأرض من بركاتها وتستبدل الحال بعد الجوع شبعاً، وبعد الضعف والهزال لحماً وشحماً، فتتحمل الأثقال للضرب في الأرض كأنواع التجارة، ثم أنكر عليه الرسول ﷺ الاستشفاع بالله عليه، لعظمة الله وجلاله وكبريائه حتى سبَّح مراراً استنكاراً لهذا القول وتنزيها لله، ولينزجر هذا القائل، وليكون أوقع للزجر في نفسه ونفس السامعين، فالرسول ﷺ لا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله، أو تعدي عليها، أما الاستشفاع بالنبي ﷺ بطلب الدعاء منه لعل الله أن يغيثهم فقد فعل، وقيل: إنه قال هذه المقالة والرسول ﷺ على المنبر، ثم دعا فلم يخرجوا من المسجد إلا وهم يخوضون في الماء، أما طلب الدعاء من الصالحين، وهم أحياء موجودون، فهذا جائز، كما فعل عمر رضي الله عنه مع العباس في طلب الدعاء من العباس رضي الله عنه عام الرمادة(١)، فقد قحط الناس وجهدوا ولم يطلبوا الدعاء من الرسول ﷺ بعد مماته، كما يفعله الجهال ولو كان ذلك جائزاً لفعله عمر والصحابة.

---

(١) عن أنس رضي الله عنه قال: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قَحَطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون) صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الاستسقاء، باب: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، (٢/ ٥٧٤) رقم (١٠١٠).

ما يستفاد من الباب:

١- أن الدعاء مطلوب من الله كل وقت، وهو سبب لرفع النوازل من القحط والأمراض والعدو وغيرها.

٢- شرفه ﷺ واستجابة دعوته، وأنه لما استسقى وهو على المنبر لم يخرجوا إلا وهم يخوضون في الماء قد حسروا ثيابهم.

٣- طلب الدعاء من الصالحين لا بأس به، إذا كان حياً قادراً حاضراً.

٤- لا يجوز طلب الشفاعة أو السقيا أو غيرها من الأموات، وهو نوع شركٍ.

٥- دليل طلبها[1] من الصالحين الأحياء كما فعل عمر رضي الله عنه، ومنعها من الأموات؛ لأن عمر رضي الله عنه لم يطلبها من النبي ﷺ مع قربه وهو في قبره.

٦- أن المنكر لا يجوز إقراره، ولو كان من جاهلٍ لفعل الرسول ﷺ بالإنكار على الأعرابي.

٧- عِظم ذنب من استشفع بالله على أحدٍ من خلقه.

٨- استواء الله على عرشه، وإنه فوق كل شيء.

٩- إن العرش عظيم بالنسبة للمخلوقات.



(١) المراد بذلك الشفاعة بدعاء الصالح لله عز وجل، وطلبه منه لأنه أقرب للإجابة لصلاحه وتقواه.

أسئلة

١ - ما هي مناسبة باب: لا يُستشفع بالله على خلقه في هذا الكتاب؟

٢ -فرِّق بين الأعراب والعرب؟ وما معنى جاع العيال؟ وما معنى استسق لنا ربك؟ ما هو الجائز والممنوع في قول الأعرابي: (فإنا نستشفع بك على الله وبالله عليك؟) لماذا سبَّح الرسول ﷺ ؟ وما معنى ذلك؟ وما معنى: ويحك. ثم اشرح الحديث شرحاً إجمالياً؟ وبيِّن ما فيه من أحكام.



باب ما جاء في حماية النبي حمى التوحيد وسدِّه طرق الشرك

(م) قوله: باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، وسدِّه طرق الشرك:

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: (انطلقت في وفدٍ من بني عامر إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا؛ فقال: السيد هو الله تبارك وتعالى، قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً، فقال: قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرِيَّنكم الشيطان) رواه أبو داود بسند جيد[1].

وعن أنسٍ رضي الله عنه : (أن ناساً قالوا: يا رسول الله! يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدّنا وابن سيدنا، فقال: ياأيها الناس، قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان. أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أُحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل) رواه النسائي بسند جيد[2].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٢٥، رقم ١٦٣٥٤)، وأبو داود: كتاب الأدب (٤/ ٢٥٤، رقم ٤٨٠٦)، والضياء (٩/ ٤٦٨، رقم ٤٤٧). وأخرجه أيضًا: ابن قانع (٢/ ٦٣، رقم ٤٩٨). (انظر: جامع الأحاديث) وقال الحافظ في الفتح (٥/ ١٧٩): رجاله ثقات وقد صححه غير واحد أ.هـ، وصححه الألباني انظر حديث رقم: ٣٧٠٠ في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣، رقم ١٢٥٧٣)، وعبد بن حميد (ص ٣٩٧، رقم ١٣٣٧) والبيهقى في شعب الإيمان (٤/ ٢٢٦ رقم ٤٨٧١)، والضياء (٥/ ٢٦، رقم ١٦٢٨). وأخرجه أيضًا: النسائي في الكبرى (٦/ ٧١، رقم ١٠٠٧٨). (انظر: جامع الأحاديث) وقال الألباني في الصحيحة: إسناد صحيح على شرط مسلم، وقال الأرناؤوط في تعليقه على المسند: إسناده صحيح.

فيه مسائل:

الأولى: تحذير الناس من الغلوِّ.

الثانية: ما ينبغي أن يقوله: من قيل له: أنت سيدنا؟

الثالثة: قوله: «لا يستجرينكم الشيطان» مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: «ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي».

(ش) المناسبة: لَمَّا كان لكل شيءٍ حمى يحميه عما يخالطه، وكان هناك أشياء إذا قالها العبد نقصت توحيده، كالسيد والمولى وما شابهها مع الاختلاف في جوازها، فكان من هديه ﷺ أن يحمي جناب التوحيد عن كل ما يشوبه من شائبة تدنسه، فناسب أن يعقد لها الشيخ باباً خاصاً لتجنبها، لئلا تشوب توحيدك بشائبة تنقصه، ومعنى الحمى والحماية هي حماية التوحيد من الألفاظ التي تقدح فيه وتشوب خلوصه، ومعنى: حمى الشيء يحميه عن التعدي عليه والقربان.

المفردات:

(**السيد**): تعريفه المتقدم على غيره، وسيد القوم لتقدمه عليهم.

قوله: (**فقال السيد هو الله**): لأنه هو الكامل في السؤدد، وهو الذي تقصده الخلائق بحاجاتها فيستحق ذلك إعظاماً له.

قوله: (**وأفضلنا فضلاً**) الرسول ﷺ أفضل من طلعت عليه الشمس وغربت.

قوله: (**وأعظمنا طولاً**): فهو أعظم الناس قولاً وفعلاً وحسباً ونسباً بالنسبة للبشرية.

(**فقال: قولوا بقولكم**): هذا تأدباً من النبي ﷺ وحماية للتوحيد، وإلا فهو سيد ولد آدم.

قوله: (**ولا يستجرينكم الشيطان**): برفعه فوق منزلته التي أنزله الله.

المعنى الإجمالي:

لَمَّا كانت السيادة الحقيقية لا تصلح إلا لرب العالمين، فلا يجوز أن ينازع فيها لكمال صمديته وسؤدده، كما فسر قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا ﴾[2]: أي: إلهاً وسيداً، فإذا نسبت السيادة إلى المخلوقين مع أنها نسبة تليق بهم، وفقرهم وحاجتهم إلى السيد المطاع، الذي هو الله كان فيه عدم التأدب مع جانب السيادة المطلقة لرب العالمين، مع أن السيد ليس من أسماء الله، لكن رفع المخلوق إلى هذه الدرجة فيه غلو وإطراء زائد على القدر، يجر من تسمى به إلى الكبر والعجب، ويهلك بسبب ذلك، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (**إذا رأيتم المداحين؛ فاحثوا في وجوههم التراب**)[3]،

ولما مدح رجل آخر قال له: (**لقد قطعت عنق صاحبك**)[4]، ولَمَّا كملت في الرسول

(١) سورة الإخلاص: (٢).

(٢) سورة الأنعام: (١٦٤).

(٣) صحيح مسلم، الزهد والرقائق (٣٠٠٢)، سنن الترمذي، الزهد (٢٣٩٣)، سنن أبي داود، الأدب (٤٨٠٤)، سنن ابن ماجه، الأدب (٣٧٤٢)، مسند أحمد بن حنبل (٦/ ٥).

(٤) **نص الحديث**: عنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَقَالَ: (**وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ مِرَارًا، إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلَانًا وَاللهُ حَسِيبُهُ وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ كَذَا وَكَذَا**). أخرجه أحمد (٥/ ٤٥، رقم ٢٠٤٨٠)، والبخاري (٢/ ٩٤٦، رقم ٢٥١٩)، ومسلم (٤/ ٢٢٩٦، رقم ٣٠٠٠)، وأبو داود (٤/ ٢٥٤، رقم ٤٨٠٥)، وابن ماجه (٢/ ١٢٣٢، رقم ٣٧٤٤).

ﷺ العبودية الخاصة كره ذلك لئلا تدنس تلك العبودية، وإلا فهو خير الناس وأفضل ولد آدم وله المقام المحمود، وإذا جاز أن يسمى السيد به غيره فهو أولى، فتواضع ﷺ احتراماً لجانب الربوبية.

ما يؤخذ من الباب:

١- أنه لا ينبغي للعبد أن ينازع الرب في السيادة، ولو بمجرد التسمية.

٢- أن ترك إطلاق لقب السيد أولى، وللعلماء في ذلك خلاف:

(أ) ذهب مالك إلى المنع؛ مستدلاً بقول الرسول ﷺ: (السيد هو الله تبارك وتعالى).

(ب) وجوَّزه آخرون مستدلين بقول النبي ﷺ للأنصار: (قوموا لسيدكم) يعني: سعداً.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: وهذا أصح، ثم قال: فإن السيد إذا أطلق عليه -تعالى- فهو بمنزلة المالك والولي والرب لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق، انتهى مختصراً. أقول: الذي يطلق على المخلوق بمعنى سيادة الرياسة، فهو رئيس القوم والله أعلم.

أسئلة

١- ما مناسبة ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد هنا؟ وبيِّن معنى الحمى، ومن هو السيد؟ وفرِّق بين السيادة إذا أطلقت في حق الرب وحق المخلوق، ثم بيِّن معنى: وأفضلنا وأعظمنا طولاً، وما معنى: ولا يستجرينكم الشيطان؟ ثم اشرح الحديث شرحاً مجملاً، وبين ما فيه من أحكام.



باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ...﴾

(م) قوله: باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: (جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنَّا نجد أن الله يجعل السموات على إصبعٍ، والأرضين على إصبعٍ، والشجر على إصبعٍ، والماء على إصبع، والثرى على إصبعٍ، وسائر الخلق على إصبعٍ؛ فيقول: أنا الملك؛ فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجزه؛ تصديقاً لقول الحَبْر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[2])[3].

وفي روايةٍ لمسلمٍ: (**والجبال والشجر على إصبعٍ، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك، أنا الله**)[4].

وفي رواية البخاري: (يجعل السموات على إصبعٍ، والماء والثرى على إصبعٍ، وسائر

---

(١) سورة الزمر الآية (رقم: ٦٧).

(٢) سورة الزمر: (٦٧).

(٣) رواه البخاري: كتاب التفسير (٤٨١١): باب (وما قدروا الله حق قدره)، كتاب التوحيد (٧٤١٤، ٧٤١٥): باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾، (٧٤٥١) باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾، (٧٥١٣) باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ومسلم: كتاب صفات المنافقين (٢٧٨٦) (٦٩): كتاب صفة القيامة والجنة والنار، وأحمد (١/ ٤٥٧)، والترمذي: كتاب التفسير (٣٢٣٨): باب ومن سورة الزمر.

(٤) رواه مسلم: كتاب صفات المنافقين (٢٧٨٦) (٦٩): كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

الخلق على إصبعٍ) أخرجاه[(١)].

ولمسلمٍ عن ابن عمر مرفوعاً: (**يطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون**)[(٢)].

وروي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: (**ما السموات والأرضون السبع في كفِّ الرحمن إلا كخردلةٍ في يد أحدكم**)[(٣)].

وقال ابن جريرٍ: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: (**ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلقيت في تُرْسٍ**)[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٣): باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم.

(٢) رواه مسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٤/ ٢١٤٨) حديث رقم (٢٧٨٨)(٢٤): كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٣) رواه ابن جرير (التفسير) (٢٤/ ١٧) في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾، الآية من طريق معاذ بن هشام ثنى أبي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس مثله. إلا أنه قال: (يد الله) مكان (كف الرحمن). وفي إسناده (عمرو بن مالك) وهو الفكري أبو مالك ذكره ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل) (٦/ ٢٥٩) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. وقال ابن حبان (المجروحين) (٣/ ١١٤) في ترجمة ابنه (يحيى بن عمرو بن مالك): (.. فيكون هو وأبوه جميعاً متروكين). وقال ابن عدي في ترجمة (أبي الجوزاء) وهو أوس بن عبد الله الربعي: (حدث عنه عمرو بن مالك قدر عشرة أحاديث غير محفوظة). (تهذيب التهذيب) (١/ ٣٨٤).

(٤) أورده الطبري في التفسير قال: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد حدثني =

قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**)(١).

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: (بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماءٍ وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم) أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله، قال الحافظ الذهبي رحمه الله قال: وله طرق(٢).

= أبي قال: قال رسول الله ﷺ: (**ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس**) (٥/ ٣٩٩). ورواه محمد بن أبي شيبة في كتاب العرش (٥٨- الكويت)، وعزاه ابن كثير لابن مردويه، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٤٩) وفيه إبراهيم ابن هشام بن يحيى الغساني: متروك كذبه أبو حاتم وأبو زرعة، وطرق الحديث كلها واهية، فلا تعتضد لضعفها، انظر: النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد (ص: ٢٨٣)، (تفسير ابن جرير)٣/ ٧-٨ (وابن زيد) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. قال الذهبي (العلو) (ص٩١): (هذا مرسل، وعبد الرحمن ضعيف). اهـ.

(١) ذكره ابن جرير- معلقاً- (التفسير) (٣/ ٨) بمثل لفظ المؤلف، وذكره الذهبي (العلو) (ص: ٨٩-٩٠) من طريق يحيى بن سعيد العبشمي حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر قلت: يا رسول الله! أي آية أعظم؟ قال: «آية الكرسي، ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة». وقال: (وأحسب العبشمي هو الأموي صدوق وإلا فهو آخر، والخبر منكر). اهـ.

(٢) حسن: رواه ابن خزيمة في التوحيد (ص: ١٠٥، ١٠٦، ٣٧٦، ٣٧٧) ورواه الذهبي في العلو (٦٤)، والبيهقي في الأسماء (ص: ٤٠١) وإسناده حسن، وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش =

وعن العباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماءٍ إلى سماءٍ مسيرة خمسمائة سنة، وكِثف كل سماءٍ مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم) أخرجه أبو داود وغيره[1].

= الإسلامية (ص: ١٠٠)، والذهبي في العلو أيضاً، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨٦): رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح ا.هـ، وقال الألباني: (صحيح) انظر: كتاب مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي، تحقيق الألباني.

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (١/ ٢٠٦، رقم ١٧٧٠)، والترمذى (٥/ ٤٢٤، رقم ٣٣٢٠)، وقال: حسن غريب. وأبو يعلى (١٢/ ٧٥، رقم ٦٧١٣)، والحاكم (٢/ ٣١٦، رقم ٣١٣٧). وأخرجه أيضًا: ابن ماجه (١/ ٦٩، رقم ١٩٣)، وابن عدى (٧/ ٢٠٠ ترجمة ٢١٠٤ يحيى بن العلاء الرازى).(انظر: جامع الأحاديث) وأبو داود، وقد اختلفوا في المتن وهذا اللفظ المذكور لفظ أحمد، قال الألباني في الضعيفة: وخالفهم في الإسناد والمتن شعيب بن خالد فقال: حدثني سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن عباس به، فأسقط منه الأحنف، فهذه مخالفته في السند، وأما مخالفته في المتن، فقال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة. أخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٨) وأحمد (١/ ٢٠٦) من طريق يحيى بن العلاء عن عمه شعيب بن خالد. قلت: وشعيب هذا ليس به بأس كما قال النسائي وغيره. فالعلة من ابن أخته يحيى بن العلاء فإنه متروك متهم كما تقدم غير مرة، فلا يعتد بمخالفته، وقول الحاكم عقبه: «صحيح الإسناد»! فمن أوهامه، وليس ذلك غريباً منه، وإنما الغريب موافقة الذهبي إياه على تصحيحه، مع أنه قد أورد ابن العلاء هذا في «الميزان» وذكر نقولاً كثيرة عن الأئمة في توهينه، منها قول أحمد: «كذاب يضع الحديث»، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف جداً، وضعفه الألباني. انظر: حديث رقم: ٦٠٩٣ في ضعيف الجامع.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.

الثانية: أإن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها.

الثالثة: أن الحبر لما ذكر للنبي ﷺ: صدقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله ﷺ لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم.

الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السموات في اليد اليمنى، والأرضين في اليد الأخرى.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

الثامنة: قوله: كخردلةٍ في كفِّ أحدكم.

التاسعة: عِظم الكرسي بالنسبة إلى السماء.

العاشرة: عِظم العرش بالنسبة للكرسي.

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء.

الثانية عشرة: كم بين كل سماء وسماء.

الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي.

الرابعة عشرة: كم بين الكرسيِّ والماء.

الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة: أن الله فوق العرش.

السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض.

الثامنة عشرة: كثف كل سماءٍ خمسمائة سنة.

التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السموات أسفله وأعلاه خمسمائة سنة، والله أعلم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه آجمعين.

(ش) المناسبة: لَمَّا كان الكتاب توحيداً لرب العالمين، وما ينبغي له من عبادةٍ وتوحيدٍ، وما لا يجوز من عبادة غيره، وفضائل التوحيد وثوابه أنه الجنة، وعظم الشرك وأنه يجر إلى النار، إلى آخر ما جاء في الكتاب؛ ناسب أن يختم الكتاب بشيءٍ من عظمة الباري، وذكر شيء من صفاته العظيمة الذاتية والفعلية، وعلوه على عرشه وإحاطته بالمخلوقين، لتستحضر عظمته وتجرد التوحيد وتخلصه من شوائب الشرك القولية والفعلية، وأن ينزَّه عن الإلحاد أو الحلول أو غيره مما ينافي عظمته، وأن هذا الرب العظيم هو الذي يستحق أن يعبد على الحقيقة، والله أعلم.

شرح قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ...﴾

معاني المفردات:

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: ما عظموه حق تعظيمه حتى عبدوا غيره معه.

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: القبض في اللغة: ما قبضت عليه بجميع كفِّك، والله يقبض الأرض يوم القيامة على ما يليق به، بل يجعلها على إصبع.

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾: والطي ضد النشر.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾: أي: تنزيهاً لله تعالى وتقدس.

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾: أي: ينزهه عن الشرك وعن تعظيم غيره من سائر المعبودات.

المعنى الإجمالي للآيات الكريمة:

ذكر الله ﷻ أن الكفار لم يقدروا الله حق قدره، ولم يعظموه حق تعظيمه، لأنهم لو عظموه حق تعظيمه لما عبدوا معه غيره من الآلهة والمعبودات، ومما يدلك على عظمة الله صفاتٍ وذاتاً وقدرة، أنه إذا كان يوم القيامة طوى السموات والأرض والشجر والجبال وسائر الخلائق وهو يحمل كل واحدةٍ من هذه على إصبعٍ فيهزهن، فيقول: أنا الملك أنا الله أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ لكن هؤلاء المشركون قد ألحدوا وأشركوا من المعبودات والأشخاص والصالحين، بل والطالحين وكل هؤلاء قد نزه الله نفسه عما ارتكبوا من الشرك والعدول عن الحق إلى الضلال، ومن الرشد والثواب إلى الغي والباطل.

ما يستفاد من الآية:

١- أن المشركين لم يقدروا الله حق قدره، ولو قدروه ما أشركوا معه.

٢- أن الله عظيم ذاتاً وقدرة وصفة، لأنه يطوي السموات ويحملها على إصبعٍ، وكذا سائر المخلوقات.

٣- أن الله يقبض الأرض كما يحملها على إصبعٍ دليل على عظمة الله.

٤- يجب على الخلق تعظيم الله، وأن ينزهوه عن الشرك.

٥- يجب على العبد إذا رأى آثار الشرك أو سمع بها أن ينزِّه الله.

شرح أحاديث طي الله عز وجل للسماوات والأرض

الأحاديث فيها تعظيم الباري جلّ وعلا ذاتاً وقدرة، وأنه يجعل هذه المخلوقات مع عظمتها يجعلها على إصبعٍ، فسبحان من لا تقدر الخلائق قدره وقدرته، ولم يعظموه تعظيماً يليق بجلاله وكبريائه، وهذه الأحاديث فيها تفصيل للآية المتقدمة من قبضه السموات والأرض بيمينه، حيث بيَّن ﷺ أنه يجعل كل شيء من هذه المخلوقات على إصبعٍ، فالأرض على أصبع والسموات مع عظمتها وسعتها على أصبع، والشجر والجبال وسائر الخلق على أصبع.

وفي بعض الروايات زيادة: (**فيهزهن، ويقول: أنا الملك أنا الله**)[١] وكان الرسول ﷺ على المنبر فأخذ يقبل ويدبر بيده، يقول الرسول ﷺ: (**يمجد الرب نفسه**)[٢] مع أنه ورد أنه يقول: (**أنا العزيز أنا الكريم، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا: ليخرن به**)[٣]، وفي بعض الروايات: «إن الله يطويها طياً كما تطوى الصحيفة»، وهذا والله أعلم وقت تبديلها: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾[٤] كما في الأحاديث إثبات اليمين والشمال وكلتا يدي الله يمين، مع تخصيص

---

(١) رواه مسلم: كتاب صفات المنافقين (٢٧٨٦) (٦٩): كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) **نص الحديث**: وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أن رسول اللهَّ ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]، ورسول اللهَّ ﷺ يقول هكذا بيدهِ، يحركها، ويقبل بها ويدْبِر، يمجِّد الربّ نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبِّر، أنا العزيز، أنا الكريم، فرجف برسولِ الله ﷺ المنبر، حتى قلنا: ليخرّنّ به) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٧٢).

(٣) انظر: تخريج الحديث السابق.

(٤) سورة إبراهيم: (٤٨).

الجبارين والمتكبرين بالذكر دون غيرهم، لأن الجبار والمتكبر قد نازع الله في كبريائه وملكوته وجبروته، وفي الآثار ما يدل على أن الأرضين سبع كالسموات، فسبحان من لا يقدر الخلائق قدره ولم يعبدوه حق عبادته، فلذا لمَّا جاء الحبر وأخبر الرسول ﷺ بالخبر المتقدم صدقه، وضحك تقريراً لما قال، وجاء ذلك موافقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾.

ما يستفاد من الأحاديث:

١- إثبات عظمة الله ذاتاً وقدرة، بحمله السموات والشجر والجبال والماء والثرى على إصبع.

٢- إثبات اليد والكف والإصبع للرحمن، يد وكف تليق بجلال الله.

٣- إثبات اليمين والشمال لله، وكلتا يدي الله يمين.

٤- قبول الحق ممن جاء به إذا وافق الكتاب والسنة، لقبول الرسول ﷺ لقول الحبر.

٥- إثبات أن الأرضين سبع كالسموات.

٦- خصص الجبارين والمتكبرين دون من سواهم ذمَّاً لهاتين الخصلتين.

٧- إثبات هذه الصفات لله، ولا تشبه ولا تمثل بصفات المخلوقين، بل على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1].

---

(١) سورة الشورى: (١١).

شرح الأحاديث التي فيها المسافة بين الأرض والسماوات إلى العرش

معاني المفردات:

(**السماء**): لما ارتفع وعلا.

(**والكرسي**): موضع القدمين للرحمن بين يدي العرش، والدراهم هو ضرب إسلامي مقداره خمسون حبة شعير وخمسا حبة.

قوله: (**ترس**) عرف بأنه صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف.

قوله: (**والعرش**): العرش في اللغة: عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[(١)] والعرش هنا: هو أعلى المخلوقات، والله مستوٍ عليه لا تحيط به الخلائق، وهو سقف المخلوقات أيضاً، قال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾[(٢)] فهو الواسع، وقال تعالى: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾[(٣)] وليس هو فلكاً كما يقوله بعض الفلاسفة أنه الفلك التاسع، ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو سرير عظيم ذو قوائم تحمله الملائكة، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾[(٤)] وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات. ولذا قال أمية بن أبي الصلت[(٥)]:

---

(١) سورة النمل: (٢٣).

(٢) سورة البروج: (١٥).

(٣) سورة المؤمنون: (١١٦).

(٤) سورة الحاقة: (١٧).

(٥) أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي. شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام. وكان مطلعاً على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبداً. وهو =

مجـــدوا الله فهـــو للمجـــد أهـــل ربنـــا في الـــسماء أمـــسى كبـــيراً
بالبنـــاء العـــالي الـــذي بَهَـــر النَّـــا سَ وســـوَّى فـــوق الـــسماء ســـريراً
مرجعـــاً لا ينالـــه بـــصر العـــين تـــرى حولـــه الملائـــك صـــوراً[1]

والله عز وجل مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، وليس هو محتاجاً إلى العرش ولا ما دون العرش؛ بل الجميع محتاج إلى الله، ولا يقدر قدر العرش إلا الله، ولذا وصفه بالمجيد وهو الواسع العظيم.

= ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام، وعاد إلى الطائف، فسأل عن خبر محمد بن عبد الله ﷺ، فقيل له: يزعم أنه نبي. فخرج حتى قدم عليه بمكة وسمع منه آيات من القرآن، وانصرف عنه، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه، فقال: أشهد أنه على الحق، قالوا: فهل تتبعه؟ فقال: حتى أنظر في أمره. وخرج إلى الشام. وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وحدثت وقعة بدر، وعاد أمية من الشام، يريد الإسلام، فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له، فامتنع. وأقام في الطائف إلى أن مات. أخباره كثيرة، وشعره من الطبقة الأولى، وعلماء اللغة لا يحتجون به لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب. وهو أول من جعل في أول الكتب: باسمك اللهم. فكتبتها قريش. قال الأصمعي: ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب، توفي عام ٥ هـ، وهو من شعراء العصر المخضرمين، له ١٠٣ قصيدة.

(١) هذه القصيدة بعنوان: (مجدوا الله فهو للمجد أهل) من عصر المخضرمين، من بحر الخفيف، وعدد أبياتها (١٣)، وقد روى المصنف رحمه الله الأبيات بالمعنى والأبيات كما جاءت في القصيدة:

مجـــدوا الله فهـــو للمجـــد أهـــل ربنـــا في الـــسماء أمـــسى كبـــيراً
الأعـــلى الـــذي ســـبق النـــاس وســـوى فـــوق الـــسماء ســـريراً
رجعـــاً لا ينالـــه بـــصر النـــاس تـــرى دونـــه الملائـــك ســـوراً

المعنى الإجمالي:

الأحاديث تدل على عظم الكرسي بالنسبة للسماوات، فهي مع عظمتها وسعتها تبهر العقول وتحير الأفكار، ويرتد البصر خاسئاً وهو حسير، عن أن يصل إلى معرفة أو كُنْه هذه المخلوقات، إلا من بصره الله فيستدل بها على عظمة خالقها وجلاله وقدرته، فيعبده حق عبادته وينيب إليه، ويعلم أن هذه المخلوقات لا بدَّ لها من خالقٍ مصرفٍ مدبر، فيدعوه ويرجوه وينيب إليه راغباً راهباً، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾[(١)]، فالعبد اللبيب العاقل يستدل على عظمة هذه السموات بالنسبة إلى الكرسي، كسبعة دراهم فما بالك بعظمة العرش، كما أن الكرسي وسع السموات والأرض، وهو بين يدي العرش، وقد قال ﷺ في هذا المعنى: **(أن عرشه لعلى سماواته لهكذا وقال بإصبعه مثل القبة يئط به كما يئط الرحل بالراكب)**[(٢)]، فتبارك من خلق كل شيء فقدره تقديراً.

ما يستفاد مما تقدم:

---

(١) سورة الملك (الآيات: ٣ - ٤).

(٢) **نص الحديث:** وعن جبيرِ بنِ محمّد بن جبير بن مطْعِمٍ، عن أبيه عن جدِّه قال: (جاء أعرابي إلى رسولِ اللهِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، جهِدتِ الأنفس، وضاعت العيال، ونهِكتِ الأموال، وهلكتِ الأنعام، فاسْتسقِ لنا ربك، فإنّا نستشْفِع بك على الله، وبالله عليك، فقال رسول الله ﷺ: ويْحك، أتدري ما تقول؟ وسبّح رسول الله، فما زال يسبح حتى عرفِ ذلك في وجوهِ أصحابِهِ، ثم قال: ويحك، إنه لا يستشْفع بالله على أحدٍ من خلْقِهِ، شأْن الله أعظم من ذلك، ويحك، أتدري ما اللهّ؟ إن عرشه على سماواتِهِ لهكذا -وقال بأصابعِهِ مثل القبةِ عليه-: وإنه ليئِطّ به أطِيط الرحلِ بالراكبِ). سنن أبي داود، السنة (٤٧٢٦).

١- عِظم الكرسي بالنسبة للسماوات مع سعتها، وأنها كدراهم سبعة في وجه فلاة من الأرض.

٢- عظم العرش بالنسبة للكرسي، وأن الكرسي بالنسبة للعرش كحلقة من حديدٍ أُلقيت في فلاةٍ من الأرض.

٣- ضربه الأمثال لأصحابه تقريباً لأفهامهم.

شرح الأحاديث التي فيها المسافة بين الأرض والسماوات إلى العرش

جاء في هذه الآثار عن المصطفى ﷺ ارتفاع السماء عن الأرض هذه المسافة، وأنه خلقها تبارك وتعالى وخلق الأرض في ستة أيامٍ، وما فيها من أشجارٍ وجبالٍ وأنهار، ثم استوى على العرش، ثم في الأحاديث بعدما بين السماء الدنيا عن الأرض وأنه خمسمائة عام، وكثفها -أي: سمكها- كذلك وبعد كل سماء عن سماء خمسمائة عام، ثم معرفة أن بين السماء السابعة والكرسي مثل ما بين كل سماءٍ إلى سماء، وبين الكرسي والماء مثل ما بين سماءٍ إلى سماء، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش.

ولذا قال عبد الله بن رواحة(١):

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا

(١) **عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري**، من الخزرج، أبو محمد. صحابي، يعد من الأمراء والشعراء الراجزين. كان يكتب في الجاهلية. وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار. وكان أحد النقباء الاثني عشر. وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية. واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في إحدى غزواته. وصحبه في عمرة القضاء، وله فيها رجز. وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة (بأدنى البلقاء من أرض الشام) فاستشهد فيها، توفي عام ٨ هـ، وهو من شعراء العصر المخضرمين، له (٤٠) قصيدة.

وأن العــرش فــوق المــاء طــافٍ وفــوق العــرش رب العالمينــا
وتحملـــه ملائكـــة كـــرام ملائكـــة الإلـــه مقربينـــا[١]

ذكر الآثار وأقوال العلماء في استواء الله عز وجل على العرش

وآن الآن أن أنقل لك بعض أقوال الباحثين والآثار التي نقلوها في استواء الله على العرش، وإنه حق على حقيقته، استواء يليق بجلاله وعظمته:

قال الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وقد ورد ذكر الاستواء في سبع مواضع من القرآن كما قاله[٢].

قال شيخ الإسلام: في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[٣].

وقال تعالى في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[٤].

وقال في سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[٥].

وفي سورة طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[٦].

---

(١) هذه القصيدة بعنوان: (شهدت بأن وعد الله حق)، وهي من عصر المخضرمين، من بحر الوافر، وعدد أبياتها: (٣).

(٢) انظر: طبقات المحدثين بأصبهان (٢/ ٢١٤)، عارضة الأحوذي (٣/ ١٦٦).

(٣) سورة الأعراف (الآية: ٥٤).

(٤) سورة يونس (الآية: ٣).

(٥) سورة الرعد (الآية: ٢).

(٦) سورة طه (الآية: ١).

وفي سورة الفرقان: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾(١).

وقال في سورة السجدة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾(٢).

وقال في سورة الحديد: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ﴾(٣).

وفسر العلماء: أن الاستواء بمعنى العلو والارتفاع والصعود والاستقرار(٤).

ولذا قال ابن القيم(٥) رحمه الله:

---

(١) سورة الفرقان (الآية: ٥٩).

(٢) سورة السجدة (الآية: ٤)

(٣) سورة الحديد (الآية: ٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٥٢٠).

(٥) البيت لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين، ولد عام (٦٩١) وتوفي عام (٧٥١ هـ)، وهو من شعراء العصر المملوكي، له قصيدة واحدة، ويعد من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ على يد شيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروباً بالعصي. وأطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس، أغرى بحب الكتب، فجمع منها عدداً عظيماً، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً. وألف تصانيف كثيرة منها (إعلام الموقعين) و(الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) و(شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) و(كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء- خ) و(أحكام أهل الذمة- ط) جزآن، و(شرح الشروط العمرية) مجرد منه =

فلهـــم عبـــارات عليهـــا أربـــع قـــد فُـــصِّلت للفـــارس الطعَّـــان
وهـــي اســـتقر وقـــد عـــلا وكـــذا ار تفـــع الـــذي مـــا فيـــه مـــن نكـــران
وكـذاك قـد صـعد الـذي هـو أربـع وأبـــو عبيـــدة صـــاحب الـــشيبانِ
يختـــار هـــذا القـــول في تفـــسيره درى مـــن الجهمـــي بـــالقرآن[1]

فالربُّ عز وجل له العلو المطلق بكل وجه واعتبار: علو القهر وعلو القدر وعلو الذات، فكل هذه ثابتة له تبارك تعالى.

وقال نعيم بن حمَّاد[2] شيخ البخاري: «من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما

= و(تحفة المودود بأحكام المولود- ط) و(مفتاح دار السعادة - ط) و(زاد المعاد) و(الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة) طبع مختصره لمحمد الموصلي، و(الكافية الشافعية) منظومة في العقائد، شرحها أحمد بن عيسى النجدي في كتاب (شرح نونية ابن القيم) و(أخبار النساء) وفي نسبته إليه شك، و(مدارج السالكين) ثلاثة مجلدات، و(رسالة في اختيارات تقي الدين ابن تيمية) و(كتاب الفروسية) و(تفسير المعوذتين) و(طب القلوب) و(الوابل الصّيب من الكلم الطيب) و(الروح) و(الفوائد) و(روضة المحبين) و(حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) في ذكر الجنة، و(إغاثة اللهفان) و(اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية) و(الجواب الكافي) ويسمى (الداء والدواء) و(التبيان في أقسام القرآن) و(طريق الهجرتين) و(عدة الصابرين) و(هداية الحيارى). ولمحمد أويس الندوي كتاب (التفسير القيم، للإمام ابن القيم) استخرجه من مؤلفاته.

(١) انظر: متن القصيدة النونية، للمؤلف ابن قيم الجوزية، تصنيف القصيدة: هذه القصيدة من العصر المملوكي، من بحر الكامل، وعدد أبياتها (٥٨٠٤).

(٢) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك، الإمام العلامة الحافظ أبو عبد الله الخزاعي المروزي الفرضي الأعور، صاحب التصانيف، رأى الحسين بن واقد المروزي، =

وصف الله به نفسه فقد كفر»[١].

=

وحدث عن: أبي حمزة السكري وهو أكبر شيخ له، وهشيم، وأبي بكر بن عياش، وإبراهيم بن طهمان له عنه حديث واحد، وخارجة بن مصعب، وعبد الله بن المبارك، وعيسى بن عبيد الكندي، وهو من كبار مشيخته، وعبد المؤمن بن خالد الحنفي، ونوح بن أبي مريم، ويحيى بن حمزة القاضي، وعبد السلام بن حرب، وعبد العزيز الدراوردي، وفضيل بن عياض، وسفيان بن عيينة، وإبراهيم بن سعد، وجرير بن عبد الحميد، وبقية بن الوليد، ومعتمر بن سليمان، وأبي معاوية، ورشدين بن سعد، وحفص بن غياث، وابن وهب، ويحيى القطان، والوليد بن مسلم، ووكيع، وابن إدريس، ونوح بن قيس، وعبد الرزاق، وأبي داود الطيالسي، وخلق كثير بخراسان والحرمين والعراق والشام اليمن ومصر. وفي قوة روايته نزاع، روى عنه: البخاري مقروناً بآخر، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه بواسطة، يحيى بن معين، والحسن بن علي الحلواني، وأحمد بن يوسف السلمي، ومحمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن عوف، والرمادي، وأبو محمد الدارمي، وسمويه، وأبو الدرداء عبد العزيز بن منيب، وعبيد بن شريك البزار، وأبو حاتم، ومحمد بن إسماعيل الترمذي، ويعقوب الفسوي، وأبو الأحوص العكبري، وبكر بن سهل الدمياطي، وخلق.. آخرهم موتاً شاب كاتب كان معه في السجن اتفاقاً وهو حمزة بن محمد بن عيسى البغدادي، وقال أبو القاسم البغوي وإبراهيم بن عرفة نفطويه وابن عدي: مات سنة تسع وعشرين، زاد نفطويه: وكان مقيداً محبوساً لامتناعه من القول بخلق القرآن، فجر بأقياده، فألقي في حفرة، ولم يُكَفَّنْ، ولمْ يُصَلَّ عليه. فعل به ذلك صاحب ابن أبي دواد.

(١) (انظر فتاوى ابن تيمية ص ٥٣١)، (العلو للذهبي ص ١١٦).

الفرق التي أنكرت استواء الله عز وجل على عرشه

والذين أنكروا الاستواء هم الجهمية المعطلة، فقد صرفوا اللفظ القرآني إلى تأويلاتٍ ابتدعوها لم يعرفها الصدر الأول من الصحابة ومن بعدهم إلا الجهم ومن أخذ عنه الجعد بن درهم، ومن وافقهم من أتباعهم من المعتزلة والأشاعرة، فقالوا: استوى استولى، وهذا مردود بظاهر القرآن الذي يدل دلالة قاطعة تلقاها علماء الأمة بالقبول، على استواء الله على عرشه، وهو مذهب الأئمة كالأوزاعي وأحمد والشافعي ومالك وأمثال هؤلاء، كالبخاري وسفيان وابن معين وأئمة المحدثين والعلماء، وأول من تكلم بمذهب الجهمية الجعد بن درهم، الذي قتله خالد بن عبد الله القسري، ثم أخذها عنه الجهم، ثم الجهمية انقسموا إلى أقسام، فمنهم من قال هذا القول، ومنهم من كان حلولياً يرى أن الله حال في كل مكان ذاتاً ومكاناً ووجوداً وهم من الجهمية، حكى هذا القول الكعبي عن النجاد، ومنهم من عطل الله، فقال: لا ندري أين الله؟ فلا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، وهذا قال به بعض الباطنية والقرامطة والمعطلة، ومنهم من قال: إن الله عين هذا الوجود، وهم أهل وحدة الوجود، وإمامهم ابن عربي صاحب الفصوص، ومقالاتهم وأخبارهم والرد عليها يطول، والمقصود الإشارة إلى ذلك، وأما أهل السنة فيعتقدون أن الله مستوٍ على عرشه بائن من خلقه، مطلع عليهم وهو معهم أينما كانوا بعلمه.

كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾[١].

---

(١) سورة المجادلة (الآية رقم: ٧).

فهذه معية الله لعباده معية اطلاع، ثم المعية تنقسم إلى قسمين: معية عامة: لجميع الخلق، ومعية خاصة: لعباده المؤمنين، كما في قصة موسى وهارون عليهما السلام: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾(١) وكما في قصة محمد ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾(٢)، وأما الذين وصفوه بأنه لا داخل العالم ولا خارج العالم، فهذا أقرب شيء لوصفه بالمعدومات أو الممتنعات، كما هو مذهب القرامطة والعياذ بالله، ولما ذكر شارح الطحاوية الاستدلال على علو الله على خلقه بنحو من عشرين وجهاً قال: وهذه الآراء من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليلٍ.

ما يستفاد من البحث المتقدم على الأحاديث:

١- وجوب اعتقاد ارتفاع السماء، وأن بينهما هذه المسافة خمسمائة عام.

٢- وجوب اعتقاد أن السموات سبع، وأن بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام.

٣- وجوب اعتقاد أن كثف كل سماء ما بين سماء إلى سماء.

٤- أن فوق السماء السابعة الكرسي، وأنه محيط بالسموات، وبينه وبين السماء السابعة خمسمائة عام.

٥- أن بين الكرسي والعرش بحراً، طول ما بين أسفله وأعلاه خمسمائة عام.

٦- أن العرش عظيم واسع، لا يقدر قدره إلا الله.

٧- استواء الله عز وجل على عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته، وهو مطلع على أعمال

---

(١) سورة طه: (٤٦).

(٢) سورة التوبة: (٤٠).

العباد سرها وعلانيتها، قال تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾[(١)].

٨- وجوب الإيمان بالاستواء كما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، ولا يقال: كيف استوى؟ ولا يجوز وصف الله بخلقه في الاستواء ولا غيره.

٩- معرفة معنى الاستواء وأنه بمعنى علا، ومعنى ارتفع ومعنى صعد ومعنى استقر.

١٠- الرد على الجهمية بالأدلة من الكتاب والسنة ومفهوم لغة العرب.

١١- أن الرسول ﷺ لم يفسر أن الاستواء غير معروف بلغة العرب وكذا الصحابة ومن بعدهم من الأئمة والتابعين رضي الله عنهم .



(١) سورة المجادلة (الآية رقم: ٧).

أسئلة

١- بين معاني المفردات الآتية: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾؟ وما معنى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؟ وما معنى: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾؟ وما معنى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾؟ ثم اشرح الآية شرحاً مجملاً، وبيِّن ما فيها من الأحكام؟

٢- من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: (جاء حبر من الأحبار...إلخ الروايات) بين ما يستفاد من الأحاديث من أحكام؟ وما معنى المفردات الآتية: (السماء - الكرسي -الدرهم -الترس)؟ تكلم عن العرش على حسب ما مَرَّ بك لغةً ومعنى؟ وبين ما يفهم من كلام العرب عن العرش؟ وأورد كلام الأئمة في ذلك؟ ثم اشرح معنى الحديث: ما السموات السبع في كف الرحمن؟ وحديث: ما السموات السبع في الكرسي؟ وحديث: ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد؟ ثم اشرح ذلك شرحاً مجملاً، ثم بيِّن ما يدل عليه من الأحكام.

٣- اشرح حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: (بين السماء الدنيا والتي تليها...إلخ) ثم استدل على استواء الله على عرشه، وعلوه على خلقه من الآيات والأحاديث وكلام السلف؟ ثم بيِّن مذهب المخالفين وغيرهم مع معرفة من أول من تكلم بمذهب الجهمية؟ وبين مذهب الغلاة وغيرهم ووجه الرد عليهم؟ ثم بين معنى الاستواء؟ وهل يجوز تكييف استواء الله على عرشه؟ وما رد مالك ومن قبله على من قال: كيف استوى؟



قسم المعية

تم بحمد الله وتيسيره ما جمعته ونقلته على كتاب التوحيد من الكتاب والسنة وكلام العلماء أحكاماً ولغة ومعان، وقد صغت أكثر ما نقلته بأسلوبي، ما عدا المتن فإنه على ما هو عليه، فإن يكن صواباً ما نقلت فمن الله، فهو الموفق للصواب لا رب سواه، وإن كان خطأ فمنِّي ومن عثرات القلم، والإنسان محل النسيان ومحل الظلم والجهل، والله يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[1].

وأنا الفقير إلى الله عبده الضعيف، عبد الرحمن بن حمد بن محمد الجطيلي.

وأسأل الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وآله وصحبه وسلّم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حرّر في ٣٠ / ٨ / ١٣٨٧ هـ

تم بحمد الله.



(١) سورة الإسراء: (٨٥).

الفهرس

التعليقات

على متن الورقات

بقلم الشيخ/

عبدالرحمن بن حمد بن محمد الجطيلي رحمه الله

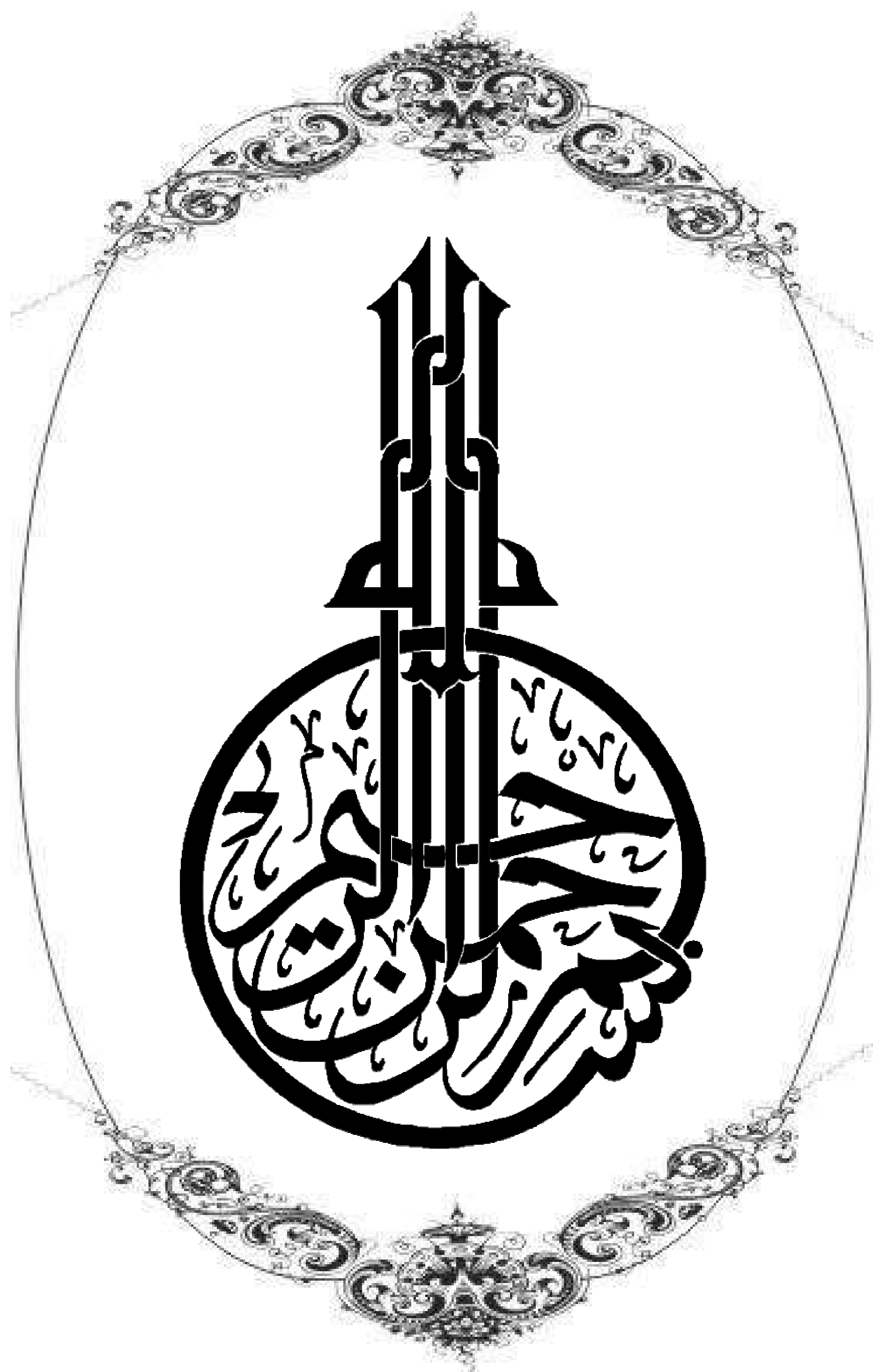
اعتنى بها تحقيقاً وتعليقاً

الشيخ / نواف بن عبيد بن سعد الرعوجي

الشيخ الدكتور/ وليد بن علي الحسين

إصدار دار النفائس والمخطوطات ببريدة ١٤٣٦هـ

وقف لله تعالى على نفقة أبناء حمد بن محمد الجطيلي رحمه الله


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن الورقات لإمام الحرمين في أصول الفقه، مع اختصارها مفيدة لمن اشتغل بها، وتفهّمها فهماً جيداً، أفادته إفادة كبيرةً، وخاصةً للمبتدئين؛ لأنها مجردة عن الخلافات الكلامية، متمشيةً مع القواعد الأصولية، مع سهولة في اللفظ ووضوحٍ في العبارة، تدل على ملكة المؤلف في العلم وبيانه، وتقريبه لإفهام المبتدئين، ولا يرغب عنها أهل العلم الفاهمين، وقد ألّفها الشيخ الإمام: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد، المعروف بأبي المعالي الجويني، من كبار علماء الشافعية في زمنه، ويُلقَّب بضياء الدين، وهو من المجدّدين لمذهب الشافعي.

ولد في المحرم من عام تسع عشرة وأربعمائة، وتوفي ليلة الأربعاء في الخامس والعشرين من ربيع الثاني، في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، ووفاته في بُشتِنقان من أعمال نيسابور، وقد جاور في مكَّة والمدينة المنورة أربع سنين ودرس وأفتى وعلّم، وقيل: وأمّ فيها فلقّب بإمام الحرمين، وقد كان تولى التدريس في المدرسة النظامية بنيسابور.

وقد تلقى العلم وتفقه على يد والده في صباه، فلمَّا توفي والده وهو دون العشرين، نقل جميع كتبه وتصرف بها، ولم يرضَ التقليد لوالده من كل وجهٍ، بل خَّرج المسائل وحقَّق مذهب الشافعي في زمنه، وسلك مسلك المباحثة والمناظرة، وجلس مكان والده للتدريس، وهو يتردد إلى المشايخ في أنواع المعارف التي ظهرت براعته فيها.

ولَمَّا ظهر التعصب بين الأشعرية والمبتدعة من المعتزلة والسنة خرج مع المشايخ إلى

بغداد، فلقي الأكابر وناظر فظهرت مكانته وشاع ذكره.

ثم لَمَّا هدأت الفتنة رجع إلى نيسابور في زمن أرسلان السلجوقي، ثم قدم بغداد فتولى تدريس النظامية والخطابة والتذكير والإمامة، وشاعت مصنّفاته، وكان يجلس إليه كل يوم ثلاثمائة من بينهم الأكابر من العلماء والطلبة وأولاد الصدور.

وقد فوضت له أمور الأوقاف، وسار إلى أصفهان، فلقيه نظام الملك بما يليق به، ثم عاد إلى نيسابور وعكف على تأليف: (**نهاية المطلب في دراية المذهب**)[1]، وقد كان شرع به وهو في مكَّة، ويقال: إنه لم يؤلف في الفقه الإسلامي مثله.

وقد كان في أول أمره غير سليم الاعتقاد، ثم رجع في آخر حياته إلى عقيدة السلف، فيما نقل عنه في الرسالة النظامية، حيث قال: (اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر، فرأى بعضهم تأويلها، والتزم ذلك في آي الكتاب، وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الكفِّ عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الربِّ، والذي نرتضيه رأياً، وندين لله به عقداً، اتباع سلف الأمة، والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة حجة متبعة وهو مستند معظم الشريعة، وقد

---

(١) كتاب (**نهاية المطلب في دراية المذهب**)، وهو أكبر كتاب مطبوع في الفقه الشافعي لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الملقب بإمام الحرمين والمتوفى سنة ٤٧٨ هـ.
طبعات الكتاب: طبع الكتاب في ٢١ مجلداً في دار المنهاج، بتحقيق الدكتور عبد العظيم الديب، وقد أفنى من عمره نحواً من ٢٥ سنة قضاها في خدمة هذا الكتاب، فقد جمع نحواً من ٢٠ نسخة مخطوطة للكتاب، وحقق الكتاب عليها، كما يوجد نسخة مخطوطة من الكتاب في دار الكتب في ١٢ مجلداً. ومنه نسخة مصورة بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية برقم ٣٧٥٦، ٣٧٥٧. وكذا في جامعة أم القرى عدة صور منه، فمنها مصورة عن نسخة الأزهرية، وأخرى عن دار الكتب المصرية، ونسخة مصورة عن مكتبات تركيا.

درج أصحاب رسول الله ﷺ على ترك التعرض لمعانيها ودَرْكِ ما فيها، وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهداً في ضبط قواعد المِلَّة والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، فإذا تصرم عصرهم على الإضراب عن التأويل، كان ذلك قاطعاً بأنه الوجه المتبع، فحق على كل ذي دينٍ أن يعتقد تنزيه البارئ عن صفات المُحْدَثِيْنَ، ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل معناها[1] إلى الرب، فَلْيُجْرِ آية الاستواء والمجيء، وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[4]، وما صحَّ من أخبارِ رسول الله ﷺ كخبر النزول وغيره على ما ذكرنا) ا. هـ نقلاً من بعض من ترجم له[5].

وقد قُرئ علي هذا المختصر عدة مرات أثناء درس المكتبة[6] فرأيت أن أقيد بعض

---

(١) قوله: «**ويكل معناها إلى الرب**»: مذهب السلف إثبات ما دلت عليه من المعاني اللائقة بالله ﷻ، أمّا الكيفية فيقولون: إنها مجهولة، ويكون علمها إلى الله مع إثبات حقائق هذه الصفات للرب جل وعلا على ما يليق به، فما ذكره من وكل المعاني هذا مذهب المفوضة المبتدعة.

(٢) (سورة صّ: ٧٥).

(٣) (سورة الرحمن:٢٧).

(٤) (سورة القمر: ١٤).

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء: (١٨/ ٤٧٣ - ٤٧٤).

(٦) درس المكتبة: فالشيخ عبد الرحمن الجطيلي رحمه الله، كان أميناً للمكتبة العلمية العامة ببريدة، والتي كانت تقع آنذاك شرق الجامع الكبير داخل بريدة، وهي ملتقى الباحثين والعلماء والمشايخ وطلاب العلم، ودرس فيها علماء ومشايخ كثيرون، ومن ضمن هذه الحركة العلمية التي تزخر بها المكتبة دروس الشيخ عبد الرحمن بن حمد الجطيلي رحمه الله، ونذكر منها شرح متن الورقات، =

التعليقات والفوائد عليه، لعل الله أن ينفع بها كما نفع بأصلها، وحرصت على الاختصار، مع وضوح العبارة، وذكر بعض الدليل أو التعليل.

والله أسأل أن ينفعني وإخواني المسلمين بما علمني، وأن يجعله حجةً لنا لا حجة علينا، وهو حسبي ونعم الوكيل.

المؤلّف



=

والذي طلب منه بعض المشايخ أن يطبعه كتاباً، وقد لبى ﷺ ذلك وأخرجه في كتاب سماه: «**التعليقات على متن الورقات**»، وقد طبع مرة واحدة بنسخ محدودة، وها هو الآن يطبع طباعة أخرى محققة ومنقحة.

مقدمة مختصـرة في أصُول الفقه

لا بدَّ عند معرفة أي علمٍ يراد أن يتوصل إليه من معرفة الحد، وثمرته. وفائدته، ومكانته من العلوم.

فحده[1]: هو علم يبحث في أدلة الفقه الإجمالية وكيفية الاستفادة منها.

أما الحد لغةً، فهو: المنع.

واصطلاحاً: الوصف المحيط بموصوفه المميّز له عن غيره، وهو أصل كل علمٍ، وشرطه: أن يكون مطرداً، وهو المانع كلَّما وجد المحدود وجد، ويلزم كلَّما انتفى الحد انتفى المحدود، وهو حقيقي تام، وهو[2] القول الدال على ماهية الشيء[3]، والماهية ما يصلح جواباً لسؤال مقدرٍ ما هو؟

وثمرة هذا العلم:

أن يتوصل به إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية التي طريقها الاجتهاد، بخلاف ما ليس طريقه الاجتهاد، كالعلم بأنَّ الصلوات الخمس واجبة، وأن الزنا محرم، ونحو ذلك من المسائل القطعية فلا تسمى فقهاً، لأن هذه قطعية فيها نصوص شرعية لا اجتهادية.

---

(١) يقصد: علم أصول الفقه.

(٢) أي: الحد الحقيقي.

(٣) أي: ما اشتملت عليه ذاته من صفات تميزه عن غيره.

وغايته:

معرفة أحكام الله تعالى والعمل بها.

ومعرفته:

فرض كفاية كالفقه، ويقدم أصول الفقه على الفقه[١].

استمداده:

ويستمد هذا العلم من أصول الدين والعربية وتصوّر الأحكام.

قال أبو البقاء العكبري[٢]: أبلغ ما توصل به إلى إحكام الأحكام إتقان أصول الفقه، وطرف من أصول الدين، انتهى[٣].

وموضوع هذا العلم:

ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية، فموضوعه الأدلة الموصلة إلى الفقه، ومن أراد طلب علمٍ لا بدَّ أن يتصوره بوجهٍ ما ويعرف غايته ومادته.

---

(١) أي: يقدم تعلم أصول الفقه على الفقه.

(٢) هو **محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الحنبلي**، عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب، ولد في بغداد وتعلم فيها علم اللغة والحديث، وبدأ حياته معيداً لابن الجوزي، وعد فيما بعد أكبر اللغويين في عصره، له العديد من المؤلفات، منها: التبيان في إعراب القرآن، اللباب في علل النحو، إعراب الحديث النبوي، شرح ديوان المتنبي، مسائل الخلاف في النحو، ترتيب إصلاح المنطق، مسائل نحو مفردة. وذكر صاحب الأعلام أنه أصيب في صباه بالجدري، فعمي، توفي في الثامن من ربيع الآخر سنة ٦١٦ هـ الموافق ٢٤ حزيران سنة ١٢١٩م.

(٣) المصدر: الفروع لابن مفلح، كتاب القضاء، فصل: «والمجتهد من يعرف من الكتاب والسنة»، (٦/ ٤٢٧).

ولأن هذا العلم يبحث عن قواعد أصول الفقه، التي يتوصل بها إلى الأحكام الفقهية، المستنبطة من الكتاب والسنة والقياس، لأنه يبحث فيها عن العوارض اللاحقة لها، من كونها عامة أو خاصة مع معرفة أفعال المكلفين من حيث أنهم مكلفون بها كالصلاة.

فالفقيه: العالم بالأحكام الشرعية للأفعال الإنسانية، كالوجوب والحظر والإباحة والندب والكراهة، وكون العقد صحيحاً أو فاسداً أو باطلاً، وكون العبادة قضاء أو أداء وأمثاله، فالذي يتولى الفقيه بيانه يعني ما تقدم من الصحيح... إلخ.

فإذا فهمت هذا؛ فاعلم أن أصول الفقه عبارة عن: أدلة هذه الأحكام وعن معرفة وجوه دلالتها على الأحكام، من حيث الجملة لا من حيث التفصيل، فإن علم الخلاف من الفقه أيضاً مشتمل على أدلة الأحكام ووجوه دلالتها.

ولكن من حيث التفصيل كدلالة حديث خاص في مسألة النكاح بلا ولي على الخصوص، ودلالة آية خاصة في مسألة متروك التسمية على الخصوص، وأما الأصول فلا يتعرض فيها لإحدى المسائل إلا على طريق ضرب المثال.

أما فائدته:

فإن له فائدة كبيرة في الأحكام الشرعية من حيث الأدلة الإجمالية، لأن أصول الفقه هو العلم بالأدلة الإجمالية، مثل: كل أمر يقتضي الوجوب إلا إذا صرفه عن الوجوب صارف، فهو كالأسس والقواعد للفقه، لأنه لا يخرج عن علم الكتاب والسنة، إذاً: فهو اشتغال بمدلول القرآن الكريم والسنة المطهرة والاستنباطات منهما، فهو من أشرف العلوم، فكانت فائدته كبيرةً، لأن ما يخالف مدلولها لا يعتبر علماً شرعياً، بل يرد على قائله، ومكانة علم الأصول من الدين والعلوم الدينية، فهو داخل

فيه ودلالته عليه واضحة ظاهرة، لأن موضوع هذا العلم هو: **(الأحكام الشرعية الفرعية، لا تتجاوز أدلة الكتاب والسنة والقياس ولغة العرب)**.

أما على الترتيب للأدلة، فكالآتي:

١- الكتاب العزيز: كلام رب العالمين، فقد بيَّن - جل وعلا - الأحكام إجمالاً وتفصيلاً، فما كان يحتاج إلى بيان وتفصيل فقد فصّله - جلَّ وعلا - وجميع ما تحتاجه البشرية في دينها ودنياها، فعَّد ذلك في قواعد كليَّة يعرفها الراسخون في العلم، فهذا الذي يُحمَّل عليه قوله جلَّ وعلا: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾[1]؛ فالاستنباطات والقواعد الكلية لا تخرج عن هذا.

٢- السنة المطهرة: مما يستمد منه الأصوليون والفقهاء؛ لأنها تبيين وتفسير وتوضيح للقرآن، وهي من عند الله أيضاً، وهي المعنية بقوله جلَّ وعلا: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[2]؛ فالحكمة هي السنة وهي المصدر الثاني للتشريع الإلهي للأمة، ولا تخرج أصول الفقهاء عن مدلول الكتاب والسنة والاستنباطات منهما[3].

٣- الإجماع: المصدر الثالث للفقهاء والمعين الذي أخذ منه العلماء هو إجماع سلف الأمة على واقعةٍ من الوقائع، فهو مصدر من مصادر الأحكام عندهم، فإذا لم يجدوا في الكتاب من النصوص الظاهرة أو ما تدل عليه القواعد لا في الكتاب ولا في السنة،

---

(١) (سورة الإسراء: من الآية١٢).

(٢) (سورة آل عمران: من الآية: ٤٨).

(٣) فالقواعد الأصولية تؤخذ من القرآن أو من السنة أو من لغة العرب، فهي إمّا قواعد أصولية شرعية أو قواعد أصولية لغوية، فقاعدة الأمر للوجوب شرعية أصولية، وقاعدة صيغ العموم والخاص والمطلق والمقيد أصولية لغوية، فالشرع جاء بلسان العرب ونطقهم.

أخذوا بإجماع الأمة؛ لقوله ﷺ: (**لا تجتمع أمتي على ضلالة**)(١).

٤- **القياس**: للعلماء مأخذ رابع، وهو: القياس، فيقيسون الأمور بنظائرها، ويجتهدون في ذلك لمن كان له أهلاً.

ومستند ذلك: قول الرسول ﷺ لمعاذ: بم تقضي؟ قال: «**بكتاب الله قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي، فأقره النبي ﷺ، وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله، لما يرضي رسول الله**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٤٥، ٦/ ٣٩٦)، عن أبي بصرة الغفاري، وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره، وأبو داود (٤/ ٤٥٢) برقم (٤٢٥٣) والترمذي (٤/ ٤٦٦) برقم (٢١٦٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني. انظر حديث رقم: (١٨٤٨) في صحيح الجامع، وابن ماجه (٢/ ١٣٠٣) برقم (٣٩٥٠) عن أنس رضي الله عنه، والدارمي في المقدمة، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، وابن أبي عاصم (١/ ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٤)، برقم (٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٩٢)، والحاكم (١/ ١١٥، ١١٦، ٤/ ٥٠٧)، وأبي نعيم في (الحلية) (٣/ ٣٧).

(٢) قال الإمام الألباني في الضعيفة: (منكر) أخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (١/ ٢٨٦- منحة المعبود) وكذا أحمد (٥/ ٢٣٠، ٢٤٢) وأبو داود في «السنن» (٢/ ١١٦) والترمذي (٢/ ٢٧٥) وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٤٧ و٥٨٤ - طبع بيروت) والعقيلي في «الضعفاء» (٧٦ - ٧٧) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٩٣/ ١ و١١٢ - ١١٣) مخطوطة الظاهرية، ١٥٤ - ١٥٥ و١٨٨ - ١٨٩ - مطبوعة الرياض) والبيهقي في «سننه» (١٠/ ١١٤) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٥٥ - ٥٦) وابن حزم في «الإحكام » (٦/ ٢٦، ٣٥، ٧/ ١١١ - ١١٢) من طرق عن شعبة عن أبي العون عن الحارث بن عمرو - أخي المغيرة بن شعبة - عن أصحاب معاذ بن جبل، ثم قال: (أي: الألباني في السلسلة الضعيفة): وجملة القول أن الحديث لا يصح إسناده لإرساله، وجهالة راويه الحارث بن عمرو، فمن كان عنده من المعرفة بهذا العلم الشريف، وتبين له ذلك فبها، وإلا فحسبه أن يستحضر أسماء الأئمة الذين صرحوا بتضعيفه، فيزول الشك من قلبه، وها أنا ذا أسردها وأقربها إلى القراء الكرام: ١ - البخاري. =

فما كان مخالفاً للنصوص أو الإجماع أو القياس أو القواعد الكلية المستنبطة يرد على قائله.

ومنها الأصول المختلف فيها: كقول الصحابي، وشرع من قبلنا، واستصحاب الحال.

ولَمَّا كانت أصول الفقه هي: قواعده وأسسه، وأدلة الفقه الإجمالية لزم الفقيه أن يعرفه، كمعرفة مقتضى الأمر والنهي، والحل والحرمة، والصحة والفساد، والندب والإباحة، والكراهة، وما إلى ذلك من القواعد الكلية التي ينبني عليها الفقه، كما يأتي من التواتر، وخبر الواحد، وصفة المفتي والمستفتي، وأحكام المجتهدين، وما إلى ذلك.

=

٢ - الترمذي.٣ - العقيلي.٤ - الدارقطني.٥ - ابن حزم. ٦ - ابن طاهر.٧ - ابن الجوزي. ٨ - الذهبي.٩ - السبكي.١٠ - ابن حجر. كل هؤلاء - وغيرهم ممن لا نستحضرهم - قد ضعفوا هذا الحديث، ولن يضل بإذن الله من اهتدى بهديهم، كيف وهم أولى الناس بالقول المأثور: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ». هذا ولما أنكر ابن الجوزي صحة الحديث أتبع ذلك قوله: «وإن كان معناه صحيحاً» كما تقدم. أقول: هو صحيح المعنى فيما يتعلق بالاجتهاد عند فقدان النص، وهذا مما لا خلاف فيه، ولكنه ليس صحيح المعنى عندي فيما يتعلق بتصنيف السنة مع القرآن وإنزاله إياه معه منزلة الاجتهاد منها. فكما أنه لا يجوز الاجتهاد مع وجود النص في الكتاب والسنة، فكذلك لا يأخذ بالسنة إلا إذا لم يجد في الكتاب، وهذا التفريق بينهما مما لا يقول به مسلم، بل الواجب النظر في الكتاب والسنة معاً وعدم التفريق بينهما، لما علم من أن السنة تبين مجمل القرآن وتقيد مطلقه، وتخصص عمومه كما هو معلوم. ومن رام الزيادة في بيان هذا فعليه برسالتي: «منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن». وهي مطبوعة، وهي الرسالة الرابعة من «رسائل الدعوة السلفية ». والله ولي التوفيق.

قال المصنف رحمه الله: (بسم الله الرحمن الرحيم)[١]:

ابتدأه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله وتأسياً برسول الله ﷺ في مكاتباته ومراسلاته، كما كان يكتب للملوك والأمراء والرؤساء، وكما في قوله ﷺ: (كل أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ فيه: ببسم الله فهو أبتر[٢]أو أقطع[٣])[٤] ومعناه: ناقص، وإن تم حِسَّاً لا يتم معنى، وفي رواية: (**بالحمد لله**)[٥].

واقتصر المصنف على البسملة، لَمَّا ذكر في الحديث، والباء للاستعانة، فهو ابتدأ بذكر الله، مستعيناً ومتبركاً به، والاسم مشتق من: السمو، وهو العلو، «والله هو: المألوه الذي يألهه كل شيءٍ، ويعبده كل خلق»[٦]، «وهو ذو الألوهية والعبودية على خلقه

---

(١) ذكر الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله في تفسير قوله تعالى: (**بسم الله الرحمن الرحيم**) فائدتين: الفائدة الأولى: التبرك بتقديم اسم الله عز وجل، الفائدة الثانية: الحصر؛ لأن تأخير العامل يفيد الحصر، كأنك تقول: لا آكل باسم أحد متبركاً به، ومستعيناً به، إلا باسم الله عز وجل.

(٢) معنى كلمة (الأبتر): أي: أقطع.

(٣) معنى كلمة (أقطع): أي: مقطوع من البركة.

(٤) رواه ابن ماجه والطبراني وأحمد وغيرهم بألفاظ متعددة. وضعفه الألباني (انظر: إرواء الغليل تخريج أحاديث المقدمة) وقال الأرناؤوط في تعليقه على مسند أحمد: إسناده ضعيف، قال الشيخ ابن باز رحمه الله في مجموع فتاويه، المجلد الخامس والعشرين، كتاب الحديث القسم الأول، لما سئل عن صحة حديث: «**كل أمر ذي بال... إلخ الحديث**» أجاب: إن هذا الحديث جاء من طريقين أو أكثر عند ابن حبان وغيره، وقد ضعفه بعض أهل العلم، والأقرب أنه من باب الحسن لغيره، وبالله التوفيق.

(٥) انظر: التخريج السابق.

(٦) انظر: تفسير الطبري الجزء الأول، وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن جريج وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أول ما نزل جبريل على محمد، قال له جبريل: بسم الله يا محمد، يقول: اقرأ بذكر الله».

أجمعين»[١]، والرحمن: تعم جميع البرية، البر والفاجر والشاكر والكافر، والرحيم: للمؤمنين في الآخرة ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[٢]، لأن الرحمة اسمه وصفته وكذا الرحيم اسمه وصفته.

قول المصنف: (فهذه ورقات تشتمل على معرفة فصول من أصول الفقه).

قوله (فهذه): إشارة إلى قلتها، لأنها من جموع القلة تسهيلاً للقارئ وتنشيطاً، كما في قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾[٣] أي: تسهيلاً على المكلفين - وكذا الإشارة إلى ما في الذهن إن كانت الخطبة قبل التأليف وإن كانت بعدها فإلى ما في الذهن أو إلى ما في الخارج.

وأما المعرفة فهي: العلم، ورجل عارف، أي: عالم، والفصول: جمع فصل وهو ما يشتمل على مسائل من العلم غالباً.

وأما الأصول: جمع أصل، وهو في اللغة: ما يُبنى عليه غيره، والفرع: ما يُبنى على غيره، فأصول الفقه هي: ما يبنى عليه الفقه، والفقه: يبنى على أصله وهو أدلته الإجمالية، نحو: كل أمر يقتضي الوجوب، ومثل: معرفة أن النية واجبة في الوضوء.

وأما الفقه: فهو لغة: الفهم، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾[٤].

واصطلاحاً: معرفة أحكام الشرع التي طريقها الاجتهاد، وهي المتعلقة بأفعال المكلفين من العباد، من الحل والحرمة والصحة والفساد.

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: **(الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين)** رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وذكره ابن كثير في التفسير أول سورة الفاتحة.

(٢) (سورة الأحزاب: من الآية ٤٣).

(٣) (سورة البقرة: من الآية ١٨٤).

(٤) (سورة الأنبياء: من الآية ٧٩).

وأما الجزءان المفردان: كما في قوله: (**وذلك مؤلف من جزأين مفردين**).

التأليف: حصول الأُلفة وهو أخصُّ من التركيب الذي هو ضم كلمةٍ إلى أخرى.

والجزءان المفردان هما: الأصل والفرع اللذان هما أصل الفقه وفرعه، فالمصنف كتب هذه الورقات للتدليل على الفقه، من أصوله التي ينبني عليها الفقه.

شرح قوله: (والفقه معرفة الأحكام الشرعية):

الفقه لغةً: الفهم وتقدم، فالغرض منه اقتباس الأحكام والأدلة وحال الناظر فيها، فالفقه يقتبس من أدلته الشرعية، كالنصوص من الكتاب والسنة، وإجماع الأمة والقياس، ولا بد أن يكون الناظر فيها على مستوى الاطلاع بالنقل أو القوة القريبة، فهو الذي يقتبس الأحكام، والفقيه من عرف جملة منها غالباً.

ما الحكم؟ ومن الحاكم؟ ومن المحكوم عليه؟

الحكم: هو قضاء الشارع على المكلف بأمرٍ ما، نطقاً أو استنباطاً، وحكم الشارع فيه الوجوب العيني للمقدر، الذي تتوقف عليه صحة العبادات والمعاملات، والكفائي لمَّا زاد على ذلك حتى يحيط بمعظم الأحكام والندب فيما عدا ذلك، فهذا هو الحكم.

وأما الحاكم فهو: الله - سبحانه - لا حاكم سواه، والرسول ﷺ مبلغ مبين.

والمحكوم عليه: هو الإنسان وهو المكلف.

والمحكوم به: وهو فعل المكلف، فمتعلق الإيجاب ومتعلق الندب.

والتكليف: لغةً: إلزام ما فيه كلفة أي مشقة.

وشرعاً: قيل: الخطاب بأمر أو نهي، وهو صحيح، إلاّ أن تقول: الإباحة تكليف

على رأيٍ مرجوحٍ، فيرد عليه طرداً وعكساً، فهو إذن إلزام مقتضى خطاب الشرع، وله شروط يتعلق بعضها بفعل المكلف وبعضها بالمكلف به.

المسألة الأولى:

من شروط المكلف: العقل وفهم الخطاب، فلا تكليف على صبيٍ ولا مجنونٍ لعدم المصحح للامتثال منهما، وهو قصد الطاعة، ووجوب الزكاة والغرامات في ماليهما غير وارد، إذ هو من قبيل ربط الأحكام بالأسباب، كوجوب الضمان ببعض أفعال البهائم.

وفي تكليف المميز قولان: الإثبات لفهمه الخطاب، والأظهر النفي، إذ أول وقتٍ يفهم فيه الخطاب غير موقوف على حقيقته، فنصب له علم ظاهر يكلف عنده وهو البلوغ.

ولعل الخلاف في وجوب الصلاة والصوم عليه، وصحة وصيته وعتقه وتدبيره وطلاقه، وظهاره وإيلائه ونحوها، مبني على هذا الأصل.

المسألة الثانية:

لا تكليف على النائم والناسي، والسكران الذي لا يعقل، لعدم الفهم، وما ثبت من أحكامهم، كغرامة ونفوذ طلاق، فسببي كما سبق.

فأما ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾[1]؛ فيجب تأويله، إما على معنى: لا تسكروا، ثم تقربوا الصلاة، أو على من وُجِدَ منه مبادئ النشاط والطرب ولم يزل عقله، جمعاً بين الأدلة.

---

(١) (سورة النساء: من الآية٤٣).

المسألة الثالثة:

المكره قيل: إن بلغ به الإكراه إلى حد الإلجاء فليس بمكلف، وقال أصحابنا: هو مكلف مطلقاً خلافاً للمعتزلة.

لنا: عاقل قادر يفهم كغيره، فإذا أكره على الإسلام فأسلم أو الصلاة فصلى، قيل: أدى ما كُلِّف به، ثم إن كان قصد التقية كان عاصياً وإلا مطيعاً.

قالوا: الإكراه يُرجِّحُ فعل ما أُكره عليه، فيجب، ولا يصح منه غيره فهو كآلةٍ، فالفعل منسوب إلى المُكره، وترجيح المُكره على القتل بقاء نفسه يخرجه عن حدّ الإكراه، فلذلك يُقتل.

والحق أن الخلاف فيه مبنيٌّ على خلق الأفعال، من رآها[(١)] خلق الله – تعالى – قال بتكليف المُكره، إذ جميع الأفعال واجبة بفعل الله – تعالى –.

فالتكليف بإيجاد المأمور به منها، وترك المنهي عنه، غير مقدور وهذا أبلغ، ومن لا فلا، والعدل الشرعي الظاهر يقتضي عدم تكليفه.

قول المصنف: الأحكام سبعة:

قوله: الأحكام سبعة:

فالأحكام جمع حكم، والحكم الشرعي خطاب الشرع، وهو مدلوله، وهو: قولٌ يفهم منه من سمعه شيئاً مفيداً مطلقاً، ثم إن ورد بطلبِ فعلٍ مع جزمٍ فإيجاب، أو لا معه فندب، أو طلب تركِ فتحريم، أو لا معه فكراهة أو بتخيير فإباحة، وإلا فوضعي، والمشكوك ليس بحكمٍ عندهم.

---

(١) ولا شك أن أفعال العباد خلق الله تعالى، فالله خالق كل شيءٍ ومنها أفعال العباد، وهذا مذهب أهل السُنة خلافاً للمعتزلة ونفاة القدر الضالين.

الكلام على تعريف الواجب:

الواجب لغةً: الساقط والثابت.

وشرعاً: ما ذُمَّ شرعاً تاركه قصداً مطلقاً، ومنه ما لا يثاب على فعله، كنفقةٍ واجبة، ورد وديعةٍ وغصبٍ ونحوه، إذا فُعِلَ مع غفلة، ومن المحرم ما لا يثاب على تركه، كتركه غفلةً.

والفرض لغةً: التقدير والتأثير والإلزام، والعطية والإنزال والإباحة، ومرادف الواجب شرعاً، وثوابهما سواء، وصيغتهما، وحتم ولازم وإطلاق الوعيد، و﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾[1] بمعنى: فُرِضَ نص في الوجوب.

فالواجب: وهو ما يقتضي الثواب على الفعل، والعقاب على الترك، **وينقسم على هذا إلى قسمين:**

الأول: معين لا يقوم غيره مقامه، كالصلوات والرقبة المعينة والصوم ونحوها.

والثاني: إلى مبهمٍ كخصال الكفَّارة، وهذا التقسيم من حيث الفعل، فالثواب على الفعل والعقاب على الترك، لأنَّ الله توعد بالعقابِ على الترك.

وأما من حيث الوقت ينقسم إلى:

الأول: مضيق: وهو ما إذا كان الوقت لا يزيد عن فعله، كوقت الصيام: فإنه من طلوع الفجر إلى الغروب.

والثاني: الموسع: كالصلاة: تقع في أول وقتها وفي آخره وفي وسطه وفعلها في أولِ

---

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٣).

الوقت أفضل، إما إذا لم يبقَ من الوقتِ إلاَّ أداؤها فيكون مضيقاً. ومن الواجب غير المؤقَّت كوجوب رقبةٍ لا بعينها، وصوم يومٍ لا بعينه، وصيام شهرٍ لا بعينه، وينقسم إلى: ما لا تدخله النيابة وإلى ما تدخله.

فالأعمال البدنية لا تدخلها النيابة، كالصلاة والصوم غير المنذور والطهارة، فهذه لا تدخلها النيابة، لأنها بدنية محضة، أما ركعتا الطواف فتقع تبعاً للحج.

أما ما تدخله النيابة فالأمور المالية، كتأدية الزكاة عنه، فلا بأس بها.

الفرق بين الفرض والواجب:

عند الإمام الشافعي: لا فرق بين الواجب والفرض.

أما الإمام أحمد وأبو حنيفة، فقالوا[١] بالفرق بينهما، وقسَّموا المأمور به إلى فرضٍ كالصلاةِ وإلى واجبٍ، فالإمام أحمد والإمام أبو حنيفة وأتباعهم قالوا: الفرض ما ثَبُتَ بدليلٍ قطعيٍّ، والواجب ما ثبت بدليلٍ ظنيٍّ.

ما لا يتم الواجب إلا به، هل هو واجبُ أصلاً؟

ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب، وهو ما كان في اختيار العبد فعله أو تركه، فالفعل كصيامِ جزءٍ من الليل، ومسح جزءٍ من الرأس، وإدارة الماء على المرفق بالوضوء، وترك بعض المشتبهات، خوفاً من الوقوع في المحرم، فهذا في مقدور العبد فعله أو تركه، فهذا واجب.

---

(١) المعروف والمشهور أن الجمهور يجعلون الفرض مرادفاً للواجب ولا يفرقون بينهما، والذين يرون الفرق بينهما هم الأحناف فقط، وهي رواية عن أحمد ولكن المعروف من مذهبه عدم التفريق، وهو مذهب الثلاثة، والحق هو عدم التفريق، فالواجب والفرض واحد. فما ذكره المؤلف رحمه الله غير محرر.

أما ما ليس بمقدور العبد كوجود اليد للأقطع في الكتابة، أو غسلها في الوضوء، أو وجود العدد الكافي للجمعة، وما لم يكن باستطاعة العبد فعله، فهذا غير واجبٍ، وإلا يكن تكليفاً بمحال.

الحرام ويُسمىّ المحظور:

«الحرام ضد الواجب»، وَإِنَّمَا كَانَ ضِدُّهُ بِاعْتِبَارِ تَقْسِيمِ أَحْكَامِ التَّكْلِيفِ، وَإِلاَّ فَالْحَرَامُ فِي الْحَقِيقَةِ: ضِدُّ الْحَلالِ، إِذْ يُقَالُ: هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ، كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾(١) «وهو» أي: وحدُّه: ما ذُمَّ فاعله، ولو قولاً ولو عَمَلَ قلبٍ شرعاً، وهو ممنوع ومزجور عنه ووقوع في معصية، وذنباً وقبيحاً وسيّئة وفاحشة وإثماً وحرجاً وتحريجاً وعقوبة.

ويجوز النهي عن شيء لا بعينه كملكه أختين ووطئهما وله فعل أحدهما، ولو اشتبه محرم بمباحٍ وجب الكفّ، ولا يحرم المباح، وفي الشخص الواحد ثواب وعقاب، والفعل الواحد بالنوع من واجب وحرام كسجود لله ولغيره، وبالشخص فمن جهة واحدة يستحيل كونه واجباً حراماً، ومن جهتين كصلاةٍ في مغصوبٍ لا، أما ما تيقن أنه محظور فلا يجوز أن يستبيح فعله، وما تيقّن أنه مباح لا يتركه بالشك.

و«**المحظور**» عرّفه المصنف بقوله: ما يثاب على تركه، ويعاقب على فعله، فإذا تركه الإنسان امتثالاً، أثيب على الترك، لأنه ترك لأجل الله، وإذا تجرأ على فعله فيعاقب على الفعل، لأن الله قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾(٢).

---

(١) سورة النحل: (١١٦).

(٢) سورة الإسراء: (٣٢).

فمن ارتكب هذه المعصية استحق العذاب على الفعل، ومن تركه امتثالاً لأمر الله استحق الثواب على الترك، لأن الله سمَّاه فاحشةً وسمَّى بعض المعاصي سيئاً، وأن مصير صاحبها سيء.

فـائـدة:

قالوا: لا واجب مع العجز ولا محرم مع الضرورة، فالشارع لم يوجب علينا ما لا نقدر عليه بالكليَّة، وما أوجبه من الواجبات فعجز العبد سقط عنه، وإذا قدر على بعضه وجب عليه ما يقدر، وسقط عنه ما يعجزه، وأمثلتها كثيرة، وكذلك ما احتاج الخلق إليه، لم يحرمه عليهم، والخبائث التي حرَّمها إذا اضطر إليها العبد فلا إثم عليه، فالضرورات تبيح المحظورات الراتبة والمحظورات العارضة، والضرورة تقدر بقدرها تخفيفاً للشر، فالضرورات تبيح المحرمات من المآكل والمشارب والملابس وغيرها.

فائدة ثانية:

الأمور بمقاصدها، فيدخل في ذلك العبادات والمعاملات، وتحريم الحيل المحرمة مأخوذة من هذا الأصل، وانصراف ألفاظ الكنايات والمحتملات، إلى الصرائح من هذا الأصل، وصورها كثيرةٌ جداً.

فائدة ثالثة:

يختار أعلى المصلحتين، ويرتكب أخفَّ المفسدتين عند التزاحم، وعلى هذا الأصل الكبير ينبني مسائل كثيرة، وعند التكافُؤ فدرء المفاسد أولى من جلب المصالح.

فائدة رابعة:

لا تتم الأحكام إلا بوجود شرائطها وانتفاء موانعها، وهذا أصل كبير ينبني عليه

من مسائل وغيرها شيء كثير، فمتى فُقِدَ شرط العبادة أو المعاملة أو ثبوت الحقوق لم تصح ولم تثبت، وكذلك إذا وجد مانعها لم تصح، ولم تنفذ.

وشروط العبادات والمعاملات ما تتوقف صحتها عليها، ويعرف ذلك بالتتبع والاستقراء الشرعي. ا.هـ.

كما أن الأصل في العبادات الحظر، إلاَّ ما شرعه الله ورسوله ﷺ، والأصل في العادات الإباحة إلاّ ما حظره الشرع.

النّدْبُ:

«**الندب**»: مأخوذ من الندب، وهو الدعاء إلى الفعل، وهو ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه، مثل: صلاة الوتر، والمندوب مأمور به حقيقةً، وهو: ما يثاب على فعله، ولا يعاقب على تركه.

وبمعنى المندوب: السنة والمستحب والنفل، إلاَّ أن السنَّة ما فعلت لأجل المتابعة، ووردت عن النبي ﷺ بقولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ، ودليل كونه مأموراً به قسمة الأمر إلى إيجاب وندبٍ، ومورد القسمة مشترك، ولأنه طاعة.

ومما يدل على أن المندوب مأمور به حقيقة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1].

ومنه ما هو مندوب إليه، وذهب آخرون ومنهم المعتزلة: إلى أن الأمر خاص بالواجب.

(١) (سورة النحل: من الآية: ٩٠).

وأعلى المندوب فعل سنة، كالسنن الراتبة، وصلاة الوتر، ثم فضيلة ثم نافلة.

قال المخالفون لمن قال مأمور به: لو كان مأموراً به لعصى تاركه، إذ المعصية مخالفة الأمر، ولتَنَاقض «لأمرتهم بالسواك»[١] مع تصريحه بالأمر مؤكداً، قلنا: المراد: أمراً يجاب فيهما، أما المباحات فليس مأموراً بها.

المكروه:

«**المكروه**» هو: ضد المندوب، وهو ما يقتضي تركه الثواب، ولا عقاب على فعله، كالمنهي عنه نهي تنزيه، وقيل: ما تركه خير من فعله، ومعانيها واحدة، وهو ينهى عنه لانقسام النهي إلى: كراهةٍ وحظرٍ، فلا يتناوله الأمر المطلق لتنافيهما.

وقد يطلقه بعضهم على الحرام، وهذا كثير في تعبير السلف، من قولهم: ويكره أن يتوضأ في آنية ذهبٍ أو فضةٍ، وقال بعضهم: ما يترجح تركه على فعله شرعاً من غير ذمٍّ، وهو في عُرف الفقهاء: ما نهي عنه نهي تنزيه، فلا يتعلق بفعله عقاب.

ومعلوم في عرف السلف إطلاق المكروه على الحرام[٢]، ومن كلام الإمام أحمد: أكره المتعة والصلاة في المقابر، وهما محرمان، وأما إذا أُطلق المكروه في كلام المتأخرين من الفقهاء، انصرف إلى ما كراهيته كراهة تنزيه.

---

(١) الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ). رواه البخاري.

(٢) وهذا الاستعمال الذي وردت به النصوص الشرعية، ولكنه اصطلاح ولا مشاحة فيه، فيحمل في كل موضع على المعنى المناسب له، ففي المتون الفقهية المذهبية يحمل على كراهة التنزيه، وفي النصوص الشرعية المراد به التحريم.

الصَّحِيحُ:

الصحيح لغةً: المستقيم، واصطلاحاً: في العبادات: ما أجزأ وأسقط القضاء، والمصنِّف عرَّفه بقوله: ما يتعلق به النفوذ ويُعتد به، مثال ذلك: الصلاة مؤداة مستكملة الشرائط والأركان والواجبات، والبيع المنعقد بشروطه، والنكاح ما استكمل الشرائط وانتفت الموانع، وعند المتكلمين فهو ما وافق أمر الشارع، فالصلاة على غير طهارةٍ عندهم صحيحة، والقول الأول هو المختار.

أما الأداء:

فهو: فعل الشيء بوقته، والقضاء: فعل الشيءِ بعد خروج وقته، وذلك كالصلاة بعد خروج وقتها، وقضاء رمضان للمعذور بعد خروجه، والإعادة: فعل الشيء مرةً أُخرى.

تعريف الأداء: فعل الشيء بوقته، والقضاء: فعل الشيء بعد خروج وقته، فالصلاة في وقتها أداء، وبعد خروج وقتها قضاء، فإن كان معذوراً لم يأثم، وإلاَّ أثم بأن أخر الصلاة بعد خروج وقتها، وعند بعض العلماء أن الصلاةَ إذا أخرت إلى خروج الوقت، إنها لا تقع لا أداء ولا قضاء، والله أعلم.

الفَاسِدُ:

الفاسد لغةً: المختل، واصطلاحاً: ما ليس بصحيحٍ ومثله الباطل، وعند أبي حنيفةُ: ما شرع بأصله ومنع بوصفه، كالبيع المنهي عنه بعد النداء الثاني يوم الجمعة، وعند الجمهور أن البيع المنهي عنه لوصفه باطل، ومثله عقد النكاح كنكاح الشغار فهو فاسد، وعبرَّ عنه المصنف بقوله: ما لا يتعلق به النفوذ، ولا يعتد به، وهو ما لم يشرع بسبب وصفه، كصيام الأيام المنهي عنها.

العزيمة والرُّخصَة:

العزيمة في اللسان[1]: القصد المؤكد.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾[2]، وقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾[3].

فالمعنى: «**ولم نجد له عزما**» أي: قصداً بليغاً، وسُمِّي بعض الرسل «أولو العزم»: لتأكيد قصدهم في طلب الحق.

أما «**الرُّخصَة**» فهي: السهولة واليسر، ومنه رخَّص السعر إذا تراجع وسهَّل الشراء.

فأما في عُرف حملة الشرع، فالعزيمة: الحكم الثابت من غير مخالفة دليلٍ شرعيٍّ، فيدخل فيه الواجب والمندوب، وتحريم الحرام وكراهة المكروه، فالعزيمة واقعة في جميع هذه الأحكام، ولهذا قال الحنابلة في سجدة (ص): هل هي من عزائم السجود أو لا مع أن سجدات القرآن كلها عندهم ندب.

وقوله: (**من غير مخالفة دليل شرعي**)، احتراز من مخالفة الدليل العقلي، فإن ذلك لا تُستعمل فيه الرخصة والعزيمة.

---

(١) قوله في اللسان: أي اللغة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾ [إبراهيم، الآية: ٤]، معنى: (بلسان قومه) أي: لغتهم.

(٢) (سورة طه من الآية: ١١٥).

(٣) (سورة آل عمران من الآية: ١٥٩).

فالرخصة إذاً استباحة المحظور، مع قيام الحاظر، كأكل الميتة عند الضرورة لما يسد رمقه، مع أن الله حرمها. لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾[١]، والذي أباح قوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢]، إلاَّ أن بعضهم اعترض: بأن التحريم سبب عام، والإباحة لسببٍ خاص.

قوله: (والفقه أخصُّ من العلم، والعلم معرفة الشيء على ما هو به في الواقع).

الفقه: هو الفهم، فقه الرجل فهم، ومنه: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[٣] وهو ضرب من العلم، وهو معرفة الأحكام الشرعية الفرعية، التي طريقها الاجتهاد وتقدم.

وأما العلم فإنه أعم من الفقه، يقال: رجل عالم، أي: حاصل على قسطٍ كبيرٍ من أنواع العلم، من معرفة آيات الأحكام وأحاديثها، واللغة وما يلزم لذلك من الآلة كمعرفة الرجال، وأصول التفسير والحديث، وغير ذلك.

وأما المصَّنف فعرفه بقوله، هو: معرفة الشيء على ما هو به في الواقع، كمعرفة أن الإنسان حيوان ناطق، وأن العالم حادث، وهو ما سوى الله.

وعُرِّف بأنه: صفة يميّز المتصف بها تمييزاً جازماً مطابقاً، كما قال المصنف هو: معرفة الشيء على ما هو به في الواقع.

وقوله: **(جازماً)** يخرج الجهل البسيط، **(ومطابقاً)** يخرج الجهل المركب، وهو: تصور الشيء على خلاف حقيقته.

---

(١) (سورة المائدة: من الآية٣).

(٢) (سورة المائدة: من الآية٣).

(٣) (سورة الأنبياء: من الآية: ٧٩).

فلا يدخل في ذلك إدراك الحواس، ولا ما كان فطرياً، لأنه لا بد له من النظر والاستدلال، ولا ما كان ضرورياً، وهو ما لا يقع عن نظرٍ واستدلالٍ.

أما الإدراك بإحدى الحواس:

وهو: أولاً: السمع:

وهو الإدراك بهذا الصوت، وهي قوة من مقعر[1] الصماخ، فيدرك بهذا الصوت الأشياء المسموعة بسبب هذا الهواء.

٢- البصر:

فالإنسان إذا وقع نظره على شيءٍ أدرك به الأشياء والأشكال وغير ذلك.

٣- الشمُّ:

وهو ما يدرك به الروائح، فبمجرد استنشاق الهواء تدرك الروائح الطيبة والخبيثة.

٤- قوة الذوق:

فإذا خالط الطعام اللعاب ووصل إلى العصب، ميّز بين الحلاوة والمرارة وغيرها.

٥- اللمس:

وهو قوة منبثقة في جميع البدن، إذا لمس أدرك الرطوبة واليباسة والخشونة وغيرها، وأما الحواس الباطنة فلا تدخل في هذا التعريف، لأنه خلاف ما عليه السلف.

وأما التواتر فالعلم به كالعلم بالنبي ﷺ وظهور المعجزات على يديه، فهذا من العلم الضروري، ومن هذا القبيل، أي: من العلم الضروري بأن الكل أعظم من البعض أو الجزء، وأن الضدين لا يجتمعان كالضياء والظلمة.

أما الفطري: كالعلم بوجود الله وأنه خالق هذا الكون، فهذا شيء فطر الله الخلق

---

(١) مقعر، أي: مؤخره.

على معرفته، فإن هذا لا يقع عن نظرٍ واستدلال، بخلاف العلم المكتسب، لأن العلم المكتسب لا بد له من النظر والاستدلال فيخرج الجهل المركب: وهو أن يظن أنه يعلم وهو لا يدرى، وسُمِّي مركباً لأنه تركب من جهلين: جهل بالمدارك، وجهل بأنه جهل.

ولذا قال بعضهم(١):

إِذا كُنتَ لا تَدري وَلَم تَكُ كَالَّذي ... يُشاوِرُ مَن يَدري فَكَيفَ إِذاً تَدري
جَهِلتَ فَلَم تَدرِ بِأَنَّكَ جاهِلٌ ... وَأَنَّكَ لا تَدري بِأَنَّكَ لا تَدري(٢)

فهو كما يقال: لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فهذا من أقبح الجهل، بخلاف من لا يدري، ويدري أنه لا يدري، فيقلد ويسأل العلماء ويكون في راحةٍ من عناء ادعاء العلم.

قال بعضهم(٣):

قال حمارُ الحكيمِ توْما ... لو أنصفَ الدهرُ كنتُ أرْكَبْ
لأنني جاهلٌ بسيطٌ ... وصاحبي جاهلٌ مُرَكَّبْ

أما ما يقصد البحث فيه، فهو: ما يقع عن نظرٍ واستدلالٍ، كالنظر في هذا العالم، وما نشاهده من التغير، فنستدل به على حدوثه، ولا بد له من المحدث وهو الله الذي خلقه فأوجده من عدمٍ، فالله خالقُ كل شيءٍ.

---

(١) الشاعر: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن. من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض.

(٢) هذه القصيدة من العصر العباسي، من بحر الطويل، وعدد أبياتها (٤).

(٣) قائل هذا النص: رجلاً يُسْمَّى توما، يزعم أنه حكيمٌ، يَتَعَاطَى الحكمةَ، لكنه يُفْتِي بغيرِ علمٍ، ومن جملةِ ما يُفْتِي بِهِ يَقُولُ: تَصَدَّقُوا ببناتِكُم على مَن لم يَتَزَوَّجْ. يَظُنُّ أَنَّ هذا خيرٌ، وكان له حمَارٌ قيل فيه: قال حمارُ الحكيمِ توْما ... لو أنصفَ الدهرُ كنتُ أرْكَبْ.... الخ ما قال.

وقوله: والنظر هو الفكر في حال المنظور فيه، والاستدلال طلب الدليل:

المعنى: إنك تنظر في حال المنظور، وتطلب الدليل لما فكرت، ليؤدي المطلوب من علمٍ أو ظنٍّ أو شكٍّ، لأنك تُفكر، يعني: تجهد فكرك وتشحذه.

أما الدليل الذي هو المرشد، فمعناه: مصدر دلَّ وهو: ما يلزم من فهم شيءٍ فهم آخر، والدلالة: إما وضعية: كدلالة السبب على المسبب، والمشروط على وجود الشرط.

وإما عقلية: كدلالة الأثر على المؤثر، كما في قول الأعرابي: أليس الأثر يدل على المسير.

وإما لفظية: كما يدل الأنين على المرض والسعال على وجع الصدر، وهذه الطبيعية اللفظية والعقلية، كدلالة الصوت على حياة صاحبه، واللفظية إذا أطلقت فُهِم ما وضعت له.

وقول المصنِّف رحمه الله: (والدليل هو: المرشد إلى المطلوب).

المعنى أنه يدل عليه، وعلامة له، فهو: ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوبٍ جزئي، ويطلق الدليل على ما به الإرشاد.

وبعض الشراح قال: إن الدليل له معنيان: الناصب لما يرشد به، والذاكر له؛ لأن الدليل علامة عليه، إذ ما هو علامة على المطلوب هو ما به الإرشاد، وخلاصة ذلك هو: ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه، إلى مطلوب شرعي.

قول المصنف: (والظنُّ تجويز أمرين أحدهما أظهر من الآخر).

والمعنى: أن الناظر في شيءٍ ما من وجود شخص أو عدمه، أو أن هذا البلد الفلاني ظناً أنه هو، ولم يقطع به فيتحمل أنه هو وإنه غيره، فهذا سُمِّي ظناً، ولم يصل إلى حد العلم، بل مثلاً: رأى شخصاً فظنّه البلد ولم يتحقق، فهذا وأمثاله يسمي ظنّا، وليس من باب العلم، لأنه رجّح أنه زيد أو أنه البلد.

وهذا التعريف باللازم؛ إذ الظن هو الإدراك الراجح لأحد أمرين: اللزوم وإسقاط الوهم، وهو الإدراك القابل للظنَ.

والشك: تجويز أمرين لا مزيَّة لأحدهما على الآخر.

ومعنى ذلك: هو استواء أمرين على السواء، فمثلاً: يستوي عنده هل زيد في البلد أو خرج؟ لاحتمال ذلك، فهما على حدٍ سواء، ولم يترجّح أحدهما؟ أو أن هذا زيد وغير زيد، هما طرفا الممكن.

أما الوهم فهو: الإدراك المقابل للظنِّ، فالتردد في قيام زيدٍ وعدم القيام مثلاً على السواء عند التردد شك، والتردد فيهما مع رجحان الثبوت للقيام أو مع رجحان الانتفاء له عند المتردد فيهما ظن، أي لازم وإلاَّ فالظن إنما هو: اللزوم الذي هو الإدراك الراجح، والوهم: مقابله وهو الإدراك المرجوح.

قول المصنف: (وأصول الفقه طرقه على سبيل الإجمال).

المعنى: إن ما وضعت له هذه الورقات هي في أصول الفقه، وهي أسسه التي ينبني عليها الفقه، وتقدّم بيان ذلك، وأصول الفقه طرق الفقه الإجمالية. وهي الأصول الكُليَّة مثل الأمر، أي: مطلق الأمر والنهي، ومثل: فعل النبي ﷺ والإجماع، والقياس،

والاستصحاب، من حيث البحث أن أولها للوجوب والثاني أنه للحرمة، والباقي بأنها حجج، والعام والخاص، بخلاف طرق الفقه بأن كل مسألةٍ تدل على نفسها.

فإن هذه المطلقات عن التقيّد بمأمور به، معين ومنهي عنه معين.

وإما حجج، أي: يصح الاحتجاج بها، والاستدلال بكل منها، فشرط مؤول بحذف المضُاف. أي: كقاعدة مطلق الأمر وقاعدة النهي، فيتبيّن في قاعدة الأمر أنها للوجوب، وقاعدة النهي: أنها للتحريم، وكذا إقرار صاحب الشريعة على القول أو الفعل، وكالعام والخاص.

قال المصنف: (وأبواب أصول الفقه أقسام).

الباب: المدخل إلى الشيء، وهو ما يتوصل به من خارجٍ إلى داخل والعكس، ثم استعمل العلماء التبويب تنشيطاً للقارئ، أصله بَوَبَ انقلبت الواو ألفاً، فأصبح يقال له: باب، والجمع أبواب.

قال المصنف: أقسام الكلام: الأمر والنهي والعام والخاص والمجمل والمبيّن والظاهر والمؤول، والأفعال والناسخ والمنسوخ، والتعارض والإجماع والأخبار والقياس، والحظر والإباحة وترتيب الأدلة، وصفة المفتي والمستفتي وأحكام المجتهدين.

الكلام:

عرَّفه النحاة بأنه: اللفظ المركب المفيد بالوضع، وأقل ما يتركب منه الكلام اسمان، نحو: زيد قائم، أو اسم وفعل، نحو: قام زيد، أو فعل وحرف نحو: قلت، أو اسم وحرف، نحو: يا زيد.

والكلام ما تضمن كلمتين بالإسناد، وهو نسبة أحد الجزأين إلى الآخر لإفادة المُخاطَب، وشرطه الإفادة، ولا يأتلف إلا من اسمين كما تقدم.

وأما الصوت فهو: عرض مسموع، واللفظ: صوت معتمد على مخرج من مخارج الحروف، والكلمة: لفظ وُضِعَ لمعنى، والأجود لفظُ استُعمل، وجمعها: كَلِمٌ مفيداً أو غير مفيد، وهل يسمى كلاماً قام أو لم يقم، لعدم ظهور الضمير عند المصنف، وجمعٌ أنه لا يعد، أما الجمهور فيعدّونه كلاماً وحرف النداء نائب عنه، كما ناب نحو: (نعم) عنه في جواب هل قام زيد مثلاً، وعلى الأول فهل حذف حرف النداء، نحو: يا زيد كذكره؟ حتى يكون الكلام مجموع الحرف المحذوف، والاسم المذكور، وتعبيره بأقل ما يأتلف منه، إنه قد يتألف من أكثر.

وما تقدم لا ينافي ما يأتي:

قوله: الأمر: استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه على سبيل الوجوب. والمراد: أن الأمر إذا كان من الأعلى إلى الأدنى، كأوامر الله وأوامر رسوله ﷺ فتحمل على الوجوب، وإن كان من المساوي فهو التماس، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى فهو دعاء، وإذا أطلق الأمر وتجرد عن القرينة فهو للوجوب، إلا إذا دلَّ دليل على أن المراد غير ذلك، والأمر يقتضي الفورية إذا كان الوقت لا يتسع لأكثر من الفعل، كالصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس أو الصلاة في آخر وقتها.

والفعل المأمور به لا يقتضي التكرار، فإذا وجب العتق عليه، فأعتق رقبة خرج من العهدة، إلاَّ إذا دلَّ دليل على وجوب التكرار، كالصلوات الخمس والجمعة وما شابه ذلك، والأمر بإيجاد الشيءِ أمر به، وأمر بما لا يتم الواجب إلاّ به، فالأمر بالصلاة أمر بالطهارة، لأنها لا تتم الصلاة إلاّ بها، والأمر بالوضوء أمر بالإسباغ، والأمر بغسل

الوجه مثلاً، فلا بد من استكماله والشروع في أدنى الرأس، فهذا معنى ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب.

وإذا فعل المأمور بالفعل ما أمر به خرج من العُهدة، لكن يشترط أن يكون على الوجه المأمور به، مثاله: أداء الصلاة مستوفاة الشرائط والأركان والواجبات، فإنه يخرج من العُهدة، وكذا إذا لزمه العتق فأعتق رقبةً مؤمنةً بريء من العُهدة، وعبَّر بعضهم بأنه يحكم بالإجزاء.

الرُّخصَة:

لغةً: السهولة، وشرعاً: ما ثبت على خلاف دليل شرعيٍّ لمعارض راجح، وقيل: استباحة المحظور مع قيام السبب الحاظر، فما لم يخالف دليلاً كاستباحة المباحات وسقوط صوم شوال لا يسمى رخصةً، وما خُفِّف عنَّا من التغليظ على الأمم قبلنا بالنسبة إلينا رخصةٌ مجازاً، وما خُصَّ به العام إن اختص بمعنى لا يوجد في بقية صوره، كالأب المخصوص بالرجوع في الهِبةِ فليس برخصة، وإلاّ كان رخصةً، كالعرايا المخصوصة من بيع المزابنة، وإباحة التيمم رخصةً إن كان مع القدرة على استعمال الماء لمرضٍ أو زيادة ثمن وإلا فلا، لعدم قيام السبب.

والرخصة قد تجبُ كأكلِ الميتة عند الضرورة، وقد لا تجب ككلمة الكفر عند الإكراه، ويجوز أن يقال: التيمم، وأكل الميتة كل منهما رخصة عزيمة باعتبار الجهتين.

النهي:

تعريفه: هو استدعاء الترك بالقول على وجه الاستعلاء، وصيغته لا تفعل، كقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾[١]، وهو مقابل للأمر في كل ما له، وصيغته لا

(١) (سورة النساء: من الآية: ٤٣).

تفعل، وترد لتحريمٍ وكراهةٍ، وتخصيصٍ، وبيان العاقبة، ودعاء، ويأسٍ، وإرشادٍ، وأدب، وتهديد، وإباحة الترك، والتماسٍ وتصبرٍ، وإيقاع أمن، وتسوية، وتحذير، فإن تجردت، فللتحريم، ومطلقةً عن شيءٍ لعينه أو وصفه يقتضي فساده مشروعاً، أو كذا لمعنى في غيره، كبيع بعد نداء جمعة، لا عن غيره لحق آدمي، كتلق، ونجش، وسوم، وخطبة، وتدليس، والنهي يقتضي الفورية للترك، والدوام على تركه، ويكون عن واحدٍ، ويكون عن متعددٍ جمعاً وفرقاً وجميعاً.

أما النهي إذا كان مُطلقاً من الشارع، فيدل على فساد المنهي عنه في العبادات، كالنهي عنها لعينها، كالنهي عن صلاة الحائض، أو لأمرٍ لازم لها كصوم يوم النحر، والصلاة في الأوقات المكروهة، وفي المعاملات أن يرجع إلى نفس العقد، كما في بيع الحصاة، أو لأمرٍ داخل فيها، كما في بيع الملاقيح، أو لأمرٍ خارج عنه لازم له، كما في بيع درهمٍ بدرهمين، فإن كان غير لازمٍ له كالوضوءِ بالماءِ المغصوب مثلاً وكالبيع وقت نداءِ الجمعة، لم يدل على الفساد؛ خلافاً لما يفهمه كلام المصنف.

وترد صفة صيغة أفعل لمعان، فتحمل على ما يأتي: أما الإباحة كإطلاقٍ من محظورٍ، كما في قوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾[1]، وقد يراد به التهديد ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾[2]، أو التسوية كقوله: ﴿فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟﴾[3]، وقد يراد بها التكوين: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً﴾[4]، وقد ترد ويراد بها الامتنان، كقوله: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾[5]، وترد للإكرام

(١) (سورة المائدة: من الآية ٢).

(٢) (سورة فصلت: من الآية ٤٠).

(٣) (سورة الطور: من الآية ١٦).

(٤) (سورة البقرة: من الآية ٦٥).

(٥) (سورة الأنعام: من الآية ١٤٢).

﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

أو الإرشاد نحو قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ﴾[2]، وترد ويراد بها التمني، كقول امرئ القيس[3]: أَلا أَيُّها اللَيلُ الطَويلُ أَلا اِنجَلي[4].

وترد للإخبار: ﴿أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٨٠﴾﴾[5]، أو الخبر كحديث: **(إذا لم تستح فاصنع ما شئت)**[6]، والتعجب: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾[7]، أو التفويض:

---

(١) (سورة الحجر: ٤٦).

(٢) (سورة البقرة: من الآية ٢٨٢).

(٣) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، ولد عام ١٣٠ ق. هـ، ويعتبر أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يماني الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل: حندج. وقيل: مليكة. وقيل: عدي. وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته. فأبعده إلى (دمون) بحضرموت، موطن آبائه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. فأقام زهاء خمس سنين، ثم جعل يتنقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فبلغ ذلك امرؤ القيس وهو جالس للشراب، فقال: رحم الله أبي! ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً، لأصحو اليوم ولا سكر غداً! اليوم خمر وغداً أمر! ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعراً كثيراً، وتوفي عام ٨٠ ق. هـ، وهو من شعراء العصر الجاهلي، له ٣٥ قصيدة.

(٤) هذه القصيدة بعنوان: (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) من العصر الجاهلي، من بحر الطويل، وعدد أبياتها (٧٧).

(٥) (سورة يونس: من الآية:٨٠).

(٦) رواه البخاري (٦١٢٠) عن أبي مسعود رضي الله عنه.

(٧) (سورة الإسراء: من الآية٤٨).

﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾[(١)]، أو المشورة: ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾[(٢)]، أو الاعتبار: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾[(٣)].

الذي يدخلُ في الأمرِ والذي لا يدخلُ:

يدخلُ في أمرِ الله المؤمنون، فإذا جاء الأمر بالعبادات، فإنه يدخل الرجال والنساء والمماليك العقلاء، إلاَّ إذا جاء مخصِّص أن هذا المأمور به خاص بالرجال أو بالنساء، أو ما ورد من التخفيف عن المماليك، ومثله: سقوط الصلاة عن الحائض، وتقدم في التكليف.

أما الذي لا يدخلُ فالصبي والمجنون والنائم، وإذا أفاق المجنون وبلغ الصبي واستيقظ النائم، فإنهم داخلون، وأما وجوب الزكاة في مال الصبيِّ فمن باب ربط الأحكام بأسبابها، وإن كان هو غيرَ مكلفٍ والمخاطب وليه.

والأمر بالشيءِ أمر به وما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب، فالأمر بالصلاةِ أمر بالوضوء، لأن الصلاة لا تصح إلاَّ بالوضوء.

تكليف الجن:

الجن كالإنس مأمورون منهيون، وعمَّتهم رسالة محمد ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في إيضاح الدلالة في عموم الرسالة: فصل: يجب على الإنسان أن يعلم أن الله ﷻ أرسل محمداً ﷺ إلى جميع الثقلين الإنس والجن، وأوجب عليهم الإيمان به، وبما جاء به

---

(١) (سورة طه: من الآية: ٧٢).
(٢) (سورة الصافات: من الآية: ١٠٢).
(٣) (سورة الأنعام: من الآية: ٩٩).

وطاعته، وأن يحلوا ما حلَّ الله ورسوله، ويحرموا ما حرَّم الله ورسوله، وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله ويحبوا ما أحبه الله ورسوله ويكرهوا ما كره الله ورسوله، وإن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمدٍ ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله -تعالى- كما يستحقه أمثاله من الكافرين، الذين بعث إليهم الرسول، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين، وسائر طوائف المسلمين، أهل السنة والجماعة وغيرهم -رضي الله عنهم أجمعين- لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمداً إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فهم مقرُّون بهم كإقرار المسلمين، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك، كما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك كالجهمية والمعتزلة، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك، وهذا لأنَّ وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء، تواتراً معلوماً بالضرورة، ومعلوم بالضرورة أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة، بل مأمورون منهيون ليسوا صفات وأعراضاً قائمة بالإنسان أو غيره، كما يزعمه بعض الملاحدة، فلما كان أمر الجن متواتراً عن الأنبياء تواتراً تعرفه العامة والخاصة، فلا يمكن لطائفة من المنتسبين إلى الرسل الكرام أن تنكرهم ا. هـ من كلام الشيخ(١).

هل النبي ﷺ داخل في الأوامر والنواهي؟

النبي ﷺ داخل فيما أُمر به ونهي، وقد يوجه الخطاب للنبي ﷺ فالأمة أسوته، لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(٢).

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ١٩).

(٢) (سورة الأحزاب: من الآية: ٢١).

فهو داخل في عموم الأوامر والنواهي، إلاَّ إن دلَّ دليل على اختصاصه بعملٍ دون الأمة، كما قيل: إن قيام الليل واجب عليه دون الأمة قبل نسخه على القول بأنه منسوخ[١]، وكجواز تزوجه بأكثرَ من أربعِ نسوةٍ. كما أن بعض الصحابة قد خُصَّ ببعض الأحكام، كما أجزأت الأُضحية بالعناق في حق أبي بردة بن نيار، حيث قال له النبي ﷺ: (**اذبحها ولن تجزئ عن أحد بعدك**)[٢].

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا ورد في القرآن والسنة، أما القرآن كما في قصة خولة مع زوجها لمَّا ظاهر منها.

فانزل الله في حقها: ﴿**قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا**﴾[٣]، الآيات في كفَّارة الظهار، فكانت في حقها نزلت، لكن الحكم يشمل جميع الأمة.

والحجة في لفظ الشارع لا سببه، وأكثر أحكام الشرع العامة وردت لأسبابٍ خاصة، وقد خالف المالكية وبعض الشافعية، قالوا: لولا اختصاص الحكم بالسبب لجاز إخراجه بالتخصيص، ولما نقله الرواة لعدم فائدته، ولمَّا أخر الحكم إلى وقوعه، ولأنه جواب سؤالٍ فتجب مطابقته له.

---

(١) المراد نسخ وجوبه لا مشروعيته، كما في سورة المزمل.
(٢) رواه مسلم (الأضاحي) باب (وقتها): عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ خَالَهُ أَبَا بُرْدَةَ بْنَ نِيَارٍ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يَذْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ هَذَا يَوْمٌ اللَّحْمُ فِيهِ مَكْرُوهٌ وَإِنِّي عَجَّلْتُ نَسِيكَتِي لأُطْعِمَ أَهْلِي وَجِيرَانِي وَأَهْلَ دَارِى. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَعِدْ نُسُكًا». فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ عِنْدِي عَنَاقَ لَبَنٍ هِيَ خَيْرٌ مِنْ شَاتَيْ لَحْمٍ. فَقَالَ: «هِي خَيْرُ نَسِيكَتَيْكَ وَلاَ تَجْزِى جَذَعَةٌ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ».
(٣) (سورة المجادلة: من الآية:١).

قال القائلون بالعموم:

السبب أخصُّ بالحكم، ومعرفة تأخره بمعرفة تأريخه، وتوسعة علم الشريعة، والتأسي بوقائع السلف، وتأثير نقله شبهة في وقوع مثل هذا الخلاف، وهو رحمة واسعة وتخفيف، إلى غير ذلك.

وتأخير بيان الحكم إلى وقوع سببه من متعلقات العلم الأزلي، فلا يُعلَّلُ كتخصيص وقت إيجاد العالم به، وإلاّ انتقض بالأحكام الابتدائية الخالية عن أسباب، لمَّا اختصت بوقت دون ما قبله وبعده، ولا يبعد أن يقصد الشارع الزيادة عن محل السبب، كما في جواب البحر وغير ذلك.

الكفار مخاطبون بفروع الشريعة:

قال المصنف: والكفار مخاطبون بفروع الشريعة وما لا تصح إلاَّ به وهو الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣)﴾(١).

اختلف العلماء في ذلك على ما يأتي:

١- إنهم مخاطبون، كما ذكره المصنِّف بدليل الشرع والعقل، أما دليل الشرع فالآية المتقدمة: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣)﴾(٢)، وأما دليل العقل، فلا يمنع أن تأمر عبدك بأشياء توجبها عليه وتقدم بعضها على بعض، وهذا القول هو الصحيح.

٢- إنهم غير مخاطبين بفروع الشريعة مطلقاً، لأنها لا تصح منهم في حال الكفر،

(١) (سورة المدثر الآيات رقم: ٤٢، ٤٣).

(٢) (سورة المدثر الآيات رقم: ٤٢، ٤٣).

إذ لا بد من سبق الإيمان، ولا يجب القضاء، فلا فائدة في تكليفهم، والجواب عن هذا القول ما تقدم.

٣- إنهم مخاطبون في النواهي دون الأوامر، وقالوا: لا معنى لكون تقدم الإسلام شرط، وفائدة تكليفهم إنه يترتب عليها زيادة عذاب، كمن لا يصلي، أو لا يزكي، وإن كانوا داخلين في النار بالكفر، لكن يزاد في عذابهم على تركهم مثل: الصلاة والزكاة، والصوم وسائر أركان الإسلام، كما يعاقب على الجرائم الأخرى، حيث حرم الله الزنا والخمر، وما إلى ذلك.

الأمر بالشيء هل يفيد النهي عن ضده؟

قال المصنف الأمر بالشيء نهي عن ضده، ا. هـ.

تقدم بعض صِيغُ الأمر، وقد قال بعض العلماء: إن الأمر لا بد وأن يكون بصيغة النُطق من الأعلى إلى الأدنى، وعلى هذا قالوا: إذا كان من الأعلى إلى الأدنى فهو أمر، إذا كان بصيغة إفعل، ومن المساوي التماس ومن الأدنى إلى الأعلى فهو دعاء، كقولك: «رب اغفر لي وارحمني، وارزقني وعافني وأعف عني».

ثم يقولُ المصنِّف: الأمر بالشيءٍ نهي عن ضده، فإذا قال: أُسكن يكون ناهياً عن الحركة، وهذا بالنسبة للمعنى، وأما من قبل اللفظ فمعلوم أن قولك: قم غير لا تقعد، وهذا اختيار المصنف وطائفة من أهل العلم وهو الصحيح[1].

وذهبت المعتزلة: إلى أن النهي عن الشيء، لا يفيد النهي عن الضد، وتظهر فائدة الخلاف فيما لو قال لزوجته: لو خالفت نهيي فأنت طالق، ثم قال لها: قومي فلم تقم، فعلى الأولى تطلق، وعلى قول المعتزلة: لا تطلق لأنها لم تخالف النهي وإنما خالفت الأمر.

---

(١) أي: إن الأمر بالشيء نهي عن ضده من حيث المعنى لا اللفظ، أو يقال: من حيث اللزوم.

العام والخاص:

تعريف العموم: قال بعضهم هو في اللغة: شمول أمرٍ لمتعددٍ، سواءٌ كان الأمر بلفظٍ أو غيره.

وفي الاصطلاح هو: اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له، بحسب وضع واحد دفعة، وهذا أحسن الحدود، كقوله: «الرجال» ولا تدخل عليه النكرات كقولهم: «رجل»، لأنه يصلح لكل واحدٍ من رجال الدنيا، ولا يستغرقهم، ولا التثنية، ولا الجمع، لأن لفظ «رجلان» و«رجال» يصلح لكل اثنين وثلاثة، ولا يفيدان الاستغراق ولا ألفاظ العدد، كقولنا: «خمسة» لأنه يصلح لكل خمسةٍ ولا يستغرقه.

وعرَّفه المصنف بقوله: **(ما عمَّ شيئين فصاعداً، وعُرِّف بأنه اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له).**

والمراد: أنه لا ينحصر بفئة ولا طائفةٍ، فأصله الاستيعابُ والشمولُ، كقولك: عمَّمت جميع الناس بالعطاء، عمَّمت زيداً وعمرا بالعطاء، وعمَّمت جميع الناس بالعطاء، أي: شملهم من غير حصر، فخرج أسماء العدد، لأنها تتناول شيئين فصاعدا.

ألفاظه الموضوعة له: قال المصنف:

١-الاسْمُ الْوَاحِدُ المُعَرَّفُ بِالأَلِفِ وَاللاَّمِ، فليست للعهد ولا للحقيقة، نَحْوُ: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[1].

٢- وَاسْمُ الجَمْعِ المُعَرَّفُ بِاللاَّمِ نحو: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

---

(١) (سورة العصر الآية:٢، ٣).

(٢) (سورة التوبة الآية:٥).

٣- وَالأَسْمَاءُ المُبْهَمَةُ: (كَمَنْ) فِيمَنْ يَعْقِلُ كَـ: (**مَنْ دَخَلَ دَارِي فَهُوَ آمِنٌ**)[١].

٤- و(ما): فيما لا يعقل، نحو: «وما جاءَنِي مِنْكَ أَخَذْتُه».

٥- و(أمَّا) أيٌّ: فإنَّها تُستعمَلُ في العاقِلينَ وغيرِهم، تقولُ: أيُّ عَبِيدِي جاءَكَ فهوَ حُرٌّ، وتقولُ: «**أيَّ الأشياءِ أردْتَ أَعطَيْتُكَ**».

٦- و(أينَ) مِنْ أسماءِ المكانِ، وهيَ تُفيدُ العمومَ، تقولُ: « أينَ كانَ زيدٌ كُنْتُ معهُ».

٧- و(متى) مِنْ أسماءِ الزمانِ، وهيَ عامَّةٌ فيهِ أيضًا، تقولُ: «متى شِئْتَ جِئْتُكَ».

٨- و(ما) عامَّةٌ في الاستفهامِ، تقولُ: «ما عِنْدَكَ»؟ فيُفيدُ العُمومَ في المستفْهَمِ عنهُ.

٩- و(ما) في الجزاء تُفيدُ العمومَ، في قولِكَ: «ما تَصنعْ أَصْنَعْ»، وهذا هوَ صوابُ العبارةِ في الكتابِ، وفي أكثرِ النُّسَخِ: (والخبرِ) وكأنَّهُ تَصحيفٌ مِن الجَزَاءِ، وقدْ حُمِلَ على صورةٍ، وهيَ ما إذا قالَ شخصٌ لآخَرَ: ما صَنَعْتَ؟ فقالَ المُخَاطَبُ: ما صَنَعْتُ.

فـ(ما) الأُولَى عامَّةٌ في الاستفهامِ.

و(ما) الثانيَةُ عامَّةٌ في الإخبارِ عما صَنَعَ بلفظٍ مُجْمَلٍ لا يُفيدُ السائلَ الإخبارَ عنْ خصوصِ ما صَنَع؛ فقدْ وَقَعَتْ (ما) عامَّةً في الخبر. وغيرُ الاستفهام والجزاءِ: النفيُ، يقولُ: ما جاءَني مِنْ أحدٍ، فيكونُ (ما) عامَّةً في النفي.

و(ما) النافيَةُ والاستفهاميَّةُ حرفٌ، والخبريَّةُ اسمٌ موصولٌ.

ولا في النَّكِراتِ، يَعْنِي: مِثْلُ قولِكَ: (لا رَجُلَ في الدارِ)، و(لا أَحَدَ في المسجِدِ)؛ فإنَّهُ يُفيدُ العمومَ في النفي، ولهذا يُرَدّ قولُ مَنْ قالَ: (لا رَجُلَ في الدارِ)، بأنْ يُقالَ لهُ:

(١) تاريخ الطبري - ٧٥٢، والحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(**بلْ فيها رَجلٌ أو رجلانِ أوْ رِجالٌ**)؛ فلولا أنَّ النفيَ الأوَّلَ أفادَ العمومَ والاستغراقَ، وإلاّ لَمَا ناقَضَهُ هذا الإثباتُ، وهذا إذا بُنِيَت النكِرةُ معَ لا، مِثلُ: (**لا رَجُل في الدارِ**)، فلوْ لمْ تُبْنَ معَ النَّكِرَةِ بأنْ قيلَ: (**لا رَجُلٌ في الدارِ**)، لم تُفِد العمومَ؛ ولهذا يَصِحُّ أن يُقالَ: (**لا رجلٌ في الدارِ بلْ رجالٌ**).

ماذا يخص به العموم على ما ذكره المصنف؟

«العموم من صفات النطق، ولا يجوز دعوى العموم في غيره من الفعل وما يجري مجراه» كالقضاء، والفعل كما في جمعه ﷺ بين الصلاتين في السفر، فهذا ليس مطلقاً، فإنه لا يعمُّ كل سفرٍ، طويلاً كان أو قصيراً، وإنما يقع في واحدٍ منهما وهو الطويل، وكما في قضائه ﷺ للشفعة في الجار، فإنه لا يعم كل جارٍ، بل حمل أنه شريك للبائع كما حمل هذا على معنى قول المصنف: «وما يجرى مجراه»، فإن هذا عند بعض أهل العلم يجري مجرى الفعل، عند طائفةٍ من أهل العلم، وضعَّفه آخرون. وقالوا: إن العبرة بعمومِ اللفظِ، أي: الفعل المحكي لا الحاكي، وقال قوم: إن الذي يجري مجراه الفعل، كجمعه بين الصلاتين.

مبدأ اللغات:

يحسن هنا ذكر مبدأ اللَّغات لأجل العموم والخصوص، لأنه من ألفاظ العموم والخصوص، هذه كلها ألفاظ لغوية، فيحمل الكلام على ما جاء في اللَّغة.

مبدأ اللغات: توقيف من الله – تعالى– بإلهام أو وحي أو كلام، ويجوز تسمية الشيء بغيرِ توقيفِ ما لم يحرِّمه الله –تعالى– فيبقى لها اسمان، وأسماؤه تعالى توقيفية لا تثبت بقياس.

وأما طريق معرفة اللغة: النقل تواتراً، في ما لا يقبل تشكيكاً، وآحاداً في غيره، والمركب مثاله: الجمع المعرف بأل، وقيل: منه ومن الفعل وزيد والقرائن.

وجوَّز قومٌ القياس في اللغات، والأدلة النقلية قد تفيد اليقين، ولا يعارض القرآن غيره بحالٍ، وحدث ما قيل أمورٌ قطعية عقلية تخالف القرآن ولا مناسبة، أي: ولا شرط ولا يلزم وجود مناسبة ذاتية، بين لفظ ومدلوله، ويجب حمل اللفظ على حقيقته، وعمومه وإفراده واستقلاله وإطلاقه وتأصيله وتقديمه وتأسيسه وتباينه، دون مجازه وتخصيصه واشتراكه وإضماره وتقييده وزيادته وتأخيره وتوكيده وترادفه وعلى بقائه دون نسخه إلاَّ لدليلٍ راجح، ويحمل على عرف متكلم.

دليل القائلين بالتوقيف: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[1]، قيل: ألهمه وقيل: علَّمه من قبله، وقيل: إن مبدأ اللغات اصطلاحي، أي: وضع بالتواطئ فيما بين الناس، وقيل: مؤلَّف من القسمين، ولا سبيل إلى القطعِ، لإمكان ذلك ولا مجال للعقل فيها، والخطب في ذلك يسير.

الأسماء: حقيقية وهي اللفظ المستعمل في موضوعٍ أول. وعرفي ما خُصَّ عرفاً ببعض تسمياته الوضعية، كالدَّابة لذوات الأربع، أو أشيع في غير موضوعه كالغائط والعذرة.

والشرعيُّ: ما نقله الشرع فوضعه إزاء معنى شرعيٍّ، كالصلاة والصيام. والمجاز: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له بتعريفه، كاستعمال أسد في الرجل الشجاع.

---

(١) (سورة البقرة: من الآية: ٣١).

الخاص:

الخاص: قال المصنف: يقابل العام، فهو ما يدل على شيءٍ بعينه. والتخصيص: إخراج ما تناوله اللفظ، فجاء العموم في قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(١).

خُصَّ هذا العموم بإخراج المعاهدين، كما في قوله ﷺ: **(من قتل مُعاهداً لم يرح رائحة الجنة)**(٢).

وكما في قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾(٣)، فخص العموم في أول الآية بآخرها، وهي قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾(٤).

ثم قسَّم الخاص إلى متصلٍ، وهو: ما لا يستقل بنفسه بل يكون متعلقاً باللفظ الذي ذكر فيه العام، فمن ذلك الاستثناء، نحو: عندي له عشرة إلاَّ خمسة، ونحو: أكرم العلماءَ إلا العصاةَ.

والاستثناء: إخراج ما لولاه لدخل في الكلام، والتخصيص بالشرط نحو: أكرم بني تميم إن جاءوك، والتقييد بالصفة: أكرم بني تميم الفقهاءَ منهم.

---

(١) (سورة التوبة الآية من:٥).

(٢) رواه البخاري (٣١٦٦) باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) (سورة التوبة: من الآية: ٢٩).

(٤) (سورة التوبة: من الآية:٢٩).

الاستثناء:

حده: إنه قولٌ ذو صيغةٍ متصل، يدل على أن المذكور معه غيرُ مرادٍ بالقول الأول، ويفارق الاستثناء التخصيص بشيئين:

أحدهما: باتصاله.

الثاني: إنه يتطرق إلى النصِّ، كقوله: عشرة إلاّ ثلاثة، والتخصيص بخلافه.

ويفارق النسخ أيضاً بثلاثة: أن النسخ رافع لما تحت اللفظ، والاستثناء يمنع أن يدخل تحت اللفظ ما لولاه لدخل، والثاني: إن النسخ يرفع جميع حكم النص.

والاستثناء: إنَّما يجوز في البعض، ولا بدَّ من اتصاله بخلاف النصِّ.

ويشترط في الاستثناء: الأول: أن يكونَ الاستثناءُ من واحدٍ.

والثاني: أن يكون متصلاً بالنُطق، ولا يضر الزمن اليسير كالتنفس والسُعال، وأما الطويل فلا.

الثالث: أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، وقيل: يجوز الاستثناء من غيره، كقولك: له عشرة دنانير إلاّ ثوباً.

الرابع: أن لا يستغرق المستثنى المستثنى منه.

كما وأنه لا يجوز تقديم المستثنى على المستثنى منه، نحو: ما قام إلاَّ زيد أحد، وكما أنه يجوز الاستثناء من الجنس ومن غيره، فمن الجنس: عندي له عشرة إلاَّ ثلاثة، ومن غيره كعندي له عشرة دنانير إلاَّ ثوباً.

الشرط: هل يتقدمُ على المشروطِ؟ يجوز أن يتقدم الشرط عن المشروط، كقولك: إن جاء العلماء فأكرمهم.

التقييد بالصفة:

التقييد بالصفة كالرقبة جاءت مطلقةً في القرآن في مواضع وقُيِّدت في مواضع، فهذا تقييد بالصفةِ، فيحمل المطلق على المقيد، فإذا وجبت رقبة فلا بد من شرط الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾(١)، فهذه الآية قيّدت الرقبة بالإيمان.

والمطلقة: كما في آية كفَّارة اليمين: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ﴾(٢).

المخصصات:

أ- الخاص: هو ما يستقل بنفسه، دون العام من لفظٍ أو قرينةٍ.

والمُخصص المخرج، وعُرِّف بأنه: قصر العام على بعض أجزائه، وهو أقسام:

١- الحِس: كخروج الأرض من قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ﴾(٣).

فقد دلَّ العقلُ والشرع أن الأرض وأشياء كثيرة باقية، وإنما دمَّرت كل شيءٍ أراد الله تدميره منهم وأموالهم، لأنَّ الآيةَ دلَّت على بقاء أشياء من ممتلكاتهم ومساكنهم، فقال بعد ذلك: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ ۚ﴾(٤).

---

(١) (سورة النساء: من الآية:٩٢).

(٢) (سورة المائدة: من الآية: ٨٩).

(٣) (سورة الأحقاف: من الآية:٢٥).

(٤) (سورة الأحقاف: من الآية:٢٥).

٢- الفعل: وقد خُصَّ به قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ﴾(١)، فقد دلَّ الفعلُ والشرعُ أن الله لا يتناوله ذلك، وكذا صفاته وكلامه، ومنه القرآن.

٣- النص: ومنه تخصيص الكتاب بالكتاب: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ﴾(٢)، خصص بجواز نكاح الكتابيات بقوله: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾(٣).

ب- تخصيصُ الكتابِ بالسنَّة: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾(٤)، خُصِص بقوله: **(لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم)**(٥).

ج- تخصيص السنَّة بالكتاب: كتخصيص حديث الصحيحين: **(لا يقبل الله صلاةَ أحدكم حتى يتوضأ)**(٦)، وقوله تعالى: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ﴾(٧).

د- تخصيص السنَّة بالسنَّةِ: كحديث الصحيحين: **(فيما سقت السماء العُشر)**(٨)

---

(١) هذه الآية وردت في موضعين: الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾(سورة الرعد:١٦).
الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾(سورة الزمر:٦٢).

(٢) (سورة البقرة: من الآية:٢٢١).

(٣) (سورة المائدة: من الآية:٥).

(٤) (سورة النساء: من الآية:١١).

(٥) رواه البخاري (٦٧٦٤) ومسلم، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٦) رواه البخاري (٦٩٥٤) ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) سورة النساء: (٤٣).

(٨) رواه البخاري (١٤٨٣) عن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه.

بالحديث: (**ليس فيما دون خمسة أوسقٍ صدقه**)[١].

هـ- تخصيص المتواتر من كتابٍ أو سنةٍ بخبر الآحاد:

فيه أقوال العلماء: أحدها: لا يخصص عموم الكتاب والسنة بخبر الواحد، وقيل: بالتوقف، وأصحها جواز تخصيص المتواتر بالآحاد، وهذا دليل القائلين بالتوقف، ولأن خبر الواحد مظنون الأصل مقطوع المعنى، واللفظ العام من الكتاب مقطوع الأصل مظنون الشمول، فهما متقابلان، ولا دليل على الترجيح.

ولنا في تقديم الخاص مسلكان: أحدهما: أن الصحابة ذهبت إليه، فخصصوا قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾[٢]، برواية أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (**لا تنكح المرأةُ على عمتها ولا على خالتها**)[٣]، وخصصوا آية الميراث بقوله: (**لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافرُ المسلمَ**)[٤]، وخصصوا عموم الوصية بقوله: (**لا وصية لوارث**)[٥].

وعموم قوله: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾[٦] بقوله: (**حتى يذوق عسيلتك وتذوقي**

---

(١) رواه البخاري (١٤٤٧) ومسلم، باب ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) (سورة النساء: من الآية:٢٤).

(٣) رواه مسلم، باب تَحْرِيمِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا فِي النِّكَاحِ، ورواه البخاري (٥١١٠).

(٤) بداية المجتهد (١/ ١١٦٠)، والحديث في صحيح البخاري (٦/ ٢٤٨٤)، برقم (٦٣٨٣) عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وفي صحيح مسلم (٣/ ١٢٣٣)، برقم (١٦١٤).

(٥) الحديث: ولفظه كما في الترمذي عن عمرو بن خارجة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ خطب على ناقته، فسمعته يقول: «**إن الله أعطى كل ذي حق حقه، ولا وصية لوارث**». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٦) (سورة البقرة: من الآية٢٣٠).

عسيلته)[١] إلى نظائر كثيرة لا تحصى، مما يدل على أن الصحابة والتابعين كانوا يتسارعون إلى الحكم بالخاص على العام من غير اشتغال بطلب تاريخ ولا نظر في تقديم ولا تأخير.

الثاني: أن إرادة الخاص بالعام غالبة معتادة بل هي الأكثر، واحتمال النسخ كالنادر البعيد، وكذلك احتمال تكذيب الراوي فإنه عدل جازم في الرواية، وسكون النفس إلى العدل في الرواية فيما هو نص كسكوتها إلى عدلين في الشهادات، ولا يخفى أن احتمال صدق أبي بكر رضي الله عنه في روايته عن النبي ﷺ: **(نحن معاشر الأنبياء لا نورث)**[٢]، أرجح من احتمال أن تكون الآية سيقت لبيان حكم ميراث النبي ﷺ، فلذلك عمل به الصحابة، والعمل بالراجح متعين، فأما قول من قال بالتعارض والوقف فهو مطالبة بالدليل لا غير، وقد ذكرنا الدليل من وجهين، وبينا أن احتمال إرادة الخصوص أرجح من احتمال النسخ، فإن أكثر العمومات مخصصة وأكثر الأحكام مقررة غير منسوخة، وكون النبي ﷺ مبيناً لا يمنع من حصول البيان بغيره، فقد أخبر الله تعالى أنه أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[٣]، وقولهم: **(المبين تابع)** غير صحيح فإن الكتاب يبين بعضه بعضاً، والسنة يخصص بعضها بعضاً، وليس المخصص تابعاً للمخصوص، وقد بينا فيما تقدم جواز التخصيص بدليل سابق وبالإجماع، ويجوز تخصيص الآحاد بالتواتر وليس فرعاً له[٤].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) (سورة النحل: ٨٩).

(٤) المصدر: روضة الناظر وجنة المناظر، للمؤلف: عبد الله بن أحمد بن قدامة.

فائدة:

للعام طرفان ووسط: عام مطلق، وهو: ما لا أعمَّ منه كالمعلوم، وخاص مطلق وهو: ما لا أخص منه كزيدٍ، وما بينهما: فعام بالنسبة إلى ما تحته، خاصٌ بالنسبة إلى ما فوقه كالموجود.

تخصيص النطق بالقياس:

النطق هو قول الله وقول رسوله ﷺ، مثال العموم: قوله جلَّ وعلا: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾(١).

خص من ذلك الأمةَ بقوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾(٢)، فقيس العبدُ على الأَمةَ في ذلك.

ومثاله من السنة: قول الرسول ﷺ: **(لي الواجد ظلم؛ يحل عرضه وعقوبته)**(٣)، خص الوالد مع ولده بالقياس.

---

(١) (سورة النور: من الآية٢).

(٢) (سورة النساء: من الآية٢٥).

(٣) رواه النسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم، عن عمرو بن الشريد عن أبيه. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: صحيح، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن، وحسنه الألباني. انظر: حديث رقم: (٥٤٨٧) في صحيح الجامع. ورواه البخاري معلقاً بلفظ: ويذكر... وقال ابن حجر في فتح الباري: وَالْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ وَصَلَهُ أَحْمَد وَإِسْحَاق فِي مُسْنَدَيْهِمَا وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيثِ عَمْرو بْن الشرِيدِ بْن أَوْس الثَّقَفِيّ عَنْ أَبِيهِ بِلَفْظِهِ، وَإِسْنَاده حَسَن، وَذَكَرَ الطَّبَرَانِيّ أَنَّهُ لَا يُرْوَى إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ. قلت: أما كلمة: «ظلم» التي ذكرها الشيخ فهي زيادة في الحديث فلم أجدها؟ والله تعالى أعلم.

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾[1]، لأنه إذا كان التأفيف في حقهما لا يجوز، فالعقوبة أولى من التأفيف.

المُجمل:

تعريفه: قال المصنِّف: ما يفتقر إلى البيان، ومعنى ذلك أنه مأخوذ من الجَمْل، وهو: الاختلاط، وعُرِّف بمعنى آخر: أنه ما احتمل معنيين على السواء لا مزية لأحدهما على الآخر.

ومثاله: الأقراء. جاء في القرآن ذكر: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾[2] محتمل للأطهار والحيض في لغة العرب، وكل من أخذ بمعنى أورد عليه شواهد من لغة العرب، ومثله: كالعين، والجون، والشفق في الأسماء.

وقيل هو: ما لا يستقل بنفسه في المراد منه، حتى يأتي تفسيره. والأولى أن يقال: هو ما دلَّ دلالة لا يتيقن المراد بها، سواء كان عدم التيقن بوضع اللغة أو بعرف الشرع أو بالاستعمال.

البيان:

قال المصنف: هو إخراج الشيء من حيّز الإشكال إلى حيّز التجلي. ومعناه أنه: البين الواضح، وهو: ما دلَّ على المعنى من غير إبهامٍ. وعرَّفه صاحب الروضة: أنه إخراج الشيء من حيّز الإشكال إلى حيّز التجلي، ويكون توضيحه بالكلام أو الإشارة، كقولك: جاء زيد، فإن هذا لا إبهام فيه، ويحصل البيان بالقول والفعل كالكتابة،

(١) (الإسراء: من الآية: ٢٣).
(٢) (البقرة: من الآية: ٢٢٨).

ونحو: (**صلُّوا كما رأيتموني أصلي**)[١]، (**وخذوا عني مناسككم**)[٢]، وبالإقرار على الفعل، وكل مقيدٍ من الشرع بيان، وتأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع، ويجوز عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة، وهذا مذهب الحنابلة، والشافعية، وبعض الحنفية، ومنعه أبو بكر عبد العزيز، والتميمي، والظاهرية، والمعتزلة.

دليل المجيزين للتأخير إلى وقت الحاجة: قوله تعالى: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾[٣]، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾[٤] وثم للتراخي، وآخر بيان بقرة بني إسرائيل، وإن ابن نوح ليس من أهله.

وأخَّر: النبي ﷺ بيان ذوي القربى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٥]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ

(١) رواه البخاري (٦٠٠٨) عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رضي الله عنه.

(٢) بهذا اللفظ رواه النسائي في الكبرى والبيهقي في الكبرى، وقال الألباني في إرواء الغليل (١٠٧٤): أخرجه مسلم (٤/ ٧٩) وأبو نعيم في (المستخرج) (٢١/ ١٦٦/ ٢) وأبو داود (١٩٧٠) والنسائي (٢/ ٥٠) والترمذي (١/ ١٦٨) مختصراً وابن ماجه (٣٠٢٣) وأحمد (٣/ ٣٠١، ٣١٨، ٣٣٢ ٣٣٧، ٣٦٧، ٣٧٨) وأبو يعلى في (مسنده) (ق ١١٩/ ١) والبيهقي (٥/ ١٣٠) من طريق أبي الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: (**رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمرة وهو على بعيره، وهو يقول: يا أيها الناس! خذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد عامي هذا**). واللفظ للنسائي، ولفظ مسلم وغيره: (رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: لتأخذوا مناسككم) ولفظ ابن ماجه وكذا أحمد في رواية: (**لتأخذ أمتي مناسكها، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه**). وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح). (تنبيه) عزا الحديث الحافظ في (التلخيص) (٢١٨) للشيخين، وهو وهم، وإنما هو من أفراد مسلم عنه.

(٣) (سورة هود: من الآية:١).

(٤) (سورة القيامة:١٩).

(٥) (سورة البقرة:٤٣).

﴿ٱلْبَيْتِ﴾[١]، وتبيين جبريل ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٢] بفعله في اليومين، كل ذلك متأخر، ولأن النسخ بيان زمني وهو متأخر، فكذا هذا.

أما المانعون فقالوا: الخطاب بما لا يفهم عبث، وتجهيل في الحال كمخاطبة العربي بالعجمية، وعكسه، وإيجاب الصلاة بأبجد هوز.

فيقال: إن هذا القول يرده ورود المتشابه من القرآن يرد إلى العلماء، أو إلى الله ولا عبث عند بيان الحكم عند الحاجة، لأنَّ الله قد يجمل ثم يبين ويفصل، كما في قوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾[٣]، فتأخير البيان إلى وقت الحاجة لا عبث في باب البيان، ثم يلحق بذلك الأشياء الآتية:

فحوى اللفظ:

فحوى اللفظ: ما أفاده لا من صيغته، ويسمى إشارةً وإيماءً ولحناً وتتفاوت مراتبه، وهو على أضرب:

المقتضي: وهو المضمر الضروري لصدق المتكلم، نحو: لا عملَ إلاَّ بنيةٍ، أي: صحيح، أو لوجود الحكم شرعاً، نحو: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ﴾[٤] أي: فأفطر، ونحو: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾[٥] أي: الوطء.

الضرب الثاني: تعليل الحكم بما اقترن به من الوصف المناسب نحو: ﴿وَٱلسَّارِقُ

---

(١) (سورة آل عمران:٩٧).

(٢) (سورة البقرة:٤٣).

(٣) (سورة هود: من الآية: ١).

(٤) (سورة البقرة: من الآية: ١٨٤).

(٥) (سورة النساء: من الآية: ٢٣).

﴿وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ﴾(١) أي: للسرقة.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ﴾(٢) أي: للزنا ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣﴾(٣) أي: للبر ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤﴾(٤) أي: للفجور.

الضرب الثالث: فهم الحكم في غير محل النطق بطريق الأولى، وهو مفهوم الموافقة، كفهم تحريم الضرب من تحريم التأفيف: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾(٥)، وهذا من باب القياس الجليِّ خلافاً لمن ردَّه.

الضرب الرابع: دلالة تخصيص شيءٍ بحكم يدل على نفيه، عمَّا عداه وهو مفهوم المخالفة، نحو: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا﴾(٦)، ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ﴾(٧)، ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا﴾(٨)، ونحو: قوله ﷺ: (**في سائمة الغنم الزكاة**)(٩)، وهو حجة إلاَّ عندَ أبي حنيفة وبعض المتكلمين.

وهذا كثيرُ يفهم من كلام الشارع، مثل: (**لا يلبس القميص، ولا السراويلات ولا**

(١) (سورة المائدة: من الآية: ٣٨).
(٢) (سورة النور: من الآية: ٢).
(٣) (سورة الانفطار:١٣).
(٤) (سورة الانفطار:١٤).
(٥) (سورة الإسراء: من الآية:٢).
(٦) (سورة المائدة: من الآية:٩٥).
(٧) (سورة النساء: من الآية:٢٥).
(٨) (سورة النساء: من الآية:٢٥).
(٩) الحديث أخرجه البخاري وأبو داود وابن حبان والبيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، بلفظ: (**وفي الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة**).

البرانس)[١]، يدل عليه وإلاَّ لما كان جواباً.

وقد أطال بعض الأصوليين الجدل في هذا الضرب، من تعليل الفريقين ورد قول المخالف.

النّصُّ:

النص: لغةً مأخوذ من النص وهو الارتفاع، كمثال: منصة العروس وهو ما لا يحتمل إلاَّ معنى واحد. كزيد في قولك: رأيت زيداً، والنص: ضرب من السير، فإذا وجد فرجةً نصَّ، ومعناه في الاصطلاح: ما لا يحتمل إلاَّ معنى واحداً، كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[٢] ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[٣]، فالنص يعرف معناه عند سماعه، أي: بمجرد سماعه يعرف تأويله وعُرِّفَ: بأنه ما تأويله تنزيله، كما قال المصنف كما في الأمثلة السابقة، وكقوله: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ﴾[٤]، والنص عند الفقهاء هي نصوص الشارع.

وقال بعضهم: إن هذا النص يسمى بيان التأكيد، وهو النص الجلي الذي لا يتطرق إليه تأويله، كقوله تعالى في صوم التمتعِ: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ

---

(١) الحديث: عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ما يلبس المحرم من الثياب؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا تلبسوا القمص، ولا العمائم، ولا السراويلات، ولا البرانس، ولا الخفاف**» رواه البخاري (٥٨٠٣)، ومسلم (١١٧٧).

(٢) (سورة البقرة: من الآية: ١٩٦).

(٣) (سورة النساء: من الآية: ١٦٤).

(٤) (سورة البقرة: من الآية:١٩٦).

﴿كَامِلَةٌ﴾(١).

وسمّاه بعضهم: «بيان التقرير».

الثاني: النص الذي ينفرد بإدراكه العلماء، كالواو وإلى في آية الوضوء. فإن هذين الحرفين يفضيان لمعان معلومة عند أهل اللسان.

الثالث: نصوص السنَّة: الوارد بياناً لُمشكلٍ في القرآن، كالنص على ما يُخرج عند الحصاد مع قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾(٢)، ولم يذكر في القرآن مقدار هذا الحق.

الرابع: نصوص السنة المبتدأة، مما ليس في القرآن نص عليها لا بالإجمال ولا بالتبيين، ودليل كون هذا القسم من بيان الكتاب، قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾(٣).

الخامس: بيان الإشارة، وهو القياس المستنبط من الكتاب والسنة، مثل: الألفاظ التي استنبطت منها المعاني وقيس عليها غيرها؛ لأن الأصل إذا استنبط منه معنى وألحق به غيره، لا يقال لم يتناوله النص، بل تناوله ؛ لأن النبي ﷺ أشار إليه بالتنبيه، كإلحاق المطعومات في باب الربويات بالأربعة المنصوص عليها، لأنَّ حقيقة القياس: بيان المراد بالنص، وقد أمر الله - سبحانه - أهل التكليف بالاعتبار والاستنباط والاجتهاد، وتنسب المرتبة الخامسة للشافعي في أول الرسالة، واعترض عليه بإهمال الإجماع، وقول المجتهد إذا انقرض عصره.

---

(١) (سورة البقرة: من الآية:١٩٦).
(٢) (سورة الأنعام: من الآية:١٤١).
(٣) (سورة الحشر: من الآية:٧).

الظّاهِر:

قال المصنِّف: الظاهر: ما احتمل أمرين أحدهما أظهر من الآخر.

فالظاهر: هو البيِّن الواضح، فيستعمل في أظهر معنييه ولا يؤول إلاَّ بدليلٍ، مثاله: جاء أسد، يحمل على الحيوان المفترس، ولا يصرف عنه إلاَّ بدليل، ونحو: طلعت الشمس، يراد بها الكوكب المعروف، ولا يصرف عنه إلاَّ بقرينةٍ.

أما التأويلُ: فهو لغةً الرجوع، واصطلاحاً: حمل ظاهر على محتمل مرجوح، وزاد: لصحته بدليلٍ يصيره راجحاً، فإن قَرُبَ كفى أدنى مرجحٍ، وإن بَعْدَ افتقر إلى أقوى، وإن تعذَّر رُدَّ، فمن البعيد تأويل الحنفية قوله ﷺ لمن أسلم على عشرة نسوةٍ: (اختر)، وفي لفظ: **(أمسك منهن أربعاً وفارق سائرهن)**[1] على ابتداء النكاح أو إمساك الأوائل، وأبعد منه قوله ﷺ لمن أسلم على أُختين: **(اختر أيهما شئت)**[2] على أحد الأمرين و﴿فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ﴾[3]، على إطعام طعام ستين مسكيناً، وأبعد من ذلك في: **(أربعين شاة شاة)**[4] على قيمتها **(وأيما امرأة أنكحت نفسها بغير إذنِ وليها فنكاحها**

---

(١) قال الإمام الألباني في إرواء الغليل: (صحيح)، أخرجه الترمذي (١/ ٢١١)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥١/ ١) وابن ماجه (١٩٥٣) وابن حبان (١٣٧٧) والحاكم (٢/ ١٩٢ - ١٩٣) والبيهقي (٧/ ١٤٩ و١٨١) وأحمد (٢/ ٤٤) من طرق.

(٢) رواه أبو داود والترمذي، وقال: هذا حديث حسن واللفظ له، وابن ماجه عن الضحاك بن فيروز الديلمي عن أبيه، وحسنه الألباني.

(٣) (سورة المجادلة: من الآية:٤).

(٤) رواية أبي داود والترمذي من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما في الغنم: (في أربعين شاة شاة).

باطل)[١] على الصغيرة والأمة والمُكاتبة، **(ولا صيام لمن لم يبيِّت الصيام من الليل)**[٢]، على القضاء والنذر المطلق **(وذكاة الجنين ذكاة أمه)**[٣] على التشبيه، وتأويلهم أيضاً قوله ﷻ في آيتي الفيء والغنيمة ﴿وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٤] على الفقراء دون الأغنياء منهم.

ومن التأويل البعيد: تأويل المالكية والشافعية متن حديث رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والطبراني والترمذي، وقال: لا نعرفه مسنداً إلا من حديث حماد عن قتادة عن الحسن وروي من قول عمر رضي الله عنه، ومن قول الحسن رضي الله عنه وهو: (من ملك ذا رحم محرم فهو حر) على عمودي نسبه.

وأما المصنف فقال في المؤول: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، وهو مأخوذ من الأول وهو الرجوع، كما في قولك: رأيت أسداً شاكي السلاح، صرف عن الظاهر بالدليل وهو شاكي السلاح، لأن الأسد المعروف لا يكون على الشكل، فيحمل على الرجل الشجاع، ويسمى مؤولاً بالدليل. أما تأويل اليد بالقوة فهذا تأويل فاسد.

وأما المجاز فهو: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له بقرينةٍ صارفةٍ، كقولنا للجارية: بدت قمراً، وكقولنا: أقبل أسدُ شاكي السلاح، فيحمل على الرجل الشجاع.

---

(١) رواه الترمذي وأحمد وابن ماجه عن عائشة. وقال الأرناؤوط: حديث صحيح، وصححه الألباني، انظر: حديث رقم: (٢٧٠٩) في صحيح الجامع.

(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه أحمد وابن حبان من حديث أبي سعيد مرفوعاً.

(٤) (سورة الأنفال: من الآية: ٤١).

الأفعال:

أفعال صاحب الشريعة وهو النبي ﷺ.

قال المصنف: لا يخلو إما أن يكون على وجه القربة والطاعة، والقربة بمعنى الطاعة، ثم لا تخلو إما أن تكون خاصةً به أو لا، فإن دل دليل على الاختصاص يحمل عليه، مثاله: قيام الليل على القول بأنه لم ينسخ فهو خاص به، ومثله: وصال الصوم، وزواجه بأكثر من أربع.

وإن لم يدل دليل على اختصاصه به لا يختص، لأن أمته أسوته.

لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(١).

وهل فعل الرسول ﷺ يحمل على الوجوب أم الندب أم الإباحة؟ إذا دلَّت الأدلة على الندب أو الوجوب أو الإباحة، فهذا شيء واضح، يحمل عليه اتفاقاً.

وإن لم يعلم حكمه فيحمل على الوجوب، عند بعض الشافعية، وعند الإمام مالك، وحتى في حقه ﷺ، وإحدى الروايات عن أحمد.

ومن الشافعية من قال بالندب؛ لأنه المتحقق وهي الرواية الأخرى عند أحمد بن حنبل لثبوت رجحان الفعل من الترك، دون المنع من الترك.

وعند المعتزلة: يتوقف لتعارض الأدلة في ذلك، والقول بالوجوب أحوط، قاله في قواعد الأصول(٢).

---

(١) (سورة الأحزاب: من الآية:٢١).

(٢) الصواب: أن الفعل المجرد يحمل على الندب والاستحباب إلا إذا دلت قرينة على حمله على الوجوب، وسار على ذلك كافة محققي العلماء رحمهم الله.

أما فعل صاحب الشريعة إذا كان على غير وجه القربة والطاعة فيحمل على الإباحة في حق النبي ﷺ وحقنا، مثل: القيام والقعود والأكل والشرب لأنه يثبت بطريق الجبلة، فانحصرت أفعال النبي ﷺ بالواجب والمندوب والمباح، فلا يقع منه فعل محرم؛ لأنه معصوم عن ذلك، فإنه لا يقر على خطأ.

إقرار صاحب الشريعة على الفعل والقول:

قال المصنف: إقرار صاحب الشريعة على القول، هو كقول صاحب الشريعة، وما فعل في وقته في غير مجلسه، وأقره بعد العلم به، ولم ينكره فحكمه حكم ما فعل بمجلسه، كحلف أبي بكر رضي الله عنه أنه لا يأكل الطعام في غضبه، ثم بعد ذلك أكل.

ومثل قول الصحابة: كنا نفعل كذا وكذا، وكانوا يفعلون كذا في عهد رسول الله ﷺ، وهذا يحتج به؛ لأنه ذكره في معرض الحجة.

وإذا علم بذلك بالمباشرة أو السماع أو رؤية الفعل أو التقرير فقاطع به، مثل: إقراره لخالد بن الوليد أكل الضب على مائدته وقد اجتمع فيه القول والفعل من خالد وإقرار النبي ﷺ له عليه.

النّسخ:

النسخ: معناه الإزالة، يُقال: نسخت الشمس الظل إذا أزالته، وقيل معناه: النقل من قولهم: نسخت ما في الكتاب، إذا نقلته بأشكاله وكتابته.

واصطلاحاً: الخطاب الدال على رفع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجهٍ لولاه لكان ثابتاً مع تراخيه عنه.

وعرفه آخرون بأنه: يطلق على رفع الشيء بمعنى إبطاله وإزالته، وهذا كما في قوله:

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾(١)، ويخرج بقولهم: الخطاب الدال على رفع الحكم الثابت، مع تراخيه عنه يخرج زوال الحكم بخروج وقته.

والثابت بخطابٍ متقدمٍ ليخرج الثابت بالأصالة، وبخطابٍ متأخر ليخرج زواله بزوال التكليف كالموت والجنون، ومتراخٍ ليخرج البيان والتخصيص ورفع الحكم بأنه رفع الحكم الثابت بخطاب، بدليل آخر متراخٍ عنه ولولاه لكان ثابتاً.

والنسخ له حِكَم يعلمها الله، منها: أن الحكم يلائم هذا الزمن أو يلائم التدريج في التشريع، فقد لا تعقل الحكمة في نسخ هذه المسألة بعينها لكن الله يعلم أن المصلحة في نسخها، فأصل تشريعه لِحِكَمٍ ومصالح يعلمها، ثم ينسخ ذلك لمصلحة، وحِكَمٍ يعلمها الله، وهذا واقع شرعاً، ولا يخالف العقل في شيءٍ من ذلك، خلافاً لمن ردَّه وهم اليهود، وأناس يقال لهم: السمنية بالهند، وقد ينسخ أحكاماً قبل وقوعها كما في الأمر بذبح إبراهيم لابنه، فقد وقع الفعل من إبراهيم، لكن لم يقع الذبح الحقيقي.

ويأتي النسخ بمعنى الإبطال، كما في قوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾(٢)، ويأتي بمعنى التحريم، كما في قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾(٣).

وأما الشرعيُّ: فكما في قوله تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ

---

(١) (سورة الحج: من الآية:٥٢).

(٢) (سورة الحج: من الآية:٥٢).

(٣) (سورة النساء: من الآية:١٦٠).

﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾(١)، وقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾(٢).

أنواعُ النسخِ:

١- نسخ الرسم وبقاء الحكم: كما جاء أنه كان يُتلى: (**والشيخُ والشيخةُ إذا زنيا فارجموهما ألبتة**)(٣)، وحُمِل على أنه المحصن والمحصنة، فهو من باب نسخ الرسم وبقاء الحكم.

٢- نسخ الحكم وبقاء الرسم: وهذا كثير في القرآن، كما في آية الوصية، نسخت بآية المواريث، وكما في عِدَّة المُتوفى عنها، من حولٍ إلى أربعة أشهر وعشراً.

٣- نسخ الأمرين معاً: كما في قول عائشة رضي الله عنها: (**كنا نقرأ فيما أنزل عشر رضعات يحرمن**)(٤) نسخ في ذلك إلى خمس.

ثم تنقسم إلى ما يأتي:

أ- النسخ إلى بدلٍ كما في الآيات المتقدمة.

---

(١) (سورة البقرة: من الآية:١٠٦).

(٢) (سورة النحل: من الآية:١٠١).

(٣) رواه النسائي وابن ماجه عن عمر، وصححه الألباني، ورواه الحاكم عن أبي بن كعب وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: صحيح، وقد ورد عن آخرين قال الألباني في: «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٩٧٢): ورد من حديث عمر وزيد بن ثابت وأبي بن كعب والعجماء خالة أبي أمامة بن سهل.

(٤) رواه مسلم، باب التحريم بخمس رضعات: فعنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: **كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَشر رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ. ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ.**

ب- النسخ إلى غير بدلٍ، كما في وجوب الصدقة في مناجاة الرسول ﷺ في وجوب تقديم الصدقة، نسخ إلى غير بدلٍ رحمةً بالأمَّة.

جـ- النسخ من الأخفِّ إلى الأغلظ، كما في نسخ وجوب صوم عاشوراء إلى وجوب صوم رمضان، لَمَّا فرض صيام شهر رمضان.

د- النسخ من الأغلظِ إلى الأخفِّ، كما في وجوب المصابرة لوجوب ثبات المائة في القتال للألفِ، ووجوب المصابرة أن يثبت العشرون للمائتين، فهذا نسخ من الأغلظ إلى الأخفِّ. وأما الزيادة على النص، فهذه ليست نسخاً، فقد تكون من لوازمه، إما تخصيصاً أو تفصيلاً أو بياناً.

أنواع الناسخ:

١- نَسخُ الكتاب بالكتاب، كما في آية العدة للمتوفى عنها، من الحول إلى الأربعةِ أشهر وعشراً، ونظائره فيما تقدم.

٢- نَسخُ السنَّةِ بالكتابِ: كما في توجهه إلى بيت المقدس، ثابت بالسنَّة، ثم نسخ بالكتاب بقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[١].

---

(١) وردت هذه الآية في ثلاثة مواضع، هي: الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ (سورة البقرة الآية رقم:١٤٤). الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ (سورة البقرة الآية رقم:١٤٩). الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ (سورة البقرة الآية رقم:١٥٠).

٣- نَسْخ الكتاب بمتواتر السَّنة.

٤- نسخُ الكتابِ بخبرِ الآحادِ.

٥- نسخ المتواتر، وهذا لا خلافَ فيه عندهم.

٦- نسخ المتواتر بالآحاد، وهذا منهم من منعه، ومنهم من أجازه، وهذا هو الصحيح.



فصل في: «التعارض بين الأدلة»[١]:

«إذا تعارض نطقان من قول الله عز وجل أو الرسول ﷺ فلا يخلو التعارض: إما أن يكونا عامين أو خاصين، أو أحدهما عاماً والآخر خاصاً، أو كل واحدٍ منهما عاماً من وجه وخاصاً من وجهٍ، فإن كانا عامين، فإن أمكن الجمع بينهما جُمع. ويحمل كل واحد منهما على حال مثاله: قول الرسول ﷺ: **(خيرُ الشهود: الذي يشهد قبل أن يستشهد)**[٢].

(١) التعليق على التعارض بين الأدلة كما ورد في كتاب شرح الورقات في علم أصول الفقه - لجلال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعي: (٧٩١ - ٨٦٤)، على ورقات أبي المعالي إمام الحرمين عبد الملك بن يوسف بن محمد الجويني الشافعي (٤١٩ - ٤٧٨ هـ)، (ص: ١٠٣، ١٠٤) الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة -الرياض. فالتعليق كالتالي: اتفق جمهور العلماء على القول بالترجيح بين الأدلة، وأنكره بعض الناس، منهم: «حسين بن علي إبراهيم البصري الحنفي» راجع: «البرهان»: (٢/ ١١٤٢) «المحصول» (٢/ ٢/ ٥٢٩)، «شرح تنقيح الفصول»: (٤٢٠)، والصحيح القول به، وإنما يتأتى في المظنونات، وأما القطعيات فلا يتأتى فيها لتعذر التفاوت بين القطعيين، إذ ليس بعض المعلومات أقوى وأغلب من بعض، وإن كانت بعضها أجلى وأقرب حصولاً وأشد استغناء عن التأمل، فإن تقرر هذا، فلا يخلو أن يكون الدليلان المتعارضان قطعيين أو ظنيين، أو أحدهما قطعياً والآخر ظنياً: فإن كانا قطعيين، كالنصوص المتواترة، فللمجتهد حالتان: الجمع بينهما إن أمكن، والنسخ إن علم التاريخ. راجع «تنقيح الفصول»: (٤٢١)، «شرح الكوكب المنير»(٦٣٤).

وإن كانا ظنيين، كالظواهر والعمومات ونصوص أخبار الآحاد، فلها ثلاثة أحوال: الجمع إن أمكن، والنسخ إن علم التاريخ والترجيح، وإن كان أحدهما قطعياً والآخر ظنياً، فإن جهل التاريخ تعين المعلوم، وإن تأخر المعلوم نسخ المظنون، وإن تأخر المظنون لم ينسخ المعلوم: راجع «المحصول» (٢/ ٢/ ٥٣٢، ٥٣٤، ٥٤٥، ٥٥٢)، «شرح تنقيح الفصول»(٤٢١)، «شرح الكوكب المنير»(٦٣٤)، وما بعدها، وانظر: «التقريب»: (١٦٣).

(٢) رواه مسلم، باب بيان خير الشهود، عن زيد بن خالد الجهني بلفظ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا».

وقوله: (**شر الشهود: الذي يشهد قبل أن يستشهد**)(١).

فالأول: يحمل على الذي لا يعلم شهادةَ الشاهد، ولا يمكن استخراج الحق إلاّ بشهادته، فهذا على المدح، والثاني: على الذي يعلم شهادة الشاهد ويأتيه الشاهد، ويقول: عندي شهادة كذا.

وإن كان أحدهما عاماً والآخر خاصاً، فيخص العام بالخاص، كتخصيص حديث الصحيح: (**فيما سقت السماء العشر**)(٢) بحديثهما: (**ليس فيما دون خمسة أوسق**

---

(١) لم أجد له أصلاً بهذا اللفظ، ثم وجدت الإمام الألباني قال في السلسلة الضعيفة عند حديث: (**ألا أخبركم بشر الشهداء؟! الذين يشهدون قبل أن يستشهدوا**). لا أصل لهذا اللفظ، وقد وهم الحافظ ابن كثير وهماً فاحشاً في آخر تفسير سورة «البقرة»؛ فذكر أنه «في الصحيحين»! وقد يتبادر إلى ذهن القارئ أنه اشتبه عليه بحديث زيد بن خالد أن رسول الله ﷺ، قال: «ألا أخبركم بخير الشهداء؟ الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها». أخرجه مالك ومسلم وغيرهما! أقول: لا؛ فإن الحافظ ابن كثير نفسه ذكره من حديث زيد قبل هذا؛ ثم ذكر طرفاً من حديث آخر فيه قوله: «**ثم يأتي قوم تسبق أيمانهم شهادتهم، وتسبق شهادتهم أيمانهم**». وفي رواية: «**ثم يأتي قوم يشهدون ولا يستشهدون**». وهذه الرواية عند الشيخين من حديث عمران بن حصين، وهو مخرج في «الصحيحة»(١٨٤٠). وأخرجه الترمذي وغيره نحوه، وهو مخرج فيها (برقم ٦٩٩).والحديث الذي قبله: هو من حديث ابن مسعود، وهو مخرج فيها أيضاً برقم (٧٠٠). والذي يغلب على الظن: أن ابن كثير رواه بالمعنى، وأقرب الألفاظ إليه حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «**خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم - والله أعلم؛ أذكر الثالث أم لا، قال:- ثم يخلف قوم يحبون السمانة، يشهدون قبل أن يستشهدوا**» أخرجه مسلم (٧/ ١٨٥)، وأحسن ما جمع بين هذه الأحاديث وحديث زيد بن خالد: أن المراد به: من عنده شهادة لإنسان بحق لا يعلم بها صاحبها، فيأتي إليه، فيخبره بها، أو يموت صاحبها العالم بها ويخلف ورثة، ويختلف الورثة، فيأتي الشاهد إليهم، أو إلى من يتحدث عنهم؛ فيعلمهم بذلك؛ أفاده الحافظ في «الفتح»(٥/ ١٩٨). ومن شاء الاطلاع على سائر الأقوال؛ فليرجع إليه.

(٢) رواه البخاري (١٤٨٣) عن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه.

صدقة)[١].

العام والخاص إذا لم يعلم التاريخ، أو يظهر مرجح، ولم يمكن الجمع بين العام والخاص:

إذا لم يمكن الجمع ولم يظهر مرجح، فيتوقف فيهما، مثاله: قوله تعالى: ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾[٢].

وقوله: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾[٣]، فالآية الأولى: أجازت نكاح ملك اليمين مطلقاً، أخت مع أختها أو غيرها، والآية الثانية: حرمت الجمع بين الأختين، يرجح التحريم في هذا المثال، لأنه أحوط، ففي هذا المثال ظهر مرجح فرجح.

وأما إذا علم التاريخ: نسخ المتقدم بالمتأخر، كما في آيات النسخ المتقدمة.

الخاصان الذي يمكن الجمع بينهما:

يقال: حديث: (**إنه توضأ وغسل رجليه**)[٤] وهذا ثابت في الصحيحين وغيرهما.

وحديث: (**أنه توضأ فرشَّ الماء على قدميه، وهما في النعلين**)[٥]. فالجمع بينهما: أن

(١) متفق عليه، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) (سورة النساء: من الآية:٣).

(٣) (سورة النساء: من الآية:٢٣).

(٤) رواه البخاري (٢٦٠) عن ميمونة رضي الله عنها.

(٥) رواه أبو داود وأحمد في مسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولكن بدون لفظ: «الرش». قال الإمام الألباني في الثمر المستطاب: وقد ورد الرش على النعلين والمسح عليهما في (المسند) من حديث أوس بن أبي أوس. ورواه ابن حبان والبيهقي من حديث ابن عباس. كذا في (الاختيارات) (٨) وليس في شيء من هذه الأحاديث ذكر الرش لا في المسند ولا في غيره من حديث أوس بن أبي أوس، ولا من حديث غيره، اللهم إلا في حديث آخر عن علي رضي الله عنه، أنه =

=

قال: يا ابن عباس! ألا أتوضأ لك وضوء رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى - فداك أبي وأمي - قال: فوضع له إناء فغسل يديه ثم مضمض واستنشق واستنثر، ثم أخذ بيديه فصك بهما وجهه وألقم إبهامه ما أقبل من أذنيه. قال: ثم عاد في مثل ذلك ثلاثاً ثم أخذ كفاً من ماء بيده اليمنى فأفرغها على ناصيته ثم أرسلها تسيل على وجهه، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً ثم يده الأخرى مثل ذلك، ثم مسح برأسه وأذنيه من ظهورهما ثم أخذ بكفيه من الماء فصك بهما على قدميه وفيهما النعل ثم قلبها بها، ثم على الرجل الأخرى مثل ذلك. قال: فقلت: وفي النعلين؟ قال: وفي النعلين. قلت: وفي النعلين؟ قال: وفي النعلين. قلت: وفي النعلين؟ قال: وفي النعلين. أخرجه الإمام أحمد (١/ ٨٢ - ٨٣) عن محمد بن إسحاق: ثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة عن عبيد الله الخولاني عن ابن عباس قال: دخل علي علي بيتي فدعا بوضوء فجئنا بقعب يأخذ المد أو قريبه حتى وضع بين يديه وقد بال، فقال: يا ابن عباس... إلخ، وهذا سند جيد. وقال الأرناؤوط في تعليقه على المسند: إسناده حسن، وقال الألباني عند تخريجه لرواية أبي داود (في الأم): قلت: إسناده حسن. ورواه مختصراً ابن حبان في «صحيحه »(١٠٧٥). إسناده: حدثنا عبد العزيز بن يحيى الحَراني: ثنا محمد- يعني: ابن سلمة- عن محمد بن إسحاق عن محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكَانة عن عبيد الله الخولاني عن ابن عباس. وهذا إسناد حسن، وابن إسحاق قد سمعه من ابن طلحة، كما يأتي. والحديث أخرجه البيهقي (١/ ٥٣) عن المؤلف. ثم أخرجه هو (١/ ٧٤)، والطحاوي (١٩ و٢٠- ٢١)، وأحمد (٢/ رقم ٦٢٥) من طرق عن ابن إسحاق... به، وصرح ابن إسحاق بسماعه في رواية أحمد، وابن حبان (١٠٧٥). ثمّ قال البيهقي: «وقال أبو عيسى الترمذي: سألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا الحديث؟ فقال: لا أدري ما هذا الحديث؟!». وقال الحافظ في «التلخيص»(١/ ٤٠٢): «رواه أبو داود مطولاً والبزار. وقال: لا نعلم أحداً روى هذا هكذا إلا من حديث عبيد الله الخولاني، ولا نعلم أن أحداً رواه عنه إلا محمد بن طلحة بن يريد بن ركانة. وقد صرح ابن إسحاق بالسماع فيه، وأخرجه ابن حبان من طريقه مختصراً. وضعّفه البخاري فيما حكاه الترمذي». قلت: وليس في هذه الحكاية ما يبين أن تضعيف البخاري للحديث إنما هو من قبل إسناده؛ كيف وابن إسحاق حسن الحديث عنده؟ وابن طلحة ثقة اتفاقاً؟ وعبيد الله الخولاني من رجال «صحيحه»؟! بل فيها إشارة إلى أن تضعيفه إنما هو من قبل متنه؛ وهو قوله: فأخذ حفنة من ماء فضرب بها على رجله وفيها النعل! فإنه يشعر أنه مسح عليها ولم يغسلها، وليس ذلك بمراد؛ لقوله بعد ذلك، ففتلها بها؛ يعني: لِيَسيلَ الماء فيعم القدم. وبالجملة؛ فليس في الحديث -في متنه أو سنده- ما يقتضي تضعيفه.

الرشَّ في حالِ التجديدِ، والغسل في حال الوضوء من حدثٍ. وقيل: إن الغسل المراد به: الوضوء الشرعي ولا منافاة.

العام الذي لم يعلم تاريخه ولم يظهر مرجح:

يتوقف فيه عند بعضهم، كمالكٍ والشافعيِّ، فالتحريم عندهما احتياطاً. والحِل عند أبي حنيفة؛ لأنه الأصلُ في المنكوحة.

مثال: أن النبي ﷺ سئل عن ما يحل للرجلِ من امرأته - وهي حائض- فقال: ما فوق الإزار، وجاء أنه قال: **(اصنعوا كل شيء إلا النكاح)**[(١)].

فإن ما فوق الإزار: يجوز عند الجميع الاستمتاع به من المرأة الحائض، والخلاف في الاستمتاع فيما تحت الإزار، فالثاني يجوز ذلك **(اصنعوا كل شيءٍ إلاَّ النكاح)**[(٢)] والأول: لا يجوزه، فتعارض الدليلان، فالتحريم احتياطاً عند الشافعيِّ ومالكٍ، كما تقدم، والحِل عند أبي حنيفة كما تقدم.

النطقان إذا كان كل واحدٍ منهما عاماً من وجهٍ خاصاً من وجه آخر:

يخص كل عموم كل واحدٍ منهما بخصوص الآخر، مثاله: حديث: **(إذا بلغ الماءُ قلتين، فإنه لا ينجس)**[(٣)]، مع حديثِ: **(الماءُ لا ينجِّسه شيء إلاّ ما غَلَبَ على ريحه أو طعمه أو لونه)**[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ص: ١٧١)، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها، والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، حديث رقم: (٣٠٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (ص: ١٧١)، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها، والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، حديث رقم (٣٠٢).

(٣) رواه أبو داود وأحمد وغيرهم عن ابن عمر رضي الله عنه وصححه الألباني والأرناؤوط - انظر: حديث رقم: (٧٥٨) في صحيح الجامع.

(٤) رواه ابن ماجه وغيره عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه وبهذا التمام ضعفه الألباني - انظر: حديث رقم: (١٧٦٥) في ضعيف الجامع - تنبيه: لفظ: (الماء لا ينجسه شيء) صحيح كما قال الألباني، =

فالأول: خاص بالقلتين عام بالمتغير، والثاني: خاص بالمتغير، عام في القلتين ينجس وإن لم يتغير، فإن لم يمكن تخصيص عموم كلٍ واحدٍ منهما بخصوص الآخر احتيج إلى الترجيح بينهما فيما تعارضا فيه؛ شأنَ حديث البخاري: (**من بدَّل دينه فاقتلوه**)[١]، مع حديث الصحيحين: نهيه ﷺ عن قتل النساء[٢]؛ فالأول: عام في الرجالِ خاص في أهل الرِدَّة، والثاني: خاص بالنساء، عام بالحربيات فتعارض في المرتدة هل تقتل أم لا؟

والراجح: أنها تقتل؛ لحديث ورد في قتل المرتدة[٣]، وكذا المرأة إذا قاتلت في الحرب، فالصحيح جواز قتلها، فهذا من التخصيص[٤].

الإجماع:

التعريف: الإجماع لغةً: العزم والاتفاق، مأخوذ من الآيةِ الكريمة: ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾[٥].

واصطلاحاً: اتفاق مجتهدي العصر من هذه الأمة على أمرٍ ديني.

= فقد رواه النسائي وأحمد وغيرهم. انظر حديث رقم: (١٩٢٨) في صحيح الجامع، فالضعيف من قوله: (إلا ما غلب على ريحه أو طعمه أو لونه).

(١) رواه البخاري (٣٠١٧، ٦٩٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٣٠١٥)، ومسلم باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (٣٠١٧)، (٦٩٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) الحديث: عن رباحِ بْنِ رَبِيعٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ فِي غَزْوَةٍ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ فَبَعَثَ رَجُلاً، فَقَالَ: «انْظُرْ عَلاَمَ اجْتَمَعَ هَؤُلاَءِ» فَجَاءَ فَقَالَ: عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ. فَقَالَ: «مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ» رواه أبو داود وأحمد وصححه الألباني والأرناؤوط.

(٥) سورة يونس: (من الآية: ٧١).

وأنكر قوم جوازه، وهو ضروري، فإنكاره عناد، ثم الوقوع يستلزمه، كالإجماع على الصلوات الخمس، وأركان الإسلام، ثم مع وجود العقل ونصب الأدلة ووعيد الشارع الباعث على البحث والاجتهاد، وقلة المجتهدين بالنسبة إلى الأمة كيف يمتنع؟ واختلاف القرائح عقلي؟ بخلاف اختلاف الدواعي الشهوانية إذ هو طبعي، والفرق بينهما جلي، وقيل: إنما يحكم بتصور وجوده على عهد الصحابة -رضوان الله عليهم- عند قلة المجتهدين، وهو حجة قاطعة، خلافاً للنِظام في آخرين.

وللقائلين بهذا وجهان:

أحدهما: قوله تعالى: ﴿**وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1]، وهو دوريٌّ. وقوله: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾[2] أي: عدولاً خياراً.

وقوله: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ** ﴾[3] وهم عدول لاسيما بتعديل الشارع لهم، والمعصوم لا يصدر عنه إلاَّ حق، فالإجماع حق.

الثاني: ما تواترَ التواترَ المعنوي من نحو: (**أمتي لا تجتمع على ضلالة**)[4].

والمصُنِّف عرَّفه بقوله: وأما الإجماع فهو: اتفاق علماءِ أهل العصر على الحادثة الشرعيَّة، ومعناه: إنه اتفاق علماءُ الأمة على أمرٍ دينيٍّ فتخرج مسائل الدنيا.

---

(١) (سورة النساء: من الآية:١١٥).

(٢) (سورة البقرة: من الآية:١٤٣).

(٣) (سورة آل عمران: من الآية:١١٠).

(٤) بنحو هذا اللفظ رواه الترمذي عن ابن عمر. وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: (١٨٤٨) في صحيح الجامع. ورواه أحمد عن أبي بصرة الغفاري. وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره. ورواه ابن ماجه عن أنس وصححه الألباني بهذه الجملة فقط.

وقوله: علماء العصر، يخرج: العوام والصبيان وغير المكلفين، وهم أهل الحَلِّ والعقد على حكم الحادثة، وإجماع أهل العصر حجة خلافاً لداود، وقد أومأ إليه أحمد.

ومعنى كونه حجةً: أنه يجب العمل به مقدماً علي باقي الأدلة، لأنه يستند إلى دليلٍ، لا بمعنى الجازم، الذي لا يحتمل النقيض في نفس الأمر، وإلاَّ لما اختُلفِ في تكفيرِ منكر حكمه، وهذا مذهب عامة أهل العلم، ومن أنكر الإجماع فقوله مردود لوروده في الكتاب والسنة، والإجماع ممكن عقلاً، وواقع شرعاً، خلافاً لمن أنكر ذلك، من الرافضة والخوارج والنظام، قالوا: لأنه لا يمكن حصر المجتهدين في أنحاء المعمورة.

ما الذي يعرف به الإجماع؟ وما الإجماع الذي يعتد به؟

يعرف الإجماع بالمشافهة، وبالنقل المتواتر، وهو رواية عن الإمام أحمد، وهو مذهب الجمهور، وهو: اتفاق علماء العصر على الحادثة الشرعية في أي زمنٍ، وهذا القول هو الصحيح مع الخلاف الآتي.

ثم الإجماع المعتد به ما كان في زمن الصحابة، يروى عن أحمد وقيل: الإجماع المعتد به إجماع أهل المدينة، يروى عن مالك.

وقيل: الإجماع المعتد به إجماع الخلفاء الأَربعةِ مستنداً إلى قوله ﷺ: **(عليكم بسنتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)**[1].

وقيل: الإجماع المعتد به هو ما قاله أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وورد في حديث: **(اقتدوا باللذين من بعدي)**[2].

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وغيرهم عن العرباض بن سارية. وقال الترمذي: حسن صحيح وصححه الألباني. انظر حديث رقم: (٢٥٤٩) في صحيح الجامع.

(٢) الحديث: عن حذيفة رضي الله عنه، أن النبيّ ﷺ قال: **(اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر)** رواهُ أحمد (٥/ ٣٨٢)، والترمذي في مناقب أبي بكر وعمر، وابن ماجه في مناقب أبي بكر الصديق، =

والقول الأول أصحُّ وأولى، إن شاء الله[١].

العلماء الذين يعتد بقولهم، والأمور التي يطلب انتقاء الإجماع عليها:

العلماء الذين يعتد بقولهم هم: الفقهاء الذين وصلوا إلى درجة الاجتهاد، وتوفرت فيهم شروطه، أما الصبيان والمجانين والعوام فلا يعتد بخلافهم.

الأمور التي يطلب انتقاء الإجماع عليها، هي: الأمور الشرعيَّة والحوادث الشرعية التي يطلب فيها فض النزاع، وإصدار الحكم الشرعي فيها، كما يقول المصنف: بأنَّ المراد بالحادثةِ الشرعية لأنها هي محل نظر المجتهدين من العلماء بخلاف المسائل اللغوية، ولأن الحادثة الشرعية مرجعها إلى الأحكام.

إجماع هذه الأمة:

قال المصنف: وإجماع هذه الأمة حجة دون غيرها. ا. هـ، ودليل ذلك قول النبي ﷺ: (**لا تجتمع أمتي على ضلالة**)[٢].

والحاكم في المستدرك بإسنادهم إلى ربعي بن عامر، وهو ثابت بطرقهِ وشواهدهِ، الحديث له شواهد ومتابعات، وصححه أئمة الحديث، رواه الترمذي وحسنه، وأخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ونقل ابن كثير في النهاية تصحيح ابن حبان له، وصححه الألباني في تخريج الطحاوية، ورمز السيوطي لصحته في الجامع الصغير كما في فيض القدير، وأخرجه ابن عساكر كما في الدر المنثور للسيوطي.

(١) أي: أن الإجماع المعتد به هو إجماع الصحابة - رضوان الله عليهم - وهذا الذي عليه المحققون من أهل العلم.

(٢) بنحو هذا اللفظ رواه الترمذي عن ابن عمر. وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني. انظر: حديث رقم: (١٨٤٨) في صحيح الجامع، ورواه أحمد عن أبي بصرة الغفاري. وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره، ورواه ابن ماجه عن أنس وصححه الألباني بهذه الجملة فقط.

خلافاً لإجماع غير هذه الأمة فلا يكون حجة لها إلاّ على القول بأن شرع من قبلنا شرع لنا، إذا لم يرد شرعنا بخلافه، ولأنَّ الشرع وَرَدَ بعصمةِ هذه الأمة، للحديث المتقدم مع أمر الله عزَّ وجلَّ باتباع سبيل المؤمنين، ومن خالف ذلك فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، بل قد شاقَّ الله ورسوله، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]، ومن خالف الإجماع، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين.

الإجماع: حجة على العصر الثاني، ولو لم ينقرض ذلك العصر، قال المصنّف: والإجماع حجة على العصر الثاني، فإجماع أهل العصر المتقدم حجة على من بعدهم، فيلزمهم الأخذ به، ولا يشترط في حجية الإجماع انقراض العصر، فالصحيح عدم اشتراط انقراضهم، وهو القول المعتمد خلافاً للشافعي.

وقيل: يشترط انقراض العصر، وهو مذهب الإمام مالك، والقائلون بهذا القول قالوا: يجوز أن يطرأ على أحدهم ما يخالفه، فيرجع عنه، ومعلوم الجواب: أنه لا يجوز لأحدهم أن يرجع بعد إجماعهم، كما هو معروف في قصَّةِ عليٍّ رضي الله عنه مع عمر رضي الله عنه في اتفاقهم مع باقي الصحابة على عدم جواز بيع أمهات الأولاد، ولما مات عمر رضي الله عنه رجع علي رضي الله عنه فلم يلتفت لرجوعه.

واشتراط انقراض العصر في الإجماع، يسبب نقض الإجماع وعدم استقراره، كما أن اشتراط انقراض العصر ينبني عليه ما قاله المصِّنف بقوله: فإن قُلنا: إن انقراض العصر شرط يعتبر قول من ولد في حياتهم، وتفقه وصار من أهل الاجتهاد، ولهم على

---

(١) (سورة النساء: من الآية: ١١٥).

هذا القول أن يرجعوا عن ذلك الحكم الذي أدّى اجتهادهم إليه، فلا يستقر إجماع على هذا الحال، لكن الصحيح أنه لا يشترط انقراض أهل العصر، كما تقدم قريباً.

الإجماع القولي والإجماع السكوتي:

والإجماع يصح بقولهم، أي: بقول أهل الإجماع من أهل الحل والعقد من الفقهاء، كإجماع الصحابة على بيعة أبي بكر رضي الله عنه، مع أن خلافته وحي الله بالنص، على أصحِّ الأقوال، لكن أضيف إلى ذلك قول أهل الإجماع من أهل الحل والعقد، كما أجمعوا على جمع المصاحف، فهذا قول وفعل، وكما يصح الإجماع بالقول يصح بالفعل، كأن يقول بعضهم: يجوز كذا ويفعل الآخرون، مع عدم المخالفة، كما في قصة إجماع الصحابة -رضوان الله عليهم- عند عمر رضي الله عنه بعدم جواز بيع أمهات الأولاد أو انتشار الأفعال، وقد ورد فيه حديث عدم جواز بيع أمهات الأولاد.

والإجماع السكوتي: قول البعض وسكوت الباقين، أو ينتشر ولم يعارض، ولم يخف سطوة ذي سلطان، وإنهم ساكتون وهم راضون، وأما إن دلت القرائن أنهم ساكتون وهم ساخطون، فهذا لا يسمى إجماعاً فإنهم قد يسكتون خوفاً، أو لعدم قبول مخالفته، ومثال الإجماع سكوتاً كإجماعهم على الختان.

أما السكوت إذا لم يدل على رضا أو سخط أحدهما يكون إجماعاً، وهذا هو الأشهر، لأن التابعين لا يعدلون عن قولٍ الصحابة إذا كان ذلك القول منتشراً، ولم يظهر له مخالف.

القول الثاني: لا يكون إجماعاً، وهو قول مرجوح.

أقسام الإجماع:

ينقسم الإجماع إلى قسمين:

الأول: إجماع نطقي قطعي، وهو ما نقل بطريق التواتر ولا خلاف فيه من أحد حتى انقراض ذلك العصر.

الثاني: ظني وهو ما نقل بطريق الآحاد أو اختلف فيه.

الاجتهاد: هل ينقض الاجتهاد والإجماع؟

الاجتهاد لا ينقض الحكم السابق باجتهادٍ؛ لأنَّ عمر رضي الله عنه قضى في الأكدرية(١) مرتين(٢)، وكل منهما حكمه الخاص به؛ لأنَّ الأولى: حصلت باجتهادٍ، والثانية: حصلت كذلك، كما روي عنه رضي الله عنه أنه قال: **(ذاك على ما قضينا، وهذا على ما نقضي)**(٣).

أما الإجماع: فلا يجوز نقضه باجتهاد أحد المجمعين، كما في قصة علي(٤) رضي الله عنه في

(١) الأكدرية: هي مسألة من المسائل الملقبات في المواريث، وهي المسائل الّتي لقّبت كلّ منها بلقبٍ أو أكثر، واختلف في علة تسميتها بذلك، فقيل: لأن قول زيد تكدر فيها. وقيل: لأن إنسانًا يسمى أكدر سئل عنها فأخطأ فيها. وهي: زوج وأم وجد وأخت شقيقة أو الأب.

(٢) وتسمى المسألة العمرية في المواريث؛ حيث اجتهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقضى فيها مرتين: مرة أسقطهم ومرة شركهم مع أولاد الأم.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٥٥)، بعدة طرق، والدارمي في سننه (١/ ١٥٤) مختصراً، وأبو عمر في «العلم» (ص: ١٣٩)، بلفظ: تلك على ما قضينا وهذا على ما قضينا، وفي لفظ: تلك على ما قضينا يومئذ، وهذه على ما قضينا اليوم.

(٤) عن عبيدة، قال خطب علي رضي الله عنه الناس، فقال: شاورني عمر رضي الله عنه في أمهات الأولاد، فرأيت أنا وعمر أن أعتقهن، فقضى به عمر رضي الله عنه حياته، وعثمان رضي الله عنه حياته، فلما وليت، رأيت أن أرقهن. قال عبيدة: فرأي عمر وعلي رضي الله عنهما في الجماعة، أحب إلينا من رأي علي رضي الله عنه وحده، وقد روى صالح بن أحمد، قال: قلت لأبي: إلى أي شيء تذهب في بيع أمهات الأولاد؟ قال: =

إجماعه مع أكابر الصحابة، في عدم جواز بيع أمهات الأولاد، على عهد عمر ﵁، ثم رجع فاجتهد ورجع بعد موت عمر ﵁، فلم يلتفت إلى رجوعه، لإجماعه السابق مع الصحابة.

حكم قول الصحابي:

قول الواحد من الصحابة ليس حجةً على غيره، هذا قول المصنف، وهو قول الشافعي في الجديد، فإن آخر ما قال ذلك وهو في مِصر ﵀ وأما القديم عنه فإنه حجة، وهذا أيضاً هو مذهب كثير غير الشافعي، أنه حجة على غيره من الصحابة، وهذا كقول الصحابي: « أمرنا بكذا، أو نهينا عن كذا»[(١)].

وهذا إذا لم ينتشر استدلالاً بقول الرسول ﷺ: **(أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم**

= أكرهه، وقد باع علي بن أبي طالب ﵁، وقال في رواية إسحاق بن منصور: لا يعجبني بيعهن، قال أبو الخطاب: فظاهر هذا أنه يصح بيعهن مع الكراهة. فجعل هذا رواية ثانية عن أحمد ﵁. والصحيح أن هذا ليس برواية مخالفة لقوله: إنهن لا يبعن. لأن السلف رحمة الله عليهم كانوا يطلقون الكراهة على التحريم كثيراً، ومتى كان التحريم والمنع مصرحاً به في سائر الروايات عنه، وجب حمل هذا اللفظ المحتمل على المصرح به، ولا يجعل ذلك اختلافاً. ولمن أجاز بيعهن أن يحتج بما روى جابر ، قال:(بعنا أمهات الأولاد، على عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر)، فلما كان عمر ﵁ نهانا، فانتهينا. رواه أبو داود. وما كان جائزاً في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر، لم يجز نسخه بقول عمر ولا غيره، ولأن نسخ الأحكام إنما يجوز في عصر رسول الله ﷺ؛ لأن النص إنما ينسخ بنص مثله. (المصدر: كتاب المغني لابن قدامة - كتاب عتق أمهات الأولاد - مسألة أحكام أمهات الأولاد).

(١) وقول الصحابي: أمرنا بكذا ونهينا عن كذا أو من السُنة كذا له حكم الرفع، فهو مرفوع حكماً كقولنا: قال رسول الله ﷺ.

اهتديتم)[١].

أما قول الصحابي إذا انتشر ولم يظهر له مخالف فهو حجة على غيره حتى من الصحابة، بل إنه إجماع سكوتي.

وقد ذكر فيه خمسة أقوالٍ أقربها للصواب ما ذكرنا إذا كان موافقاً للقواعد، لأن قول الصحابي له حكم الحديث المرفوع[٢] والله أعلم.

---

(١) قال الألباني في السلسلة الضعيفة: (موضوع) رواه ابن عبد البر في «جامع العلم» (٢/ ٩١) وابن حزم في «الإحكام» (٦/ ٨٢) من طريق سلام بن سليم قال: حدثنا الحارث بن غصين عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مرفوعاً به، وقال ابن عبد البر: هذا إسناد لا تقوم به حجة لأن الحارث بن غصين مجهول، وقال ابن حزم: هذه رواية ساقطة، أبو سفيان ضعيف، والحارث بن غصين هذا هو أبو وهب الثقفي، وسلام بن سليمان يروي الأحاديث الموضوعة وهذا منها بلا شك. قلت: الحمل في هذا الحديث على سلام بن سليم - ويقال: ابن سليمان وهو الطويل - أولى فإنه مجمع على ضعفه، بل قال ابن خراش: كذاب، وقال ابن حبان: روى أحاديث موضوعة. وأما أبو سفيان فليس ضعيفاً كما قال ابن حزم، بل هو صدوق كما قال الحافظ في «التقريب »، وأخرج له مسلم في «صحيحه »، والحارث بن غصين مجهول كما قال ابن حزم، وكذا قال ابن عبد البر وإن ذكره ابن حبان في «الثقات »، ولهذا قال أحمد: لا يصح هذا الحديث كما في «المنتخب »لابن قدامة (١٠/ ١٩٩/ ٢). وأما قول الشعراني في «الميزان»(١/ ٢٨): وهذا الحديث وإن كان فيه مقال عند المحدثين، فهو صحيح عند أهل الكشف، فباطل وهراء لا يتلفت إليه! ذلك لأن تصحيح الأحاديث من طريق الكشف بدعة صوفية مقيتة، والاعتماد عليها يؤدي إلى تصحيح أحاديث باطلة لا أصل لها، كهذا الحديث؛ لأن الكشف أحسن أحواله - إن صح - أن يكون كالرأي، وهو يخطئ ويصيب، وهذا إن لم يداخله الهوى، نسأل الله السلامة منه، ومن كل ما لا يرضيه.

(٢) لأن قول الصحابي له حكم الحديث المرفوع هذا غير مسلم عند أهل التحقيق، فلا يكون له حكم المرفوع إلا إذا كان بصيغة: من السُنة كذا أو نهينا عن كذا أو أمرنا بكذا أو كان مما لا مجال للرأي فيه ولا الاجتهاد ويكون على التفصيل المتقدم.

الأخبار:

الخبر لغة: النبأ: وفي الاصطلاح: ما جاء عن النبي ﷺ، فهو مرادف للحديث.

وعرَّفه المصنف بقوله: وأما الأخبار فالخبر: ما يحتمل الصدق والكذب ا. هـ.

لاحتماله لهما من حيث أنه خبر، كقولك: قام زيد، يحتمل أن يكون صدقاً وأن يكون كذباً، وقد يقطع بصدقه أو كذبه لأمرٍ خارجيٍّ لا لذاته.

فالأول: كخبر الله تعالى وخبر رسوله، فإذاً لا يحتمل إلاَّ صدقاً. والثاني: كقول: الضدان لا يجتمعان.

وأما الاستخبار فهو بمعنى الطلب للشيءٍ، والاستفهام عنه، كقولك: جاء زيد؛ فيجاب عن ذلك بنعم أو لا.

انقسام الخبر:

قال: ينقسم الخبر إلى آحاد ومتواتر:

فالأول المتواتر، وبيَّنه: بأنّه ما يوجب العلم، وهو أن يرويه جماعة لا يقع التواطؤ على الكذب من مثلهم، وهكذا إلى أن ينتهي إلى من الخبر عنه، فيكون في الأصل من مشاهدةٍ أو سماعٍ لا عن اجتهاد. اهـ.

لأن خبر مكة لا يستريب أحد في وجودها، وكعلمنا بوجود بعض المُدن، كدمشقَ ومصر والمدينة المنورة أو غير ذلك، ولم يخالف بحصول العلم بالتواتر إلا أناسُ في الهند، يقال لهم: السُّمنية.

التواتر:

ينقسم المتواتر إلى ضروري ونظري:

أ- الضروري: هو الذي لا يتوقف على النظر والاستدلال، كقولك: «السماء فوقَنا والأرض تحتنَا».

ب- والنظري: هو ما يحتاج إلى استدلالٍ، كقول الفلاسفة: العالم متغير، وكل متغير حادث، وتقدم في أول الكتاب.

شروط المتواتر:

أولاً: الراوي: فلا بد من إسلامه، فلا تقبل رواية الكافر ولو ببدعةٍ متأولاً إلا إذا لم يكن داعية.

ثانياً: التكليف حالة الأداء.

ثالثاً: الضبط سماعاً وأداء.

رابعاً: العدالة: فلا يقبل خبر الفاسق إلاَّ ببدعةٍ متأولاً، والمجهول في واحدٍ منها لا يقبل.

ومن شروط المتواتر أيضاً ما يلي:

١- استناده إلى محسوسٍ، كسمعتُ ورأيتُ لا إلى اعتقادٍ.

٢- استواء الطرفين والواسطة في شرطه.

٣- العدد: فقيل: أقله اثنان، وقيل: أربعة، وقيل: خمسة، وقيل: عشرون، وقيل: سبعون، وقيل: كعددِ أهل بدر، وفيه أقوال أُخرى.

والصحيح عند المحققين كشيخ الإسلام ابن تيمية وصفِّي الدين البغدادي: أنه لا ينحصر في عددٍ، بل متى أخذ واحد بعد واحدٍ، حتى يخرجوا بالكثرة إلى حدٍ لا يمكن تواطؤهم على الكذب، حصل القطع بقولهم.

والعلم الحاصل بالتواتر ضروري، ويجب التصديق بمجردِ سماعه عند القاضي، ونظري عند أبي الخطاب.

خبر الآحاد:

وهو ما يقابل المتواتر، والمراد به خبر الواحد، وهو: ما لم تجتمع فيه شروط التواتر، وعرَّفه المصنف بأنه: هو الذي يوجب العمل ولا يوجب العلم. أهـ. لأنه يفيدُ الظنَّ، وهو مذهب الجمهور، وذهب بعض المبتدعة إلى أنه لا يفيدُ فلا يوجب العمل، وهو مذهب القدرية، والأدلة ترد مذهبهم.

شرطُ العملِ بخبرِ الواحدِ:

١- عدالةُ الراوي: فلا يجب العمل بخبر الفاسق، إلاَّ ببدعة، تأولاً عند أبي الخطاب والشافعي.

٢- إسلام الراوي: فلا تقبل رواية الكافر.

٣- التكليف: فلا تقبل رواية الصبي والمجنون.

٤- الضبط سماعاً وأداء.

ومن الأمثلة بخبر الواحد: كخبر القِبلة لَمَّا أخبرهم -وهم يُصلُّون- رجل واحد باستقبال النبي ﷺ استداروا ولم يطلبوا جماعةً.

وكخبر الأعرابي بأمر الهلال، لمَّا كان مسلماً وظاهره العدالة، وكخبر «بروعٍ بنتُ واشقٍ».

ورسله ﷺ إلى الآفاق من الملوك والأمراء، لتبليغ دين الله، وما تعم به البلوى، فيقبل فيه خبر الواحد.

المسند والمرسل:

المسند هو: ما اتصل سنده للنبي ﷺ(١).

والمرسل: ما أسقط منه الصحابي، وإذا سقط منه اثنان: فمعضل، إذا كانوا على التوالي، وقال بعض العلماء: لا يسمى مرسلاً إلا ما أخبر به التابعي(٢).

مرسل الصحابي حجة، لأنه لا يروي إلاَّ عن صحابيٍ آخر، أو عن ثقة.

ألفاظ الحديث:

أعلاها: شافهني رسول الله ﷺ، أو سمعت رسول الله ﷺ، أو قال رسول الله ﷺ، أو أخبرنا رسول الله ﷺ، أو أمر رسول الله ﷺ، ومثله: أمرنا بكذا، ونهينا عن كذا، فإن هذا له حكم الرفع.

مُرسل غير الصحابة:

قال المصنف: إن كان من مراسيل غير الصحابة رضي الله عنهم فليس حجة اهـ. لاحتمال

---

(١) المسند عندهم هو ما له إسناد متصل ظاهراً وأضيف للنبي ﷺ، وأمّا ما اتصل إسناده فهو المتصل.

(٢) أي: عن النبي ﷺ، وهذا هو الحد الصحيح للمرسل.

أن يكون مجروح العدالة[(١)]، وهو مذهب الشافعي ورواية عن الإمام أحمد، والثانية: القبول كمذهب أبي حنيفة.

ويستثنى من ذلك مراسيل: سعيد بن المسيب، فإن مراسيله حجة، لأنها فتشت فوجدت مسانيد الصحابي، وغالب من يروي عنه أبو هريرة ﷺ صهره أبو زوجته.

مراسيل الصحابة بعضهم عن بعض:

مراسيل الصحابة بعضهم عن بعض حجة، لأنهم كلهم عدول خيار لأنه يرويه صحابي عن صحابي آخر.

العَنعَنَة:

العنعنة تدخل الإسناد، كحدثنا فلانٌ عن فلان، ومعنى ذلك أنها تدخل على حكمه فيكون الحديث المروي بها في حكم المسند، لا في حكم المرسل[(٢)].

القراءة على الشيخ:

إذا قرأ الشيخ يجوز للراوي أن يقول: حدثني أو أخبرني، وإذا قرأ هو على الشيخ، فيقول: أخبرني، ولا يقول: حدثني، لأنها بمعنى الإخبار، ولا فرق في ذلك بين قراءة الشيخ من كتابٍ أو من حفظه.

ومثاله لو قال سيد لعبيده: من أخبرني بكذا فهو حر، فأخبره أحدهم بكتابٍ أو رسول فهو مخبر، أو قال: مشافهةً بخلاف ما لو قال: من حدَّثني بكذا فإنه لا يكون

---

(١) قوله: (لاحتمال أن يكون مجروح العدالة) مراده الساقط بعد التابعي، وهذا على فرض أنه ليس بصحابي بل تابعي آخر، لأن التابعين رحمهم الله يروي بعضهم عن بعض.

(٢) إلا إذا كان الراوي مدلساً فيكون في حكم المنقطع.

حديثاً، إلاَّ من طريق المشافهة.

الإجازة:

وإن أجازه الشيخ، فيقول: أجازني، أو أخبرني إجازة، نحو أن يقول: أجزت لك رواية هذا الكتاب أو مسموعاتي، أو يناوله كتاباً، فيقول: اروه عنيِّ، فيقول: بمثل هذا أنبأني، وإن قال: أخبرنا فلا بدَّ من إجازةٍ أو مناولةٍ وحُكِيَ عن أبي حنيفة منع الرواية بها، ولا يجوز الرواية بمثل هذا الكتاب أو سماعي بدون إذنٍ، ولا وجوده بخطه، بل يقول: وجدت.

الوجادة:

إذا وجد بخطٍ يغلب الظن أنه خط شيخه، جاز له روايته، وإن لم يذكره خِلافاً لأبي حنيفة، ومع الشكِّ لا يجوز له ذلك.

الحديث إذا أنكر الشيخ الحديث، وقال: لا أذكره، لم يقدح، وإن زاد فيه لفظاً أو معنى قُبلت، لأن الزيادة من الثِقة مقبولة.

نقل الحديث بالمعنى:

يجوز لعالمٍ بمقتضيات الألفاظ عند الجمهور الرواية بالمعنى، فيبدِّل بمرادفه لا يغيره، مثل: إبدال الجلوس بالقعود وما أشبه ذلك، ومنعه بعض الأصوليين، استدلالاً بالحديث الذي فيه: (**وآمنت بنبيِّك الذي أرسلت**)(١)، لَمَّا قال الصحابي: (**وبرسولك**

---

(١) الحديث: عن سعد بن عبيدة حدثني البراء بن عازب، أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم إني أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، واجعلهن من آخر كلامك،** =

الذي أرسلت)(١) منعه النبي ﷺ، وقال له قل: **(وبنبيّك الذي أرسلت)**(٢).

القياس:

القياس لغةً: التقدير، تقول: قست الثوب بالمسبار، إذا قدرته به، أو المقاس أو الذراع، وقيل: معناه: تقدير الشيء بغيره وتسويته به.

واصطلاحاً: رد الفرع إلى الأصل وتسويته بالحكم بعلةٍ تجمعهما في الحكم.

وقيل: إثبات مثل الحكم في غير محلِّه لمقتضى مشترك.

وقيل: تعديه حكم المنصوص عليه إلى غيره بجامعٍ مُشترك.

وقيل هو: الاجتهاد، وهو خطأ(٣).

والأركان: أصل، وفرع، وعلّة، وحكم.

فالأصل: قيل: النص، كحديث الربا(٤).

= **فإن مت من ليلتك مت وأنت على الفطرة. قال: فرددتهن لأستذكرهن، فقلت: آمنت برسولك الذي أرسلت، قال: قل: آمنت بنبيك الذي أرسلت)** صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب ما يقال عند النوم وأخذ المضجع.

(١) صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب ما يقال عند النوم وأخذ المضجع.

(٢) صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب ما يقال عند النوم وأخذ المضجع.

(٣) لأن الاجتهاد أعم من القياس.

(٤) وحديث الربا والأعيان الستة المشار إليها هو: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والملح بالملح والتمر بالتمر مثلاً =

وقيل: محله كالأعيان الستة.

والفرع: ما عدا إليه الحكم بالجامع(١).

والعلة فرع في الأصل لاستنباطها من الحكم، أصل في الفرع لثبوت الحكم فيه بها، والاجتهاد فيها إما بيان وجود مقتضى القاعدة الكلية المتفق أو المنصوص عليها في الفرع، أو بيان وجود العلة فيه، نحو: في حمار الوحش والضبع مثلهما، والبقرة والكبش مثلهما، فوجوب المثل اتفاقي نصي، وكون هذا مِثْلاً تحقيقيٌّ اجتهادي، ومثله: استقبال القبلة واجب، وهذه جهتها، وقدر الكفاية في النفقة واجب، وهذا قدرها، ونحو: الطواف علة لطهارة الهِرة، وهو موجود في الفأرة، ونحوها، وهذا قياس دون الذي قبله، للاتفاق عليه دون القياس، ويسميان تحقيق المناط، أو بإضافة العلية إلى بعض الأوصاف المقارنة للحكم عند صدوره من الشارع وإلغاء ما عداها عن درجةِ الاعتبار، كجعل عِلَّة وجوب كفَّارة رمضان وقاع مكلف أعرابي لاطم في صدره في زوجةٍ في ذلك الشهر بعينه، فيلحق به من ليس أعرابياً، ولا لاطماً، والزاني، ومن وطئ في رمضان آخر.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قاس عندما سُئل عن القُبلة(٢).

= بمثل كيلاً بكيل، فمن زاد أو استزاد فقد أربى) رواه أبو يعلى من رواية عبد المؤمن عن ابن عمر ولم أعرف عبد المؤمن هذا، وبقية رجاله ثقات.

(١) الجامع العلة سميت بذلك؛ لأنها تجمع بين الأصل والفرع في الحكم.

(٢) قال ابن قدامة في روضة الناظر: وقوله عليه الصلاة والسلام لعمر رضي الله عنه حين سأله عن القبُلة للصائم، ثم قال: «أرأيت لو تمضمضت» فهو قياس للقبلة على المضمضة بجامع أنها مقدمة الفطر ولا يفطر، قلت: ومثله تنبيه الصحابة على قياس العكس، وهو إذا حكم بحكم ما لوجود علة، فالحكم ينعكس إذا انعكست العلة، وذلك لما قال النبي ﷺ لهم: «وفي بضع أحدكم صدقة. =

وفسر الأصل بأنه: المحل الثابت له الحكم المُلحق به، كالخمر مع النبيذ، وشرطه: أن يكون معقول المعنى لِيُعَدَّى، فإن كان تعبدياً لم يصح، وموافقة الخصم عليه، فإن منعه وأمكنه إثباته بالنص جاز، لا بعلة عند المحققين، وقيل: الاتفاق شرط.

وعرف الفرع لغة بأنه: ما تولَّد عن غيره وانبنى عليه، وهنا: المحل المطلوب إلحاقه، وشرطه: وجود علة الأصل فيه.

والحكم: وهو الوصف المقصود بالإلحاق، فالإثبات ركن لكل قياسٍ، والنفي إلا لقياس العلة عند المحققين؛ لاشتراط الوجود فيها، وشرطه: الاتحاد فيها قدراً وصفة، وأن يكون شرعياً لا عقلياً أو أصولياً.

والقياس جائز عقلاً، واقع شرعاً، وهو مأمور به كما في قوله: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢﴾[1].

أقسامُ القياسِ:

ينقسم القياس إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

١- قياسُ علةٍ.

٢- قياسُ دلالةٍ.

٣- قياسُ شبهٍ.

= قالوا: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال ﷺ: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ قالوا: نعم. قال: كذلك إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر» والحديث رواه مسلم من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(١) (سورة الحشر: من الآية٢).

أما شروط قياس العلة: اشتراط الوجود فيها، والاتحاد فيها قدراً وصفةً، وأن يكون شرعياً لا عقلياً أو أصولياً.

وأما الجامع بينهما، فهو المقتضي لإثبات الحكم، ويكون حكماً شرعياً. والثابت الجامع له ألقاب، منها:

أ- العلَّة المتقدمةُ.

ب- المؤثر: وهو المعنى الذي عرف كونه مناطاً للحكم.

جـ- المناط: وهو تعليق الشيء بالشيء، ومنه نياط القلب لعلاقته، فلذلك هو عند الفقهاء متعلق الحكم، والبحث فيه، إما لوجوده وهو (تحقيق المناط)، أو تنقيته وتخليصه من غيره وهو (تنقيح المناط): بأن ينص الشارع على حكم عقيب أوصاف، فيلغي المجتهد غير المؤثر، ويعلق الحكم على ما بقي، و(تخريجه): بأن ينص الشارع على حكم غير مقترن بما يصلح علة، فيستخرج المجتهد علته باجتهاده ونظره.

د- **والمظنَّة**: وهي مِنْ ظننت الشيء، وتقدم تعريف الظن.

هـ- **السبب**: وأصله ما توصل به إلى ما لا يحصل بالمباشرة، والمتسبب المتعاطي لفعله، وهو هنا ما تُوُصِّلَ به إلى معرفة الحكم الشرعي فيما لا نص فيه، وجزء السبب: هو الواحد من أوصافه، كجزء العلة.

و- **المقتضي**: وهو لغة: طالب القضاء، فيطلق هنا لاقتضائه ثبوت الحكم.

ثم (الجامع): إن كان وصفاً موجوداً ظاهراً منضبطاً مناسباً معتبراً مطرداً متعدياً، فهو علة لا خلاف في ثبوت الحكم به.

شرح أقسام القياسِ السابقة بالتفصيل:

١- قياسُ العلةِ: هو ما عرفها المصنف بقوله: ما كانت العلة موجبة للحكم. أهـ، ومعنى ذلك: أنها مقتضية اقتضاء تاماً لثبوت مثل حكم الأصل للفرع، ولا يحسنُ عقلاً تخلفه عنها، كقياس الضرب على التأفيف للوالدين في التحريم بعلة الإيذاء.

٢- قياس الدلالة: هو الاستدلال بأحد النظيرين على الآخر، وهو أن تكون العلة دالة على الحكم ولا تكون موجبة للحكم، كقياس مال الصبي على مال البالغ في وجوب الزكاة فيه بجامع أنه مال نام، ويجوز أن يقال: لا تجب في مال الصبي كما قال به أبو حنيفة.

٣- **وقياس الشبه**: هو الفرع المتردد بين أصلين، فيلحق بأكثرهما شبهاً، كما في العبد إذا أتلف فإنه متردد في الضمان بين الإنسان الحر من حيث إنه آدمي، وبين البهيمة من حيث إنه مال، وهو بالمال أكثر شبهاً من الحر، بدليل أنه يباع ويورث ويوقف وتضمن أجزاؤه بما نقص من قيمته.

ويجب أن نعرف أن القياس باب واسع لكثير من القضايا والأحكام التي لا يرد فيها نص، وفساد القياس بأن لا يكون الحكم معللاً، أو بأخطاءِ علته عند الله - تعالى - وزيادة أوصاف العلة ونقصها، وبتوهم وجودها في الفرع وليست فيه[1].

---

(١) ومن القياس الفاسد ما كان معارضاً للنص الشرعي من الكتاب والسنة، وسمي قياساً باطلاً وقياساً فاسد الاعتبار، فالقاعدة أنه لا قياس مع النص.

الفرع والأصل:

أما الفرع: يعني القياس على الأصل، قال المصنف: ومن شرط الفرع: أن يكونَ مناسباً للأصلِ، أي: تكون علته مماثلةَ لعلة الأصل، إما في عينها، كتحريم النبيذ قياساً على الخمر، أو في جنسها كقياس وجوب القصاص في الأطراف على القصاص في النفس بجامع الجناية.

وأما شرط الأصل فهو -كما قال المصنف-: «ومن شرط الأصل أن يكون ثابتاً بدليلٍ متفقٍ عليه بين الخصمين»، أي: المتنازعين في ثبوت ذلك الحكم ليكون القياس حجة على الخصم، فإن لم يكن خصم، فالشرط ثبوت حكم الأصل بدليلٍ يقوم به القياس، وأما الأمثلة فقد تقدمت.

شرط العلة:

قال المصنف: ومن شرط العلة أن تطرد في معلولاتها، ولا تنتقض لا لفظاً ولا معنى، فمتى انتقضت لفظاً بأن صدقت الأوصاف المعبَّر بها عنها في صورةٍ بدون الحكم، أو انتقضت معنى بأن وجد المعنى المعلل به في صورةٍ بدون الحكم فسد القياس.

الأول: كأن يقال في القتل بمثقل: إنه قتل عمد عدوان، فيجب به القصاص، كالقتل بالمحدد، فينتقض ذلك بقتل الوالد ولده فإنه لا يجب به قصاص.

والثاني: كأن يقال: تجب الزكاة في المواشي لدفع حاجة الفقير، فيقال: ينتقض ذلك بوجوده في الجواهر ولا زكاة فيها.

الحكم:

قال: ومن شـرط الحكـم: أن يكـون مثـل العلـة في النفـي والإثبـات، فـإذا وجـدت العلة وجد الحكم، وإن انتفت انتفى الحكم، والعلة هي: الجالبة للحكـم بمناسـبتها لـه، والحكم هو المجلوب للعلة.

والقياس رد إلى كتاب الله، حيث إنـه مستند إلى نـصٍ مـن كتـاب أو سـنة، وإلحـاق المسكوت عنه بالمنطوق فيه، كأن يقول: شهادة الثلاثة كالشهادة من الاثنين وأولى.

السّبر وَالتقسِيم:

تعريف السبر: وهو إبطال كل علة علل بها الحكم المعلل إجماعاً إلاَّ واحـدةً فُتعَّـينُ، نحو: علة الربا الكيل أو الطعم أو القـوت، والكـل باطـل إلاَّ الأولى، فـإن لم يجمـع عـلى تعليله، جاز ثبوته تعبداً فلا يفيد، وكذلك إن لم يكن سبره حاصـراً بموافقـة خـصمه أو عجزه عن إظهار وصف زائد، فيجب إذاً: على خصمه تسليم الحصر، أو إبراز ما عنـده لينظر فيـه، فيفسده ببيـان بقـاء الحكـم مـع حذفـه، أو ببيـان طرديتـه، أي: عـدم التفـات الشارع إليه في معهود تصرفه، ولا يفسد الوصـف بـالنقض، لجـواز كونـه جـزء علـة أو شـرطها فلا يستقل بالحكم، ولا يلزم من عدم استقلاله صحة علة المـستدل بدونـه، ولا بقوله: لم أعثر بعد البحث عـلى مناسـبة الوصـف، فيُلغـى، إذ يعارضـه الخـصم بمثلـه في وصفه، وإذا اتفق خصمان على فساد علة من عداهما، فإفساد أحدهما علـة الآخـر؛ دليـل على صحة علته عند بعض المتكلّمـين، والـصحيح خلافـه، إذ اتفـاقهما لا يقتـضي إفـساد علة غيرهما، وكل منهما يعتقد فساد علة غيره مـن حاضـر وغائـب، فيـستويان، فطريـق التصحيح ما سبق. اهـ.

الأسئلة الواردة على القياس:

قيل: اثنا عشر:

الأول: الاستفسار: ويتوجه على الإجمال، وعلى المعترض إثباته ببيان احتمال اللفظ معنيين فصاعداً، لا ببيان التساوي لغيره، وجوابه: بمنع التعدد أو رجحان أحدهما بأمر ما.

الثاني: فساد الاعتبار: وهو مخالفة القياس نصاً، كحديث مُعاذ[1] رضي الله عنه، ولأن الصحابة رضي الله عنهم لم يقيسوا إلاَّ مع عدم النص، وجوابه: بمنع النص، واستحقاق تقديم القياس عليه، لضعفه، أو عمومه، أو اقتضاء مذهب له.

الثالث: فساد الوضع: وهو اقتضاء العلة نقيض ما علق بها، نحو: لفظ الهبة ينعقد به غير النكاح، فلا ينعقد به النكاح كالإجارة، فيقال: انعقاد غير النكاح به يقتضي انعقاده به لتأثيره في غيره، وجوابه: بمنع الاقتضاء المذكور، أو بأن اقتضاءها لما ذكره المستدل أرجح. فإن ذكر الخصم شاهد لاعتبار ما ذكره، فهو معارضة.

---

(١) نص الحديث: الذي رواه شعبة عن أبي عون عن الحارث بن عمرو ابن أخي المغيرة بن شعبة عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ أن رسول الله لما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن: قال: (كيف تقضي إذا عرض لك القضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله؟ قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء (٤/ ١٨)، رقم(٣٥٩٢)، والترمذي في سننه في كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي (٣/ ٦١٦)، (رقم ١٢٢٧)، والدارمي في سننه، باب الفتيا وما فيه من الشدة (١/ ٦٠)، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ٦٩-٧٠)، والفقيه والمتفقه (١/ ١٨٨-١٨٩).

الرابع: المنع: وهو منع حكم الأصل، ولا ينقطع به المستدل على الأصح، وله إثباته بطرقه، ومنع وجود المُدّعى علة في الأصل فيثبته حساً أو عقلاً أو شرعاً بدليله، أو وجود أثر، أو لازم له، ومنع عليته، ومنع وجودها في الفرع، فيثبتها بطرقها كما سبق.

الخامس: التقسيم: ومحله قبل المطالبة، لأنه منع، وهو تسليم، وهو مقبول بعد المنع، بخلاف العكس، وهو حصر المعترض مدارك ما ادعاه المستدل علةً وإلغاء جميعها، وشرطه: صحة انقسام ما ذكره المستدل إلى ممنوعٍ ومسلم، وإلاَّ كان مُكابرة، وحصره لجميع الأقسام، وإلا جاز أن ينهض الخارج عنها بغرض المستدل ومطابقته لما ذكره، فلو زاد عليه لكان مناظراً لنفسه لا للمستدل، وطريق صيانة التقسيم أن يقول المعترض للمستدل: إن عنيت بما ذكرت كذا وكذا، فهو محتمل مسلم، والمطالبة متوجهة، وإن عنيت غيره، فهو ممنوع، والله أعلم.

السادس: المطالبة: وهي طلب دليل عليه الوصف من المستدل، ويتضمن تسليم الحكم، ووجود الوصف في الأصل والفرع، وهو ثالث المنوع المتقدمة.

السابع: النقض: وهو إبداء العلة بدون الحكم، وفي بطلان العلة به خلاف، ويجب احتراز المستدل في دليله عن صورة النقض على الأصح، ودفعه: إما بمنع وجود العلة أو الحكم في صورته، ويكفي المستدل قوله: لا أعرف الرواية فيها، إذ دليله صحيح، فلا يبطل بمشكوك فيه، وليس للمعترض أن يدل على ثبوت ذلك في صورة النقض، لأنه انتقال وغصب أو ببيان مانع، أو انتفاء شرطٍ تخلف لأجله الحكم في صورة النقض، ويسمع من المعترض نقض أصل خصمه، فيلزمه العذر عنه، لا أصل نفسه، نحو: هذا الوصف لا يطرد على أصلي، فكيف يلزمني؟ إذ دليل المستدل المقتضي للحكم حجة عليه، في صورة النقض كمحل النزاع، أو ببيان ورود النقض المذكور

على المذهبين كالعرايا على المذاهب، وقول المعترض: دليل عليه وصفك موجود في صورة النقض، غير مسموع، إذ هو نقض لدليل العلة، لا لنفس العلة، فهو انتقال، ويكفي المستدل في ردِّه أدنى دليلٍ يليق بأصله.

والكسر وهو: إبداء الحكمة بدون الحُكم غير لازم، إذ الحكم لا تنضبط بالرأي، فردَّ ضبطها إلى تقدير الشارع، وفي اندفاع النقض بالاحتراز عنه بذكر وصفٍ في العلة لا يؤثر في الحكم، ولا يعدم في الأصل لعدمه نحو قولهم في الاستجمار: حكم يتعلق بالأحجار، يستوى فيه الثيِّب والأبكار، فاشترط فيه العدد كرمي الجمار، خلاف الظاهر: لا، لأن الطردي لا يؤثر مفرداً، فكذا مع غيره، كالفاسق في الشهادة، ويندفع بالاحتراز عنه بذكر شرط في الحكم عند أبي الخطاب، نحو: حران مكلفان محقونا الدم قتل أحدهما الآخر عمداً، فجرى بينهما القصاص كالمسلمين، إذ العمد أحد أوصاف العلة، وإن تأخر لفظاً، والعبرة بالأحكام لا بالألفاظ، وقيل: لا. إذ قوله في العمد اعتراف بتخلف حكم علته عنها في الخطأ، وهو نقص، والأول أصح[1].

الثامن: القلب: وهو تعليق نقيض حكم المستدل على علته بعينها، ثم المعترض تارةً يصحح مذهبه، كقول الحنفي: الاعتكاف لبث محض فلا يكون بمجرده قربه كالوقوف بعرفة، فيقول المعترض: لبث محض فلا يعتبر الصوم في كونه قربةً كالوقوف بعرفة، وتارةً يبطل مذهب خصمه، كقول الحنفي: الرأس ممسوح، فلا يجب استيعابه بالمسح كالخف؛ فيقول المعترض: ممسوح، فلا يقدر بالربع كالخُفِّ، وكقوله: بيع الغائب عقد معاوضة، فينعقد مع جهل المعوض كالنكاح، فيقول خصمه: فلا يعتبر فيه خيار الرؤية

(١) انظر: شرح مختصر الروضة لنجم الدين أبو الربيع سليمان بن سعيد الطوسي، الأصول، القياس، الأسئلة الواردة على القياس (ص: ٥١٨).

كالنكاح، فيبطل مذهب المستدل لعدم أولوية أحد الحكمين بتعليقه على العلة المذكورة، والقلب معارضة خاصةً فجوابه جوابها، إلا بمنع وصف الحكم، لأنه التزمه في استدلاله، فكيف يمنعه.

التاسع: المعارضة: وهي إما بالأصل ببيان وجود مقتض للحكم فيه، فلا يتعين ما ذكره المستدل مقتضياً، بل يحتمل ثبوته له، أو لما ذكره المعترض، أو لهما وهو أظهر الاحتمالات، إذ المألوف من تصرف الشارع مراعاة المصالح كلها، كمن أعطى فقيراً قريباً غَلُب على الظن إعطاؤه للسببين، ويلزم المستدل حذف ما ذكره المعترض بالاحتراز عنه في دليله على الأصح، فإن أهمله وردَّ معارضه ويكفي المعترض في تقريرها بيان تعارض الاحتمالات المذكورة، ولا يكفي المستدل في دفعها إلاَّ بيان استقلال ما ذكره بثبوت الحكم، إما بثبوت علةِ ما ذكره بنصٍ أو إيماء، ونحوه من الطرق المُتقدمة، أو ببيان إلغاءِ ما ذكره المُعترض في جنس الحكم المختلف فيه كإلغاء الذكورية في جنس أحكام العتق، أو بأن مثل الحكم ثبت بدون ما ذكره، فيدل على استقلال علة المستدل، فإن بين المعترض في أصل ذلك الحكم المدعي ثبوته، بدون ما ذكره مناسباً آخر لزم المستدل حذفه، ولا يكفيه إلغاء كل من المناسبين بالأصل الآخر لجواز ثبوت حكم كل أصلٍ بعلةٍ تخصه، إذ العكس غير لازمٍ في الشرعيات، وإن ادعى المعترض استقلال ما ذكره مناسباً كفى المستدل في جوابه بيان رجحان ما ذكره هو بدليل أو تسليم، وأما الفرع بذكر ما يمتنع معه ثبوت الحكم فيه إما بالمعارضةِ بدليلٍ آكد من نصٍ أو إجماعٍ؛ فيكون ما ذكره المستدل فاسد الاعتبار كما سبق.

وأما بإبداء وصفٍ في الفرع مانع للحكم فيه أو للسببية، فإن منع الحكم احتاج في إثبات كونه مانعاً إلى مثل طريق المستدل في إثبات حكمه من العلَّةِ والأصل، وإلى مثل

علته في القوة، وإن منع السببية، فإن بقي احتمال الحكمة معه ولو على بعد لم يضر المستدل، لإلفنا من الشرع اكتفاؤه بالمظنة ومجرد احتمال الحكمة، فيحتاج المعترض إلى أصلٍ يشهد لما ذكره بالاعتبار، وإن لم يبق لم يحتج إلى أصل، إذ ثبوت الحكم تابع للحكمة، وقد علم انتفاؤه.

وفي المعارضة في الفرع، ينقلب المعترض مستدلاً على إثبات المعارضة، والمستدل معترضاً عليها بما أمكن من الأسئلة.

العاشر: عدم التأثير: وهو ذكر ما يستغني عنه الدليل في ثبوت حكم الأصل، إما لطرديته نحو: صلاة لا تقصر، فلا يُقدَّم أذانها على الوقت كالمغرب، إذ باقي الصلوات تقصر، فلا يقدَّم أذانها على الوقت، أو لثبوت الحكم بدونه، نحو: مبيع لم يره، فلم يصح بيعه كالطير في الهواء، فإن بَيْع الطير في الهواء ممنوع، وإن رؤي، نعم إن أشار بذكر الوصف المذكور إلى خلو الفرع من المانع، أو اشتماله على شرط الحكم دفعاً للنقض، جاز ولم يكن من هذا الباب، وإن أشار الوصف إلى اختصاص الدليل ببعض صور الحكم، جاز إن لم تكن الفتيا عامة، وإن عمَّت، لم يجز لعدم وفاء الدليل الخاص بثبوت الحكم العام.

الحادي عشر: تركيب القياس: من المذهبين، وهو القياس المركب المذكور قبل، نحو قوله في البالغة: أنثى، فلا تزوج نفسها، كابنة خمس عشرة، إذ الخصم يمنع تزويجها نفسها لصغرها لا لأنوثتها، ففي صحة التمسك به خلاف.

الإثبات إذاً أصله النزاع في الأصل، فيثبته ويبطل مأخذ الخصم فيه، وقد ثبت مدعاه.

والنفي، لأنه فِرار عن فِقه المسألة إلى مقدارٍ سن البلوغ، وهي مسألة أخرى، والأول أولى.

الثاني عشر: القول بالموجب: وهو: تسليم الدليل مع منع المدلول، أو تسليم مقتضى بالدليل مع دعوى بقاء الخلاف، وهو آخر الأسئلة، وينقطع المعترض بفساده، والمستدل بتوجيهه، إذ بعد تسليم العلة والحكم لا يجوز له النزاع فيهما.

ومورده: إما النفي نحو قوله في القتل بالمثقل: إن التفاوت في الآلة لا يمنع القصاص، كالتفاوت في القتل، فيقول الحنفي: سلَّمت، لكن لا يلزم من عدم المانع ثبوت القصاص، بل من وجود مقتضيه أيضاً، فأنا أنازع فيه.

وجوابه: ببيان لزوم حكم محل النزاع مما ذكره إن أمكن، أو بأن النزاع مقصور على ما يعرض له بإقرار أو اشتهار ونحوه، وإما الإثبات، نحو: الخيل حيوان يسابق عليه فتجب فيه الزكاة كالإبل، فيقول: نعم زكاة القيمة.

وجوابه: بأن النزاع في زكاة العين، وقد عرفنا الزكاة باللام فينصرف إلى محل النزاع، وفي لزوم المعترض إبداء مستند القول بالموجب، خلاف الإثبات، لئلا يأتي به نكداً وعناداً؛ والنفي إذ بمجرده، يتبين عدم لزوم حكم المستدل مما ذكره والأولى أولى، ويتقطع المعترض بإيراده على وجه يغير الكلام عن ظاهره، إذ وجوده كعدمه، فهو كالتسليم، نحو: الخل مانع لا يرفع الحدث، فلا يزيل النجاسة كالمرق؛ فيقول المعترض: أقول به إذ الخل النجس لا يزيل النجاسة؛ لأن محل النزاع الخل الطاهر، إذ النجس متفق على عدم إزالته، فهو كالنقض العام كالعرايا على عِلة الربا.

ويرد على القياس منع كونه حجةً، أو في الحدود والكفارات والمظان كالحنفية كما سبق جوابه.

والأسئلة راجعة إلى منع أو معارضة وإلاَّ لم يسمع، وذكر بعضهم أنها خمسة وعشرون، وترتيبها أولى اتفاقاً وفي جوابه خلاف وفي كيفيّته أقوال كثيرة اهـ.

الحَظْرُ وَالإبَاحَة:

اختلف العلماء هل الأشياء على الحظر أو الإباحة؟ فمن الناس من يقول: إن الأشياء على الحظر إلاّ ما أباحته الشريعة، فإن لم يوجد في الشريعة ما يدل على الإباحة، فيتمسك بالأصل وهو الحظر.

ومن الناس من يقول بضدِّه، وهو أن الأصل في الأشياء الإباحة، إلاّ ما حَظَرَهُ الشارعُ، هذا ما ذكره في الورقات، وهو تقديمه للحظر على الإباحة، أي: بعد مبعث النبي ﷺ وتقديمه يدل على اختياره للحظر على الإباحة.

وهذا القول خلاف ما عليه الأكثر، وهو أن الأشياء على الإباحة إلاَّ ما حَظَرَهُ الشارعُ؛ مستدلين بأن الله ذكره بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[1] فهو يعم كل شيءٍ إلاَّ ما حَظَرَهُ الشارعُ من المحرمات والمستقذرات، لأن الله ذكره على سبيل الامتنان، وهذا مذهب الإمام أحمد.

وفيه قول ثالث: هو التفصيل: أن المضارُّ على التحريم والمنافع على الإباحة، هذا كله فيما لم يرد فيه نص ولا إيماء، أما ما اجتمع فيه علة حظرٍ وعلة إباحةٍ، أو علة مسقطة للحدِ وعلة موجبة له، أو علة خفيفة الحكم، أو علة ثقيلة، يرجح الحظر على الإباحة، والمسقطة للحد على الموجبة، والخفيفة الحكم على الثقيلة.

(١) (سورة البقرة: من الآية: ٢٩).

فائدة:

وقد قال ابن القيم رحمه الله: الأصل في العبادات البُطلان إلاَّ ما شرعه الله ورسوله: والأصل في الفروج التحريم إلاَّ ما أباحه الله ورسوله والأصل في العقود الصحة، إلاَّ ما أبطله الشارع.

والأصل في المطعومات وما أشبهها الإباحة، إلاَّ ما قام الدليل على تحريمه، وقالوا: الأصل في المائعات الطهارة إلاَّ ما عُلِم نجاسته(١).

الأصل الخامس لما يقول بعضهم: استصحاب الحال:

ويسمى العدم الأصليِّ عند عدم الدليل الشرعيِّ، كما استدلوا بأن الصلوات خمس، وصيام رمضان جاء مبيناً منقولاً، كما في بقية شرائع الإسلام. فالأصل براءة الذمة من عدم وجوب صلاةٍ سادسة، وعدم وجوب صيام شوال، ولا غيره، واستصحاب الحال حجة عند الجمهور، كالشافعية والمالكية خلافاً للحنفية، مثاله: عشرون ديناراً ناقصةً تَرُوجُ رَوَاجَ الكاملة بالاستصحاب، فعند الشافعية ومن وافقهم لا زكاة فيها، وعند أبي حنيفة فيها زكاة.

الأصول المختلف فيها أربعة:

١- شرع من قبلنا إذا لم يأت شرعنا بخلافه ولا تقريره، أما إذا أتى شرعنا بخلافه، فلا يعمل به؛ لأن هذه الشريعة قد هيمنت على الشرائع ونسختها، فلا يعمل إلا بما جاء فيها، وأما إذا قررتها فهذا لا شكَّ في العمل بها، كما في آية القصاص وحدِّ الزاني المُحصن، وغير ذلك مما قررته الشريعة، فلا شكَّ في العمل نفياً أو إثباتاً.

(١) بل نقول: الأصل في جميع الأعيان الطهارة حتى يقوم الدليل على النجاسة.

واختلفوا: هل كان النبي ﷺ متعبداً في شرع من قبلنا؟

منهم من قال: متعبداً، ومنهم من قال: غير متعبد، وأقرب الأقوال إلى أنه متعبد بشريعة إبراهيم.

بقي شرع من قبلنا، إذا لم يأت له تقرير ولا نفي ولا إثبات، فهذا محل نزاع بين العلماء، منهم من قال: بالتوقف حتى يتبين الأمر، ومنهم من قال: شرع لنا إذا لم يأت شرعنا بخلافه.

٢- استصحاب الحال لأمرٍ وجودي أو عدمي عقلي أو شرعي، ومعناه: أنَّ ما ثبت في الزمن الماضي، فالأصل بقاؤه في الزمن المستقبل.

قال الخُوارزمي: هو آخر مدار الفتوى، إذا لم يجد المُفتي حُكمَ الحادثة في الكتِاب والسنَّة، والإجماعُ والقياس فيأخذ حكمها من استصحاب الحالٍ في النفي والإثبات، فإن كان التردد في زواله فالأصل بقاؤه، وإن كان التردد في ثبوته فالأصل عدم ثبوته.

الأول: أنه حجة، وبه قالت الحنابلة والمالكية وأكثر الأصوليين، والمزني والصيرفي.

والثاني: أنه ليس بحجة وإليه ذهب أكثر الحنفية والمتكلمين، وهو خاص عندهم بالشرعيَّات دون الحسيات، لأن الله أجرى العادة بذلك.

الثالث: أنه حجة على المجتهد فيما بينه وبين الله، فإنه لا يكلف ما لا يدخل تحت مقدوره.

الرابع: أنه يصلح حجة للدفع، ولا يكون حجة على الخصم.

الخامس: يجوز الترجيح به، نقل عن الشافعي وفيه قول سادس.

٣- قول الصحابي على غير الصحابي إذا اشتهر، فالذي عليه الجماهير أنه إجماع وحجة، وقالت طائفة: هو حجة وليس بإجماعٍ.

وقالت شرذمة من المتكلمين وبعض الفقهاء المتأخرين لا يكون إجماعاً ولا حجة، وإما إذا لم يشتهر أو لم يعلم هل اشتهر أم لا؟ فاختلف الناس هل يكون أم لا؟ فالذي عليه جمهور الأمة: أنه حجة، وهو قول جمهور الحنفية وعن أبي حنيفة نصاً، ومذهب مالك وأصحابه وهو قول إسحاق وهو منصوص الشافعي في القديم والجديد على الصحيح، وهو مذهب أحمد في المنصوص عنه أهـ. من كلام ابن القيم.

٤- الاستحسان: نسب المنقول به إلى الحنفية والحنابلة وأنكره الجمهور، حتى قال الشافعي: من استحسن فقد شرع[١]، قال بعض المحققين: الاستحسان: كلمة يطلقها أهل العلم على ضربين: أحدهما: واجب بالإجماع، وهو أن يقدم الدليل الشرعي أو العقلي لحسنه، فهذا يجب العمل به؛ لأن الحسن ما حسَّنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع.

وثانيهما: أن يكون على مخالفة الدليل، مثل: أن يكون الشيء محظوراً بدليلٍ شرعي، وفي عادات الناس يُستحسن، فهذا يحرم القول به ويجب اتباع الدليل وترك العادة والرأي، سواءً كان الدليل نصاً أو إجماعاً أو قياساً، انتهى.

وبالجملة أن ذكر الاستحسان في بحثٍ مُستقل لا فائدة فيه أصلاً؛ لأنه إن كان راجعاً إلى الأدلَّةِ المتقدمة فهو تكرار، وإن كان خارجاً عنها فليس من الشرع في شيء، بل هو من التقول على هذه الشريعة بما لم يكن فيها تارةً وبما يضادها أخرى، انتهى نقلاً من حصول المأمول[٢].

(١) (شرع) بفتح الشين، وفتح الراء المشددة.

(٢) انظر: حصول المأمول من علم الأصول لمحمد صديق حسن خان (ص: ١٧٦-١٧٧).

٥- المصالح المُرسلة(١):

قال الخوارزمي: والمراد بالمصلحة: المحافظةُ على مقصود الشرع بدفع المفاسدِ عن الخلق.

قال الغزالي: وهي أن يوجد معنى يشعر بالحكم عقلاً، ولا يوجد أصل متفق عليه.

قال ابن برهان: هي ما لا تستند إلى أصل كلي ولا جزئي، وقد اختلفوا في القول بها على مذاهب:

الأول: منع التمسك بها مطلقاً، وإليه ذهب الجمهور.

الثاني: الجواز مطلقاً وهو محكي عن مالك.

الثالث: إن كانت ملائمة لأصل كلي من أصول الشرع أو جزئي، جاز بناء الأحكام عليها، ولا فلا، حكاه ابن برهان في الوجيز عن الشافعي، وقال: إنه الحق المختار.

الرابع: إن كانت تلك المصلحة ضرورية قطعية كلية كانت معتبرة، فإن فقد أحد هذه الثلاثة لم تعتبر، والمراد بالضرورية أن تكون من الضروريات الخمس، وبالكلية أن تعم جميع المسلمين، لا لو كانت لبعض الناس دون بعض، أو في حالة مخصوصة

(١) المصالح المُرسلة، أي: المطلقة التي لم يأت الشارع بإثباتها ولا نفيها، ولكن يحصل بها جلب منفعة أو دفع مضرة، ولا بد أن نعلم أن الشريعة كلها مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد فلا تأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولا تنهى وتمنع إلا ما فيه مفسدة خالصة أو راجحة.

دون حالة، واختار هذا الغزالي والبيضاوي.

وها هنا فوائد لها بعض اتصالٍ بمباحثِ الاستدلالِ:

الفائدة الأولى: في قول الصحابي:

قد اتفقوا على أن قول الصحابي في مسائل الاجتهاد ليس بحجةٍ على صحابيٍّ آخر، واختلفوا هل يكون حجةً على من بعد الصحابة من التابعين ومن بعدهم، على أقوال:

الأول: إنه ليس بحجةً مطلقاً وإليه ذهب الجمهور وتقدَّم ذكره.

الثاني: إنه حجة شرعية مقدمة على القياس، وبه قال أكثر الحنفية، ونقل عن مالك، وهو قول الشافعي.

الثالث: إنه حجة إذا انضم إليه القياس، فيقدم على قياسٍ ليس معه قول صحابي، وهو ظاهر قول الشافعي في الرسالة.

الرابع: إنه حجة إذا خالف القياس، لأنه لا محمل له إلاَّ التوقيف، قال ابن برهان في الوجيز: وهذا هو الحق المبين.

* المؤلف رحمه الله اقتصر على ذكر فائدة واحدة من الفوائد التي لها اتصال بمباحث الاستدلال، وسأذكر باقي الفوائد حتى يحصل الفائدة[1].

---

(١) **الفائدة الثانية**: الأخذ بأقل ما قيل، فإنه أثبته الشافعي والقاضي أبو بكر الباقلاني، قال القاضي عبد الوهاب: وحكى بعض الأصوليين إجماع أهل النظر عليه، قال ابن السمعاني: وحقيقته أن يختلف المختلفون في أمر على أقاويل، فيأخذ بأقلها إذا لم يدل على الزيادة دليل، وقسم ابن السمعاني المسألة إلى قسمين:

أحدهما: أن يكون ذلك فيما أصله البراءة، فإن كان الاختلاف في وجوب الحق وسقوطه كان سقوطه أولى؛ لموافقة براءة الذمة ما لم يقم دليل الوجوب، وإن كان الاختلاف في قدره بعد=

=
الاتفاق على وجوبه، كدية الذمي إذا وجبت على قاتله، فهل يكون الأخذ بأقله دليلاً؟ اختلف أصحاب الشافعي فيه.

القسم الثاني: أن يكون مما هو ثابت في الذمة، كالجمعة الثابت فرضها، مع اختلاف العلماء في عدد انعقادها، فلا يكون الأخذ بالأقل دليلاً؛ لارتهان الذمة بها؛ فلا تبرأ الذمة بالشك.

وهل يكون الأخذ بالأكثر دليلاً؟ فيه وجهان:

أحدهما: أنه يكون دليلاً، ولا ينتقل عنه إلا بدليل ؛ لأن الذمة تبرأ بالأكثر إجماعاً، وفي الأقل خلاف، فلذلك جعلها الشافعي تنعقد بأربعين؛ لأن هذا العدد أكثر ما قيل.

الثاني: لا يكون دليلاً؛ لأنه لا ينعقد من الخلاف دليل، انتهى.

والحاصل أنهم جعلوا الأخذ بأقل ما فيها متركباً من الإجماع والبراءة الأصلية، وقد أنكر جماعة الأخذ بأقل ما قيل.

قال ابن حزم: وإنما يصح إذا أمكن ضبط أقوال جميع أهل الإسلام، ولا سبيل إليه، وحكى قولاً بأنه يؤخذ بأكثر ما قيل، ليخرج من عهدة التكليف بيقين.

الفائدة الثالثة: في المثبت للحكم والنافي له:

لا خلاف أن المثبت للحكم يحتاج إلى إقامة الدليل عليه، وأما النافي له فاختلفوا في ذلك على مذاهب:

المذهب الأول: أن يحتاج إلى إقامة الدليل على النفي.

المذهب الثاني: أنه لا يحتاج إلى إقامة دليل، وإليه ذهب أهل الظاهر، إلا ابن حزم، فإنه رجح المذهب الأول.

المذهب الثالث: أنه يحتاج إلى إقامة الدليل في النفي العقلي، دون الشرعي، حكاه القاضي في التقريب وابن فورك.

المذهب الرابع: أنه يحتاج إلى إقامة الدليل في غير الضروري، بخلاف الضروري، وهذا اختاره الغزالي ولا وجه له، فإن الضروري يستغنى بكونه ضرورياً، ولا يخالفه مخالف إلا على جهة الغلط، أو اعتراض الشبهة، ويرتفع عنه ذلك ببيان ضروريته، وليس النزاع إلا في الضروري.

المذهب الخامس: أن النافي إن كان شاكاً في نفيه لم يحتج إلى دليل، وإن كان نافياً له عن معرفة احتاج إلى ذلك إن كانت تلك المعرفة استدلالية، لا إن كانت ضرورية، فلا نزاع في=

=

الضروريات، كذا قال القاضي عبد الوهاب في الملخص ولا وجه له، فإن النافي عن معرفة يكفيه تكليف المثبت بإقامة الدليل، حتى يعمل به، أو يرده؛ لأنه هو الذي جاء بحكم يدعي أنه واجب عليه، وعلى خصمه، وعلى غيرهما.

المذهب السادس: أن النافي إن نفى العلم عن نفسه، فقال: لا أعلم ثبوت هذا الحكم، فلا يلزمه الدليل، وإن نفاه مطلقاً احتاج إلى الدليل؛ لأن نفي الحكم حكم، كما أن الإثبات حكم.

قال ابن برهان في الأوسط: وهذا التفصيل هو الحق انتهى.

قلت: بل الحق هو ما قدمناه.

المذهب السابع: أنه إن ادعى لنفسه علماً بالنفي احتاج إلى الدليل، وإلا فلا، هكذا ذكر هذا المذهب بعض أهل الجدل، واختاره المطرزي، وهو قريب من المذهب الخامس.

المذهب الثامن: أنه إذا قال: لم أجد فيه دليلاً بعد الفحص عنه، وكان من أهل الاجتهاد لم يحتج إلى دليل، وإلا احتاج، هكذا قال ابن فورك.

المذهب التاسع: أنه حجة دافعة لا موجبة، حكاه أبو زيد.

ولا وجه له، فإن النفي ليس بحجة موجبة على جميع الأقوال، وإنما النزاع في كونه يحتاج إلى الاستدلال على النفي، فيطالب به مطالبة مقبولة في المناظرة أم لا.

واختلفوا إذا قال العالم: بحثت وفحصت فلم أجد دليلاً، هل يقبل منه ذلك، ويكون عدم الوجدان دليلاً له، فقال البيضاوي: يقبل؛ لأنه يغلب ظن عدمه، وقال ابن برهان في الأوسط: إن صدر هذا عن المجتهد في باب الاجتهاد والفتوى قبل منه، ولا يقبل منه في المناظرة؛ لأن قوله: بحثت فلم أظفر يصلح أن يكون عذراً فيما بينه وبين الله، أما انتهاضه في حق خصمه فلا.

الفائدة الرابعة: سد الذرائع: الذريعة هي: المسألة التي ظاهرها الإباحة، ويتوصل بها إلى فعل المحظور، قال الباجي: ذهب مالك إلى المنع من الذرائع، وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يجوز منعها، استدل المانع بمثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾[سورة البقرة، الآية: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾[سورة الأعراف: ١٦٣].

وما صح عنه ﷺ من قوله: **(لعن الله اليهود؛ حرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا أثمانها)** رواه أبو داود والحاكم وصححه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، وقوله ﷺ: **(دع** =

ما يريبك إلى ما لا يريبك)، رواه النسائي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقوله ﷺ: **(الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات)**، رواه البخاري ومسلم عن البشير بن النعمان رضي الله عنه، وقوله: **(والمؤمنون وقافون عند الشبهات)**، ذكره الشوكاني في إرشاد الفحول: (ص: ٢١٧)، ولم أجده في غير كتب الأصول، وقوله ﷺ: **(من حام حول الحمى يوشك أن يواقعه)**، ذكره الشوكاني في إرشاد الفحول، وهو من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه السابق الذي في آخره: **(ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه)** رواه البخاري ومسلم، قال القرطبي: سد الذرائع ذهب إليه مالك وأصحابه وخالفه أكثر الناس تأصيلاً وعملوا عليه في أكثر فروعهم تفصيلاً.

الفائدة الخامسة: دلالة الاقتران:

وقد قال بها جماعة من أهل العلم، فمن الحنفية: أبو يوسف، ومن الشافعية: المزني، وابن أبي هريرة، وحكى ذلك الباجي عن بعض المالكية قال: ورأيت ابن نصر يستعملها كثيراً، ومن ذلك استدلال مالك على سقوط الزكاة في الخيل بقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[سورة النحل، الآية: ٨]، قال: فقرن بين الخيل والبغال والحمير، والبغال والحمير لا زكاة فيها إجماعاً، فكذلك الخيل، وأنكر دلالة الاقتران الجمهور، فقالوا: إن الاقتران في النظم لا يستلزم الاقتران في الحكم، واحتج المثبتون لها بأن العطف يقتضي المشاركة، وأجاب الجمهور: بأن الشركة إنما تكون في المتعاطفات الناقصة المحتاجة إلى ما تتم به، فإذا تمت بنفسها، فلا مشاركة كما في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا ﴾[سورة الفتح، الآية: ٢٩]، فإن الجملة الثانية معطوفة على الأولى، ولا تشاركها في الرسالة، ونحو ذلك كثير في الكتاب والسنة، والأصل في كل كلام تام أن ينفرد بحكمه ولا يشاركه غيره فيه، فمن ادعى خلاف هذا في بعض المواضع، فلدليل خارجي ولا نزاع فيما كان كذلك، ولكن الدلالة فيه ليست للاقتران بل للدليل الخارجي، أما إذا كان المعطوف ناقصاً بأن لا يذكر خبره كقول القائل: فلانة طالق وفلانة، فلا خلاف في المشاركة، ومثله عطف المفردات، وإذا كان بينهما مشاركة في العلة، فالتشارك في الحكم إنما كان لأجلها لا لأجل الاقتران، وقد احتج الشافعي على وجوب العمرة بقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ ﴾[سورة البقرة، الآية:١٩٦]، والأمر يقتضي الوجوب فكان احتجاجه بالأمر دون الاقتران.

=

الفائدة السادسة: دلالة الإلهام: حكى الماوردي والرياني في كتاب القضاء في حجية الإلهام خلافاً وفرعا عليه أن الإجماع هل يجوز انعقاده لا عن دليل وإلا فلا. قال الزركشي في البحر: وقد اختار جماعة من المتأخرين اعتماد الإلهام منهم في تفسيره في أدلة القبلة، وابن الصلاح في فتاواه، فقال: إلهام خاطر الحق من الحق، قال: ومن علامته: أن ينشرح له الصدر ولا يعارضه معارض آخر.

قال أبو علي التميمي في كتاب التذكرة في أصول الدين: ذهب بعض الصوفية إلى أن المعارف تقع اضطراراً للعباد على سبيل الإلهام بحكم وعد الله ﷻ بشرط التقوى، واحتج بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾[سورة الأنفال، الآية:٢٩] أي: ما تفرقون به بين الحق والباطل، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢﴾[سورة الطلاق، الآية:٢] أي: عن كل ما يلتبس على غيره وجه الحكم فيه، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٨٢].

فهذه العلوم الدينية تحصل للعباد إذا زكت أنفسهم، وسلمت قلوبهم لله تعالى بترك المنهيات، وامتثال المأمورات، وخبره صدق ووعده حق، واحتج شهاب الدين السهروردي على الإلهام بقوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ ﴾[سورة القصص،الآية:٧]، وبقوله: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ﴾[سورة النحل، الآية: ٦٨]، فهذا الوحي هو مجرد الإلهام، ثم إن من الوحي علوماً تحدث في النفوس الزكية المطمئنة. قال ﷺ: (**إن من أمتي المحدثين والمكلمين وإن عمر لمنهم**) رواه البخاري، وقال تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨﴾[سورة الشمس، الآيات: ٧، ٨]، فأخبر أن النفوس ملهمة، قلت: وهذا الحديث الذي ذكره هو ثابت في الصحيح بمعناه، قال ابن وهب في تفسير الحديث: أي: ملهمون، ولهذا قال صاحب نهاية الغريب: جاء في الحديث تفسيره أنهم الملهمون، والملهم هو الذي يلقى في نفسه الشيء فيخبر به حدساً وفراسة، وهو نوع يخص به الله من يشاء من عباده كأنهم حدثوا بشيء، فقالوه، وأما قوله ﷺ: (**استفت قلبك وإن أفتاك الناس**) رواه أحمد والدارمي في مسنديهما بإسناد حسن عن وابصة بن معبد، بلفظ: (**الإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك**)، فذلك في الواقعة التي تتعارض فيها الأدلة، قال الغزالي: واستفتاء القلب إنما هو حيث أباح المفتي، أما حيث حرم فيجب الامتناع، ثم لا نقول: على كل قلب، فرب قلب موسوس ينفي كل شيء، ورب متساهل يطير إلى كل شيء، فلا اعتبار بهذين القلبين وإنما الاعتبار بقلب العالم الموفق لدقائق الأحوال، فهو المحك الذي يمتحن به حقائق الأمور، وما أعز هذا القلب، قال البيهقي في شعب الإيمان: هذا محمول على أنه يعرف في منامه =

ترتيب الأدلَّة (١):

الترتيب جعل كل شيءٍ في مكانه، إذا كان اثنين فأكثر في رتبته التي يستحقها، فيقدم الإجماع على بقيَّة أدلة الشرع، لأن الإجماع لا بدَّ وأن يستند إلى دليل، ثم الكتاب، ثم متواتر السُنَّةِ، ثم خبر الآحاد، ثم القياس، فيدخل الترجيح في المسموعات، كالآتي:

فيقدم الدليل الجليِّ منها على الخفي، ومثال ذلك: إنه إذا تواتر دليلان: جلي وخفي، فيقدم ما كان جلياً واضحاً لا غموض فيه، واللفظي في معناه الحقيقي، على معناه المجازي.

=

من عالم الغيب ما عسى أن يحتاج إليه، أو يحدث على لسان ملك بشيء من ذلك، كما ورد في بعض طرق الحديث بلفظ: «**وكيف يحدث**»، قال: يتكلم الملك على لسانه، وقد روي عن إبراهيم بن سعد أنه قال في هذا الحديث: يعني: يلقى في روعه، قال القفال: لو تثبت العلوم بالإلهام لم يظن للنظر معنى، ونسأل القائل بهذا عن دليله، فإن احتج بغير الإلهام فهو ناقض قوله، انتهى.

الفائدة السابعة: في رؤيا النبي ﷺ ذكر جماعة من أهل العلم منهم: الأستاذ أبو إسحاق أنه يكون حجة ويلزم العمل به، وقيل: لا يكون حجة ولا يثبت به حكم شرعي، وإن كانت رؤية النبي ﷺ رؤية حق، والشيطان لا يتمثل به، لكن النائم ليس من أهل التحمل للرواية لعدم حفظه، وقيل: إنه يعمل به ما لم يخالف شرعاً ثابتاً، ولا يخفاك أن الشرع الذي شرعه الله لنا على لسان نبينا ﷺ قد كمله الله ﷻ وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[سورة المائدة، الآية:٣]، ولم يأتنا دليل يدل على أن رؤيته في النوم بعد موته ﷺ، إذا قال فيها بقول أو فعل فيها، فعلاً يكون دليلاً وحجة، بل قبضه الله إليه بعد أن كمل لهذه الأمة ما شرعه لها على لسانه، ولم يبق بعد ذلك حاجة للأمة في أمر دينها، وقد انقطعت البعثة لتبليغ الشرائع، وتبيينها بالموت وإن كان رسولاً حياً وميتاً، وبهذا تعلم أن لو قدرنا ضبط النائم لم يكن ما رآه من قوله ﷺ أو فعله حجة عليه، ولا على غيره من الأمة.(المصدر- انظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للمؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني).

(١) المراد: ترتيب الأدلة عند التعارض، فيقدم الأقوى على غيره كما ذكره ؒ مفصلاً.

ويقدم الموجب للعلم على الموجب للظن، وذلك كالمتواتر، والآحاد، فيقدم الأول، إلا أن يكون عاماً فيخص بالثاني كما تقدم في تخصيص الكتاب بالسنة.

ويقدّم النطق من كتاب الله وسنة نبيه على القياس، إلا أن يكون النطق عاماً فيخص بالقياس، كقياس العلة الخفي.

ثم القياس الجلي على الخفي، وذلك كقياس العلة على قياس الشبه، وكما يُقدم أقوال الخلفاء الراشدين على غيرهم، ويُقدم قول المتقدمين على من دونه.

أما النطق من كتاب الله وسنة نبيه، إذا وجد ما يقربه أي يفسره، فواضح أن يعمل بالنطق، وإلاَّ فسيستصحب الحال، أي: العدم الأصلي ويترك الأصل، وكذا إن وجد إجماع أو قياس.

أحكَامُ الفُتيَا:

شروط المفتي[1]:

أن يكون عالماً بالفقه أصلاً وفرعاً، خلافاً ومذهباً، أي: بمسائل الفقه، وقواعده وفروعه، وبما فيها من الخلاف، ليذهبَ إلى قول منه، ولا يخالفه، بأن يحدث قولاً آخرَ، لاستلزام اتفاق من قبله بعدم ذهابهم إليه على نفيه، وأن يكون كامل الآلة في الاجتهاد، عارفاً بما يحتاج إليه في استنباط الأحكام من النحو، واللغة، ومعرفة الرجال الراوين للأخبار، ليأخذ برواية المقبول منهم دون المجروح، وتفسير الآيات الواردة في

---

(١) **المفتي هو**: المخبر بحكم الله تعالى عن دليل شرعي، أو هو المتمكن من معرفة أحكام الوقائع شرعاً بدليل مع حفظه لأكثر الفقه، انظر: صفة الفتوى والمفتي والمستفتي (ص: ٤)، الفتيا ومناهج الإفتاء (ص:)٩، إرشاد الفحول (ص:٢٦٥)، تيسير التحرير (٣/ ١٧٩)، أحكام الإفتاء (ص: ٢٦).

الأحكام، والأخبار الواردة فيها، ليوافق ذلك في اجتهاده ولا يخالفه.

ومعنى خلافاً أي: خلاف علماء المذاهب الأخرى، ومذهباً أي: مذهب إمامه، وهذا ينطبق على مجتهد المذهب، أما أقسام المجتهدين فيأتي.

المفتي ومن هو أهل الفُتيا:

يشترط فيه:

١- أن يكون عالماً بآيات الأحكام، ويقول بعضهم: إنها خمسمائة آية، فإن قصر في معرفة ذلك، فليس صالحاً للاجتهاد والفُتيا.

٢- أن يكون عالماً بأحاديث الأحكام، ويقول بعضهم: إنها خمسمائة حديث، ويقول البعض الآخر: نحو ألفَ حديثٍ، وكذا في معرفةِ السنَّة أن يكون متبصراً بها، فإن لم يحفظها أو نسي منها لم يكن من أهل الاجتهاد، وحصر آيات الأحكام والأحاديث الخمسمائة، بهذا القدر يروى عن الغزالي وابن العربي(١)، وهذا الذي أشار باعتبار دلالة الظاهر، وإلا فقد وجد في آيات القصص وغيرها من الأحكام شيء كثير، وإما كون جميع السنن تتوفر لدى شخصٍ فلا، كما قال الشافعي.

ويروى عن ابن العربي أن أحاديث الأحكام ألوف مؤلَّفة، ويروى عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: الأصول التي يدور عليها العلم عن النبي ﷺ ينبغي أن تكون ألفاً ومائتين، وقال الغزالي وجماعة من الأصوليين: يكفيه مثل سنن أبي داود، ومعرفة السنن للبيهقي، مما يجمع أحاديث الأحكام ويكتفي فيه بمواقع كل باب فيراجعه وقت الحاجة، وتبعه على ذلك الرافعي من الشافعية ونازع في ذلك النووي، فقال: إن التمثيل

---

(١) الزركشي في البحر المحيط.

بسنن أبي داود لا يصح.

وردَّ هذه الأقوال ابن دقيق العيد، وقال: لا بد أن يكون مُلماً بمجاميع السنة التي ألفها علماء السنة، ومُطلعاً على المسانيد، لكن لا يشترط أن تكون محفوظة لديه.

٣- أن يكون عارفاً بمسائل الإجماع، حتى لا يُفتي بخلاف ما وقع الإجماعُ عليه، إن كان ممن يقول بحجية الإجماع، ويرى أنه دليل شرعي وقل أن يلتبس على من بلغ رتبة الاجتهاد ما وقع عليه الإجماع من المسائل.

٤- أن يكون عالماً بلسان العرب بحيث يمكنه تفسير ما ورد في الكتاب والسنة من الغريب ونحوه، ولا يشترط أن يكون حافظاً لها عن ظهر قلب بل المعتبر أن يكون متمكناً من استخراجها من مؤلفات الأئمة المشتغلين بذلك، وإنما يتمكن من معرفة معانيها وخواص تراكيبها وما اشتملت عليه من لطائف المزايا من كان عالماً بعلم النحو والصرف والمعاني والبيان حتى يثبت له في كل فن من هذه الفنون ملكة يستحضر بها كل ما يحتاج إليه عند وروده عليه، قال الإمام الشافعي ﵀: يجب على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما يبلغه جهده في أداء فرضه، قال الماوردي: ومعرفة لسان العرب فرض على كل مسلم من مجتهد وغيره.

٥- أن يكون عالماً بعلم أصول الفقه لاشتماله على نفس الحاجة إليه، وعليه أن يطول الباع فيه ويطلع على مختصراته ومطولاته بما تبلغ به طاقته، فإن هذا العلم هو عماد فسطاط الاجتهاد وأساسه الذي تقوم عليه أركان بنائه، وعليه أيضاً أن ينظر في كل مسألة من مسائله نظراً يوصله إلى ما هو الحق فيها، فإنه إذا فعل ذاك تمكن من رد الفروع إلى أصولها بأيسر عمل وإذا قصر في هذا الفن صعب عليه الرد وخبط فيه وخلط، قال الفخر الرازي في المحصول: وما أحسن ما قال: إن أهم العلوم للمجتهد

علم أصول الفقه انتهى، قال الغزالي: إن عظم علوم الاجتهاد يشتمل على ثلاثة فنون: الحديث واللغة وأصول الفقه.

٦- أن يكون عارفاً بالناسخ والمنسوخ، بحيث لا يخفى عليه شيء من ذلك مخافة أن يقع في الحكم بالمنسوخ، وقد اختلفوا في اشتراط العلم بالدليل العقلي، فشرطه جماعة منهم: الغزالي والرازي، ولم يشترط الآخرون، وهو الحق؛ لأن الاجتهاد إنما يدور على الأدلة الشرعية، لا على الأدلة العقلية، ومن جعل العقل حاكماً، فهو لا يجعل ما حكم به داخلاً في مسائل الاجتهاد، واختلفوا أيضاً في اشتراط علم أصول الدين، فمنهم من يشترط ذلك، وإليه ذهب المعتزلة، ومنهم من لم يشترط ذلك: وإليه ذهب الجمهور، ومنهم من فصل فقال: يشترط العلم بالضروريات، كالعلم بوجود الرب سبحانه، وصفاته، وما يستحقه، والتصديق بالرسل بما جاءوا به، ولا يشترط علمه بدقائقه، وإليه ذهب الآمدي، واختلفوا أيضاً في اشتراط علمه بالفروع فذهب جماعة منهم: الأستاذ أبو إسحاق إلى اشتراطه، واختاره الغزالي وقال: إنما يحصل الاجتهاد في زماننا بممارسته فهو طريق لتحصيل الدربة في هذا الزمان، وذهب آخرون إلى: عدم اشتراطه، قالوا: وإلا لزم الدور، وكيف يحتاج إليها، وهو الذي يولدها بعد حيازته لمنصب الاجتهاد، وقد جعل قوم من جملة علوم الاجتهاد علم الجرح والتعديل؟ وهو كذلك، ولكنه مندرج تحت العلم بالسنة فإنه لا يتم العلم بها بدونه كما قدمنا، وجعل قوم من جملة علوم الاجتهاد معرفة القياس بشروطه وأركانه. قالوا: لأنه مناط الاجتهاد، وأصل الرأي ومنه يتشعب الفقه، وهو كذلك، ولكنه مندرج تحت علم أصول الفقه باب من أبوابه وشعبة من شعبه.

التّقليدُ:

التقليد في اللغة[١]: وضع الشيء في العنق محيطاً به، وذلك الشيء يسمى قلادة، والجمع قلائد، ومنه تقليد الهدي، فكأن المقلد جعل الحكم الذي قلد فيه المجتهد كالقلادة في عنق من قلده، ويستعمل التقليد - أيضاً - في تفويض الأمر إلى الشخص كأن الأمر جعل في عنقه كالقلادة، قالت الخنساء[٢]:

يقلده القوم ما نابهم وإن كان أصغرهم مولداً

أما في الاصطلاح: فتكاد تنحصر تعريفات الأئمة في ثلاثة تعريفات متقاربة المعنى:

الأول: **أن التقليد**: قبول قول القائل وأنت لا تعلم من أين قاله، **(أي: لا تعرف مأخذه)**[٣].

---

(١) انظر في التعريف اللغوي: لسان العرب (٣٦٧/ ٣)، مختار الصحاح (ص ٥٤٥)، البحر المحيط للزركشي (٦/ ٢٧٠)، الأحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢٢١/ ١٤)، إرشاد الفحول للشوكاني (ص٢٥٦)، مختصر حصول المأمول من علم الأصول لصديق حسن خان (ص١١٨)، شرح الورقات لعبد الله بن صالح لفوزان (ص٧٠) وغيرها.

(٢) **الخنساء**: واسمها تماضر بنت عمرو السلمية (٥٧٥م- ٢٤هـ٦٤٥م)، حابية وشاعرة مخضرمة من أهل نجد أدركت الجاهلية والإسلام وأسلمت، واشتهرت برثائها لأخويها صخر ومعاوية اللذين قتلا في الجاهلية، لقبت بالخنساء بسبب ارتفاع أرنبتي أنفها.

(٣) وهذا التعريف نسب إلى القتال، انظر: البحر المحيط (٥٧٠/ ٦)، وإرشاد الفحول (ص: ٢٦٥).

الثاني: قبول قول الغير بلا حجة[١].

الثالث: اتباع قول من ليس قوله حجة، وهو قريب من الثاني[٢].

فخرج بقولنا: (**من ليس قوله حجة**) اتباع النبي ﷺ، واتباع أهل الإجماع، واتباع الصحابي إذا قلنا حجة فلا يسمى اتباع شيء من ذلك تقليداً، لأنه اتباع للحجة[٣].

وبذلك نلاحظ تقارب هذه التعريفات، وأن التعريف الثالث أدق، لأن من يتبع من قوله حجة لا يحتاج إلى معرفة مأخذه، أو حجته باعتباره حجة بنفسه[٤].

أما المستفتي فهو: من ليس بمجتهد أو من ليس بفقيه، وقول النبي ﷺ والعمل به ليس من التقليد في شيء، لأن قوله وفعله ﷺ حجة بنفسه، وقد نقل القاضي في التقريب الإجماع على أن الآخذ بقول النبي ﷺ والراجع إليه ليس بمقلد، بل هو صائر إلى دليلٍ وعلم يقين. انتهى.

وقال بعضهم: إن كان النبي ﷺ يقول بالقياس، فقبول قوله يسمى تقليداً، والذي تميل إليه النفس وتطمئن أن قوله تشريع، وهو حجة بنفسه فلا يسمي من عمل به

---

(١) ذكره ابن حزم في الأحكام (٢/ ٨٣٦) ، وابن تيمية في الفتاوي (١٥/ ٢، ١٦) والجويني والغزالي والآمدي، وابن الحاجب وغيرهم، انظر الأحكام للآمدى (٤/ ٢٢١)، البحر المحيط (٦/ ٢٧٠)، شرح الورقات للفوزان (ص: ١٧١).

(٢) وهو ترجيح أبي عبد الله بن خويز منداد البصري المالكي، وابن الهمام في التحرير، والشوكاني وغيرهم، انظر: جامع بيان العلم وفضله (١١٧/ ٢)، إرشاد الفحول (٢٦٥).

(٣) الأصول من علم الأصول للشيخ/ محمد العثيمين (ص: ١٠٠)، وانظر شرح الورقات لعبد الله الفوزان (١٧٠).

(٤) المصدر: نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف لمحمد بن عبد الله بن على الوهيبي.

مقلداً بل متبعاً، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[1].

ولقوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥﴾[2].

وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾[3].

المقَلد:

المُقلد وهو المستفتي: أن يكون من أهل التقليد، فيقلد المفتي في الفُتيا، ولا يجوز أن يُقلَد من ليس هو من أهل الاجتهاد، فيجوز للعامي أن يقلد عالماً لم يعلم خطأه، فإن علم فلا يجوز له ذلك.

ولا يجوز للعالم أن يقلد غيره، ولو كان غيره أعلم، ولو ضاق الوقت عن الاجتهاد فلا يصح تقليده، ولا العمل المبني عليه، لتمكنه من الاجتهاد الذي هو أصل التقليد، ولا يجوز العدول عن الأصل مع إمكانٍ إلى بدله.

والعامي لا يلزمه إذا قلَّد أحداً أن يسأله: من أين أخذه؟ لأنه قبول قول القائل بلا حجة، ومعناه: قبوله واعتقاده والعمل به من غير طلب دليلٍ وهذا للعامي، وقبول قول القاضي للشهود، وخبر الواحد من هذا القبيل.

هل النبي صلى الله عليه وسلم يقول بالاجتهاد:

من العلماء من قال: إن النبي ﷺ يقول بالاجتهاد، منهم: الشافعي ورواية عن

(١) (سورة النجم الآيات ٣، ٤).

(٢) (سورة الحاقة الآيات رقم:٤٤، ٤٥).

(٣) (سورة النساء:٦٥).

الإمام أحمد مستدلين بأدلة، كقصة أسرى بدر، ومسائل، منها:

الأول: مقامه يوم بدر بوادي بدر، فأشار عليه بعض الصحابة بالتقدم، ومسألة: تأبير النخل، وغير ذلك، قالوا: هذا دليل اجتهاده، ولو كان وحياً لما غيره ﷺ إلى غيره إلاّ بأمر الله، وهذا القول قول: الجمهور، حكاه في حصول المأمول.

الثاني: وقال آخرون: أن اجتهاده خاص بأمور الدنيا، أو أمور الحرب، وأما أمور الدين فهي تشريعات إلهية، إما كتاب أو سنة، وعلى القول بأنه يقول بالاجتهاد فهو لا يُقر على خطأ.

الثالث: أنه لا يجوز له أن يجتهد مطلقاً لقدرته على النص، وهذا مذهب ابن حزم والظاهرية.

الرابع: الوقف وهو قول لبعض الشافعية، وزعم الصيرفي في شرح الرسالة أنه مذهب الشافعي.

اجتهاد الصحابي في عهده:

ذهب الجمهور إلى جوازه ووقوعه، واستدلوا على ذلك بوقائع وقعت على عهده ﷺ، منها: قصة لأبي بكر رضي الله عنه، وقال بعضهم: يشترط تقريره على ذلك، وهذا مذهب الجمهور.

الاجتهاد:

الاجتهاد لغةً: بذل الوسع والجهد في فعلٍ شاقٍ، وعند الأصوليين: بذل الجهد في تعريف الأحكام، وغايته: بذل الوسع في طلب إلى غاية، وعرَّفه المصنف بأنه: بذل الوسع في بلوغ الغرض، وشرطه: الإحاطة بمدارك الأحكام، وهي الأصول الأربعة

المتقدمة.

فالمجتهد هو: الفقيه المستفرغ لوسعه لتحصيل ظن علم شرعي، ولا بد أن يكونَ عاقلاً بالغاً قد ثبتت له ملكة يقتدر بها على استخراج الأحكام من مآخذها، وإنما يتمكن من ذلك بشروط:

الأول: أن يكون عالماً بنصوص الكتاب والسنة، فإن قصر في أحدهما لم يكن مجتهداً، ولا يجوز له الاجتهاد، ولا يشترط معرفته بجميع الكتاب والسنة، بل بما يتعلق فيهما بالأحكام.

وتقدم الإشارة إلى شيءٍ من ذلك، في الفُتيا وشروطه هناك(١).

هل يجوز للمجتهد أن يقول في مسألةٍ واحدة قولين؟

الصحيح أنه لا يجوز للمجتهد أن يقول في مسألةٍ واحدةٍ قولين؛ خلافاً للشافعيِّ في المسترسل من اللحية.

وإذا قضى على حُكمين في مسألتين مختلفتين؛ فمذهبه الأخير، ومثل هذه المسألة جائزة، خلافاً لما قبلها، لقصة عمر رضي الله عنه في مسألة المشركة، فقد قضى بها حكمين مختلفين، على ما نقل عنه.

أقسام المجتهدين:

أولاً: مجتهد مطلق، وهو: من توفرت فيه شروط الاجتهاد المتقدم.

ثانياً: مجتهد في مذهب إمامه أو إمام غيره، وهو: المتمكن من أن يخرج الدليل

(١) اكتفى المؤلف رحمه الله بالإحالة على ما تقدم عن ذكر بقية شروط المجتهد.

منصوصاً زائداً على نصوص إمامه.

ثالثاً: مجتهد فتوى: وهو دون من قبله، أي: المتبحر في مذهبٍ إمامه المتمكن من ترجيح وتخريج قولٍ آخر، أي: يكون كامل الآلةِ في الاجتهاد، وهو من توفرت فيه الشروط المتقدمة، يضاف إلى ذلك أن يكون صافي الذهن والفكر.

وإذا اجتهد من هو أهلُ للاجتهادِ في المسألةِ وعلل لها ثم وجدت تلك العلة في غيرها. فهل هي مذهبه؟ نعم. إذا وجدت العلة فهي مذهبه.

وإذا اجتهد من هو أهلُ للاجتهادِ فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد على اجتهاده.

لقول النبي ﷺ: **(إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد)**[١].

الاجتهاد في الفروع:

اختلف العلماء هل كل مجتهدٍ في الفروع مصيب؟

الصحيح أنه ليس كلُ مجتهدٍ في الفروعِ مصيب، لقول النبي ﷺ: **(فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا)**[٢][٣].

(١) رواه البخاري (٧٣٥٢) ومسلم، باب بيان أجر الحاكم إذا حكم فأصاب أو أخطأ، ولفظهم: عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ.

(٢) رواه مسلم عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ: (**باب تَأْمِيرِ الإِمَامِ الأُمَرَاءَ عَلَى الْبُعُوثِ وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِآدَابِ الْغَزْوِ وَغَيْرِهَا**).

(٣) ومعنى الحديث: أي: أن المصيب واحد؛ لأن الحق واحد.

وقوله ﷺ: (**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد**)[١].

الاجتهاد في أصول الدين:

لا يجوز الاجتهاد في أصول الدين، وإنما يؤخذ من النصوص، كمعرفة الله وصفاته، وأركان الإسلام، وهو مذهب جماهير العلماء، ولذا قيل: لا يجوز أن يقال: كل مجتهدٍ في الأصول الكلامية مصيب، لأن ذلك يؤَديِ إلى تصويب أهل الضلالة من النصارى والمجوس والكفار والملحدين، وكذا المبتدعة الذين ينكرون صفات الله كالجهمية المعطلة، فإنهم ملاحدة، وكسائر أهل البدع الذين ينكرون شيئاً من صفاته أو أسمائه كالمعتزلة، أو الذين يخالفون النصوص كالقدرية، والذين ينكرون بعض الصفات كالأشاعرة.

فكل ما كان من أصول الدين لا يجوز الاجتهاد فيه، خلافاً لما ذهب إليه المعتزلة كالجاحظ من جواز الاجتهاد في المِلَّة.

هذا ما تيسر جمعه على هذه الورقاتِ، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين.



(١) تقدم.

فهرس المحتويات